

235

ملكه علي [illegible] الحنبلي عفا الله [illegible]

ثم ملكه سراج الدين عمر الحنبلي عفى الله عنه

# الجزء الثاني من الجواب الصحيح
# لمن بدل دين المسيح صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم

تاليف شيخ الاسلام مفتي فرق الانام . المهر سنن الرسل وقامع الكفر
والمحق الامام العلامة ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
رضي الله عنه

ثم تمام فتح الكتاب

انتقل بالبيع الشرعي الى [illegible] علي بن ابي بكر الدر اللولوي [illegible]
في اوائل شعبان سنة [illegible] والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بالخير

فصل قالوا وقد جا في هذا الكتاب الذي جا به
هذا الانسان يقول انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهذا ما يوافق قولنا
اذ قد يشهد انه انسان مثلنا بالناسوت الذي اخذ من مريم وكلمه
الله وروحه المتحد فيه وحاشا ان تكون كلمه الله وروحه
الخالقه مثلنا نحن المخلوقين وايضا قال في سوره النسا وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم فاشار بهذا القول الى اللاهوت الذي
هو كلمه الله التي لم يدخل عليها الم ولا عرض وقال ايضا
يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامه وعلى هذا
القياس نقول ان المسيح صلب وتالم بناسوته ولم يصلب
ولا تالم بلاهوته والجواب من وجوه احدها ان تقال
دعواهم على محمد صلى الله عليه وسلم انه اثبت في المسيح اللاهوت
والناسوت كما يزعم هولا النصارى فيه هو من الكذب
الواضح المعلوم على محمد صلى الله عليه وسلم الذي يعلم من دينه بالاضطرار
كما يعلم من دينه تصديق المسيح عليه السلام واثبات رسالته
فلو ادعى اليهودي على محمد صلى الله عليه وسلم الذي يعلم من دينه
بالاضطرار كما يعلم من دينه تصديق المسيح عليه السلام واثبات
رسالته فلو ادعى اليهودي على محمد صلى الله عليه وسلم انه كان
يكذب المسيح ويجحد رسالته كان كدعوى النصارى عليه انه كان
يقول انه رب العالمين وان اللاهوت اتحد بالناسوت ومحمد صلى
الله عليه وسلم قد اخبر فيما بلغه عن الله عز وجل تكفير من قال ذلك

بما يناقض

بما يناقض في غير موضع كقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك
المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشا والله على كل شي قدير وقوله
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال
المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار وما للظالمين من
انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه وما من اله الا
اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقه كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات
ثم انظر انى يوفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا
وضلوا عن سوا السبيل وقال تعالى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم
يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وقال تعالى يريدون ان يطفوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار

والرهبان لياكلوا اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل
الله وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه
يصدون وقالوا الهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم
قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرايل
ولو نشا لجعلنا منكم ملايكه في الارض يخلفون وانه لعلم
للساعه فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جا عيسى بالبينات قال
قد جيتكم بالحكمه ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا
من عذاب يوم اليم وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم
انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام
الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم
وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت
الرقيب عليهم وانت على كل شي شهيد فاخبر عن المسيح انه لم
يقل لهم الا ما امره الله به اعبدوا الله ربي وربكم وكان عليهم
شهيدًا ما دام فيهم وبعد وفاته كان الله هو الرقيب عليهم
فاذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه او في تفسير كلامه او تعمد
تغيير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك شيا انما هو
رسول عليه البلاغ وقد اخبر سبحانه وتعالى ان اول ما تكلم
به المسيح ان قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني

مباركا



مباركًا اينما كنت واوصاني بالصلاه والزكاة ما دمت حيًا
وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا ثم طلب لنفسه السلام
فقال والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيًا
والنصارى يقولون علينا منه السلام كما تقوله الغاليه فيمن يدعون
فيه الالهيه كالنصيريه في على عليه السلام والحاكميه في الحاكم
الوجه الثاني ان يقال ان الله لم يذكر ان المسيح مات ولا قتل
وانما قال يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين
كفروا وقال المسيح فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
وقال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم
الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يومنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيما
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه
وكان الله عزيزًا حكيمًا وان من اهل الكتاب الا ليومنن به
قبل موته ويوم القيامه يكون عليهم شهيدًا فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا
واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل فذم الله
اشيا منها قولهم على مريم بهتانًا عظيما حيث زعموا انها بغي ومنها
قولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قال تعالى
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم واضاف هذا القول اليهم
وذمهم عليه ولم يذكر النصارى لان الذين تولوا صلب المصلوب
المشبه به هم اليهود ولم يكن احد من النصارى شاهدًا هذا معهم

بل كان الحواريون خايفين غايبين فلم يشهد احد منهم الصلب وانما
شهده اليهود وهم الذين اخبروا الناس انهم صلبوا المسيح والذين
نقلوا ان المسيح صلب من النصارى وغيرهم انما نقلوه عن اولئك اليهود
وهم شرط من اعوان الظلمه لم يكونوا خلقا كثيرا يمتنع تواطيهم
على الكذب قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فنفا
عنه القتل ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته
وهذا عند اكثر العلما معناه قبل موت المسيح وقد قيل قبل موت
اليهودي وهو ضعيف كما قيل انه قبل موت محمد صلى الله عليه
وسلم وهو اضعف فانه لو امن به قبل الموت لنفعه ايمانه به فان الله
يقبل توبه العبد ما لم يغرغر وان قيل المراد به الايمان الذي
يكون بعد الغرغره لم يكن في هذا فايده فان كل احد بعد موته
يومن بالغيب الذي كان يجحده فلا اختصاص للمسيح به ولانه
قال قبل موته ولم يقل بعد موته ولانه لا فرق بين ايمانه بالمسيح
وبمحمد صلوات الله عليهما وسلامه واليهودي الذي يموت يموت
على اليهوديه يموت كافرا بمحمد والمسيح عليهما الصلاه والسلام
ولانه قال وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته وقوله
ليومنن به فعل مقسم عليه وهذا انما يكون في المستقبل فدل
ذلك على ان هذا الايمان بعد اخبار الله بهذا ولو اريد به قبل
موت لقال وان من اهل الكتاب الا من يومن به لم يقل ليومنن
به وايضا فانه قال وان من اهل الكتاب وهذا يعم اليهود
والنصارى فدل ذلك على ان جميع اهل الكتاب اليهود والنصارى
يومنون بالمسيح قبل موت المسيح وذلك اذا نزل امنت اليهود
والنصارى بانه رسول الله ليس كاذبا كما تقول اليهود ولا هو الله

كما تقوله

كما تقوله النصارى والمحافظه على هذا العموم اولى من ان يدعى
ان كل كتابي ليومنن به قبل ان يموت الكتابي فان هذا يستلزم ايمان
كل يهودي ونصراني وهذا خلاف الواقع وهو لما قال وان منهم
الا ليومنن به قبل موته دل على ان المراد بايمانهم قبل ان يموت
هو علم انه اريد بالعموم عموم من كان موجودا حين نزوله اي
لا يتخلف منهم احد عن الايمان به لا ايمان من كان منهم ميتا
وهذا كما يقال انه لا يبقى بلد الا دخله الدجال الا مكه والمدينه
اي من المداين الموجوده حينيذ وسبب ايمان اهل الكتاب به حينيذ
ظاهر فانه يظهر لكل احد انه رسول مويد ليس بكذاب ولا
هو رب العالمين فالله تعالى ذكر ايمانهم به اذا نزل الى الارض
فانه ذكر رفعه الى الله بقوله اني متوفيك ورافعك الي وهو
ينزل الى الارض قبل يوم القيامه ويموت حينيذ اخبر بايمانهم
به قبل موته كما قال تعالى في الايه الاخرى ان هو الا عبد
انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرايل ولو نشا لجعلنا منكم
ملايكه في الارض يخلفون وانه لعلم للساعه فلا تمترن بها
واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم
عدو مبين ولما جا عيسى بالبينات قال قد جيتكم بالحكمه ولابين
لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من
بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا
الساعه ان تاتيهم بغته وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا
واماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزيه

وقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع
الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا
حكيما بيان ان الله رفعه حيا وسلمه من القتل وبين انهم
يومنون به قبل ان يموت وكذلك قوله ومطهرك من
الذين كفروا ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره ولفظ
التوفي لغة العرب معناه الاستيفا والقبض وذلك
ثلثه انواع احدها توفي النوم والثاني توفي الموت والثالث
توفي الروح والبدن جميعا فانه بذلك خرج عن حال اهل
الارض الذين يحتاجون الى الاكل والشرب واللباس والنوم
والغايط والبول والمسيح عليه السلام توفاه الله وهو في
السما الثانيه الى ان ينزل الى الارض ليست حاله كحال اهل
الارض في الاكل والشرب واللباس والنوم والغايط
والبول ونحو ذلك الوجه الثالث قولهم انه عنى
بموته عن موت الناسوت كان ينبغي لهم ان يقولوا على اصلهم
عن توفي الناسوت وسوا قيل موته او توفيته فليس هناك
شي غيره لم يتوف والله تعالى قال اني متوفيك ورافعك
الي والمتوفي هو المرفوع الى الله وقولهم المرفوع هو اللاهوت
مخالف لنص القران ولو كان هناك موت فكيف اذا
لم يكن فانهم جعلوا المرفوع غير المتوفي والقران اخبر ان
المرفوع هو المتوفي وكذلك قوله في الايه الاخرى وما
قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه هو تكذيب لليهود في قولهم
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله واليهود لم يدعوا

فليس هناك شي غير الناسوت

قتل لاهوت

قتل لاهوت ولا اثبتوا لله لاهوتا في المسيح والله تعالى
لم يذكر دعوى قتله من النصارى حتى يقال ان مقصودهم
قتل الناسوت دون اللاهوت بل عن اليهود الذين لا يثبتون
الا الناسوت وقد زعموا انهم قتلوه فقال تعالى وما قتلوه
يقينا بل رفعه الله اليه فقد اثبت رفع الذي قالوا انهم قتلوه
وانما هو الناسوت فعلم انه هو الذي نفا عنه القتل
وهو الذي رفع فان النصارى معترفون برفع الناسوت لكن
يزعمون انه صلب واقام في القبر اما يوما واما ثلثه ايام ثم
صعد الى السما وقعد عن يمين الاب الناسوت مع اللاهوت
وقوله تعالى وما قتلوه يقينا معناه ان نفي قتله هو يقين
لا ريب فيه بخلاف الذين اختلفوا فانهم في شك منه في قتله
وغير قتله فليسوا مستيقنين انه قتل اذ لا حجه معهم
بذلك وكذلك كان طايفه من النصارى يقولون انه لم يصلب
فان الذين صلبوا المصلوب هم اليهود وكان قد اشتبه عليهم
المسيح بغيره كما دل عليه القران وكذلك عند اهل الكتاب
انه اشتبه بغيره فلم يعرفوا من هو المسيح من اوليك حتى
قال لهم بعض الناس انا اعرفكم من هو وقول من قال
معنى الكلام ما قتلوه علما بل ظنا قول ضعيف الوجه
الرابع انه قال تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلو كان المرفوع هو
اللاهوت لكان رب العالمين قال لنفسه او لكلمته اني رافعك
الي وكذلك قوله بل رفعه الله اليه والمسيح عندهم هو الله
ومن المعلوم انه يمتنع رفع نفسه الى نفسه واذا قالوا هو الكلمه

وغيرهم هو الله الخالق
الرازق رب العالمين

فهم يقولون مع ذلك انه الاله الخالق لا يجعلونه بمنزله التوراه
والقران ونحوهما من كلام الله الذي قد يقال فيه اليه يصعد
الكلم الطيب و رفع رب العالمين الى رب العالمين ممتنع
الوجه الخامس قوله وكنت عليهم شهيدا مادمت
فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم دليل على انه بعد
توفيته لم يكن الرقيب عليهم الا الله دون المسيح فان
قوله كنت انت يدل على الحصر كقوله ان كان هذا هو
الحق ونحو ذلك فعلم ان المسيح بعد توفيته ليس رقيبا
على اتباعه بل الله هو الرقيب والمطلع عليهم المحصي اعمالهم
ولا يحصيها ولا يجازيهم بها ولا يجازيهم بها فصل
قالوا وقد سماه الله ايضا في هذا الكتاب خالقا حيث قال
وانا اخلق من الطين كهيئه الطير فانفخ فيها فتكون طيرا باذني
فاشار بالخالق الى كلمه الله المتحده بالناسوت الماخوذ من
مريم لانه كذا قال على لسان داود النبي بكلمه الله خلقت
السموات والارض ليس خالقا الا الله وكلمته وروحه
وهذا مما يوافق راينا واعتقادنا في السيد المسيح لذكره
لانه حيث قال وتخلق من الطين كهيئه الطير فتنفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله اي باذن لاهوت الكلمه المتحده
في الناسوت والجواب ان جميع ما يحتجون به
من هذه الايات وغيرها فهو حجه عليهم لا لهم وهكذا شان
جميع اهل الضلال اذا احتجوا بشي من كتب الله وكلام انبيايه
كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم وذلك
لعظمه كتب الله المنزله وما انطق به انبياءه من جعله هدى

ليس رقيبا عليهم ... على اعمالهم ... الذي ... المسيح



وبيانا للخلق وشفا لما في الصدور فلا بد ان يكون في كلام
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من الهدى والبيان
ما يفرق الله به بين الحق والباطل والصدق والكذب
لكن الناس يوتون من قبل انفسهم لا من قبل انبيا الله تعالى
اما من كونهم لم يتدبروا القول الذي قالته الانبيا
حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه واما من جهه اخذهم
ببعض الحق دون بعض فيضلون من جهه ما لم يومنوا به كما
قال تعالى عن النصارى ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم
العداوه والبغضا الى يوم القيامه واما من جهه نسبتهم
الى الانبيا ما لم يقولوه من اقوال كذبت عليهم ومن جهه
ترجمه اقوالهم بغير ما تستحقه من الترجمه وتفسيرها بغير ما
تستحقه من التفسير الذي دل عليه كلام الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين فانه يجب ان يفسر كلام المتكلم
بعضه ببعض ويوجد كلامه هاهنا وهاهنا وتعرف ما عادته
يعنيه ويريده بذلك اللفظ اذا تكلم به ويعرف المعاني
التي عرف انه ارادها في موضع اخر فاذا عرف عرفه وعادته
في معانيه والفاظه كان هذا مما يستعان به على معرفه
مراده واما اذا استعمل لفظه في معنى لم يجر عادته
باستعماله فيه وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته
باستعماله فيه وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف
انه يريده لذلك اللفظ حتى يجعل كلامه متناقضا وترك
حمله على ما يناسب ساير كلامه كان ذلك تحريفا لكلامه

عن موضعه وتبديلا لمقاصده وكذبًا عليه فهذا اصل من ضل
في كلام الانبيا على غير مرادهم فاذا عرف هذا فنقول
الجواب عما ذكروه هنا من وجوه احدها ان الله لم يذكر
عن المسيح خلقًا مطلقًا ولا خلقًا عامًا كما ذكر عن نفسه تبارك
وتعالى فاول ما انزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
وقال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام
المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق البارى المصور ولم يصف قط شيا من المخلوقات
بهذا لا ملكا ولا نبيا وكذلك قال تعالى الله خالق
كل شى وهو على كل شى وكيل له مقاليد السموات والارض
وقال تعالى وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا
له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع
السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق
كل شى وهو بكل شى عليم ووصف نفسه بانه رب العالمين
وبانه ملك يوم الدين وانه له الملك وله الحمد وانه الحى
القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم وانه على كل شى قدير وبكل
شى عليم ونحو ذلك من خصايص الربوبيه ولم يصف شيا
من مخلوقاته لا ملكا مقربًا ولا نبيًا مرسلا بشى من الخصايص
التى يختص بها التى وصف الله بها نفسه سبحانه وتعالى
واما المسيح عليه السلام فقال فيه واذ تخلق من الطين

لا لاسما المسيح ولم يذكر نفسه بانه الخالق البارى المصور

تاويله

كهيه الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرًا باذنى وتبرى
الاكمه والابرص باذنى وقال المسيح عن نفسه واخلق
لكم من الطين كهيه الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن
الله وابرى الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله فلم يذكر
الا خلق شى معين خاص باذن الله فكيف يكون هذا الخالق
هو ذاك الوجه الثانى خلق من الطين كهيه
الطير والمراد به تصويره بصوره الطير وهذا الخلق يقدر
عليه عامه الناس فانه يمكن احدهم ان يصور من الطين كهيئة
الطير وغير الطير من الحيوانات ولكن هذا التصوير محرم
بخلاف تصوير المسيح فان الله اذن له فيه والمعجزه انه ينفخ
فيه الروح فيصير طيرًا باذن الله عز وجل ليس المعجزه مجرد
خلقه من الطين فان هذا مشترك وقد لعن النبى صلى الله
عليه وسلم المصورين وقال ان اشد الناس عذابًا
يوم القيامه المصورين وفى الصحيح يقول النبى صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا
ذره وليخلقوا شعيره الوجه الثالث ان الله اخبر ان
المسيح انما فعل التصوير والنفخ باذنه تعالى واخبر المسيح
عليه السلام انه فعله باذن الله ان هذا من نعمه التى انعم بها على
المسيح عليه السلام كما قال تعالى ان هو الا عبد انعمنا
عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرايل وقال تعالى له
يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك
الكتاب والحكمه والتوراه والانجيل واذ تخلق من الطين

كهيه الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا باذني وتبرى
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت
بني اسرايل عنك اذ جيتهم بالبينات وهذا كله صريح
في انه ليس هو الله وانما هو عبد الله فعل ذلك باذن الله كما
فعل مثل ذلك غيره من الانبيا وصرح بان الاذن غير
المادون له والمعلِم ليس هو المعلَم والمنعم عليه وعلى والدته
ليس هو اياه كما ليس هو والدته الوجـــه الرابع
انهم قالوا اشار بالخالق الى كلمه الله المتحده في الناسوت ثم
قالوا في قوله باذن الله اي باذن الكلمه المتحده في الناسوت
وهذا يبين تناقضهم وافترا هم على القران لان الله اخبر
في القران ان المسيح خلق من الطين كهيه الطير باذن الله
ففرق بين المسيح وبين الله وبين ان الله هو الاذن للمسيح
وهو لا زعموا ان مراده بذلك ان اللاهوت المتحد بناسوت
المسيح هو الخالق وهو الاذن فجعلوا الخالق هو الاذن
وهو تفسير للقران بما يخالف صريح القران الوجـــه
الخامس ان اللاهوت اذا كان هو الخالق لم يحتج
الى ان ياذن لنفسه فانهم يقولون هو اله واحد وهو الخالق
فكيف يحتاج ان ياذن لنفسه او ينعم على نفسه الوجـــه
السادس ان الخالق اما ان يكون هو الذات
الموصوفه بالكلام او الكلام الذي هو صفه الذات
فان كان هو الكلام فالكلام صفه لا تكون ذاتا قايمه
بنفسها خالقه ولو لم يتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت
دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكنا فكيف وهو



ممتنع فقد تبين امتناع كون الكلمه تكون خالقه من وجوه
وان كان الخالق هو الذات المتصفه بالكلام فذاك هو
الله الخالق لكل شي رب العالمين وعندهم هو الاب والمسيح
عندهم ليس هو الاب فلا يكون هو الخالق لكل شي والقران
بين ان الله هو الذي اذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيه
الطير فتبين ان الذي خلق من الطين كهيه الطير ليس
هو الله ولا صفه من صفاته فليس المسيح هو الله ولا ابن قديم
ازلي لله ولكن عبده فعل باذنه الوجه السابع قولهم فاشار
بالخالق الى كلمه الله المتحده في الناسوت الماخوذ من مريم
لانه كذا قال على لسان داود النبي بكلمه الله خلقت
السموات والارض يقال لهم هذا النص عن داود حجه
عليكم كما ان التوراه والقران وساير ما ثبت عن الانبيا
حجه عليكم فان داود عليه السلام قال بكلمه الله خلقت
السموات والارض ولم يقل ان كلمه الله هي الخالقه كما قلتم
انتم انه اشار بالخالق الى كلمه الله والفرق بين الخالق للسموات
والارض وبين الكلمه التي بها خلقت السموات والارض امر
ظاهر معروف كالفرق بين القادر والقدرة فان القادر
هو الخالق وقد خلق الاشيا بقدرته وليست القدره هي الخالقه
وكذلك الفرق بين المريد والاراده فان الله خالق الاشيا
بمشيته وليست مشيته هي الخالقه وكذلك الدعا
والعباده هو لله الخالق لا لشي من صفاته فالناس كلهم
يقولون يا الله يا ربنا يا خالقنا ارحمنا واغفر لنا ولا يقول
احد يا كلام الله اغفر لنا وارحمنا ولا يا قدره الله ويا مشيه الله

وبا علم الله اغفر لنا وارحمنا والله تعالى خلق بقدرته ومشيئته
وكلامه وليست صفاته هي الخالقه الوجه الثامن
ان قول داود عليه السلام بكلمة الله خلقت السموات
والارض يوافق ما جاء في القران والتوراه وغير ذلك من
كتب الانبيا ان الله يقول للشي كن فيكون وهذا في القران
في غير موضع وفي التوراه قال الله ليكن كذا ليكن كذا
الوجه التاسع قولهم لانه ليس خالق الا الله وكلمته
وروحه ان اراد بالكلمة كلامه وبروحه حياته فهذه من صفات
الله كعلمه وقدرته فلم يعبر احد من الانبيا عن حياة الله بانها
روح الله فمن حمل كلام احد من الانبيا بلفظ الروح انه يراد به
حياة الله فقد كذب عليه ثم يقال هذه كلامه وحياته
من صفات الله كعلمه وقدرته وحينيذ فالخالق هو الله وحده
وصفاته داخلة في مسمى اسمه لا تحتاج ان تجعل معطوفه
على اسمه بواو التشريك التي يودن ان الله له شريك
في خلقه فان الله لا شريك له ولهذا لما قال الله تعالى
الله خالق كل شي دخل كل ما سواه في مخلوقاته ولم تدخل
صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه لان هذه داخله
في مسمى اسمه ليست اشيا مباينه له بل اسماوه الحسنى
متناوله لذاته المقدسه المتصفه بهذه الصفات لا يجوز
ان يراد باسمايه ذاتا مجردةً عن صفات الكمال فان تلك
لا حقيقه لها ويمتنع وجود ذات مجرده عن صفة فضلا عن
وجود ذاته تعالى مجرده عن صفات كماله التي هي لازمه
لذاته فيمتنع تحقق ذاته دونها ولهذا يقال الله وعلمه خلق
لاحم

9

والله وقدرته خلق وان اراد بكلمته وروحه المسيح
او شي اتحد بناسوت المسيح فالمسيح عليه السلام كله مخلوق
كساير الرسل والله وحده هو الخالق وان شيت قلت
ان اريد بالروح والكلمة ما هو صفة لله فتلك داخله في مسمى
اسمه وان اريد ما ليس بصفه فذلك مخلوق له كالناسوت
الوجه العاشر ان داود عليه السلام لا يجوز
ان يريد بكلمة الله المسيح لان المسيح عند جميع الناس هو
اسم للناسوت وهو عندهم اسم للاهوت والناسوت لما
اتحدا والاتحاد فعل حادث عندهم فقبل الاتحاد لم يكن
هناك ناسوت ولا ما يسمى مسيحا فعلم ان داود لم يرد
بكلمة الله المسيح ولكن غايتهم ان يقولوا اراد الكلمه
التي اتحدت فيما بعد بالمسيح لكن الذي خلق الطير
باذن الله هو المسيح كما نطق به القران بقوله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا
والاخرة ومن المقربين فالكلمة التي ذكرها وانها هي
التي بها خلقت السموات والارض ليس هي المسيح الذي خلق
من الطين كهيئة الطير باذن الله فاحتجاجهم بهذا على
هذا احتجاج باطل بل تلك الكلمة التي بها خلقت السموات
والارض لم يكن معها ناسوت حين خلقت باتفاق
الامم والمسيح لا بد ان يدخل فيه الناسوت فعلم انه لم
يرد بالكلمة المسيح

فصل

قالوا وقال ايضا في موضع اخر ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب فاعنا بقوله مثل ادم اشارة الى الناسوت

الماخود من مريم الطاهرة لانه لم يذكر هاهنا اسم المسيح
الا ذكر عيسى فقط وكما ان ادم خلق من غير جماع ولا مباضعه
وكذلك جسد السيد المسيح خلق من غير جماع و مباضعه
وكما ان جسد ادم ذاق الموت وكذلك جسد المسيح
ذاق الموت وقد برهن بقوله راينا ايضا قايلا ان الله
القى كلمته الى مريم وذلك حسب قولنا معشر النصارى
ان كلمه الله الازليه الخالقه حلت في مريم وتجسدت
بانسان كامل وعلى هذا المثال نقول في السيد المسيح باب النبي
طبيعتان طبيعه لاهوتيه التي هي طبيعه كلمه الله وروحه
وطبيعه ناسوتيه التي اخذت من مريم العدرا واتحدت
به ولما تقدم به المقول من الله تعالى على لسان موسى النبي
اذ يقول اليس هذا الاب الذي خلقك وبراك واقتناك قبل
وعلى لسان داود النبي روحك المقدس لا تنزع مني وايضا
على لسان داود النبي بكلمه الله تشددت السموات وبروح
فاه جميع قواهن وليس يدل هذا القول على ثلثه خالقين
بل خالق واحد الاب ونطقه اي كلمته وروحه اي حياته
والجواب من وجوه احدها ان قوله تعالى ان مثل
عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون كلام حق فانه سبحانه خلق هذا النوع البشري
على الاقسام الممكنه ليبين عموم قدرته فخلق ادم من غير
ذكر ولا انثى وخلق زوجته حوا من ذكر بلا انثى كما
قال تعالى وخلق منها زوجها وخلق المسيح من انثى
بلا ذكر وخلق ساير الخلق من ذكر وانثى وكان خلق ادم

15

وحوا اعجب من خلق المسيح فان حوى خلقت من ضلع ادم وهذا
اعجب من خلق المسيح في بطن مريم وخلق ادم اعجب من هذا
وهذا وهو اصل خلق حوا فلهذا شبهه الله بخلق ادم الذي
هو اعجب من خلق المسيح فاذا كان سبحانه قادرا ان يخلقه
من تراب والتراب ليس من جنس بدن الانسان افلا يقدر
ان يخلقه من امراه هي من جنس بدن الانسان وهو سبحانه
خلق ادم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه
وكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون
ولم يكن ادم بما نفخ فيه من روحه لاهوتا وناسوتا بل كله
ناسوت وكذلك المسيح كله ناسوت والله تبارك
وتعالى ذكر هذه الايه في ضمن الايات التي انزلها في شان
النصارى لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران
وناظروه في المسيح وانزل الله فيه ما انزل فبين فيه
قول الحق الذي اختلفت فيه اليهود والنصارى وكذب
الله الطايفتين هولا في غلوهم وهولا في ذمهم له وقال
عقب هذه الايه فمن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم
فقل تعالوا ندع ابنانا وابناكم ونسانا ونساكم وانفسنا
وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين ان هذا
لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز
الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمه سوا بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وقد امتثل النبي

الملكانيه وغيرهم ومعلوم انه لا يصل الى الماشي الا وصل
الى اللبن فانه لا يتميز احدهما عن الاخر وكذلك النار التي
في الحديد متى طرق الحديد او بصق عليه لحق ذلك بالنار
التي فيه والبدن اذا ضرب وعذب لحق الم الضرب والعذا
للنفس فكان حقيقه تمثيلهم يقتضي ان اللاهوت اصابه
ما اصاب الناسوت من اهانه اليهود وتعذيبهم له وايلامهم
له والصلب الذي ادعوه وهذا لازم على العقول بالاتحاد
فان الاتحاد لو كان ما يصيب احدهما لا يشركه الاخر
فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد الرابع ان هاولا
الضلال لم يكفهم ان جعلوا اله السموات والارض متحدا ببشر
في جوف امراه وجعلوه له مسكنا ثم جعلوا اخابث خلق الله
امسكوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على راسه
وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول
الاهي الاهي لماذا تركتني وهم يقولون الذي كان يسمع
الناس كلامه هو اللاهوت كما سمع موسى كلام الله من
الشجره ويقولون هما واحد ويقول بعضهم هما مشيه واحده
وطبيعه واحده والكلام انما يكون بمشيه المتكلم فيلزم
ان يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت
وهو المستغيث المتضرع وهو المستغاث به وايضا فهم
يقولون ان اللاهوت والناسوت شخص واحد ومع القول
بانهما شخص واحد اما ان يكون مستغيثا واما ان يكون
مستغاثا به اما ان يكون داعيا واما ان يكون مدعوا
فاذا قالوا ان الداعي غير المدعو لزم ان يكونا اثنين لا واحدا

واذا قالوا



واذا قالوا هما واحد فالداعي هو المدعو الوجه الخامس
ان يقال لا يخلوا اما ان يقولوا ان اللاهوت كان قادرا على
دفعهم عن ناسوته واما ان يقولوا لم يكن قادرا فان قالوا
لم يكن قادرا لزم ان يكون اوليك اليهود اقدر من رب
العالمين وان يكون رب العالمين مقهورا ماسورا مع قوم
من شرار اليهود وهذا من اعظم الكفر والتنقص برب
العالمين وهذا اعظم من قولهم ان الله ولد وانه بخيل وانه
فقير ونحو ذلك مما يسب الكفار به رب العالمين وان قالوا
كان قادرا فان كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته
وهو كاره لذلك فسنه الله في مثل ذلك نصر رسله
المستعينين به وكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به
فهذا علاني من قتل من النبيين وهو صابر فان اوليك
صبروا حتى قتلوا شهدا والناسوت عندهم استغاث وقال
الاهي الاهي لماذا تركتني كان قد فعل ذلك مكرا كما
يزعمون انه مكر بالشيطان واخفى نفسه حتى ياخذه
بوجه حق لناسوته بذلك من جميع الخلق فكان الواجب
ان لا يخرج ولا يهرب لما في ذلك من الحكمه وهم يذكرون
من جزع الناسوت وهربه ودعايه ما يقتضي ان كلما جرى
عليه كان بغير اختياره ويقولون مشيتهما واحده فكيف
شا اللاهوت مما يكره الناسوت بل لو كانا متباينين وقد
اتفقا على المكر بالعدو لم يجزع الناسوت كما جرى ليوسف
مع اخيه لما وافقه على انه يجعل الصواع في رحله ويظهر
انه سارق لم يجزع اخوه لما ظهر الصواع في رحله كما جزع

احونه حيث لم يعلموا وكثير من الشطار العيارين يمسكون
ويصلبون وهم ثابتون صابرون فما بال هذا يجزع الجزع
العظيم بمنع دعواهم فيه الالهيه الوجه الخامس
قولهم وقد برهن بقوله ايضا في موضع اخر قايلا ان الله
القى كلمته الى مريم ذلك حسب قولنا معشر وقولنا
معشر النصارى ان كلمه الله الخالقه الازليه حلت في مريم
واتحدت بانسان كامل فيقال اما قول الله في القران
فهو حق ولكن ضللتم في تاويله كما ضللتم في تاويل غيره
من كلام الانبيا وما بلغوه عن الله وذلك ان الله قال
واذ قالت الملايكه يا مريم ان الله يبشرك بكلمه منه
اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخره
ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن
الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
قال كذلك الله يخلق ما يشا اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون ففي هذا الكلام وجوه يبين انه مخلوق
ليس هو ما يقوله النصارى منها انه قال بكلمه منه
وقوله بكلمه منه نكره في الاثبات تقتضي انه كلمه
من كلمات الله ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى
ومنها انه بين مراده بقوله بكلمه منه وانه مخلوق
حيث قال كذلك الله يخلق ما يشا اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون كما قال في الايه الاخرى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون وقال تعالى في سوره كهيعص ذلك

عيسى بن مريم



عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله
ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون فهذه ثلث ايات في القران تبين انه قال له
كن فيكون وهذا تفسير كونه كلمه منه وقال اسمه
المسيح عيسى بن مريم اخبر انه ابن مريم واخبر انه وجيه
في الدنيا والاخره ومن المقربين وهذه كلها صفه
مخلوق والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه
شي من ذلك ثم قالت مريم انى يكون لي ولد فبين
ان المسيح الذي هو الكلمه هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه
وتعالى وقال في سوره النسا يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثه انتهوا خيرا لكم انما الله
اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله ولا الملايكه المقربون ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
فقد نهى النصارى عن الغلو في دينهم وان يقولوا على الله غير
الحق وبين ان المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته
وروح منه وامرهم ان يومنوا بالله ورسوله فبين انه رسوله

ونهاهم عن ان يقولوا ثلثة وقال انتهوا خيرا لكم
انما الله اله واحد وهذا تكذيب لقولهم في المسيح
اله حق من اله حق من جوهر ابيه ثم قال سبحانه
ان يكون له ولد فنزه نفسه وعظمها ان يكون له
ولد كما تقوله النصارى ثم قال له ما في السموات
وما في الارض فاخبر ان ذلك ملك له ليس فيه شي من
ذاته ثم قال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا
لله تبارك وتعالى فمع هذا البيان الواضح الجلي هل يظن
ظان ان مراده بقوله وكلمته انه اله خالق او انه
صفة لله قائمة به وان قوله وروح منه المراد به انه حياته
او روح منفصلة من ذاته ثم يقول ايضا اما قوله
وكلمته فقد بين مراده انه خلقه بكن وفي لغة
العرب التي نزل بها القران ان يسمى المفعول باسم
المصدر فيسمى المخلوق خلقا كقوله هذا خلق الله
ويقال درهم ضرب الامير اي مضروب الامير
ولهذا يسمى المامور انه امرا والمقدر قدرا والمعلوم
علما والمرحوم به رحمة كقوله تعالى وكان امر
الله قدرا مقدورا وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله للجنة
انت رحمتي ارحم بك من اشا من عبادي ويقول
للنار انت عذابي اعذب بك من اشا من عبادي
وقال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة

انزل منها



انزل منها رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق ويتعاطفون وامسك
عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه
الى تلك فرحم بها الخلق ويقال للمطر والايات هذه قدرة
عظيمة ويقال غفر الله لك علمه فيك اي معلومه فتسمية
المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب وقد ذكر الامام
احمد في الرد على الجهمية وذكره عنه ان النصارى الحلولية
والجهمية المعطلة اعترضوا على اهل السنة فقالت النصارى
القران كلام الله غير مخلوق وقالت الجهمية المسيح كلمة
الله وهو مخلوق والقران كلام فيكون مخلوقا واجاب
احمد وغيره بان المسيح نفسه ليس هو كلاما فان المسيح
انسان وبشر ومولود من امراة وكلام الله ليس بانسان
ولا بشر ولا مولود من امراة ولكن المسيح خلق بالكلام
واما القران فهو نفسه كلام الله فاين هذا من هذا وقد
قيل اكثر اختلاف العقلا من جهة اشتراك الاسما
وما من عاقل اذا سمع قوله تعالى في المسيح عليه السلام
انه كلمته القاها الى مريم الا يعلم انه ليس المراد ان المسيح
نفسه كلام الله ولا انه صفة لله ولا خالق ثم يقال
للنصارى فلو قدر ان المسيح نفس الكلام فالكلام ليس
بخالق فان القران كلام الله وليس بخالق والتوراة
كلام الله وليست بخالقة وكلمات الله كثيرة وليس
منها شي خالق فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز ان يكون
خالقا فكيف وليس هو الكلام وانما خلق بالكلمة وخص
باسم الكلمة فانه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه

كلمة الله
والاسم غير مخلوق
فيكون غير مخلوق

غيره بل خرج عن العاده فخلق بالكلمه من غير السنه المعروفه
في البشر وقوله بروح منه لا يوجب ان يكون منفصلا
من ذات الله كقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما
في الارض جميعا منه وقوله تعالى وما بكم من نعمه فمن
الله وقال تعالى ما اصابك من حسنه فمن الله وما اصابك
من سيه فمن نفسك وقال تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينه
رسول من الله يتلوا صحفا مطهره فهذه الاشيا كلها من الله
وهي مخلوقه وابلغ من ذلك روح الله التي ارسلها الى مريم
هي مخلوقه فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح اولى ان يكون
مخلوقا قال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال
انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا وقد قال
تعالى ومريم ابنه عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيها
من روحنا وجعلناها وابنها ايه للعالمين فاخبر انه نفخ في مريم
من روحه كما اخبر انه نفخ في ادم من روحه وقد بين انه
ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك ليهب
لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله
ايه للناس ورحمه منا وكان امرا مقضيا فحملته فهذا
الروح الذي ارسله الله اليها ليهب لها غلاما زكيا مخلوق
وهو روح القدس الذي خلق المسيح منه ومن مريم فاذا كان

التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال

الاصل مخلوقا



الاصل مخلوقا فكيف الفرع الذي حصل منه وقوله عن المسيح
وروح منه خص المسيح بذلك لانه نفخ في امه من الروح فحبلت
من ذلك النفخ وذلك غير روحه التي يشاركه فيها ساير البشر
فامتاز بان حبلت به من نفخ الروح فلهذا سمي روحا منه ولهذا
قال طايفه من المفسرين روح منه اي رسول منه سماه
باسم الروح الرسول الذي نفخ فكما يسمى كلمه سمي روحا
لانه كون بالكلمه لا كما يخلق الادميون غيره ويسمى روحا
لانه حبلت به امه بنفخ الروح الذي نفخ فيها لم تحبل به من ذكر
كغيره من الادميين وعلى هذا فيقال لما خلق من الروح
ومن مريم سمي روحا بخلاف ساير الادميين فانه يخلق من ذكر
وانثى ثم ينفخ فيه الروح بعد مضي اربعه اشهر والنصارى
يقولون في امانتهم تجسد من مريم ومن روح القدس ولو
اقتصروا على هذا وفسروا روح القدس بالملك الذي نفخ فيها
وهو روح الله لكان هذا موافقا لما اخبر الله به لكنهم جعلوا
روح القدس حياه الله وجعلوه ربا وتناقضوا في ذلك فانه
على هذا كان ينبغي فيه اقنومان اقنوم الكلمه واقنوم الروح
وهم يقولون ليس فيه الا اقنوم الكلمه وكما يسمى المسيح
كلمه لانه خلق بالكلمه فسمي روحا لانه حبل به من الروح
فان قيل فقد قال في القران والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك وقال تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم وقد قال ايمه المسلمين وجمهورهم القران
كلام الله غير مخلوق منه بدا وقال في المسيح وروح منه
قيل هذا بمنزله ساير المضاف الى الله ان كان عينا قايمه بنفسها

او صفة فيها كان مخلوقا وان كان صفة مضافة الى الله كعلمه وكلامه
ونحو ذلك كان اضافة صفة وكذلك ما منه ان كان عينا قايمة او صفة
قايمة بغيرها كما في السموات والارض والنعم والروح الذي ارسله
الى مريم وقال انما انا رسول ربك كان مخلوقا وان كان صفة لا
تقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقران لم يكن مخلوقا فان ذلك
قايم بالله وما يقوم بالله لا يكون مخلوقا والمقصود هنا بيان بطلان
احتجاج النصارى وانه ليس لهم في ظاهر القران ولا باطنه حجة كما ليس
لهم حجة في ساير كتب الله وانما تمسكوا بايات متشابهات وتركوا
المحكم كما اخبر الله عنهم بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه
ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله والاية
نزلت في النصارى فهم مرادون من الاية قطعا ثم قال
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به
كل من عند ربنا وفيها قولان وقراءتان منهم من يقف عند قوله
الا الله ويقول الراسخون في العلم لا يعلمون تاويل المتشابه
لا يعلمه الا الله ومنهم من لا يقف بل يصل بذلك قوله تعالى والراسخون
في العلم يقولون امنا به ويقول الراسخون في العلم يعلمون تاويل
المتشابه وكلا القولين ماثور عن طايفة من السلف وهولا
يقولون قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليه كما
في قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وكلا القولين حق باعتبار
فان لفظ التاويل يراد به التفسير ومعرفة معانيه والراسخون
في العلم يعلمون تفسير القران قال الحسن البصري لم ينزل الله



اية الا وهو يحب ان يعلم فيما نزلت وماذا عني بها وقد يعني بالتاويل
ما استاثر الله بعلمه من كيفية ما اخبر به عن نفسه وعن اليوم الاخر
ووقت الساعة ونزول عيسى ونحو ذلك فهذا التاويل لا يعلمه
الا الله واما لفظ التاويل اذا اريد به صرف اللفظ عن
ظاهره الى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به فلم يكن السلف
يريدون بلفظ التاويل هذا ولا هو معنى التاويل في كتاب الله
عز وجل ولكن طايفة من المتاخرين خصوا لفظ التاويل بهذا
بل لفظ التاويل في كتاب الله يراد به ما يؤول اليه الكلام
وان وافق ظاهره كقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم
ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل ومنه تاويل الرويا لقول
يوسف الصديق هذا تاويل رءياي من قبل وكقوله الا نباتكما
بتاويله وقوله ذلك خير واحسن تاويلا وهذا مبسوط في موضع
اخر والمقصود هنا انه ليس للنصارى حجة لا في ظاهر النصوص
ولا في باطنها كما قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والكلمة عندهم هي جوهر
وهي رب لا يخلق بها الخالق بل هي الخالقة لكل شي كما قالوا
في كتابهم ان كلمة الله هي الخالقة الا ان الله حلت في مريم والله تعالى
قد اخبر انه سبحانه القاها الى مريم والرب سبحانه هو الخالق
والكلمة التي القاها ليست خالقة والخالق لا يلقيه شي بل هو
يلقي غيره وكلمات الله نوعان كونية ودينية فالكونية كقوله
للشي كن فيكون والدينية امره وشرعه التي جات به الرسل
وكذلك امره وارادته وارساله وبعثه ينقسم الى هذين القسمين
وقد ذكر الله الالقا المقول في غير هذا وقد قال تعالى ولا تقولوا

لمن القى اليكم السلم لست مومنا وقال تعالى واذا راى الذين
اشركوا شركاهم قالوا ربنا هولا شركانا الذين كنا ندعوا من دونك
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يوميذ السلام
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا
تلقون اليهم بالمودة واما لقنته القول ولقيته فتلقاه فذاك اذا
اردت ان يحفظه بحلاف ما اذا القيته اليه فان هذا يقوله فيما
خاطبه به وان لم يحفظه كمن القيت اليه القول انكم
لكاذبون والقوا اليهم السلام وليس هنا الا خطاب سمعوه
لم يحصل بعض صفة المتكلم في المخاطب فكذلك مريم اذا القى
الله كلمته اليها وهي قوله كن لم يلزم ان يكون نفس صفته القايمة
به حلت في مريم كما لم يلزم ان يكون صفته القايمة به حلت
في مريم كما لم يلزم ان يكون صفته القايمة به حلت و
في ساير من القى اليه كلامه وكما لا يحصل صفة كل متكلم
فيمن يلقى اليه كلامه فصل واما قولهم وعلى
هذا المثال نقول في السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية
التي هي طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي اخذ
من مريم العذرا واتحدت به فيقال لهم كلام النصارى في
هذا الباب مضطرب متناقض وليس لهم في ذلك قول اتفقوا
عليه ولا قول معقول ولا قول دل عليه كتاب بل هم فيه
فرق وطوايف كل فرقة تكفر الاخرى كاليعقوبية والملكانية
والنسطورية وتنقل الاقوال عنهم في ذلك مضطربة كثيرة
الاختلاف ولهذا يقال لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على
احد عشر قولا وذلك ان ما هم عليه من اعتقادهم في التثليث
والاتحاد كما هو مذكور في امانتهم لم ينطق به شي من كتب



الانبيا ولا يوجد الا في كلام المسيح ولا الحواريين ولا احد
من الانبيا ولكن عندهم في الكتب الفاظ متشابهة والفاظ
محكمة بينا يرعون في نفسها ثم القايلون منهم بالامانة وهم
عامة النصارى اليوم من الملكية والنسطورية واليعقوبية
مختلفون في تفسيرها وتفسيرها ولهم مناقض يمتنع تصوره على
الوجه الصحيح فلهذا صار كل منهم يقول ما يظن انه اقرب
من غيره فمنهم من يراعي لفظ امانتهم وان صرح بالكفر الذي
يظهر فساده لكل احد كاليعقوبية ومنهم من يستر بعض
ذلك كالنسطورية ~~واكثرهم~~ واكثرهم وهم الملكية بين
هاولا وهاولا ولما ابتدعوا ما ابتدعوا من التثليث والحلول
كان فيهم من يخالفهم في ذلك وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم
مختلفة وذلك بحسب قول الطايفة التي ينقل ذلك القايل والقول
الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه كما
نقلوا عنهم ما ذكره ابو المعالي وصاحبه ابو القاسم الانصاري وغيرهما
ان القديم واحد بالجوهر ثلثة بالاقنوم وانهم يعنون بالاقنوم
الوجود والحياة والعلم ونقلوا عنهم ان الحياة والعلم ليسا
بوصفين زايدين على الذات موجودين بل هما صفتان نفسيتان
للجوهر قالا ولو مثل مذهبهم بمثال لقيل ان الاقانيم عندهم
تنزل منزلة الاحوال والصفات النفسية عند مثبتيها
من المسلمين فان سوادية اللون ولونيته صفتان نفسيتان
للعرض قال وربما يعبرون عن الاقانيم بالاب والابن وروح
القدس فيعنون بالاب الموجود وبالابن المسيح وربما يسمون
العلم كلمة والكلمة علما يعبرون عن الحياة بالروح قال

ولا يريدون بالكلمه الكلام فان الكلام عندهم من صفات الفعل
ولا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح واتحاده به ابنا بل المسيح
عندهم معما تدرع به ابن قالوا ومن مذهبهم ان الكلمه اتحدت
بالمسيح وتدرعت بالناسوت واختلفوا في معنى الاتحاد فمنهم
من فسره بالاختلاط والامتزاج وهذا مذهب طوايف من
اليعقوبيه والنسطوريه والملكيه قالوا ان الكلمه
خالطت جسد المسيح ومازجته كما مازج الخمر اللبن او الما ومعظمه
قالوا وهذا مذهب الروم الملكيه قالوا فمازجت الكلمه جسد
المسيح فصار شيا واحدا وصارت الكثره قله وذهبت طايفه
من اليعاقبه الى ان الكلمه انقلبت لحما ودما قالوا وصارت
شرذمه من كل صنف الى ان المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت
على الناسوت كظهور الصوره في المراه والنقش في الخاتم
ومنهم من قال ظهور اللاهوت على الناسوت كاستوا الاله
على العرش عند المسلمين وذهب كثير من هذه الطوايف الى
ان المراد بالاتحاد الحلول قالوا وقد اختلفوا ايضا في
الجوهر والاقانيم فذهبت اليعقوبيه والنسطوريه الى ان
الجوهر ليس بغير الاقانيم ولا يقال انه هي وصرحت الملكيه
بانه غير الاقانيم واخرون قالوا هو الاقانيم قالوا وافترقت
النصارى من وجه اخر فذهب الروم الى التصريح باثبات
ثلثه الهه وامتنعت اليعقوبيه والنسطوريه من ذلك
في وجه والتزموه من وجه وذلك انهم قالوا الكلمه اله
والروح اله والاب اله والثلثه الاقانيم التي كل اقنوم
اله اله قالوا وذهبت شرذمه من النصارى الى ان عيسى كان



ابنا لله على جهه الكرامه وكما اتخذ الله ابرهيم خليلا كذلك
اتخذ عيسى ابنا قالوا وهولا تعال لهم الا رتو نسبه فهذا
نقل طايفه من نظار المسلمين وهذا نقل لمن قاله من النصارى
وفيه ما هو مخالف لصحيح اماناتهم وما عليه جمهورهم مثل
قوله انهم لا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح ابنا بل المسيح معما
تدرع به ابن فان هذا خلاف ما عليه فرق النصارى من الملكيه
واليعقوبيه والنسطوريه وخلاف ما تضمنته اماناتهم وقد نقلت
طايفه اخرى منهم ابو الحسن الزاعوني عنهم ما يوافق هذا من
وجه دون وجه فقالوا اتفقت طوايف النصارى على ان الله ليس
بجسم واتفقوا على انه جوهر واحد ثلثه اقانيم وان كل واحد
من الاقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام ثم اختلفوا فقال
فقال بعضهم ان الاقانيم مختلفه في الاقنوميه متفقه في الجوهريه
وقال اخرون ليست مختلفه في الاقنوميه بل متغايره
وقال فريق منهم ان كل واحد منها لا هو الاخر ولا هو غيره
وليست متغايره ولا مختلفه وزعموا ان الجوهر ليس هو
غيرها الا ما ذكر عن طايفه من الملكيه فانهم قالوا ان الاقانيم
هي الجوهر وان الجوهر غير الاقانيم وزعموا ان الجوهر هو الاب
والاقانيم الحياه وهي روح القدس والقدره والعلم وان
الله اتحد باحد الاقانيم الذي هو الابن بعيسى بن مريم وكان
مسيحا عند الاتحاد لاهوتا وناسوتا حمل وولد ونشا
وقتل وصلب ودفن واختلفوا فقالت النسطوريه ان
المسيح جوهران اقنومان قديم ومحدث وان اتحاده انما هو
بالمشيه وان مشيتهما واحده وان كانا جوهرين فقالت

اليعقوبيه لما اتحدا صارا جوهرا ان الجوهر القديم والجوهر المحدث
جوهرًا واحدًا واختلفوا هاهنا فقال بعضهم الجوهر
المحدث صار قديما وزعم اخرون انهما لما اتحدا صارا جوهرًا واحدًا
قديما من وجه محدثا من وجه اخر وقالت الملكية ان المسيح
جوهران اقنوم واحد وحكى عن بعضهم انه اقنومان جوهر
واحد وحكى عن بعضهم وقالت الاريوسيه ان الله ليس بجسم
ولا اقانيم له وان المسيح لم يصلب ولم يقتل وانه نبي وحكى
عن بعضهم انه قال المسيح ليس ابن الله وحكى عن بعضهم انه ابن
لله على التسميه والتقريب واختلفوا في الكلمه الملقاة الى
مريم فقالت طايفه منهم ان الكلمه حلت في مريم حلول
الممازجه كما يحل الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه وقالت
طايفه منهم انها حلت في مريم من غير ممازجه كما ان شخص
الانسان حل في المراة وفي الاجسام الصقيله من غير ممازجه
وزعمت طايفه من النصارى ان الناسوت مع اللاهوت
كمثل الخاتم مع الشمع يوثر فيه بالنقش ثم لا يبقى منه
شي الا اثره قال ابو الحسن الداعوني ومن معه واختلفت
النصارى في الاقانيم فقال قوم منهم هي جواهر وقال
قوم هي خواص وقال قوم هي صفات وقال قوم هي اشخاص
والاب عندهم الجوهر الجامع للاقانيم والابن هو الكلمة التي
اتحدت عند مبدا المسيح والروح هي الحياة واجمعوا على ان
الاتحاد صفه فعل وليس بصفه ذات قالوا واختلفوا
في الاتحاد اختلافا متباينا فزعم قوم منهم ان الاتحاد هو
ان الكلمه التي هي الابن حلت جسد المسيح وقيل هذا قول



الاكثرين منهم وزعم قوم منهم ان الاتحاد هو الاختلاط والا متزاج
وقال قوم من اليعقوبيه هو ان الكلمة انقلبت لحما ودما
بالاختلاط وقال كثير من من اليعقوبيه والنسطوريه
الاتحاد هو ان الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا
كاختلاط الما بالخمر وامتزاجهما وكذلك الخمر باللبن
وقال قوم منهم الاتحاد هو ان الكلمه والناسوت
اتحدا فصارا هيكلا واحدًا وقال قوم منهم الاتحاد
مثل ظهور صورة الانسان في المراه وكظهور الطابع في
المطبوع مثل الخاتم في الشمع وقال قوم منهم الكلمة
اتحدت بجسد المسيح على معنى انها حلته من غير مماسه
ولا ممازجه كما نقول الله في السما على العرش من غير
مماسه ولا ممازجه وكما نقول ان العقل جوهر حال في النفس
من غير مخالطة للنفس ولا مماسّة لها وقالت الملكيه الاتحاد
ان الاثنين صارا واحدًا وصارت الكثرة قلة وهذا الذي نقله
عنهم ابو الحسن الزاغوني هو نحو ما نقله عنهم القاضي ابو بكر
ابن الطيب والقاضي ابو يعلى وغيرهما وقال ابو محمد بن حزم
النصارى فرق منهم اصحاب اريوس وكان قسيسا بالاسكندرية
ومن قوله التوحيد المجرد وان عيسى عبد مخلوق وانه
كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وكان في زمن
قسطنطين الاول باني القسطنطينيه واول من تنصر
من ملوك الروم وكان على مذهب اريوس هذا قال
ومنهم اصحاب بولس الشمشاطي وكان بطريركا
بانطاكيه قبل ظهور النصرانيه وكان قوله بالتوحيد المجرد

الصحيح وان عيسى عبد الله ورسوله كاحد الانبيا عليهم
السلام خلقه الله في بطن امه مريم من غير ذكر وانه انسان
لا الهية فيه البتة وكان يقول لا ادري ما الكلمة ولا
روح القدس قال وكان فيهم اصحاب مقدونيوس
كان بطريركا بالقسطنطينيه بعد ظهور النصرانيه
ايام قسطنطين بن قسطنطين باني القسطنطينيه وكان
هذا الملك اريوسيا كاسه وكان من قول مقدونيوس هذا
التوحيد المجرد وان عيسى عليه السلام عبد مخلوق انسان
نبي رسول كساير الانبيا عليهم السلام وان عيسى هو روح
القدس وكلمة الله وان روح القدس والكلمة مخلوقان خلق
الله كل ذلك قال وكان منهم البربرانيه وهم يقولون
ان عيسى وامه الاهان من دون الله قال وهذه الفرق قد
بادت وعمدتهم اليوم ثلث فرق فاعظمها فرقه الملكانيه الروم
وهو مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشى الحبشه
والنوبه ومذهب عامة اهل كل مملكة للنصارى حاشى النوبه
والحبشة وهو مذهب جميع نصارى افريقيه وصقليه والا
والاندلس وجمهور الشام وقولهم ان الله تعالى الله عن قولهم
ثلثة اشيا اب وابن وروح القدس كلها لم تزل وان
عيسى اله تام كله وانسان تام ليس احدهما غير الاخر
وان الانسان منه هو الذي صلب وقتل وان الاله منه
لم ينله شي من ذلك وان مريم ولدت الاله والانسان
وانهما معا شي واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم وقالت
النسطوريه مثل ذلك سوا بسوا الا انهم قالوا ان مريم



لم تلد الاله وانما ولدت الانسان وان الله لم يلد الانسان
وانما ولد الاله تعالى الله عن كفرهم وهذه الفرقه غالبه
على الموصل والعراق وفارس وخراسان وهم منسوبون الى
نسطور وكان بطريركا بالقسطنطينيه وقالت
اليعقوبيه ان المسيح هو الله نفسه وان الله تعالى الله عن
عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وان العالم بقي ثلثه
ايام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان والله
تعالى عاد محدثا والمحدث عاد قديما والله تعالى كان في
بطن مريم محمولا به وهم في اعمال مصر وجميع النوبه وجميع
الحبشه وملوك الارمنين قلت ومن اخبر الناس بمقالتهم
من كان من علمايهم واسلم على بصيره بعد الخبره بكتبهم
ومقالاتهم كالحسن بن ايوب الذي كتب رساله يذكر فيها
سبب اسلامه الى اخيه علي بن ايوب ويذكر الادله على بطلان
دين النصرانيه وصحه دين الاسلام قال في رسالته
الى اخيه لما كتب اليه يساله عن سبب اسلامه فقال
بعد خطبه ثم اعلمك ارشدك الله اني ابتدا امري في الشك
الذي دخلني فيما كنت عليه والاستبشاع بالقول به منذ
اكثر من عشرين سنة لما كنت اقف عليه في المقاله من
فساد التوحيد لله تعالى بما ادخل فيه من القول بالثلثه
اقانيم وغيرها مما تضمنه شريعه النصارى ووضع الاحتجاجات
التي لا تزكوا ولا تثبت في تقرير ذلك وكنت اذا تجرته
واجلت الفكرة فيه بان لي عواره ونفرت نفسي من قبوله
واذا فكرت في دين الاسلام الذي من الله علي به وجدت

اصوله ثابته وفروعه مستقيمه وشرايعه جميله واصل ذلك
ما لا يختلف فيه احد ممن عرف الله منكم ومن غيركم وهو
الايمان بالله الحي القيوم السميع البصير الواحد الفرد الملك
القدوس الجواد العدل اله ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط واله موسى وعيسى وساير النبيين والخلق
اجمعين الذي لا ابتدا له ولا انتها ولا ضد ولا ند لم يتخذ
صاحبه ولا ولدا الذي خلق الاشيا كلها لا من شي ولا على
مثال بل كيف شا وبان قال لها كوني فكانت على ما قدر
واراد وهو العليم القدير الروف الرحيم الذي لا يشبهه
شي وهو الغالب فلا يغلب والجواد فلا يبخل لا يفوته
مطلوب ولا يخفى عليه خافية يعلم خاينة الاعين وما تخفي
الصدور وما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها وكل مذكور او موهوم هو منه وكل ذلك
به وكل له قانتون ثم نومن بان محمدا عبده ورسوله صلى الله
عليه وسلم ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون ونومن بموسى وعيسى وساير النبيين
عليهم الصلاة والسلام لا نفرق بين احد منهم ونومن بالتوراة
والانجيل والزبور والفرقان وساير الكتب التي انزلها
الله على انبيايه وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور وان الابرار في النعيم وان الفجار في الجحيم
يصلونها يوم الدين ذلك بما كسبت ايديهم وان الله ليس
بظلام للعبيد قال ــــ وكان يحملني الف الدين
وطول المدة والعهد عليه والاجتماع مع الابا والامهات

والاخوة



والاخوة والاخوات والاقارب والاخوان والجيران واهل
المودات على التسويف بالعزم والتلبث عن ابرام الامر وتعرض
مع ذلك الفكر في انعام النظر والازدياد في البصيره
فلم ادع كتابا من كتب الانبيا التوراة والانجيل والزبور
وكتب الانبيا والفرقان الا نظرت فيه وتصفحته ولا شيا
من مقالات النصرانيه الا تاملته فلما لم اجد للحق مدفعا
ولا للشك فيه موضعا ولا وجها خرجت مهاجرا الى الله
بنفسي هاربا بديني عن نعمة واهل ومستقر ومحل وعز
ومنصرف في عمل فاظهرت ما اظهرته عن نية صحيحة
وسريرة صادقة ويقين ثابت فالحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جات رسل ربنا
بالحق واياه تعالى نسال ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا
وان يهب لنا منه رحمة انه هو الوهاب قال ــــ

(في الهامش: ... والتلبث (?))

النصارى

فلما نظرت في مقالات وجدت صنفا منهم يعرفون بالاريوسيه
يجردون توحيد الله ويعترفون بعبوديه المسيح عليه
السلام ولا يقولون فيه شيا مما يقوله النصارى من ربوبيه
وبنوه وخاصه ولا غيرهما وهم متمسكون بانجيل المسيح
عليه السلام مقرون بما جا به تلاميذه والحاملون عنه
فكانت هذه الطيفه قريبه من الحق مخالفة لبعضه
في جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودفع ما جا به من
الكتاب والسنه ثم وجدت صنفا منهم يعرفون باليعقوبيه
يقولون ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين احداهما
طبيعة الناسوت والاخرى طبيعة اللاهوت وان هاتين

الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا
انسانا واحدًا وشخصا واحدًا وجوهرًا واحدًا وان هذه
الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح وهو اله
كله وانسان كله وهو شخص واحد وطبيعه واحده من طبيعتين
وقالوا ان مريم ولدت الله تعالى الله عما يصفون وان الله مات
وتألم وصلب متجسدًا ودفن وقام من بين الاموات وصعد
الى السما فجاوا من القول بما لو عرض على السما لانفطرت او
على الارض لانشقت او على الجبال لانهدمت فلم يكن لمحاجة
هولاء وجه اذ كان كفرهم بما صرحوا به اوضح من ان يقع
فيه الشك وكنتم جميعا تشهدون بذلك عليهم قالت
ثم نظرت في قول الملكية وهم الروم وجدتهم قالوا ان الابن
الازلي الذي هو الله الكلمه تجسد من مريم تجسدًا كاملا
كساير اجساد الناس وركب في ذلك الجسد نفسا
كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كساير انفس الناس
وانه صار انسانا بالنفس والجسد الذين هما من جوهر
الناس وانه الاها بجوهر اللاهوت كمثل ابيه لم يزل
وهو انسان بجوهر الناسوت مثل ابرهيم وداود وهو
شخص واحد لم يزد عدده وثبت له جوهر اللاهوت
كما لم يزل يصح له الناسوت الذي اكتسبه من مريم
وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحده
من الطبيعتين مشيه كاملة فله باللاهوتيه مشيه
مثل الاب والروح وله بناسوته مشيه كمشية ابرهيم
وداود وقالوا ان مريم ولدت الاها وان المسيح وهو
اسم



اسم يجمع اللاهوت والناسوت مات وقالوا ان الله لم يمت
والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته وله مشية
اللاهوت ومشيه الناسوت وهو شخص واحد لا نقول
شخصين لئلا يلزمنا القول باربعة اقانيم قالت فاتوا
من ذلك بمثل ما اتت به اليعقوبية في ولاده مريم الله تعالى
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون وقالوا ان المسيح وهو
اسم لا تشك جماعة النصارى انه واقع على اللاهوت
والناسوت مات وان الله لم يمت فكيف يكون ميت لم
يمت وقايم قاعد في حالة واحدة وهل بين المقالتين الا ما
اختلفوا فيه من الطبايع واذ كانوا قد اعترفوا بان مريم
ولدت الله وان الذي ولدته مريم وهو المسيح الاسم الجامع
للاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولاده والموت
وساير الافعال التي تحكي النصارى انها فعلت بالمسيح
الا عليهما وكيف يصح لذي عقل عبادة مولود من امراه
بشريه قد مات ونالته العلل والافات قلت
ومما يوضح تناقضهم انهم يقولون ان المسيح وهو اللاهوت
والناسوت شخص واحد واقنوم واحد مع قولهم انهما
جوهران بطبيعتين ومشيتين فيثبتون للجوهرين
اقنوما واحدًا ويقولون هو شخص واحد ثم يقولون
ان رب العالمين اله واحد وجوهر واحد وهو ثلثه اقانيم
فيثبتون للجوهر الواحد ثلثه اقانيم وللجوهرين المتحدين
اقنوما واحدًا مع ان مشيه الاقانيم الثلاثه عندهم واحده
والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيتين وطبيعتين

ومع هذا هما عندهم شخص واحد اقنوم واحد وهذا يقتضى
غاية التناقض سوا فسروا الاقنوم بالصفه او الشخص
او الذات مع الصفه او اى شى قالوه وهو يتبين ان الذين
تكلموا بهذا الكلام ما تصوروا ما قالوه بل كانوا ضلالا
جهالا بخلاف ما يقوله الانبيا فانه حق فلهذا لا يوجد
عن المسيح ولا غيره من الانبيا ما يوافق قولهم فى التثليث
والاقانيم والاتحاد ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع اقوالا
مخالفه الشرع والعقل ثم قال الحسن بن ايوب ثم وجدنا
النصارى المعروفين بالنسطوريه قد خالفوا اليعقوبيه
والملكيه فى قولهم شخص لها مشيه واحدة وان الطبيعتين
اتحدتا فصارتا جهة واحدة ثم عادوا الى شبيه بقولهم
فى ان مريم ولدت المسيح فاذا كانت ولدت المسيح فقد
لزمهم ووجب عليهم الاقرار بانها ولدت هذا اللاهوت
والناسوت المتحدين وقد رجع المعنى الى قول اليعقوبيه
الا انهم اختاروا لذلك الفاظا زوقوها فذروا بها التمويه
على السامع ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبيه
لان المتحد بالشى هو الممازج له والمجتمع معه حتى صار
الذى مازجه وهو شيا واحدا ثم ذكروا القول باقرارهم
ان الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه فما لم يفارق
الشى هل هو الا يجرى مجراه فى ساير متصرفاته من ضر
ونفع وخير وشر وحاجة وغنى فالك واما قولهم
ان مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه اغلوطه والا فكيف
يولد ولد متحد بشى اخر مجامع له دون ذلك الشى وكيف

يكون ذلك



يكون ذاك وهم يقولون انه لم يفارقه قط وهل يصح هذا
عند اهل النظر او ليس الحكم عند كل ناظر ومن كل ذى
عقل يوجب ان يكون الولادة واقعة على اللاهوت
والناسوت معا بمعنى الاتحاد وبمعنى الاسم الجامع للاهوت
والناسوت وهو المسيح وكذلك الحمل بهما جميعا وان
يكون البطن قد حواهما فالك فان لجوا فى الباطل
ودافعوا عن قبح هذه المقاله وقالوا ان تحسينها بالتمويهات
المشككه لمن قصرت معرفته فنحن نقيم عليهم شاهدا من
انفسهم لا يمكنهم دفعه وذلك ان شريعة ايمانهم التى الفها
روساهم من البطاركه والمطارنه والاساقفه والاحبار
فى دينهم وذوى العلم منهم بحضرة الملك عند اجتماعهم من افاق
الارض مدينه قسطنطينيه وكانوا ثلثمايه وثمانيه
عشر رجلا يصفون انهم انطقوا بها بروح القدس وهى التى
لم تختلف جماعتهم عند اختلافهم فى المقالات فيها ولا يتم
لهم قربان الا بها على هذا النسق الذى بينته نومن اباطيلهم
بالله الاب مالك كل شى صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب
الواحد ايسوع المسيح بن الله الواحد بكر الخلايق كلها
وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر ابيه الذى
بيده اتقنت العوالم وخلق كل شى الذى من اجلنا ومن
اجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس
وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم
وصلب ايام بنطوس بن بيلاطوس ودفن وقام فى اليوم
الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السما وجلس عن يمين

ابيه وهو مستعد للمجي تارة اخرى للقضا بين الاموات
والاحيا ونومن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج
من ابيه روح محييه ومعمودية واحدة لغفران الخطايا
وبجماعة واحدة قدسية سليحية جاثليقية وبقيامة ابداننا
وبالحياة الدايمة الى ابد الابدين تاك — فهذه الشريعة
مجتمع على الايمان بها وتبذل المهج فيها واخراج الانفس
دونها جماهيرهم من الملكية واليعقوبية والنسطورية
وقد اعترفوا فيها جميعا بان الرب المسيح الذي هذه صفته
على ما اقتصصناه منها الاله الحق من الاله الحق نزل
من السما وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحبل
به وولد من مريم وتالم وصلب تاك — فهل في
هذا الاقرار شبهة او علقة يتعلق بها العنت المدافع
عن الحجة فتدبروا هذا القول يا معشر النصارى فانه
لا يمكن احد منكم ان يخرج عنه ولا ان يدفع ما صرح
به فانكم ان قلتم ان المقتول المصلوب هو الله فمريم
على قولكم ولدت الله سبحانه وتعالى عما يقولون وان قلتم
انه انسان فمريم ولدت انسانا وفي ذلك اجمع بطلان
شريعة ايمانكم فاختاروا اي القولين شئتم فان فيه
نقض الدين تاك — وقد يجب على ذوي العقول
ان تزجرهم عقولهم عن عبادة اله ولدته مريم وهي امراة
ادمية ثم مكث على الارض ثلثين سنة تجري عليه احكام
الادميين من غذا وتربية وصحة وسقم وخوف وامن
وتعلم وتعليم لا ينبغي لكم ان تدعوا انه كان منه في تلك

الاحوال



الاحوال المدة من اسباب اللاهوتية شي ولا له من احوال
الادميين كلها من حاجاتهم وضروراتهم وهمومهم ومحنهم
وتصرفاتهم مخرج ثم احدث بعد هذه المدة الطويلة ما
احدثه من اظهار امر الله تعالى والنبوات والايات الباهرة
المعجزة بقوة الله تعالى وقد كان من غيره مثلها وما هو اعلا
منها وكانت مدته في ذلك اقل من ثلث سنين ثم انقضا
امره بما يصفون انه انقضى به وتنسبونه اليه من حبس وضرب
وقذف وصلب وقتل فهل تقبل العقول ما يقولون من ان
الها نال عباده منه مثل ما يذكرون انه نيل منه فان تاولتم
ان ذلك حل بالجسم وليس بالقياس يحتمل ذلك لما شرحناه
من معنى اتحاد اللاهوت به اليس قد وقع تجسم توحدت
اللاهوتية به وحلت الروح فيه وقد انتجبه الله على ما تزعمون
وتصفون لخلاص الخلق وفوض اليه القضا بين العباد في اليوم
الذي يجمع فيه الاولون والاخرون للحساب وقد وجدناكم
تاثرون اخبارا في قوم عرضوا التوابيت فيها شهدا لكم
بان الايدي التي بسطت اليها جفت او هل نال احد من الجزع
والهلع والغم والقلق والتضرع الى الله في ازالة ما حل به
مثلما يحكى في الانجيل انه ناله وقد وجدنا الكتب تحكي بانه
نيل من جورجين اخرمن كان على دين المسيح صلى الله عليه
وسلم من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنشر بالمناشير
ما لم يسمع بمثله في احد من الخلق ونال خلقا كثيرا من تلاميذه
ايضا عذاب شديد وقتل لما كان الملوك المحاربون له يسو
مونهم اياه من الرجوع عن اديانهم الى الكفر الذي كان اولئك

الملوك عليه فصبروا على ذلك واحتسبوا انفسهم فلم يهربوا
من الموت وقد كان يمكنهم الهرب من بلد الى بلد والاستتار
واخفا اشخاصهم وما اظهروا في حال من تلك الاحوال
جزعًا ولا هلعًا وهم بعض الادميين التابعين له لانه
خفف عنهم ما كانوا ينالون به بتاييد الله عز وجل اياهم
قال ثم نقول قولا اخر قد يستدل على صحة هذه
الشريعة من سقمها باربعة اوجه لا يقع في شي منها شك
ولا زياده ولا نقصان وهي اصل امر المسيح عندكم فاولها
البشرى التي اتاها بها جبريل عليه السلام والثانيه قول
يحيى بن زكريا الذي يشهد له المسيح بانه لم يقم النسا
عن مثله والثالثه الندا المسموع من السما والرابعه
قول المسيح عن نفسه حين ساله يحيى عن شانه فالذي قال
جبريل على ما ثبت في انجيلكم لمريم حين بشرها السلام
عليك ايتها الممتليئة نعما ربنا معك ايتها المباركه في النسا
فلما راته مريم ذعرت منه فقال لا ترهبي يا مريم فقد
فزت بنعمه من ربك فها انت تحبلي وتلدي ابنا وتسميه
ايسوع ويكون كبيرًا ويسمى ابن الله العلي ويعطيه الله
الرب كرسي ابيه داود ويكون ملكا على ال يعقوب
الى الابد فقالت مريم انى يكون ذلك ولم يمسسني رجل
قال لها الملاك ان روح القدس ياتيك او قال يحل بك
وقوه العلي تظلك من اجل ذلك يكون الذي يلد منك
قديسًا ويسمى ابن الله العلي قال فلم يزد الملاك قال
لها ان الذي تلدين هو خالق وهو الرب كما سميتموه بل ازال

الشك



الشك في ذلك بان قال ان الله الرب يعطيه كرسي ابيه
داود ويصطفيه ويكرمه وان داود النبي ابوه وانه
يسمى ابن الله وما قال ايضا انه يكون ملكا على الارض
وانما جعل له الملك على بني اسرايل فقط وقد علمتم ان من
يسمى بابن الله كثير لا يحصون فمن ذلك اقراركم بانكم جميعا
ابنا الله بالمحبة وقول المسيح ابي وابوكم والاهي والهكم
في غير موضع من الانجيل ثم تسمية الله يعقوب وغيره
بنيه خصوصا فالسبيل في المسيح اذا لم تلحقوه في هذا
الاسم بالجمهور ان يجري في هذه التسميه مجرى الجماعه الذين
اختصوا بها من الانبيا والابرار وتسبب الملاك اياه الى
ان اباه داود تحقق ان اباه داود وان التسميه الاولى على
جهة الاصطفا والمحبة وان حلول الروح عليه على الجهة
التي قالها متا التلميذ للشعب عن المسيح في الانجيل
لستم انتم متكلمون بل روح الله ياتيكم تتكلم فيكم فاخبر
ان الروح تحل في القوم اجمعين وتتكلم فيهم وقال
الملاك في بشارته لمريم بالمسيح عليه السلام انه يكون
ملكا على ال يعقوب يخص ال يعقوب بتملكه عليهم دون
غيرهم من الناس ولم يقل انه يكون الاها للخلق ومعنى
قول جبريل عليه السلام لمريم ربنا معك مثل معنى قول
الله عز وجل لموسى وغيره من الانبيا اني معكم فقد قال
ليوشع بن نون اني اكون معك كما كنت مع موسى عبدك
وتقول النصارى كلهم في مجاري لغتهم ومعاني الفاظهم
ان الله عز وجل وروح القدس مع كل خطيب وراهب وفاضل

في دينه على هذا السبيل قال واما الندا الذي سمع
يحي بن زكريا من السما في المسيح وشهادة يحيى له فان متا
قال في انجيله ان المسيح عليه السلام لما خرج من الاردن
تفتحت له السما فنظر الى روح القدس قد نزلت على المسيح
لهيئة حمامة وسمع ندا من السما ان هذا ابني الحبيب الذي
اصطفيته فقد علمنا وعلمتم ان المصطفا مفعول والمفعول
مخلوق ولن يستنكف المسيح عليه السلام من الاعتراف
بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه وما زال يقول
الهي والهكم وابي وابيكم وكلما يصح به انه عبد مرسل
مربوب مبعوث مامور يؤدي ما سمع ويفعل ما حدّ له
ونحن نشرح هذا في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى
وقال وقد وجدنا المسيح عليه السلام احتاج الى ان يكمل
امره بمعمودية يحي له فصار اليه بذلك وساله اياه فليس
مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب وقال
لوقا التلميذ في انجيله ان يحي المعمدان ارسل الى المسيح بعد
ان عمده وساله انت ذلك الذي يجي او نتوقع غيرك وكان
جواب المسيح لرسله ان ارجعوا فاخبروه بما ترون من عميان
يبصرون وزمني ينهضون وصم يسمعون وطوبى لمن لم
يعثر بي او يبدل في امري قال فوجدنا يحي مع محله
وجلالة قدره عند الله عز وجل ثم ما شهد به المسيح له
من انه ما قامت عن مثله قد شك فيه فاحتاج الى ان ساله عن
شانه ثم لم يكن من جواب المسيح له بشي مما تصفون من الربوبية
ولا قال اني خالقك وخالق كل شي كما في شريعة ايمانكم



بل حذر الغلط في امره والاغترار ولا كان من قوله اكثر
مما ذكر انه اظهره بنبوته من هذه الايات التي سبق الى
مثلها اكثر الانبيا قال ولا راينا يحي زاد في موضعه
اياه لما فرطه واعلا ذكره مع تشككه في امره وحاجته
الى مسلته عن حاله على ان قال هو اقوى مني لا استحق ان
احل معقد خفه ولم يقل انه خالق وقد يقول الرجل
الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال يحي فيه تواضعا لله
وخشوعا كما قال المسيح في يحي انه ما قامت النسا
عن مثله قال فتركتم ما اتت به الرسل والنبوات
في المسيح وهو املكم الذي رفع ثناكم وجعلتم لانفسكم
شريعة غيرها ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم
مثل من امن بنبوه رجل ينتفي من النبوه لان المسيح
عليه السلام يقول انه مربوب مبعوث ويقول
جبريل انه مكرم مصطفى وان اباه داود وان الله جعله
ملكا على ال يعقوب وينادي مناد من السما بمثل ذلك
ويشهد يحي بن زكريا على مثله وتقولون بل هو خالق
ازلي الا انه ستر نفسه ويقول المسيح وغيره ممن سمينا
انه معطا وان الله معطيه وتقولون بل هو رازق
النعم وواهبها ويقول ان الله ارسله وتقولون بل
هو الذي نزل لخلاصنا ويعتقدون سبب نزوله
من السما انه نزل اراد ان يخلصكم ويحتمل الخطية
ويربط الشيطان فقد وجدنا الخلاص لم يقع والخطية
باقية لم تزل والشيطان اعتا ما كان لم يربط بل سلطه

الله على ما تقولون تحضره في الجبل اربعين يوما يمتحنه وقال له
في بعض احواله معه ان كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزا
فقال له المسيح مجيبا له انه مكتوب ان حياة الانسان لا
تكون الا بالخبز بل بكل كلمه تخرج من الله ثم ساقه الشيطان
الى مدينه بيت المقدس واقامه على قرنة الهيكل وقال
له ان كنت ابن الله فارم بنفسك من ههنا فانه مكتوب
ان الملائكه توكل بك لئلا تعثر رجلك بالحجر قال
ايسوع ومكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك ثم ساقه
الى جبل عال واراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها فقال
له ان خررت على وجهك ساجدًا الي جعلت هذا الذي ترى
كله لك قال له المسيح اعرب ايها الشيطان فانه
مكتوب اسجد للرب الهك ولا تعبد شيا سواه ثم بعث
الله ملكًا ابتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر واطلق
السبيل للمسيح افلا يعلم من كان في عقله ادنى مسكة ان هذا
الفعل لا يكون من شيطان الى اله ولو كان الها لازال امه
عن نفسه قبل ان ياتيه الملك من عند ربه وكما قال
امرنا ان لا نجرب الله وان نسجد للرب ولا نعبد شيا سواه
وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل ان يربطه عزامته
قال فهذه امور اذا تاملها المتامل تحت جدا وكثر
اختلافها واشتد تنقضها واضطرابها قال ومما يعجب
منه انكم تعتقدون ان الابن الازلي اتحد بالمسيح فصار سواه الا
الجهة واحدة ولم يفارقه قط منذ اتحد به ومكث على ذلك
في بطن امه تسعة اشهر ثم اقام مولودًا ويتغذا باللبن ومربوبا



تسعة اشهر ثم اقام مولودًا ويتغذا باللبن ومربوبا صبيا مغذا
بالاغذيه الى ان بلغ ثلثين سنة لا يظهر منه شي من الربوبيه
ولا امر يوجب هذا المحل ولا كان بينه وبين نظرايه من
الادميين فرق ولا سطع منه نور ولا ظهرت له سكينه
ولا حفته الملائكه بالتهليل ولا لم به الشعب بعد ذلك
فوق ما كان من الانبيا قبله فقد كلم الله موسى من العوسجه
كيف شا فاشرق ما حولها نورا وكلمه من طور سينا واضطرمت
في الجبل النيران والنس وجهه النور الساطع حتى كان
يتبرقع اذا جلس مع بني اسرايل بعد ذلك لانهم كانوا لا
يستطيعون النظر اليه ثم سال موسى ربه عز وجل لما قرب
منه فقال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق من صعقته
استقال ربه فتاب عليه وتجلى مجد الله لجماعه من الانبيا
فرا واحول مجده ربوات الملايكه وقال داود يارب
انك حيث عبرت ببلاد سينين تزلزلت الارض منك وانفطرت
من هيبتك وقال ايضا كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب
منها ما لك ايها البحر هاربا وانت يا نهر الاردن لم وليت
راجعا وما لك ايتها الجبال تنفرين كالايايل وما لكن ايتها
الشوامخ والهضبات تنزا وتنزوا الشاء ثم قال كالمجيب عنهم
من قدام الرب تزلزلت البقاع قال فان كان المسيح هو
الازلي الخالق او كان متحدًا به فكيف لم ترجف بين يديه
الجبال ولم تشرف عن سمه مشيته الانهار والبحار او كيف

لم تظهر منه ايات باهرات اجل من ايات الانبيا قبله مثل
المشي على متون الهوا والاضطجاع على اكتاف الرياح والاستغنا
عن الماكل والمشارب واحراق من قرب منه من الشياطين
والجن كما احرق ايليا من قرب منه من جند احاز الملك
ومنع الادميين من نفسه وما فعلوا على زعمكم بجسمه ليعلم
الناس انه خالقهم او انه هيكل الخالق قال ووجدناكم
تقولون ان الابن انما سمي ابن الله وكلامه لانه تولد من الاب
وظهر منه فلم يقف على معنى ذلك لان شريعة ايمانكم ان
الروح ايضا يخرج من الاب فان كان الامر كما تقولون
فالروح ايضا ابن لانها تخرج عن الله تعالى والا فما الفرق بينهما
قال ولم تفهم ايضا قولكم ان الابن تجسد من روح القدس
وان روح القدس ساقته الى البشر ليمتحنه الشيطان فما كانت
حاجة للابن الى ان يكون الروح وهي في قولكم مثله تدبره
وتغيره من حال الى حال اوما علمتم ان المغير السابق المدبر
فاعل والمسبوق المدبر مفعول به فالابن اذا دون الروح
وليس كمثله لان الازلي لا ينفك من الازلي وهو مثله
قال وان كان المسيح من روح القدس كما قال جبريل
الملك لامه مريم فلم سميتموه كلمة الله وابنه ولم تسموه
روحه فانما قال لها الملك ان الذي تلدين من روح القدس
والروح غير الابن ولو كان المعنى واحدا لما قالت الشريعة
انه تجسد من روح القدس وان روح القدس ساقته الى البر
وان روح القدس نزل عليه ولم تثلثون به في ايمانكم
تقولون نؤمن بالاب والابن وروح القدس قال



ووجدناكم تقولون ايتها النسطوريه ان لله علما وحكمة
هما الابن وحياة هي الروح قديمتين وان لعلمه وحياته ذات
كذات الله وذلك ان علم الله له علم وحياه وان حياته التي
هو روحه علم وحياة وان الله الاب لما راى استعلا العدو
على خلقه ونكول الانبيا عن منا وانه ارسل اليه ابنه المفرد
وحده وجعله فدا ووقا للناس اجمعين وان ابنه نزل من السما
وتجسد من روح القدس وصار انسانا ثم ولد ونشا وعاش
ثلثين سنه يتقلب بين بني اسرائيل كواحد منهم يصلي في كنايسهم
ويستن بسنتهم لا يدعي دينا غير دينهم ولا ينتحل رساله ولا ابوه
ولا نبوه حتى اذا انقضت تلك السنون اظهر الدعوة وجا
بالايات الباهره والبراهين المشهوره فانكرته اليهود وقتلته
وصلبته ثم صعد الى السما وصيرتم شريعة الايمان وكفرتم
من خالفها ثم لم تلبثوا ان خلعتموها وانسلختم منها وقلتم ان
المسيح جوهران واقنومان جوهر قديم وجوهر حديث ولكل
جوهر اقنوم على حياله وان الله جوهر قديم يقوم بمعنيين
فهو واحد يقوم بثلثه معاني وثلثه لها معنى واحد كالشمس
التي هي شي واحد ولها ثلثه معاني القرص والحر والنور
فالمسيح هو الله وهو مبعوث غير انه ليس بعبد وكان معنى
قولكم هذا ان المسيح مولود لكنه ليس مفعولا به وهو
مبعوث مرسل لكنكم تستحيون ان تسمونه رسولا اذ
كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شي من الاشيا واعلنتم
على الملكيه واليعقوبيه بالتكفير واللعن لقولهم ان الله
والمسيح شي واحد ثم لم تلبثوا ان قدمتم المسيح على الله تبارك

تبارك وتعالى وتداعم به في التمجيد وزعمتم اليد نا لبلكم ودعوا
في اوقات المزامير خاصه وهي اجمل صلواتكم وافضل محافلكم
عندكم فانه يقوم الامام منكم على المدح من مداعكم
واهله مرعوبون يتوقعون نزول روح القدس بزعمكم من
السما بدعايه فيفتتح دعاه ويقولون لينتم علينا وعليكم نعمة
ايسوع المسيح ومحبة الله الاب ومشاركة روح القدس الى
دهر الداهرين ثم تختم صلاته بمثل ذلك فهذا تصرح بالشرك
وتصغير لعظمة الله عز وجل وعزته ان جعلتم النعم والمواهب
لمن هو دونه وهو معطا ومخول من عند الله على قولكم وجعلتم
الله لعبد المسيح محبة ولروحه مشاركة فافهم ذلك ووجدناكم
قد عبتم على اليعقوبية قولهم ان مريم ولدت الله عز الله وجل عن
ذلك وفي شريعة الايمان التي بيناها المجتمع عليها ان المسيح
اله حق وانه ولد من مريم فما معنى المنافرة وما الفرق وما
تنكرون من قولهم ان المقتول المصلوب هو الله عز الله وجل
عن ذلك وشريعة ايمانكم يقول نومن بالرب المسيح
الذي من خبره وحاله الذي ولد من مريم وألم وصلب على عهد
الملك ودفن وقام في اليوم الثالث اليس هنا اقرار بمثل
قولهم فتدبروا هذا القول يا اولي الالباب فانكم ان قلتم
ان المقتول المصلوب هو الله فان مريم عندكم ولدت الله
وان قلتم انه انسان فان مريم ولدت انسانا وبطلت الشريعة
فاي القولين اخترتموه ففيه نقض دينكم ثم عبتم على الملكية
قولهم انه ليس للمسيح الا اقنوم واحد لانه صار مع الازلي
الخالق شيا واحدا لا فرق بينهما وقلتم بان له اقنومين لكل

مثال الشمس

29

جوهر اقنوم على حاله ثم لم تلبثوا ان رجعتم الى مثل قولهم فقلتم
ان المسيح وان كان مخلوقا من مريم مبعوثا فانه هيكل الابن الله
الازلي ونحن لا نفرق بينهما فاذا كان الامر عندكم على هذا
فما تنقمون على الملكيه وما معنى الافتراق وقد رجعتم في
الاتحاد الى مثل قولهم ان هذا الامر تحار فيه الافهام فان كانت
الشريعة يعني الامانة عندكم حقا فالقول ما قال يعقوب
وذلك انا اذا ابتدانا من الشريعه في ذكر المسيح ثم نسقنا
المعاني نسقا وانحدرنا فيها الى اخرها وجدنا القوم الذين الفوها
لكم قد صححوا ان ايسوع المسيح هو ابن الله وهو بكر الخلايق
كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع وهو اله حق من اله حق
من جوهر ابيه وهو الذي اتقنت العوالم وخلق كل شي على يده
وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل
وصلب فمن انكر قول اليعقوبيه لزمه ان ينكر هذه الشريعة
التي تشهد بصحه قولهم ويلعن من الفها فافهم ذلك وانما
اخذت تلك الطايفه يعني الذين وضعوا الامانه لكلمات ذكروا
انهم وجدوها في الانجيل مشكلات تاولت منها ما وقع بهواها
وتركت ما في الانجيل من الكلام البين الواضح الذي يشهد بعبوديه
المسيح وشهادته على ذلك بنفسه وشهاده تلاميذه عليه
فاخذت بالمشكل اليسير وجعلت له ما احبت من التاويل والعيـ
الواضح الكثير الذي لا يحتاج الى تاويل فافهم ذلك فاما احتجاجكم
بالشمس فانها شي واحد لها ثلث معاني وتشبيهكم ما تقولونه
في الثلاثه الا قانيم بها فان ذلك تمويه لا يصح لان نور الشمس
اذ كان حر الشمس جسما مستديرا مضيا مسخنا دايرا في وسط

يجد بعض الشمس وكذلك جزء منها لا يجد كل الشمس

الافلاك دورانا دايما ولا ينبغي ان تجد نورها او حرها
مثل هذه الصفه ولا يقال ان نورها او حرها جسم مستدير مضى
مسخن دايم الدوران ولو كان نورها وحرها شمسا حقا من
شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعه في المسيح
انه اله حق من اله حق من جوهر ابيه لكان ما قلتم له مثلا تاما
والامر مخالف لذلك ولا يشبهه ولا يقع القياس عليه والحجه
منكم فيه باطله فاك ووجدناكم تذكرون ان المسيح
نزل من السما فابطل بنزوله الموت والاثام فان العجب ليطول
من هذا القول واعجب منه من قبله ولم يتفكر فيه وممن
لم يستقبح ان يعتقد ديانه لله سارل وسارك على مثل هذا
القول المحال البين عما يشهد به العقول وينبي به المشاهده
وتدعوا الناس اليها فما هو ببعيد من عقد ما هو المحل وابطل
منها لانه ان كانت الخطيه بطلت بمجيه فالذين قبلوه اذا
ليسوا لا خاطين ولا ماثومين لانه لا خاطي بعد مجيه ولا خطيه
وكذلك ايضا الذين قتلوا حواريه واحرقوا اسفاره غير
خاطين وكذلك من نراه من جماعتكم منذ ذلك الدهر
الى هذا الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر
ويكذب ويركب كل ما نهي عنه من الكباير وغيرها غير
خاطين ولا ماثومين ممن جحد ذلك فليرجع الى التسبيحه
التي تقرا بعقب كل قربان وهو ان يا ربنا الذي غلب
بوجعه الموت الطاغي وفي الاخرى التي يقال في اليوم
الجمعة الثانيه من الفصح ان فخرنا بالصليب الذي بطل به
سلطان الموت وصرنا الى الامن والنجاه بسببه وفي بعض



التسابيح بصلوات ربنا اليسوع والمسيح بطل الموت وانطفات
فتن الشيطان ودرست اثارها فاي خطيه بطلت واي فتنه
للشيطان انطفات واي امر كان الناس عليه قبل مجيه
من المحارم والاثام تغير عن حالته فاذا كان التمويه يقع
فيما يلحقه كل احد بالمعرفه والعيان فهو فيما اشكل من الامور
وفعله فالتاويلات التي تاولها اوليك المتاولون اوقع واذا كنتم
قد قبلتم هذا المحال الظاهر الذي لا يخفى به عن الصبيان فانتم
بما هو اعظم منه من المحال اقبل وهذا انجيلكم يكذب هذا
القول حيث يقول المسيح ما اكثر من يقول لي يوم القيامه يا
سيدنا اليس باسمك اخرجنا الشيطان فاقول اغربوا عني ايتها
الفجره الغاوون فما ان عرفتكم قط فهذا خلاف قول علمايكم ما قالوا
ووضعهم لكم ما وضعوا ومثله قوله اني جامع الناس يوم القيمه
عن ميمنتي وميسرتي وقايل لاهل الميسرة اني جعت فلم تطعموني
وعطشت فلم تسقوني وكنت غريبا فلم تاووني ومحبوسا
فلم تزوروني ومريضا فلم تعودوني فاذهبوا الى النار المعدة
لكم من قبل تاسيس الدنيا واقول لاهل الميمنه فعلتم لي
هذه الاشيا فاذهبوا الى النعيم المعد لكم من قبل تاسيس
الدنيا فهل ادخل اوليك النار الا خطاياهم التي ركبوها
وهل اصار هولا الى النعيم الا اعمالهم الجميله التي قدموها
بتوفيق الله اياهم فمن زعم ان الخطيه قد بطلت فقد بهت
وقد خالف قول المسيح وكان من الكاذبين فاك
ويا ايها القوم الذين هم اولوا الالباب والمعرفه حيث ينسبونه
الى الربوبيه وينحلونه اللاهوتيه ويجعلونه خالق الجميع والههم

بماذا ساغ ذلك لكم وما الحجة فيه عندكم هل قالت كتب التوراة
فيه ذلك او قاله عن نفسه او قاله احد عن تلامذته والناقلين
عنه الذين هم عماد دينكم واساسه ومن اخذتم الشرايع
والسنن منه وسن كتب الانجيل وبينه بل قد افصح في كل
الانجيل من كلامه ومخاطباته ووصاياه بما لا نحصي كثرة
بانه عبد مثلكم ومربوب معكم ومرسل من عند ربه وربكم
ومبدي ما امر به فيكم وحكا مثل ذلك من امره حواريه
وتلامذته ووصفوه لمن سال عنه وفي كلامهم بانه رجل جاء من
عند الله عز وجل ونبي له نبوه وفضل فتاولتم في ذلك انه اخرج
كلامه على معنى الناسوت ولو كان كما يقولون لافصح عن
نفسه بانه اله كما افصح بانه عبد ولكنه ما ذكره ولا اعاده
ولا دعا اليه ولا ادعته له كتب الانبيا قبله ولا كتب
تلامذته وما حكي عنهم ولا اوجه كلام جبريل الذي اداه
الى مريم ولا قول يحيى بن زكريا ما قال فان قلتم انكم
استدللتم على ربوبيته بانه احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
ومشا على الما وصعد الى السما وصير الما خمرًا وكثر القليل
فيجب الان ان ينظر من فعل من هذه الامور فعلا فنجعله ربا
والاها والا فما الفرق فمن ذلك ان كتاب سفر الملوك يخبر
ان الياس احيا ابن الارملة وان اليسع احيا ابن الاسرايلية
وان حزقيا احيا بشرا كثيرا ولم يكن احد ممن ذكرنا باحيائه
الموتى الها واما ابراه الاكمه فهذه التوراة تخبر ان يوسف
ابرا عيني ابيه يعقوب بعد ان ذهبت وهذا موسى طرح العصاه
فصارت حيه لها عينان تبصر بهما وضرب بها الرمل فصار قملا لكل

واحدة منها عينان



واحدة منها عينان تبصر بهما ولم يكن واحد منهما بذلك الاها
واما ابراه للابرص فان كتاب سفر الملوك يخبر بان رجلا من
عظما الروم مرض فرحل من بلده قاصدًا لليسع عليه السلام ليبريه
من مرضه فاخبر الكتاب بان الرجل وقف بباب اليسع اياما
لا يوذن له فقيل لليسع ان ببابك رجلا يقال له نعمان وهو اجل
عظما الروم به برص وقد قصدك لتبريه من برصه فان اذنت
له دخل اليك فلم ياذن له وقال لرجل من اصحابه اخرج
الى هذا الرجل فقل له ينغمس في الاردن سبع مرات فابلغ الرسول
لنعمان ما امره به اليسع ففعل ذلك فذهب عنه البرص ورجع
قافلا الى بلده فاتبعه خادم اليسع فاوهمه ان اليسع وجه به
اليه يطلب منه مالا فسر الرجل بذلك ودفع الى الخادم مالا
وجوهرًا ورجع فاخفا ذلك وستره ثم دخل الى اليسع فلما
مثل بين يديه قال له تبعت نعمان واوهمته عني كذا وكذا
واخذت منه كذا وكذا واخفيته في موضع كذا اذ فعلت الذي
فعلت فليصير برصه عليك وعلى نسلك فبرص ذلك الخادم
على المكان فهذا اليسع قد ابرا ابرص وابرص صحيحا وهو
اعظم مما فعل المسيح عليه السلام فلم يكن في فعل ذلك الاها
واما قولكم انه مشي على الما فان كتاب سفر الملوك
يخبر بان الياس عليه السلام صار الى الاردن ومعه اليسع
تلميذه فاخذ عمامته فضرب بها الاردن فاستيبس له الما
حتى مشي عليه هو واليسع ثم صعد الى السما على فرس من نور واليسع
يراه ودفع عمامته الى اليسع فلما رجع اليسع الى الاردن ضرب
بها الما فاستيبس له حتى مشي عليه راجعا ولم يكن واحد منهما

بمشيه على الما الاها ولاكان الياس بصعود الى السما الاها
قال    واما قولكم انه صير الما خمرًا فهذا كتاب سفر
الملوك يخبر بان اليسع نزل بامراه اسرايلية فاضافته
واحسنت اليه فلما اراد الانصراف قال لها هل لك من حاجة
فقالت المراه يا نبي الله ان على زوجي دينًا قد فدحه فان رايت
ان تدعوا الله لنا بقضا ديننا فافعل فقال لها اليسع اجمعي
كل ما عندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ما
قدرت عليه من انيتهم ففعلت ثم امرها فملات الآنيه كلها
ما فقال انزكيه ليلتك هذه ومضى من عندها فاصبحت المراه
وقد صار ذلك الما كله زيتا فباعوه فقضوا دينهم وتحويل
الما زيتًا ابدع من تحويله خمرًا ولم يكن اليسع بذلك الها
واما قولكم المسيح عليه السلام كثر القليل حتى اكل
خلق كثير من ارغفة يسيره فان كتاب سفر الملوك يخبر بان
الياس نزل بامراه ارملة وكان القحط قد عم الناس واجدبت
البلاد ومات الخلق ضرًا دهرًا وكان الياس في ضيق
فقال للارملة هل عندك من طعام فقالت والله ما عندي الا
كف من دقيق في قلة اردت ان اخبزه لطفل لي وقد ايقنا
بالهلاك لما الناس فيه من القحط فقال لها احضريه فلا
عليك فاتته به فبارك عليه فمكث عندها ثلث سنين وسته
اشهر تاكل هي واهلها وجيرانها منه حتى فرج الله عن الناس
فقد فعل الياس في ذلك اكثر مما فعل المسيح لان الياس
كثر القليل وادامه والمسيح كثر القليل في وقت واحد
ولم يكن الياس بفعله هذا الها قال    فان قلتم ان هولا
الانبيا



الانبيا ليس لهم صنع في هذه الافعال وان الصنع فيها والقدرة
لله عز وجل اذ كان هو الذي اجراها على ايديهم فقد صدقتم
ونقول لكم ايضا كذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر
على يديه من هذه الاعاجيب اذ كان الله هو الذي اظهرها
على يديه فما الفرق بين المسيح وساير الانبيا وما الحجة في ذلك
قال    وان قلتم ان الانبيا كانت اذا ارادت ان يظهر
الله على ايديهم آية تضرعت الى الله ودعته واقرت له بالربوبيه
وشهدت على انفسها بالعبودية قيل لكم وكذلك سبيل
المسيح سبيل ساير الانبيا فقد كان يدعوا ويتضرع ويعترف
بربوبيه الله ويقر له بالعبوديه فمن ذلك ان الانجيل يخبر بان
المسيح اراد ان يحيي رجلا يقال له العازر فقال يا ابي ادعوك
كما كنت ادعوك من قبل فتجيبني وتستجيب لي وانا ادعوك
من اجل هولا القيام ليعلموا وقال بزعمكم وهو على الخشبه
الهي الهي لم تركتني وقال يا ابي اغفر لليهود ما يعملون
فانهم لا يدرون ما يصنعون وقال في انجيل متا يا ابي
احملك وقال يا ابي ان كان قدار يبعد اني هذا الكاس
ولكن ليس كما اريد انا فليكن مشيتك وقال
ايضا انا اذهب الى الهي الذي هو اعظم مني وقال لا استطيع
ان اصنع شيا ولا انفكر فيه الا باسم الهي وقال يعني
نفسه لا ينبغي للعبد ان يكون اعظم من سيده ولا للرسول
ان يكون اعظم ممن ارسله وقال ان الله لم يلد ولم يولد ولم
ياكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره احد من خلقه ولا يراه احد
الا مات والمسيح قد اكل وشرب وولد وراه الناس فما ماتوا

من رويته ولا مات احد منهم وقد لبث فيهم ثلثا وثلثين سنه
قلت وعامه ما ذكره هنا عن الكتب تعترف به النصارى
لكن بعضهم ينازعه في يسير من الالفاظ فنازعه هنا في قوله
لا ينبغي للعبد ان يكون اعظم من سيده وقال هذا انما قاله
المسيح للحواريين و ~~ذكر انه لا يعرف~~ وذكر انه لا يعرف
لفظ لم يلد ولم يولد ولم ياكل ولم يشرب قال
تعالى في انجيل يوحنا انكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون
اني انا هو وشي من قبل نفسي لا افعل لكن كل شي كالذي
علمني ابي وقال في موضع اخر من عند الله ارسلت معلما
وقال لاصحابه اخرجوا بنا من هذه المدينه فان النبي لا
يحل في مدينته واخبر الانجيل ان امراة رات المسيح فقالت
انك لذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيه فقال لها المسيح
صدقت طوبى لك وقال لتلامذته كما بعثني ابي كذلك
ابعث بكم فاعترف بانه نبي وانه مالوه ومربوب ومبعوث
وقال لتلامذته ان من قبلكم واواكم فقد قبلني ومن
قبلني فانما يقبل من ارسلني ومن قبل نبيا باسم نبي فانما
يفوز باجر من قبل النبي فبين هاهنا في موضع انه مرسل
وان سبيله مع الله سبيلهم معه وقال متى التلميذ
في انجيله ستشهد على المسيح بنبوه اشعيا عن الله عز وجل
هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذي ارتاحت اليه نفسي
انا واضع روحي عليه ويدعوا الامم الى الحق فلن يحتاج الى حجه
اوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجه لكم فقد اوضح
الله امره وسماه عبدا واعلم انه يضع عليه روحه ويؤيده بها

كما ايد ساير



كما ايد ساير الانبيا بالروح فاظهروا الايات المذكوره عنهم
وهذا القول يوافق ما بشر به جبريل الملك مريم حين ظهر
لها وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا قال
وقال يوحنا التلميذ في الانجيل عن المسيح عليه السلام ان
كلامي الذي تسمعون هو كلام من ارسلني وقال في موضع
اخر ان ابي اجل واعظم مني وقال ايضا كما امرني ابي
كذلك افعل انا انا الكرم وابي هو الفلاح وقال يوحنا
كما للاب حياة في جوهره فكذلك اعطى الابن ان يكون
له حياه في قنومه قال والمعطا خلاف المعطي لا محاله
والفاعل خلاف المفعول قال وقال المسيح في انجيل
يوحنا اني لو كنت انا الشاهد لنفسي على صحه دعواي لكانت
شهادتي باطله لكن غيري يشهد لي فانا اشهد لنفسي
ويشهد لي ابي الذي ارسلني وقال المسيح لبني اسرايل
تريدون قتلي وانا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله
قال وقال في الرجل الذي اقامه من الموتى يا ابي اشكرك
على استجابتك دعاي واعترف لك بذلك واعلم انك كل
وقت تجيب دعوتي لكن اسالك من اجل هذه الجماعه ليومنوا
بانك انت ارسلتني قال فاي تضرع واقرار بالرساله
والمسله والطلب للاجابه من الله عز وجل اشد من هذا
او اكثر قال وقال في بعض مخاطبته لليهود وقد
نسبوه الى الجنون انا لست بمجنون ولكن اكرم ابي ولا
احب مدح نفسي بل مدح ابي لاني اعرفه ولو قلت اني لا
اعرفه كنت كذابا مثلكم بل اعرفه واتمسك بامره

قال وقال داود في مزمور مايه وعشره قال الرب
لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداك موطيا لرجليك عصا
العظمة تبعث الرب من صهيون ويبسط على اعدايك شعبك
يا مسيح يوم الرعب في بها القدس من اليوم الذي ولدتك
يا صبي عهد الرب ولا يكذب انك انت الكاهن المويد
قال فهذه مخاطبه ينسبونها الى اللاهوت وقد ابان
داود في مخاطبته ان لربه الذي ذكره ربا هو اعظم منه واعلى
اعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه ان عصا
العظمه يبعث ربه هذا من صهيون وسماه صبيا مخففا
لقوله الاول اليوم ولدتك ونشا على اول كلامه وهو
ربه ووصف انه الكاهن المؤيد الذي يشبه ملا برار ان
قلت قالوا وهذا الكاهن هو الذي ذكر في التوراه ان
الخليل اعطاه القربان واذا المسيح مشبها به مع تسميته
كاهنا كان ذلك من اعظم الادلة على انه مخلوق وبعضهم
يقول لفظ النص ان الرب يبعث عصاه من صهيون
وقال شمعون الصفا ريس الحواريين في الفصل
الثاني من قصصهم يا رجال بني اسرايل اسمعوا مقالتي
ان يسوع الناصري رجل ظهر لكم من عند الله بالقوه والايدي
والعجايب التي اجراها على يديه وانكم اسلمتموه وقتلتموه
فاقام الله يسوع هذا من بين الاموات قال واي شهادة
ابين واوضح من هذا القول وهو اوثق التلاميذ عندكم يخبر
كما تردون ان المسيح رجل وانه من عند الله وان الايات
التي ظهرت منه بامر الله اجراها على يديه وان الذي بعثه

لعله كان

من بين الموتى



من بين الموتى هو الله عز وجل قال وقال ايضا في هذا
الموضع اعلموا ان الله جعل يسوع الذي قتلتموه ربا ومسيحا
قال فهذا القول يرد تاويل من لعله ان ربنا ولفي الفصل
الاول انه اراد بقوله الناسوت لانه يقول ان الله جعله ربا
ومسيحا والمجعول مخلوق مفعول وقد سمى الله جل ثناوه
يوسف ربا قال داود في مزمور مايه وخمسه وللعبوديه
بيع يوسف وشدوا بالكبول رجليه وبالحديد حلت نفسه
حتى صدقت كلمته قول الرب جربه بعث الملك فخلاه
وصيره مسلطا على شعبه ربا على بيته ومسلطا على قنيانه
وقال لوقا في اخر انجيله ان المسيح عرض له وللوقا
تلميذ مجريل في الطريق وهما محزونان فقال لهما وهما لا
يعرفانه ما بالكما محزونين فقالا كانك انت وحدك غريب
ببيت المقدس اذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الايام
من امر يسوع الناصري فانه كان رجلا نبيا قويا في قوله
وفعله عند الله وعند الامه فاخذوه وقتلوه على قولهم
فيه قال فهذا قوله واقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم
على بدع ابتدعها لكم اوليكم تودي الى الضلاله والشرك
بالله جل ثناوه وقال داود في المزمور الثاني في زبوره
مخاطبا لله ومثنيا على المسيح من الرجل الذي ذكرته والانسان
الذي امرته وجعلته دون الملايكه قليلا والبسته المجد
والكرامات وقال في المزمور الثاني قال لي الرب
انت ابني وانا اليوم ولدتك سلني فاعطيك فقوله
ولدتك دليل على انه حدث غير قديم وكل حادث فهو مخلوق

ثم اكد ذلك بقوله اليوم نحمد باليوم حمدا لولادته ازال
به الشك في ماكان قبل اليوم ودل بقوله سلني فاعطيك
على انه محتاج الى المسله غير مستغن عن العطيه قال
فهذا ما حضرنا من الايات في تصحيح المسيح عبوديته وبطلان
ما يدعونه من ربوبيته ومثله كثير في الانجيل لا يحصى فاذا
كانت الشهادات منه على نفسه ومن الانبيا عليه ومن
تلاميذه بمثل ما قد بيناه في هذا الكتاب وانما اقتصرنا
على الاحتجاج عليكم من كتبكم فما الحجه فيما تدعونه له ومن
اي جهه اخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج
عن المعقول وتنكره النفوس وتنفر منه القلوب
الذي لا يصح بحجة ولا قياس ولا نا وبل على القول الجميل الذي
تشهد به العقول ويسكن اليه النفوس ويشاكل عظمه
الله وجلاله قال واذا تاملتم كل ما بينا فتاملوا انصاف
من انفسكم واشفاق عليها علمتم انه قول لا يحتمل ان تناول
فيه للناسوت شيا دون اللاهوت قال فان قلتم
انه ثبتت للمسيح البنوه بقوله ابي وربا ابي وبعثني ابي
قلنا فان كان الانجيل انزل على هذه الالفاظ لم تبدل
ولم تغير فان اللغه قد اجازت ان يسمى الولي ابنا
وقد سماكم جميعا بنيه وانتم لستم في مثل حاله ومن ذلك
ان الله عز وجل قال لاسرايل في التوراه انت ابني بكري
وقال لداود في الزبور انت ابني وحبيبي وقال
المسيح في الانجيل للحواريين اربعهان اذهب الى ابي وابيكم
والاهي والاهكم فسمى الحواريين ابنا الله واقر بان له الها

هو الله



هو الله ومن كان له اله فليس باله كما يقولون فان زعمتم
ان المسيح انما استحق الالهيه بان الله سماه ابنا فليلتزم ذلك
ويشهد بالالهيه لكل من سماه الله ابنا والا فما الفرق
قال فان قلتم ان اسرايل وداود ونظراهم انما سموا ابنا
لله على جهه الرحمه من الله لهم والمسيح بن الله على الحقيقه
تعالى الله عن ذلك قلنا يجوز لمعارض ان يعارضكم فيقول
لكم ما تنكرون ان يكون اسرايل وداود ابني الله على
الحقيقه والمسيح بن رحمه وما الفرق فان قلتم ان الفرق
بين المسيح وساير الانبيا من قبل ان المسيح جا الى مقعد
فقال له قم فقد غفرت لك فقام الرجل ولم يدع الله
في ذلك الوقت قلنا لكم هذا الياس امر السما ان تمطر
فمطرت ولم يدع الله في ذلك الوقت وكذلك اليسع امر
نعمان الرومي بان يغتمس في الاردن من غير دعا ولا تضرع
على انا قد وجدناه في الانجيل قد تضرع وسال مسايل
قد تقدم ذكرها وقال في بعض الانجيل يا ابي اشكرك
على استجابتك دعاي واعلم انك في كل وقت تجيب دعوتي
لكن اسالك من اجل هذه الجماعة ليو منوا بانك انت ارسلتني
فان قلتم ان الغفران من الله عز وجل وان المسيح قال
لبعض بني اسرايل فقد غفرت لك والله هو الذي يغفر
الذنوب قلنا فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة
لموسى اخرج انت وشعبك الذي اخرجت من مصر وانا اجعل
معك ملكا يغفر ذنوبكم فان زعمتم ان المسيح اله لانه غفر
ذنوب المقعد فالملك اذا الاله لانه يغفر ذنوب بني

اسرايل والا فما الفرق فان قلتم ان الفرق بين المسيح وساير
الانبيا من قبل ان الله سماه ربًا فقال ابن البشر رب
السبت قلنا فهذه التوراه تخبر بان لوطا عليه السلام
لما راى الملكين قد اقبلا من النوبه لهلاك قومه قال
لهما يا رب ميلا الى منزل عبدكما وقد تقدم لنا احتجاج
في هذا الكتاب بذكر من سمي في الكتب ربا من يوسف
وغيره فان كان المسيح الها لانه سمي ربا فهولا ادا الهه
لانهم سموا بمثل ذلك فان قلتم ان الانبيا قد نبت على
الهيه المسيح فقال اشعيا العدرا تحبل وتلد ابنا
ويدعا اسمه عمانويل وتفسيره معنا الهنا قلنا
ان هذا اسم كعادة السيد الشريف من الناس وان كان
الله عز وجل المنفرد بمعنى الالهيه جل ثناوه فقد قال الله
في التوراه لموسى عليه السلام قد جعلتك لهرون الها وجعلته
لك نبيا وقال في موضع اخر قد جعلتك يا موسى الها
لفرعون وقال داود في الزبور لمن كانت عنده
حكمه كلكم الهه ومن العليه تدعون فان قلتم ان الله
عز وجل جعل موسى الها لهرون على معنى الرياسه عليه
قلنا وكذلك قال اشعيا في المسيح انه اله لانه على
هذا المعنى والا فما الفرق فان قلتم ان المسيح قد قال
في الانجيل من راني فقد را ابي وانا وابي واحد قلنا
ان قوله انا وابي واحدا نما يريد به ان قبولكم لامري هو
قبولكم لامر الله كما يقول رسول الرجل انا ومن
ارسلني واحد ويقول الوكيل انا ومن وكلني واحد

36

كلام فيه قد قال داود في الزبور ذكرتك يا رب من السدن
قلنا هذا سليمن بن داود يقول في حكمته انا قبل الدنيا

لانه يقوم فيما يوديه مقامه ويودي عنه ما ارسله به ويتكلم
بحجته ويطالب له بحقوقه وكذلك قوله من راني فقد
را ابي يريد بذلك من راى هذه الافعال التي اظهرها
فقد راى افعال ابي فان قلتم ان المسيح قد قال في الانجيل
انا قبل ابرهيم وكيف يكون قبل ابرهيم وانما هو من
ولده ولكن لما قال قبل ابرهيم علمنا ما اراد انه قبل
ابرهيم من جهه الالاهيه قلنا هذا سليمن بن
داود يقول في حكمته انا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث
مد الارض فما الفرق بينه وبين من قال ان سليمن ابن
الله وانه انما قال انا قبل الدنيا بالالاهيه وقد قال
داود ايضا في الزبور ذكرتك يا رب من البدي وهديت
بكل اعمالك فان قلتم ان كلام سليمن بن داود متاول
لانهما من ولد اسرايل وليس يجوز ان يكونا قبل الدنيا
قلنا وكذلك قول المسيح انا قبل الدنيا متاول لانه
من ولد ابرهيم ولا يجوز ان يكون كان قبل ابرهيم فان
تاولتم تاولنا وان تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا
بظاهر الخبر في سليمن وداود والا فما الفرق وقد قدمنا
هذا الاحتجاج على تاويلكم لتعلموا بطلان ما ذهبتم اليه
على انه تاويل غير واقع بحجته وانما حجته ان يكون هذا
الاسم يعني عمانويل لما وقع على المسيح كان معناه انه
اخبر عن نفسه بان الاهنا معنا يعني ان الله معه ومع
شيعته معينا وناصرا ومما يصح ذلك انكم تتسمون به
ولو كان المعنى ما ذهبتم اليه لما جاز لاحد ان يتسما به

كما لم يجز ان يتسما بالمسيح لانه مخصوص بمعناه فان
قلتم ان تلاميذ المسيح كانوا يعملون الايات باسم المسيح
قلنا لكم فقد قال الله جل ثناوه ليحيى بن زكريا قد
ايدتك بروح القدس وبقوة الياس وهي قوة تفعل الايات
فاضاف القوة الى الياس فان زعمتم ان المسيح اله لانه فعلت
الايات باسمه فما الفرق بينكم وبين من قال ان الياس اله
لانه فعلت بقوته الايات فان قلتم الخشبة التي صلب
عليها المسيح على زعمكم الصقت بميت فعاش فان هذا
دليل على انه اله قلنا لكم فما الفرق بينكم وبين من
قال ان اليسع اله واحتج في ذلك بان كتاب سفر
الملوك يخبر ان رجلا مات فحمله اهله الى المقبرة فلما
كانوا بين القبور راوا عدوا لهم يريد انفسهم فطرحوا
الميت عن رقابهم وبادروا الى المدينة وكان الموضع الذي
القوا عليه الميت قبر اليسع فلما اصاب ذلك الميت
تراب قبر اليسع عاش واقبل يمشي الى المدينة فان زعمتم
ان المسيح اله لان الخشبة التي ذكروا انه صلب عليها
الصقت بميت فعاش فاليسع اله لان تراب قبره لصق
بميت فعاش فان قلتم ان المسيح كان من غير فحل قلنا
قد كان كذلك وليس اعجوبة الولادة توجب الالهية
ولا الربوبية لان القدرة في ذلك للخالق تبارك وتعالى
لا للمخلوق وعلى انه يوجدكم ان حوى خلقت من فحل
بلا انثى وخلق انثى من ذكر بلا انثى اعجب من ذكر
من انثى بغير ذكر واعجب من ذلك ان آدم خلقه الله من

تراب وخلق بشر من تراب اعجب وابدع من خلق ذكر
من انثى بلا فحل فما الفرق قال وهذه الاسباب التي ذكرناها [المسيح]
كلها هي الاسباب التي تتعلقون بها في نحلتكم الربوبية
واضافتكم اليه الالوهية قد وصفناها على حقايقها عندكم
وقبلنا فيها قولكم وان كنا لا نشك في ان اهل الكتاب
قد حرفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه ووجدناكم
بطول ما تنحلونه وفساد ما تتاولونه من الكتب التي
في ايديكم التوراة والزبور والانبيا والانجيل فما الذي يثبت
الحجة بعد ذلك لكم قال وقد قال السيد المسيح
في الانجيل لتلاميذه لما سالوه عن الساعة والقيامة
ان ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفه احد ولا الملايكة
الذين في السما ولا الابن ايضا يعرفه ولكن الاب
وحده يعرفه فهذا اقرار منه بانه منقوص العلم وان الله
تبارك وتعالى اعز واعلم منه وانه خلافه واعلا منه وقد
بين بقوله احدا عمومه بذلك الخلق جميعا ثم قال
ولا الملايكه وعندهم من علم الله ما ليس عند اهل الارض
ثم قال ولا الابن وله من القوة ما ليس لغيره وشهد
قوله هذا شهادة واضحة عليه بانه لا يعلم كل ما يعلمه
الله بل ما علمه الله واطلعه على معرفته وجعله له وانه
لقصور معرفته بكل الاشيا ليس بحيث تضعونه
من الربوبية وانه هو الله ومن جوهر الله تعالى الله الخالق
لكل شي علوا كبيرا ولو كان الها كما يقولون لعلم ما
يعلمه الله من ساير الانبيا وساير الامور وعلانيتها اذ

اذ كان هذا المعنى ليس من الكلام الذى اذا سئلتم عنه
تعلقتم بانه قيل الناسوت دون اللاهوت قلت
مقصود بذلك انه صرح بانه لا يعلمه احد ثم خص الملئكة
بالذكر لئلا يظن ان احدا منهم يعلمه فقال ولا الملئكة
الذين فى السما ثم قال ولا الابن يعرفه وان الاب وحده يعرفه
فنفى معرفة الابن واثبت ان الاب وحده يعرفه ومراده
بالابن المسيح فعرف ان المسيح لا يعرفه واثبت ان الرب يعرفه
دون الابن ودل ذلك على ان لفظ الابن عند المسيح انما
يراد بها الناسوت وحده اذ كان لا يجوز نفى العلم عن اللاهوت
فان اللاهوت يعلم كل شى ودل ذلك على ان قوله
عمدوا الناس باسم الاب والابن والمراد به الناسوت
وحده كما اريد بلفظ الابن فى سائر كلامه وكلام
غيره لم يرد قط احد منهم بلفظ الابن اللاهوت بل اطلاق
الابن على اللاهوت مما ابتدعه النصارى وحملوا عليه كلام
المسيح وابتدعوا الصفات الله اسما ما انزل الله بها من سلطان
وحملوا عليها كلام المسيح وانما يحمل كلام الانبيا عليهم السلام
وغيرهم على معنى لغتهم التى جرت عادتهم بالتكلم بها لا على
لغة يحدثها من بعدهم ويحمل كلامهم عليها قلت هذا الذى
نقلته النصارى واشباههم يفتح باب الالحاد فى كتب الله
المنزلة وقد قال تعالى ان الذين يلحدون فى اياتنا لا يخفون
علينا افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا يوم القيامة وذلك
ان كل من اعتقد معانى برايه تمكنه ان يعبر عنها بالفاظ
تناسبها بنوع مناسبة وتلك الالفاظ موجودة فى كلام الانبيا



عليهم السلام لها معان اخر ويجعل تلك الالفاظ دالة على معانيه
التى ابداها ثم يجعل الالفاظ التى تكلمت بها الانبيا وجات
بها الكتب الالهية ارادوا بها معانيه هو وهكذا يفعل
سائر الالحاد فى الكتب الالهية كما فعلته النصارى اهلهم
مثل ما عمدت الملاحدة المتبعون فلاسفة اليونان
القائلون بان هذه الافلاك قديمة ازلية لم تزل ولا تزال
وان الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الالهية
ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا غيره ولا هو
قادر يفعل بمشيئته ولا يقيم الناس من قبورهم فقالوا خلق
واحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الاحداث الذاتى والاحداث
الزمانى فالاول هو ايجاب العلة لمعلولها المقارن لها فى الزمان والثانى
ايجاد الشى بعد ان لم يكن ثم قالوا ونحن نقول ان الله خلق السموات
والارض وما بينهما واحدث ذلك وابدعه وصنعه كما اخبرت
بذلك الانبيا عليهم السلام لكن مرادهم بذلك الاحداث الذاتى وهو
ان ذلك معلول له لم يزل معه فيقال لهم لم يستعمل احد من الانبيا
بع
عليهم الصلاة والسلام بل ولا احد من سائر الامم لفظ الخلق والاحداث
الا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقا بعدمه ووجود غيره
ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار فى جميع لغات الامم
وايضا فاللفظ المستعمل فى لغة العامة والخاصة ولا يجوز ان
يكون معناه ما لا يعرفه الا بعض الناس وهذا المعنى الذى
يدعونه لو كان حقا لم يتصوره الا بعض الناس وهذا المعنى
الذى يدعونه لو كان له كان حقا لم يتصوره الا بعض الناس
فكيف وهو باطل فى صريح العقل كما هو باطل فى صحيح المنقول

فانه لم يعرف ان احدا قط عبر عن القديم الازلى الذى لم يزل
موجودا ولا يزال بانه محدث او مخلوق او مصنوع او مفعول
فهذا الذى ذكرتموه كذب صريح على الانبيا عليهم السلام ليتوهموا
الناس انكم موافقون لهم والكتب الالهيه كالتوريه والقران
مصرحة بان الله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام والقديم الازلى لا يكون مخلوقا فى ستة ايام وكذلك
الكتب الالهيه كالتوراه والقران قد اخبرت بتكليم الله
لموسى وندآه اياه من الطور من الشجره وفى التوراه انها شجره
العليق واخبرت بان موسى عليه السلام كان يلقى عصاه فتصير
حية تسعى وتخبر بان الله فلق له البحر فقالت الملاحدة
ان الشى الثابت يسمى طودا لانه ثابت كالجبل والقلوب تسمى
اودية واظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجه المبتلعه
كلام اهل الباطل هى عصا معنوية فمراد الكتب بالطود
العقل الفعال الذى فاض منه العلم على قلب موسى عليه السلام
والوادى قلب موسى والكلام الذى سمعه موسى سمعه من سما
عقله وتلك الاصوات كانت فى نفسه لا فى الخارج والمليكه
التى راها كانت اشخاصا نورانيه تمثلت فى نفسه لا فى الخارج
والبحر الذى فلقه هو بحر العلم والعصا كانت حجته على السحرة
محجته العلمية غلبت حجة شبههم التى جعلوها حبالا يتوسلون
بها الى نيل اغراضهم وعصيا يهلكون بها من يجادلونه فليس
من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار انه يكذب على
الكتب الالهيه التى اخبرت بقصه موسى كالتوراه والقران
وانه ليس مراد الرسل ما اخبروا به من قصة موسى هذا بل صرحوا

صوابه
والحيه



بان موسى سمع ندا الله له وانه كلمه من الطور طور سينا
الذى هو الجبل وقلب عصاه التى كان يهش بها على غنمه ثعبانا
عظيما وفلق له البحر وغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا
فيه وهلكوا وامثال هذا من تحريفات الملاحده كثير فهكذا
النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الازلية
التى هى علمه او حكمته ابنا وسموها ايضا كلمته وسموا صفته
القديمه الازليه التى هى حياته روح القدس وتسمية هذه
الصفات بهذه الاسما لا توجد فى شى من كلام الانبيا ولا غيرهم
ولا يعرف ان احدا قط لا من الانبيا ولا غيرهم سما علم الله القايم
به الله بل ولا سمى علم احد من العالم القايم به ابنه ولكن لفظ
الابن يعبر به عن من ولد الولادة المعروفة ويعبر به عمن كان
هو سببا فى وجوده كما يقال ابن السبيل لمن ولده الطريق
لما جا من جهة الطريق جعل كانه ولده ويقال لبعض الطير
ابن الما لانه يجى من جهة الما ويقال كونوا من ابنا الاخره
ولا تكونوا من ابنا الدنيا فان الابن ينتسب الى ابيه ويحبه
ويضاف اليه اى كونوا ممن ينتسب الى الآخرة ويحبها ويضاف
اليها فهذا اللفظ موجود فى الكتب التى بايدى اهل
الكتاب فى حق الصالحين الذى يحبهم الله ويربيهم
كما ذكروه ان المسيح قال ابى وابيكم والهى والهكم
وفى التوراة ان الله قال ليعقوب انت ابنى بكرى
ونحو ذلك انما يراد به اذا كان صحيحا معنى صحيح وهو
المحبة له والاصطفا له والرحمة له وكان المعنى مفهوما
عند الانبيا عليهم السلام ومن خاطبوه هو من الالفاظ

المتشابه فصار كثير من اتباعهم يريد به المعنى الباطل
وزعم كثير من الكفار ان الله سبحانه وتعالى بنين وبنات
وان الملايكه بناته وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة
يقولون العقول العشرة هي بنوه والنفوس الفلكية
بناته وهي متولدة عنه لازمة لذاته فجا القران الذي هو
افضل الكتب واكملها بابطال هذه المعاني ومنع استعمال هذا
اللفظ في حق الله عز وجل فنزه الله عن ان يتخذ ولدا كما نزهه
عن ان يكون له ولد فالاول من باب تنزيهه عن الافعال
المذمومة وهذا قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون
الله ويقدسونه عن الافعال القبيحة التي لا تليق به بل يثبتون له ما
ما وجب له من الكمال في افعاله كما وجب له الكمال في ذاته
وصفاته واما من كان من المسلمين وغيرهم لا ينزه الله عن فعل
من الافعال الا ما كان ممتنعا لذاته فاما الممكن المقدور فيقول
لا يعلم انتفاوه الا بالخبر او بالعادة المطردة التي يمكن
انتقاضها فهنا لا ينفي معه ما ينفي به عن الله الافعال المذمومه
القبيحه والكتب الالهيه قد نزهت الرب عز وجل عن الافعال
المذمومه كما نزهته عن صفات النقص كقوله تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقال تعالى
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا كما قال تعالى وجعلوا لله شركا
الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وقال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وقال تعالى

وكبره تكبيرا وقال تعالى عن المؤمنين
ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا



تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا وخلق كل شي
فقدره تقديرا وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون وقال
تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال
تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد فكما نزه نفسه عن الولادة نزه نفسه عن
اتخاذ الولد وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم
شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم
وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا وقال تعالى لن
يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكه المقربون
وقال تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملايكه والنبيين اربابا
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كذبني بن ادم
وما ينبغي له وشتمني بن ادم وما ينبغي له فاما تكذيبه اياي
فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي
من اعادته واما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وانا
الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد
اصبر على اذى يسمعه من البشر من الله انهم يجعلون له ولدا

وشربكا وهو يرزقهم ويعافيهم ولهذا كان معاذ بن جبل
يقول لا ترحموا النصارى فلقد سبوا الله مسبة ما سبه
بها احد من البشر فجات هذه الشريعة الحنيفية القرآنية
حرمت ان يتكلم في حق الله باسم ابن او ولد سدًا للذريعة
كما منعت ان يسجد احد لغير الله وان كان على وجه التحية
وكما منعت ان يصلي احد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا
تتشبه عبادة الشمس والقمر فكانت في سدها الابواب
التي يجعل لله فيها الشريك والولد اكمل من غيرها من
الشرايع كما سدت غير ذلك من الذرايع مثل تحريمها
قليل السكر لانه يجر الى كثيره فان اصول المحرمات التي
قال الله فيها قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانًا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون مما
اتفقت عليه شرايع الانبيا بخلاف تحريم الطيبات
عقوبة فان هذا في شرع التوراة دون شرع القران فان
الله احل لامة محمد الطيبات وحرم عليهم الخبائث
وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه وسد ابواب
الشرك من كل الوجوه جات به هذه الشريعة مع اتفاق
الانبيا على ايجاب التوحيد وتحريم ان يجعل لله شريك
او ولد فاذا كان مراد المسيح عليه السلام بالابن هو الناسوت
وهو لم يسمي اللاهوت ابنا وقد ذكر ان الابن لا يعلم
الساعة فتبين بذلك ان المسيح هو الناسوت وحده وانه
لا يعلم الساعة وهذا هو الحق فان قالوا مراده بالابن

بلغ

اللاهوت



اللاهوت او اللاهوت والناسوت لزم من ذلك ان اللاهوت
او اللاهوت والناسوت لا يعلم الساعة وهذا باطل كذب وهو
مناقض لقولهم فذكر هذا النص من المسيح مع سائر نصوصه ونصوص
الانبيا على ان مسمى الابن هو الناسوت وحده وانه لا يعلم ما
يعلمه الله وذلك صريح في انه مخلوق ليس بخالق ولا يجوز ان
يكون هذا خطابا للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت كما
تناوله عليه بعض النصارى لان كل ما علمه اللاهوت المتحد
بالمسيح علمه الناسوت ولان الناسوت ليس هو الابن عندهم
دون اللاهوت المتحد به بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت
ولاجل الاتحاد دخل فيه الناسوت ولانه لم يثبت العلم الا للاب
وحده لم يستثن علم الابن الازلي عندهم بل نفى علم ما سوى الاب
به وهذا مناقض لقولهم من كل وجه فصل
قال الحسن بن ايوب ومثل هذا انه لما خاطبه الرجل على
ما كتب في الانجيل فقال له ايها الخير فقال ليس الخير الا الله
وحده قلت وبعضهم يترجمه ايها العبد الصالح فقال ليس الصالح
الا الله وحده ومثله قوله في الانجيل اني لم ات لاعمل
بمشيتي لكن بمشية من ارسلني ولو كانت له مشية لاهوتية
كما يقولون لما قال هذا القول فقد ابطل به ما يدعونه في ذلك
ثم انتم مع ذلك تدعون ان المسيح كلمة الله وقوة الله غير باينة
منه ولا منفصلة عنه وتشهدون عليه في الانجيل بقوله انه
يصعد الى السما ويجلس عن يمين ابيه ويدين الناس يوم الدين ويجازيهم
باعمالهم ويتولى الحكم بينهم وان الله عز وجل منحه ذلك اذ كان
لا يراه احد من خلقه في الدنيا ولا في الاخرة فان كان هذا الجالس

للحكومة بين العالم يوم الدين والقاعد عن يمين ابيه وهو شخص
قايم بذاته لا يشك هو الجسد الذي كان في الارض المتحد به المتوحد
به الربوبيه فقد فصلتم بين الله تبارك وتعالى وبينه وبعضتموه
باجتماعهما في السما شخصين منبا بنين احدهما عن يمين صاحبه وهذا
كفر وشرك بالله عز وجل وان كان جسدًا خاليا من الالهية
وهي الكلمة وقد عادت الى الله كما بدات منه فقد زال عنه
حكم الربوبية التي تحلونهما اياها ونسالكم عن واحدة تخبرون
تخبرونا بما هي اصلها ما وضعتموه من عبادة الثلثة الاقانيم التي ترجع
بزعمكم الى جوهر واحد وهي اللاهوت ما هو ومن ابن اخذتموه ومن
امركم به وفي اي كتاب نزل واي نبي تنبا به او اي قول المسيح
تدعونه فيه وهل بنيتم امركم في ذلك الا على قول متى التلميذ
عن المسيح عليه السلام انه قال لتلاميذه حيث اراد ان
يفارقهم اذهبوا فعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس
قال وهذا كلام يحتمل معناه ان كان صحيحا ان يكون ذهب
فيه بجمع هذه الالفاظ الى ان يجتمع لهم بركات الله وبركة
نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الانبيا والرسل وقد
نراكم اذا اردتم الدعا بعضكم بعضا قلتم صلاة فلان القديس تكون
معك ومعنى الصلاة الدعا واسم فلان النبي يعينك على امورك
وكما قال الله تبارك وتعالى يايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم من المسلمين افنقول لذلك انهم جميعا
الهة وقد يجوز ان يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه ان لم
يكن معناه ما قلناه او يكون المسيح عليه السلام ذهب فيه
الى ما هو اعلم به فلم حكمتم بانه ذهب الى ان هذه الاسما لما اضافها

الى الله عز وجل



الى الله عز وجل صارت الهة وجعلتم لها اقانيم لكل اسم اقنوم تخصه
بعينه شخص واحد وكيف استجزتم ما اشركتموه مع الله عز وجل
بالتاويل الذي لا يصح واذا قلتم بثلاثة اقانيم كل اقنوم بذاته فلا
بد من ان يعترفوا ضرورة بان كل اقنوم منها حي سميع بصير
عالم حكيم منفرد بذاته كما يقولون في المسيح انه جالس عن
يمين ابيه فتراكم اخرتم الاقنومين الذين اخذتموهما مع الله من جهة
ان الله حكيم حي فحكمته الكلمة وهي المسيح وروحه روح القدس
وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير لانه يقال حكيم عليم سميع
بصير حي قدير وكذلك ربنا تبارك وتعالى وان كانت صفاتنا اياه
لا تلحق صفاته ولا تبلغ كنه مجده تبارك وتعالى مجده الا بالتمثيل
لعظمته وعزته وجلاله وعلوه فتحلتم صفاته التي ليست سواه غيره
وجعلتموه اقانيم لكل واحدة من الحياة والحكمة وساير الصفات
مثل الذي له وما منها اقنوم له صفة الا ويجمل على قياس قولكم
ان يكون صفته مثله فان كانت هذه الاقانيم الهة وكل صفة
لاله فهي من جوهره يجب ان تكون كل صفة لكل واحد من
الثلثة الاقانيم الاها مثله اذ كان من جوهره فيتسع الامر في ذلك
حتى لا يكون له غاية ولا نهاية واذا قلتم ثلثة اقانيم هي في السما
من جوهر قديم افليس يلزمهم الاقرار بثلثة آلهة لان الاقانيم
اشخاص يوما اليها ويقع الحد عليها والا فما الحجة وانتم تذكرون
في بعض احتجاجكم انها ثلثة ترجع الى واحد غير متبعضه ولا
منفصله وتشبهونها في اجتماعها وظهور ما يظهر منها بالشمس
وقد نراكم عقدتم شريعة ايمانكم على ان المسيح اله وانسان
متحدين وانه يصعد الى السما ويجلس عن يمين ابيه والجالس

عن عين صاحبه آلبس هو منفصل منه معروزا عنه فكيف يقع
على هذا القول قياس او يصح به عقد دين وما شبهتموه به من
الشمس فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجه فيه وانه لا يكون قياسه
القياس الذى تعلقتم به على انا وجدنا كم تقولون فى معنى التثليث
ان الذى دعاكم اليه ما ذكرتم ان متا التلميذ حكاه فى الانجيل
عن المسيح عليه السلام اذ قال لتلامذته سيروا فى البلاد وعمدوا
الناس باسم الاب والابن وروح القدس وانكم ذكرتم فى هذا
القول بعقولكم فقلتم ان المراد بذلك انه لما ان ثبت حدوث
العالم علمتم ان له محدثا فتوهمتموه شيئا موجودا ثم توهمتموه
حيا ثم ناطقا لان الشى ينقسم لحى ولا حى والحى ينقسم لناطق ولا ناطق
وانكم علمتم بذلك انه شى حى ناطق فاثبتم له حياة ونطقا غير
فى الشخص وهما هو فى الجوهرية فنقول لكم فى ذلك اذا كان
الحى له حياة ونطقا فاخبرونا عنه اتقولون انه قادر عزيز ام عاجز
ذليل فان قلتم لا بل هو قادر عزيز قلنا فاثبتوا له قدرة وعزة
كما اثبتم له حياة وحكمة ونطقا فان قلتم لا يلزمنا ذلك لانه
قادر بنفسه عزيز بنفسه قلنا لكم وكذلك تقولوا انه حى
بنفسه ولا بد لكم مع ذلك من ابطال التثليث او اثبات التجسيم
والا فما الفرق وهيهات من فرق وقال الحسن بن ايوب
ايضا انا كلما تاملنا معناكم فى نسب المسيح عليه السلام الى
الالهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التى تذهبون اليها
وطلبنا لكم الحجه فى ذلك من كتبكم اذدنا بصيرة فى استحالة
ذلك ووضعكم له من القول ما لا يثبت به حجة ولا تشهد به
شى من كتبكم ووجدنا ابين ما جاء فى المسيح وحجة امره فيما اتا به

ما قال



ما قال متا التلميذ انه لما جا ايسوع الى ارض قيساريه سال تلامذته
فقال ماذا تقول الناس فى ابن البشر فقالوا منهم من يقول
انك يوحنا المعمدانى واخرون يقولون انك ارميا او احد الانبيا
فقال لهم ايسوع فانتم ماذا تقولون انى فاجابه سمعان الصفا
وهو داسهم فقال انت المسيح ابن الله الحق فاجابه المسيح وقال
طوبى لك يا سمعان بن يونان انه لم يطلعك على هذا لحم ولا دم
ولكن ابى الذى فى السما وحكى لوقا فى انجيله هذا الخبر فقال
ان سمعان اجابه فقال انت مسيح الله ولم يقل ابن الله فهذا كلام
تلميذه الرئيس فيه وارضاه ما قال وقوله انه لم ينطق بذلك
الا بما اوحاه الله فى قلبه ولم يدفعكم قط عن انه مسيح الله ولا عن
ان يقول فى لغتكم انه ابن بالرحمة والصفوه ومع هذا الاختلاف
الواقع فى ذلك فى الانجيلين وقد قال مثل ذلك فيكم جميعا
ان الله الهى والهكم وابى وابيكم فنعمل على احتجاجكم فانه ليس
مثلكم فى معنى النبوه ونجعله مثل من يسمى فى الكتب ابنا
على جهة الاصطفا والمحبه مثل اسرايل وغيره بل قد خص يعقوب
بان قال عز وجل انت ابنى بكرى فهذا كلام له مذهب فى اللغة
القديمه التى جات بها الكتب ولبست بموجبة الالاهيه اذ كان
قد يشركه فى هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه
ومما يوكد المعنى فى ذلك ويزيل تاويل من يتاول ما لم يدعه ولم
يرض به قوله فى علم الساعه ان ذلك شيا لا يعلمه احد من الخلق ولا
الملائكة المقربون ولا الابن يعنى نفسه الا الله وحده ثم قال
للرجل الذى اتاه فقال له ايها العالم الصالح اى الاعمال خير لى الذى
يكون لى حياه الى يوم الدين فقال له لم تقل لى صالحا ليس الصالح

الا الله وحده فاعترف لله بانه واحد لا شريك له ونفا عن نفسه فلم
يجعلها ولا احدًا من الخلق اهلا لذلك وقوله للمراة التي جاته فقالت
انت ذاك النبي الذي كنا ننتظر مجيه فقال لها المسيح صدقت
طوبى لك ثم قال للشيطان حين اختبره فساله ان يلقي نفسه من
راس الهيكل فقال امرنا ان لا نجرب الرب ثم ساله ان يسجد له
فقال امرنا ان لا نسجد الا لله وحده ولا نعبد سواه ثم صلاته في غير
وقت لله واخرها الليله التي اخذته اليهود فيها فاذا كان الها كما
زعمتم فلمن كان يصلي ويسجد ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل
اورشليم وهي مدينة بيت المقدس على الاتان لمن كان يساله عن امره
لما رجت المدينه به هو ايسوع الناصري النبي الذي من ناصره ثم قوله
في بعض الانجيل اخرجوا بنا من هذه المدينه فان النبي لا يحل في مدينته
وفي موضع اخر انه قال لا يهان نبي الا في مدينته وفي بيته واقاربه
وقوله في بعض خطبه ان هذا الجيل السو يريد اية وانه لا نعطا الا اية
يونس كما كان يونس لاهل نينوى يقومون في الدين مع هذا الجيل
فيخصمونهم لانهم تابوا على قول يونس النبي وان هاهنا افضل من يونس
ثم قول داود في نبوته عليه من هذا الرجل الذي ذكرته
وجعلته دون الملايكه قليلا ثم قول تلاميذه فيه ما شرحناه في
صدر كتابنا هذا ما تقدم ووصفهم انه رجل اتا من عند الله بالايات
والقوة ومما يشبه ذلك انه لما قدم تلاميذه فركبوا السفينه
وقال لهم امضوا فاني الحق بكم فاتاهم يمشي على البحر فلما راوه في
تلك الحال قالوا ما هذا الا روح ومن الغرق صاحوا فقال
لهم ايسوع اطمانوا ولا تخافوا انا هو فاجابه شمعون الصفا وقال
له يا رب ان كنت انت هو فاذن لي اتيك على الما فقال له تعال فنزل





شمعان الى الما ليمشي عليه فلم يستطع وجعل يغرق فصاح وقال
يا رب اغثني فبسط يده ايسوع فاخذه وقال له لم تشككت يا قليل
الامانة قال فبان بذلك عجز المسيح عن اتمام ما ساله شمعون الصفا
ومثله امر الرجل الذي قال لايسوع خبر ابنته وما ينالها من الشيطان
وانه قدمها الى تلاميذه فلم يستطيعوا ان يخرجوه وقد كان جعل
لهم ذلك وغيره فاخرجه هو منها وقال في الانجيل وهو يذكر
الامثال التي ضربها لروسا الكهنة انهم لما سمعوها منه علموا انها
في شانهم فهموا ان ياخذوه ثم فرقوا من الجموع لانهم كانوا يتولونه
مثل النبي وقال في الانجيل لما جاته ام ابني زبدا وكانا من
تلاميذه مع ابنيها فقال لها ما تريدين قالت اريد ان تجلس ابناي
احدهما عن يمينك والاخر عن شمالك في ملكوتك فقال ليس لي الى
ذلك سبيل لانه ليس لي ان اعطيه ولكن من وعدله من ابي
قال الحسن بن ايوب فما يكون بيانا ولا افصح او ابين واوضح
من اجتماع هذه الشواهد لكم في كتبكم ما رضيتم بقوله في نفسه
ولا بقول تلامذته فيه ولا بقول من تنبا عليه من الانبيا ولا بقول
جموعه الذين قبلوه لمن سالهم من مخالفيهم عنه وتركتم ذلك كله
واخذتم بارا قوم تاولوا لكم على علمكم بانهم قد اختلفوا ايضا
في الراي فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا واتبع كلا
منهم طايفه قالوا بقولهم ثم سلك من بعد سبيل الابا في اتباعهم
فبينوا لنا حجتكم في ذلك وهيهات من حجه ونحن نستوهب الله
العصمه والتوفيق منه قال ومما يشبه ما تقدم قوله لتلاميذه
في انجيل لوقا فاما انتم الذين صبرتم مع بلاي ومحاربي فاني اعدكم
كما وعدني ابي الملكوت وتشربوا معي على مايدتي في ملكوتي

فبين ان الله جل ثناوه وعده ان يجعله في ملكوت السما ياكل
ويشرب مع تلاميذه على مايدته وهذا مالا يشك فيه وهو
مخالف لقولكم فيما يصير اليه وفي الاكل والشرب والنعيم
هناك ثم قوله لشمعون حين اتته الجموع تاخذوه ام تظن
اني لست قادرا ان اطلب الى ابي فيقيم لي اثنى عشر جندا
ملايكة او اكثر ولكن كيف تتم الكتب ان هكذا ينبغي
ان يكون ولم يقل اني قادر ادفعهم عن نفسي ولا اني امر
الملايكه ان يمنعوا عني كما يقول من له القدره والامر قال
ونجدكم تقولون في المسيح عليه السلام انه مولود من ابيه
ازلي ويجب على المدعي القول ان يثبت الحجه فيه ويعلم انه
مطالب بايضاحها لاسيما في مثل هذا الخطب الجليل الذي
لا ينبغي التلاعب به ولا تجترئ النفوس على ركوب الشبهات
فيه والويل الطويل لمن تاول في ذلك تاويلا لا حقيقه له فانه
يهلك نفسه ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله ان كان
هذا الابن ازليا على ما في شريعه ايمانكم فليس بمولود وان
كان مولودا فليس بازلي لان اسم الازليه انما يقع على من لا
اول له ولا اخر ومعنى المولود انه حادث مفعول وكل
مفعول فله اول فكيف بما اردتم القول كان فيه بطلان
الشريعه قال ونسالكم ايضا عن واحده لم سميتم الاب
ابا والابن ابنا فانه ان كان وجب للاب اسم الابوه لقدمه
فالابن ايضا يستحق هذا الاسم بعينه اذ كان قديما مثله وان
كان الاب عالما عزيزا فهو ايضا عالم عزيز تشهد شريعه
الايمان له بذلك في قولها انه خلق الخلايق كلها واتقنت

على يده



على يده وانه نزل لخلاصكم ومن قدر على ذلك لم يكن الا عالما
عزيزا فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الابوه والبنوه
وفي ابطالها بطلان الشريعه التي تقول ولد من ابيه والا فان كان
الاب والابن متكافيين في القدم والقدره فباي فضل وسلطان
للاب عليه امره ونهاه فصار للاب باعثا والابن مبعوثا والاب
متبوعا مطاعا والابن تابعا مطيعا ومما يشهد بصحه قولنا وبطلان
ما تاولتم او لوكم في عبوديه المسيح ان متى التلميذ حين بنا كتابه
اول ما ابتدا به ان قال كتاب مولد ايسوع المسيح بن داود
عن ابرهيم فنسبه الى من كان منه على الصحه ولم يقل انه ابن الله
ولا انه اله من اله كما تقولون فان قلتم ان تسميه ايسوع للناسوت
الذي قد جعلتموه حجه بينكم وبين كل من التمس الحجة منكم
عند الانقطاع فيما يعترف به المسيح من العبوديه فقد نسق
متى على اسم ايسوع الذي هو عندكم اسم للناسوت المسيح الذي هو
جامع للناسوت واللاهوت فاي حجة في ابطال هذا التاويل
اوضح من هذا ومما يصحح قولنا ويؤكده قول جبريل الملك لمريم
عند مخاطبته اياها انه ابن داود على ما ثبت من ذلك في الانجيل
قال ووجدناكم قد ذكرتم في شريعه الايمان ان ايسوع المسيح
بكر الخلايق فان كنتم ذهبتم في ذلك الى انه على نحو ما يسمى اول
ولد الرجل وكبيرهم بكرا فهو محقق لقولنا في عبوديته وان
كنتم اردتم بذكر البكر انه اول قديم فلسنا نعرف للبكر
معنى في لغه من اللغات الا الاكبر من الاخوه والاول من الولد
وبكر الخلايق لا يكون الا من الخلايق كما ان بكر الرجال والمراه
لا يكون الا من جنسهما وباكوره الثمار لا تكون الا ثمره فلان

من المحال ان يقول قابل بكر ولد ادم ملك من الملايكه وكذلك
من المحال ان بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات
ليس بمخلوق وقد قال الله في التوراه يا ابن بكري اي اسرايل
وقال في موضع اخر انه نظر بنو الله الى بنات الناس فشغفوا
بهن فهل يوجب لال اسرايل الالهيه بهذا القول قال
وقلتم ان المسيح ولد من ابيه قبل العوالم وليس بمصنوع فليس يخلوا
الاب من ان يكون او لد شيا موجودًا او غير موجودًا فان كان
لم يزل موجودًا فان الاب لم يلد شيا وان كان غير موجود وانما
هو حادث لم يكن فهو مخلوق كما قلنا قال ومما يبين قولنا
في خلق المسيح ان هذا الاسم انما وقع له لانه مسح للنبوه والخير
ومما يمسحه الله تبارك وتعالى وقد قال داود في زبوره
قولا يشهد على ذلك بعينه من اجل هذا البر مسحك الله الهك
اكثر مما مسح به نظراك فابان داود بهذه الاية معنى المسيح
فان ما مسحه الله الاله وانه مصطفا مكرم بزيادة على نظرايه
وقال داود ايضا في مزمور احد وثلثين يخاطب الله من اجل
داود عبدك لا يعلب وجه مسيحك عهد الرب لداود بالحق
ولا يرجع عنه يعني بمسيحه نفسه لان الله مسحه للنبوه والملك
وقد قال مثل هذا في غير هذا الموضع من زبوره سما نفسه مسيح
الله قال واذا نظر في الانجيل وكتب بولص وغيره ممن يحتج
به النصارى وجد نحوا من عشرين الف ايه كلها تنطق بعبوديه
المسيح وانه مبعوث مربوب وان الله اختصه بالكرامات ماخلا
ايات يسيره مشكلات قد تاولها كل فريق اولئك الذين وضعوا
الشريعه باختيارهم على هواهم فاخذوا بذلك التاويل المناسد



وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته فلو كانوا قصدوا الحق
لردوا تلك المشكلات الشاذه اليسيره التي يوجد لها من التاويل
خلاف ما تاولوه على الواضحات الكثيره التي قد بانت بغير تاويل
لانه انما يجب ان تقاس الجزء على الكل ويستدل بما غاب بما حضر
وعلى ما اشكل بما ظهر من تلك الايات المشكلات ما قد ذكرناه
في كتابنا هذا وبينا معناه والحجه فيه وانه ليس كما تاولوه
ومنها ما يحكون عن المسيح انه قال انا ابي وقد فسر المسيح عليه
السلام ذلك وكشفه قال يوحنا في انجيله ان المسيح تضرع
الى الله في تلاميذه وقال يا ايها الرب القدوس احفظهم باسمك
الذي اعطيتني ليكونوا هم ايضا شيا واحدًا كما انا شي واحد
وكما انك ارسلتني الى العالم وكذلك ارسلهم انا ايضا ثم
قال بعد هذا ايضا اني قد منحتهم من المجد الذي اعطيتني ومنحتني
ليكونوا ايضا شيا واحدًا كما انا شي واحد فانا بهم وانت لي
قال هو معنى ذلك انه قال انت معي وانت لي كما انا مع تلاميذ
ولهم قلت او اراد انك بي هديت الخلق وعلمتهم وانا اهديهم
واعلمتهم والبا للسببيه فان الله يرسله لهدى عباده
وعلمهم والرسل علموا الغايبين عنهم فالحاضرين الذين بلغوا
عنهم وقوله ليكونوا شيا واحدًا اراد به اتفاق قصدهم
وامرهم ومرادهم وهذا مفسر وقد قال ليكونوا شيًا واحدًا
كما انا شي واحد فقد طلب لهم مثل ما حصل له ولديه
وهذا بين ان قوله كما انا شي واحد كما لم يدل ان يتحد ذوات
بعضهم ببعض وانه طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقه لامر
الله ونهيه ومحبته ورضاه قال او يكون ذهب فيه

الى معنى دقيق لا نعرفه الا انه قد بطل على كل حال هذا القول
تاويلكم مما رجتمه عز وجل في اللاهوت بقوله في تلاميذه
انتم بهم كما ان اباه به لانه ان تاول متاول في هذا المعنى
انه ذهب في وصفه انه بابيه وان اباه به الى مساركته في اللاهوت
فقد قال في تلامذته مثل هذا القول فيجب ان يكونوا
على هذا القياس شركاوه في المحل وهذا ما لا يكون ولا يجترئ
على القول به احد قالك ومن اعجب العجب ان يكون امة كتابها
ودعوتها ومعبودها واحدا يتمسكون بامر المسيح عليه
السلام عليه السلام وتلامذته وانجيله وسننه وشرايعه
وهم مع ذلك مختلفون فيه اشد الاختلاف فمنهم من يقول انه
عبد ومنهم من يقول انه اله ومنهم من يقول انه ولد ومنهم
من يقول انه اقنوم وطبيعة ومنهم من يقول انه اقنومان
وطبيعتان وكل منهم يكفر صاحبه ويقول ان الحق في
يده وكلهم لا ياتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه
ولا من قياسه لنفسه وتاوله بما يصح له عند المناظرة وانما يرجع
في دينه واعتقاده الى ما تاوله له المتاولون بما يخالف انجيلهم
وكتبهم بالهوى والعناد من بعضهم لبعض فهم يشركون بالله
بالله على التاويل ولا شريك له ويدعون له ولدا من جهة ما
احدثوا لا نفسهم سبحانه ان يكون له ولد وقد بينا الحج في
بطلان كل قول لكم مما عقدتم به شر بعد ايمانكم وقد وجدنا
قوما منكم اذا نوظروا في ذلك قالوا قد وجدنا اكثر الاديان
تختلف اهلها فيها ويتفرقون على مقالات شتى هم عليها وكل
منهم يدعي ان الصواب في يده وهذا ايضا من سو الاختيار وذهاب



القلوب عن رشدها وانصرافها عن سبيل حقها فلم تختلف
اهل دين من الاديان في عقد معبودهم ولا شكوا فيه ولا تفرقوا
القول فيما اختاروه الا اهل ملل النصرانية فقط وساير من
سواهم انما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرايعه مثل
اختلاف اليهود في اعيادهم وسنن لهم ومثل اختلاف
المسلمين في القدر فمنهم من قال به ومنهم من دفعه وفي
تفضيل قوم من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على نظرايهم
بعد اتفاق جماعتهم على الههم ومعبودهم وخالقهم وانه الله اله
الخلق كلهم واحد لا شريك له ولا ولد ثم اتفاقهم بعد ذلك
على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لا يشكون فيه وعلى القران
وانه كتاب الله المنزل على محمد المرسل لا يختلفون فيه فاذا
صح اتفاقهم على هذه الاصول كان ما سواها خللا لا يقع معه
كفر ولا يبطل به دين والبلا العظيم الاختلاف في المعبود
فلو ان قوما لم يعرفوا لهم الها ولا دينا ثم عرض عليهم دين
النصرانية لوجب ان يتوقفوا عنه اذ كان اهله لم يتفقوا
على شي فيه ودل اختلافهم في مقالاتهم ومباينتها ما في كتبهم
على باطله فاما قولنا في باب التوحيد واعترافنا
بوحدانية الله تعالى ونفينا عنه الشركا والانداد والامثال
والاولاد فهو قول لا تشكون في صحته ولا يشك فيه احد
من اهل الكتب وساير الملل ولا غيرهم من اهل القول بالدهر
وساير عبدة الاصنام والاوثان وكل منهم يقربه ويرجع
اليه الا ان منهم من تابعنا على تجريد التوحيد ومنهم من
يدخل العلل فيه بان يقول ثلثة ترجع الى واحد وصنما نعبده

اجلا لا لله ليقربنا الى ربنا وربه ومدبر للامور قديم لابد ان نعترف
به خالقها وبادبها وكل منهم مقر بقولنا وذاهب الى مذهبنا
على الاعتراف بالله على الجهه التي يذهب اليها وانه واحد لا
شريك له فقد صح عقدنا بلا شك منكم ولا من احد من
الامم فيه ولا في شي منه بل يعود كم الضرورة الى الاقرار به
والاجتماع معنا عليه والحمد لله رب العالمين على توفيقه
واياه نسال ان يتم علينا فضله ويديم لنا تسديده بقدرته
وان يحيينا ويميتنا على الاسلام غير مشركين ولا جاحدين
ولا مبدلين انه على كل شي قدير وكل مستصعب عليه
يسير وهو لمن خافه واتقاه وطلب ما عنده ولم يلحد في
دينه روف رحيم قلت هذا اخر ما كتبته من كلام الحسن
ابن ايوب وهو ممن كان من اجلا علما النصارى واخبر الناس
باقوالهم فنقله لقولهم اصح من نقل غيره وقد ذكرنا كتابه
من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقليه والسمعيه وما
يبطل قولهم من الحجج العقليه والسمعيه ما يبين ذلك ونحن نذكر
مع ذلك الكلام من نقل مذاهبهم من ايمتهم المنتصرين لدين
النصرانيه ونذكر ما ذكروه من حججهم مثل ابن البطريق
بترك للاسكندريه فانه صنف كتابه الذي سماه نظم الجوهر
وذكر فيه اخبار النصارى ومجامعهم واختلافهم وسبب
احداثهم ما احدثوه مع انتصاره لقول الملكيه والرد على من خالفهم
قال سعيد بن بطريق بطريرك الاسكندريه في تاريخه
المعروف عند النصارى الذي سماه نظم الجوهر وذكر
فيه مبدا الخلق وتواريخ الانبيا والملوك والامم واخبار



ملوك الروم واصحاب الكراسي برومية وقسطنطينيه وغيرهما
ووصف دين النصرانية وفرق اهلها وهو ملكي رد على ساير طوايف
النصارى لما ذكر مولد المسيح صلوات الله عليه وانه ولد في عهد
ملك الروم قيصر المسما اغسطس لاثنتين واربعين سنه من ملكه
قال وملك ست وخمسين سنه قال وملك بعده ابنه طيباريوس
قيصر برومية وللمسيح خمس عشرة سنه قال وكان لقيصر
هذا يقال له بيلاطس من قريه على شط البحر الذي بجنب قسطنطينيه
ويسمى ذلك البحر البنطس ولذلك سمي بيلاطس البنطي فولاه على
ارض يهودا قال وفي خمس عشرة سنه من ملك طيباريوس
قيصر ظهر يحيى بن زكريا المعمد اي نعمد اليهود في الاردن لغفران
الخطايا فجا المسيح الى يحيى بن زكريا فعمده يحيى في الاردن
ولسيدنا المسيح ثلاثون سنه وذكر قصه قتل يحيى وقصه
الصلب المعروفة عند النصارى الى ان قال وكتب بيلاطس الى
طيباريوس الملك يخبر سيدنا المسيح وما تفعل تلاميذه من
العجايب الكثيره من ابرا المرضى واحيا الموتى فاراد ان يومن
بسيدنا المسيح ويظهر دين النصرانيه فلم يتابعوه اصحابه
على ذلك وملك ثنتين وعشرين سنه وسته اشهر وذكر
ان في عصره بنيت مدينه طبريه مشتقه من اسمه قال
وملك بعده قيصر اخر اربع سنين وثلثه اشهر قتل بيلاطس
وولى شخصا كان شديدا على تلاميذ المسيح وقتل رييس
الشهدا والشمامسه فرجم بالحجارة حتى مات وذكر انه لقي
التلاميذ من اليهود ومن الروم شدة شديدة وقتل منهم
خلق كثير ومات هذا وولي بعده قيصر المخزومي انه في زمنه وقع جوع

وو بما وفي زمنه كتب منارس انجيله بالعبرانيه في بيت المقدس
وفسره بالعبرانيه الى الروميه يحنا صاحب الانجيل قال
وفي تسع سنين من ملكه كان مرقس صاحب الانجيل بمدينه
الاسكندريه يدعوا الناس الى الايمان بالمسيح وانه اول
شخص جعل بطريركا على الاسكندريه وانه صير معه اثنا عشر
قسيسا وامرهم اذا مات البطريك ان يختاروا واحدا من
الاثنا عشر قسيسا ويضع الاثني عشر قسيسا ايديهم على
راسه ويبركونه ويصلحونه ثم يختارون رجلا فاضلا قسيسا
ويصيرونه معهم بدل القسيس الذي اصلحوه بتركا ليكونوا
اثني عشر ابدا فلم يزل رسمهم بالاسكندريه على هذا الى زمن
الثلثمايه وثمانيه عشر فامرهم بطريرك الاسكندريه الذي
كان من جمله الثلثمايه وثمانيه عشر ان يفعل هذا فيما بعد
منع ان يصلح الاقسا البترك وان يختاروا من اي بلد كان
رجلا فاضلا واذا مات البترك اجتمع الاساقفه فاصلحوا
البترك من اي بلد كان من ادليك الاقسه او من غيرهم فانقطع
الرسم الاول من اصلاح الاقسا البترك وجعل البشير لهم
في اصلاح البترك بابا ثم سمي بترك الاسكندريه بابا اي
ومعناه الجد قال ومن حنانيا الذي اصلحه البشير مرقس الى
حادي عشر بطركا بالاسكندريه لم يكن في عمل مصر اسقف
ولم يكن عند النصارى البطاركه قبله اصلحوا اسقفا وان العامه
لما سمعت الاساقفه يسمون البطريرك ابا قالوا اذا كنا نحن
نسمي الاسقف ابا والاسقف يسمي البطريرك ابا فيجب علينا
ان نسمي البطريرك بابا اي الجد اذ كان ابا لابينا فسمي بطريرك



الاسكندريه من وقت هرقل بابا اي الجد قال وخرج
مرقس الى برقه يدعوا الناس الى الايمان بالسيد المسيح ومات
قلوديوس قيصر وملك بعده ابنه نارون ثلثه عشر سنه
قال وهو اول من هاج على النصارى الشر والبلا والعذاب
قال وفي عصره كتب بطرس رييس الحواريين الانجيل انجيل
مرقس قال وفي عصر هذا الملك كتب لوقا انجيله بالروميه
الى رجل شريف من عظما الروم يقال له ثوفيلا وكتب له ايضا
الابركسيس الذي فيه اخبار التلاميذ وقد كان لوقا البشير
صاحب بولس الرسول يقول في بعض رسايله ان لوقا الطبيب
يقول عليكم السلام قال واخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه
منكسا ثم قتله لان بطرس قال له ان اردت ان تصلبني فاصلبني
منكسا لا لئلا اكون مثل سيدي المسيح فانه صلب قايما
وضرب عنق بولس الرسول بالسيف واقام بطرس بعد
صعود المسيح اثنين وعشرين سنة قال وكان مرقس صاحب
الانجيل بالاسكندريه وبرقه يدعوا الناس الى الايمان اقام
سبع سنين وفي اول سنة من ملك نارون قيصر قتل مرقس
بالاسكندريه واحرق جسده بالنار وذكر بعده عدة قياصره
وذكر ان قسطنطين خرب البيت المقدس بعد المسيح بسبعين
سنة بعد ان حاصرها واصاب اهلها جوع عظيم وقتل كل من
كان فيها من ذكر وانثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى
ويضربون باطفالهم الصخور وخرب المدينه والهيكل وضربها
بالنار واحصى القتلى على يده فكانوا ثلثه الاف الف وذكر
عدة قياصره بعد ذلك وانه ولي واحد منهم خمس عشرة

سنه يقال له دومياطيانوس وكان شديدا جدا على اليهود
وانه بلغه ان النصارى يقولون ان المسيح ملكهم وان ملكه
الى الدهر فغضب غضبا شديدا وامر بقتل النصارى وان لا
يكون في ملكه نصراني وكان يوحنا صاحب الانجيل هناك
فسمع بهذا فخاف وهرب الى افسس ثم امر باكرامهم وترك
الاعتراض عليهم ثم تولى بعده سنه وبعض اخرى ثم ملك
اخر بعده تسع عشرة سنه يسمى طرايانوس قال وهذا
الملك اثار على النصارى بلا عظيما وحزنا طويلا وقتل شهدا
كثيره وقتل بطربرك انطاكيه برومية وقتل اسقف بيت
المقدس وصلبه وله مايه وعشرون سنه وامر ان يستعبد
النصارى اذ ليس لهم دين ولا شريعة فلشدة ما استعبد
النصارى وغلظ ما نالهم من القتل رحمتهم الروم وشهد
وزرا الملك عنده ان النصارى لهم شريعة ودين وانه لا يحل
ان يستعبدوا وكف عنهم الاذيه قال وفي عصره كتب يوحنا
انجيله بالروميه في جزيره يقال لها سميا من ارض الروم
من ارض ايسيفيه في عصر رجل من عظما الروم فيلسوف
يقال له مومودس قال وفي ذلك العصر رجع
اليهود الى بيت المقدس فلما كثروا وامتلات منهم المدينه
عزموا على ان ملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر طيباريوس
قيصر فوجه بقايد من ~~القادس~~ قواده بجيش عظيم الى بيت
المقدس فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة قال وخرج
على قيصر هذا خارجي ببابل فخرج اليه بنفسه فوقعت بينهم
حرب شديده وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل قيصر



في الحروب وملك بعده اندريانوش قيصر عشرين سنه فخرج
الى ذلك الخارجي ببابل فهزمه وصار الى مصر فلقي منه اهل
مصر شدة شديدة واخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل
من النصارى خلقا كثيرا واصاب ايليا ابنه نملة في بدنه
فكان ينفذ الى البلدان يطلب شفا لعلته فوصفوا له
بيت المقدس فلما وافاه راها خرابا ليس بها احد الا كنيسه
للنصارى امر ان تبنى المدينة وتحصن بحصن قوي فلما سمع
اليهود اقبلوا من كل بلد وكل مدينه فما كان الا زمان
قليل الا حتى امتلات منهم المدينه فلما كثروا ملكوا عليهم
ملكا فاتصل الخبر بايليا بن قيصر اندريانوس فوجه اليهم
بقايد من قواده مع خلق كثير فحاصر المدينة فمات كل من
بها من الجوع والعطش ثم فتحها فقتل من اليهود ما لا يحصى
وهدم الحصن وخرب المدينه حتى صيرها صحرا قال
وهذا اخر خراب بيت المقدس وهرب من اليهود من
هرب الى مصر والى الشام والى الجبال والى العوز وامر
الملك ان لا يسكن المدينة يهودي وان يقتل اليهود ويبنا ملوا
وان يسكن المدينة اليونانيين وبنوا على باب الهيكل
برجا وجعل فوقه الواح ويكتبوا عليها اسم ايليا الملك
وذلك من ثمان سنين من ملكه قال والبرج اليوم على باب
مدينه بيت المقدس ويسمى محراب داود قال فسمي بيت
المقدس الى هذا الوقت ايليا فمن الخراب الاول الذي
اخبر به طنطس الى هذا الخراب ثلاث وخمسون سنه
وامتلات بيت المقدس من اليونانيين فنظروا الى النصارى

ياتون الى تلك المزبله التى بنيها القبو والانرانيون فيصلون
فمنعوهم من ذلك وبنى اليونانيون على تلك المزبله هيكلا
على اسم الزهره فلم يقدر احد من النصارى بعد ذلك ان
يقرب ذلك الموضع قال ثم مات ايليا الملك وملك بعده
ابطونيوس قيصر برومية اثنين وعشرين سنه قال
وفى احدى عشره سنه من ملكه صير يهودا اسقفا على
بيت المقدس اقام سنتين ومات قال فمن يعقوب اسقف
بيت المقدس الاول الى يهودا اسقف بيت المقدس هذا
كانت الاساقفه الذين صيروا على بيت المقدس مختونين
وذكر انه ولى بعد هذا قيصر اخر تسع عشره سنه وانه
اثار على النصارى بلا عظيما وحزنا شديدا واستشهد
فى زمانه شهدا كثيرون قال وكان فى زمانه جوع
شديد ووبا عظيم لم تمطر السما سنين وكاد الملك وجميع
اهل مملكته ان يهلكوا من الجوع فسالوا النصارى ان
يبتهلوا الى الههم فدعوا فامطر الله عليهم مطرا عظيما
وارتفع الوبا والقحط قال وكان بايامه بارض اليونان
مغنوس الحكيم قال وفى خمس سنين من ملكه
صير لوليانوس بطريركا وهو اول بطريرك اصلح
الاساقفه فى عمل مصر اقام ثلاث واربعين سنة ومات
فصل قال وفى ذلك العصر كتب بطريرك
الاسكندريه الى اسقف بيت المقدس وبطرك انطاكيه
وبطرك رومية فى كتاب فصح النصارى وصومهم وكيف
يستخرج من فصح اليهود فوضعوا فى ذلك كتبا كثيرة على ما

هو عليه

51

هو عليه قال وذلك ان النصارى كانوا بعد صعود سيدنا
المسيح الى السما اذا عيدوا عيد الغطاس من الغد يصومون
اربعين يوما ويفطرون كما فعل سيدنا ايسوع المسيح
لان سيدنا المسيح لما اعتمد بالاردن خرج الى البريه فاقام
بها صايما اربعين يوما وكان النصارى اذا افصح اليهود عيدوا
هم الفصح فوضعها ولا البطاركه حسابا للفصح ليصوم النصارى
اربعين يوما ويكون فطرهم يوم الفصح ليتم فرحهم بذلك قلت
فقد اخبر عن المسيح انه لما صام اربعين يوما عقب المعموديه
وكان يعيد مع اليهود فى عيدهم لا يعيد عقب صومه شاركه
النصارى فى ذلك مدة فصاروا يصومون اربعين عقب الغطاس هو
الذى تطهر المعموديه ويعيدون مع اليهود العيد ثم انهم بعد
هذا ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقب الغطاس بل نقلوا
الصوم الى وقت يكون مع عيد اليهود وهو فصح المسيح قال عيدهم
ومات مرقس الملك وملك بعده قمودوس قيصر برومية
اثنى عشرة سنه وفى ايامه كان فى ارض اليونانيين فى مدينة
افرغامس جالينوس الحكيم صاحب صناعه الطب وذكر
جالينوس فى فهرست كتبه انه ورا قمودوس الملك وذكر
جالينوس فى المقاله الاولى من الكتاب المعروف بكتاب اخلاق
النفس انه كان فى عصر قمودوس الملك رجل يقال له بونس
طلبه قمودوس الملك ليقتله فهرب منه وكان له غلامان
فقبضهما الملك فضربهما الملك وطلب منهما ان يدلاه على مولاهما
فلم يفعلا لكرم انفسهما وتحرقهما وشده محاماتهما على
مولاهما فقتلهما وان من الاسكندر الى بولس خمسمائة سنة

وست عشره سنه وذلك في السنه التاسعه من ملك قمودوس
قيصر فهذا ما ذكر جالينوس قال وكان ايضا في ايامه
ديمقراطيس الحكيم قلت هذه المدة اكثر ما ذكر
سعيد هذا فانه لم يذكر من المسيح الى هنا مايتي سنه بل ذكر
الى الخراب مابة وعشرين سنه وقد تقدم ذكره لديمقراطيس
قبل هذا قال وفي عشر سنين من ملكه ظهرت الفرس
فغلب على بابل وامدوا فارس وتملك ازدشير بن ساسان من بابل
من اهل اصطخر وهو اول ملك ملك على فارس في المدة الثانيه
قال ومات قمودوس قيصر ملك الروم وملك بعده قيصر آخر
ثلثه اشهر ثم اخر وملك بعده برومية سوريوس قيصر سبع
عشرة سنه وذلك من اربع سنين من ملك ازدشير وكان
هذا الملك شديدا قد اثار على النصارى بلا عظيما وعذابا
كثيرا وقتل كل عالم منهم وقتل خلقا كثيرا واستشهد في
ايامه خلق كثير من النصارى في كل موضع ثم قتل كل من كان
بمصر والاسكندريه من النصارى وهدم الكنايس وبنا
بالاسكندريه هيكلا وسماه هيكل الالهه وملك بعده
هيكل الاملع ست سنين وملك بعده قيصر آخر ثلث عشرة
سنه كانت النصارى في ايامه في هدو وسلامه وكانت
امه تحب النصارى وفي ايامه سمي بطرك الاسكندريه بابا
اي الجد وملك بعده قيصر اخر ثلث سنين وهذا اثار على
النصارى بلا طويلا وحزنا عظيما وقتل منهم خلقا كثيرا
واخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من الاساقفه خلقا
كثيرا وقتل بترك انطاكيه فلما سمع اسقف بيت المقدس بقتله





هرب وترك الكرسي ومات قيصر هذا في السنه الثانيه من
ملك بهرام بن هرمز وملك بعده آخر ثلثه اشهر ثم بعده اخر
اربع سنين واسمه غوردبانوس وفي ثلث سنين من ملكه مات
بهرام بن هرمز وملك بعده بهرام بن بهرام على الفرس
تسع عشرة سنه وفي ايامه ظهر رجل فارسي يقال له ماني
فاظهر دين المانيه وزعم انه نبي فاخذه بهرام بن بهرام ملك
الفرس فشقه نصفين واخذ من اصحابه وممن يقول بقوله مايتي
رجل فغرس روسهم في الطين منكسين حتى ماتوا منكسين
وملك بعد قيصر هذا فيلبس قيصر على الروم بروميه سبع سنين
وامن بالسيد المسيح ووثب عليه قايد من قواده فقتله ثم ملك
بعده قيصر اخر اسمه داقيوس وذلك من عشر سنين من ملكه
بهرام بن بهرام فلقي النصارى منه حزنا طويلا وعذابا شديدا
وقتل منهم من لا يحصى واستشهد في ايامه من الشهدا خلق
كثير وقتل بطرك روميه ثم خرج الى مدينه افسس فبنى في وسطها
هيكلا عظيما وصير فيه الاصنام وامر ان يسجد للاصنام ويذبح
لها ومن لم يفعل ذلك قتل فقتل من النصارى بافسس خلقا عظيما
وصلبهم على الحصن واخذ من اولاد عظما افسس سبعه غلمان من
خواصه وعلى كسوته وقدمهم على جميع من عنده وذكر
اسماهم ~~اصحاب~~ اسما اصحاب اهل الكهف قال وهاولا السبعه
الغلمان لم يسجد للاصنام فاعلموا الملك خبرهم فامر بحبسهم
ثم خرج الى بعض المواضع واطلق سبيلهم الى حين رجوعه فلما
خرج من المدينه اخذ الغلمان كل مالهم فتصدقوا به ثم خرجوا
الى جبل عظيم يقال له حاوس شر في افسس فيه كهف كبير

فاختفوا في الكهف وكان واحد منهم في كل يوم يتنكر
ويدخل المدينه فيسمع ما يقول الناس في شانهم ويشتري
لهم طعامًا ويرجع فيعلمهم فقدم دقيانوس الملك فسال عنهم
فقيل له انهم في جبل جاوس في الكهف مختفين فامر الملك ان يبنا
باب الكهف عليهم ليموتوا وصب الله عليهم النعاس فناموا
كالاموات واخذ قايدًا من قواده صحفه من نحاس وكتب فيها
خبرهم وقصتهم مع دقيانوس الملك وصير الصحيفه في صندوق
نحاس ودفنه داخل الكهف وبني الكهف ومات الملك دقيانوس وملك
بعده آخر سنه واحدة وذلك من ثلث سنين من ملك هرمز وفي اول
سنه من ملك هذا صير بولس بطركا على انطاكيه وسمي بولس
الشمشاطي قال وهو الذي ابتدع دين البوليانيه فسمي التابعون
لدينه والقايلون بمقالته بوليانيين قال وكانت مقالته ان
سيدنا المسيح خلق من اللاهوت انسانا كواحد منا في جوهره
فان ابتدا الابن من مريم وانه اصطفي ليكون مخلصًا للجوهر
الانسي مصحبته النعمه الالهيه فحلت فيه بالمحبة والمشية
ولذلك سمي ابن الله وقال ان الله جوهر واحد واقنوم واحد
ولا يومن بالكلمه ولا بروح القدس قال وبعد موته اجتمع
ثلثه عشر اسقفا في مدينه انطاكيه ونظروا في مقالة بولس
فاوجبوا على هذا الشمشاطي اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول
بمقالته وانصرفوا قال وبعده ملك قيصر اخر ست سنين
اسمه اوراغوس قيصر قال وكان النصارى بالاسكندريه في
ايامه يصلون في المطامير والبيوت فزعًا من الروم ولم يكن
يظهر بترك الاسكندريه ليلا يقتلوهم فلما صار مارونا بطركا

ظهر ولم يزل



ظهر ولم يزل يداري الروم حتى بنى بالاسكندريه كنيسه خنا ومزيم
وملك بعده قيصران ثم قيصر اسمه فاروس وذلك في تسع سنين
من ملك سابور بن هرمز الاخوين على النصارى فقتل قزمان ودميان
الشهيدين وملك بعده دقيطيانوس قال فمن خراب طيطس
لبيت المقدس الى ملك دقيطيانوس مايتان وست سنين ومن
مولد سيدنا المسيح الى دقيطيانوس مايتان وست وسبعون
سنه ومن الاسكندر الى دقيطيانوس خمسمايه وخمس وسبعون
سنه ومن سبي بابل الى دقيطيانوس الف وثلثمايه وخمس
وثلثون سنه ومن داود الى دقيطيانوس الف وتسعمايه واحد
واربعون سنه قال وملك دقيطيانوس في احدى عشرة سنه
من ملك سابور بن هرمز ملك الفرس وملك معه اثنان تملكا
على الروم احدى وعشرين سنه وهولا اثاروا على النصارى
بلاء عظيما وحزنا طويلا وعذابًا اليما وشدة شديده تجل عن
الوصف من القتل والعذاب واستباحه الاموال واستشهدوا
الوفا من الشهدا وعذبوا مارى جرجس اصناف العذاب وقتلوه
بفلسطين وقتلوا مارى مينا ومارى بقطر وغيرهما قال وفي
عشر سنين من ملكهما ضرب عنق بطرس هذا البطرك
بالاسكندريه قال وكان لبطرس تلميذان اسم احدهما
اشلا والآخر الاكصندروس وكان بالاسكندريه رجل
رجل يقال له اريوس يقول ان الاب وحده الله الفرد والابن
مخلوق مصنوع وكان الاب اذ لم يكن الابن فقال بطرس
البطرك لتلميذيه ان المسيح لعن اريوس فاحذروا ان تقبلا
قوله قال اني رايت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت له يا سيدي

من شق ثوبك فقال لي اريوس فاحذر وا ان تقبلوه ويدخل معكم
الكنيسه كنيسه الله قال وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير
اسلا بطركا على الاسكندريه فاقام سته اشهر ومات
وكان اريوس قد استعان على اشلا با صدقايه فاورى انه قد رجع
عن تلك المقاله فقبله اشلا وادخله الكنيسه وجعله قسيسا
قال واما دقيطيانوس الملك فكان يطلب النصارى فيقتلهم
وبينما هو يسير في طلبهم اذ بلغ الى موضع يقال له ملطيه فصب
الله عليه نقمته فوقع في علل عظيمه وامراض عظيمه حتى ذاب
جسمه وكان الدود يتساقط بين يديه الى الارض وسقط
لسانه من حنكه ومات وملك بعده قيصران احدهما المشرق
والشام وارض الروم والاخر روميه ونحوها احدهما اسمه
علايبوس والاخر قططيبوس وكانا كالسباع الضاريه
على النصارى واتاا عليهم البلا والجلا وما لا يصفه واصف
وفعلا بهم ما لم يفعله احد من الملوك قبلهم وملك معهما على
برنطيه وما والاها قسطس ابو قسطنطين وكان رجلا دينا
مبغضا للاصنام محبا للنصارى فخرج قسطس الى ناحيه الجزيره
والرها فنزل في قريه من قرى الرها يقال لها كفرنجان فنظر
فيها امراه حسنه جميله يقال لها هيلانه وكانت قد تنصرت
على يدي اسقف الرها وتعلمت قراه الكتب فخطبها قسطس
الى برنطيه وولدت هيلانه قسطنطين فتربا بالرها وتعلم
حكم اليونانيين وكان غلاما حسن الوجه قليل الشرود بعيدا
محبا للحكمه واما علايبوس فكان رجلا وحشا شديد الباس
مبغضا للنصارى جدا كثير القتل لهم محبا للنسا ولم يترك

مر بها فتزوجها اباها فطلب نفسه ورجع فنظر الى ثغرها

للنصارى بنتا



للنصارى بنتا بكرا الا اخذها وابسرها وقتلها وكذلك اصحابه
هكذا كانوا يفعلون بالنصارى وكان النصارى في شده
شديده جدا معهم وبلغه خبر قسطنطين وانه غلام هادي قليل
الشر كثير العلم واخبره الحكما الذين له والمنجمون ان
قسطنطين سيملك ملكا عظيما فهم بقتله وعلم قسطنطين
بذلك فهرب من الرها وذهب الى مدينه برنطيه ووصل الى ابيه
قسطس فسلم اليه الملك وبعد قليل مات قسطس وصب الله
على علايانوس الملك عللا عظيمه حتى تقطع لحمه وانهرا وبقي
مطروحا لا يقدر احد ان يقترب منه فتعجب الناس مما ناله
ورحمه اعداوه مما حل به فرجع الى نفسه وقال لعل بهذا الذي
لي مما اقتل النصارى وكتب الى جميع عماله ان يطلقوا النصارى
من الحبوس وان يكرموهم ولا يوذوهم ويسلوهم ان يدعوا له
في صلاتهم فصلى النصارى على الملك ودعوا له فوهب الله له
العافيه ورجع الى افضل ما كان عليه من الصحه والقوه فلما
صح وقوي رجع الى الشر مما كان عليه من الردي وكتب الى جميع
عماله ان يقتلوا النصارى ولا يعيش في مملكته نصراني ولا
يسكنوا مدينه ولا قريه له فمن كثره القتل كانوا يحملون
على العجل ويرمون بهم في البحار والصحاري وقتل مارجرجس
واخاه لمدينه قبادوقيه وهما من اهلها وقتل برباره وذكر
حربا جرت بينه وبين سابور لما تنكر سابور وجا اليه
متنكرا وعرفه قال واما مقسطيوس فكان شريرا
على اهل روميه واستعبد كل من كان بروميه وخاصه
النصارى فكان ينهب اموالهم ويقتل رجالهم ونساهم

ومبغضا لهم فلما سمع اهل رومية بملك قسطنطين وانه يبغض
الشر محبا للخير وان اهل مملكته صالحة في هدو وسلامة
كتب روسا رومية الى قسطنطين يسالونه ويطلبون اليه ان يخلصهم
من عبودية مقسطيوس عدو الله فلما قرا كتبهم اغتم غما شديدا
وبقي متحيرا لا يدري كيف يصنع فبينما هو متفكر اذ ظهر
له من نصف النهار في السما صليب من كواكب تضي مكتوبا
حوله بهذا تغلب فقال لاصحابه رايتم ما رايت قالوا نعم فامن من ذلك الوقت
بالنصرانية وذلك لست سنين من بعد موت ابيه فتجهز
قسطنطين واستعد لمحاربة مقسطيوس ملك رومية وعمل
صليبا كبيرا من ذهب وصيره على راس البند وخرج معه جميع
اصحابه يحارب مقسطيوس فاعطى قسطنطين النصرة عليه
فقتل من اصحاب ذلك مقتلة عظيمة وهرب مقسطيوس وغرق
هو واصحابه حتى امتلا البحر وهو النهر الذي عند رومية غرقى
وقتلى وخرج اهل رومية الى قسطنطين بالاكليل الذهب وكل
انواع اللهو واللعب فلقوا قسطنطين وفرحوا به فرحا عظيما
فلما دخل المدينة امر ان يدفن اجساد النصارى الشهدا المصاليب
وكل من كان من النصارى هرب او نفاه مقسطيوس يرجع الى بلده
واقام اهل رومية سبعة ايام يعيدون للملك والصليب ويفرحون
فلما سمع الخبر علانيوس جمع ما قدر عليه وتجهز لقتال قسطنطين
فلما عاينه انهزموا من بين يديه واخذهم السيف وقتل منهم مقتلة
عظيمة ومنهم من اسر ومنهم من استامن وافلت علانيوس عريانا
فلم يزل يتفرى موضعا موضعا حتى وافى مدينته فجمع كهنته الميه
والسحرة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب اعناقهم

ليلا يبغعوا



ليلا يبغعوا في يد قسطنطين وصب الله على علانيوس نارا في جوفه حتى
كانت احشاوه تتقطع من الحر الذي كان يجده في جوفه وسقط على الارض
ونهر الحمه على عظمه ومات وملك قسطنطين الدنيا في هدو وسلامة
وذلك في احدى واربعين سنه من ملك سابورس من هرمز ملك الفرس
قال وتنصر قسطنطين في مدينه يقال لها نيقوميذيا وذلك في
اثنى عشرة سنه من ملكه وامر ببنيان الكنايس في كل بلد وان
يخرج من بيت المال الخراج مما يعمل به ابنيه الكنايس قال وفي
خمس سنين من ملكه صير الاكصندروس بطركا على الاسكندرية
وهو تلميذ بطركها بطرس الذي قتل وهو دفق اسلا اقام ست عشره
سنه وفي خمس عشره سنه من رياسته كان المجمع بمدينه نيقيه الذي
ثبتت فيه الامانة الارثذكسيه فمنع الاكصندروس بترك الاسكندرية
اريوس من دخول الكنيسه ولعنه وقال ان اريوس ملعون لان بطرس
البترك قبل ان يستشهد قال لنا ان الله لعن اريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه
الكنيسه وكان على مدينه اسيوط من عمل مصر اسقف يرى راي اريوس
فلعنه ايضا وكان بالاسكندرية هيكل عظيم كانت كلاوبطره
الملكه بنته على اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس عظيم يسمى ميكايل
وكان اهل الاسكندرية ومصر في اثنى عشر يوما من شهر هتور
وهو تشرين الثاني يعيدون لذلك الصنم عيدا عظيما ويذبحون
الذبايح الكثيره فلما صار هذا بطركا على الاسكندريه وظهرت
النصرانيه اراد ان يكسر الصنم ويبطل الذبايح فامتنع عليه اهل
الاسكندريه فاحتال لهم بان قال ان هذا صنم لا منفعه فيه ولا مضرة
فلو صيرتم العيد لميكايل الملاك وجعلتم هذه الذبايح له كان انفع
لكم عند الله وكان خيرا لكم من هذا الصنم فاجابوه الى ذلك فكسر

للصنم واصلح سنه صليب وسمى الهيكل كنيسه ميكايل وهى الكنيسه
التى تسمى قيساريه احترقت بالنار وقت موافاه الجيوش من المغاربه
القرامطه مع المسما ابو عبيد الله وكان معه امير من اصحابه يسمى حبا
وذلك فى خلافه المعتصد بالله وكان عامله على مصر يوميذ مولاه
المعروف بتكين الحاجب رجل تركى فنفذ الى المغاربه وجاه مدد من
الشرق مع الخادم الملقب مونس للاستاد فهرب منه ابو عبيد الله وحبا
وجنودهما وصير العيد لميكايل الملك والدباغ والى اليوم القبط
بمصر والاسكندريه يعيدون فى هذا اليوم عيد ميكايل الملاك
وصار رسما الى اليوم قال فلما منع بترك الاسكندريه اريوس من
دخول الكنيسه ولعنه خرج اريوس مستعديا عليه ومعه اسقفان
فاستغاثوا الى قسطنطين الملك وقال اريوس انه تعدى علىّ واخرجنى
من الكنيسه ظلما وسال الملك ان يشخص بطرك الاسكندريه ليناظره
قدام الملك فوجه قسطنطين برسول الى الاسكندريه فاشخص
البطرك وجمع بينه وبين اريوس ليناظره فقال قسطنطين لاريوس
اشرح مقالتك قال اريوس اقول ان الاب كان اذ لم يكن الابن
ثم انه احدث الابن فكان كلمة له الا انه محدث مخلوق ثم فوض
الامر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والارض
وما بينهما كما قال فى انجيله اذ يقول وهب لى سلطانا على السما
والارض وكان هو الخالق لهما بما اعطى من ذلك ثم ان الكلمة تجسد
من مريم العذرا ومن روح القدس فصار ذلك مسيحا واحدا فالمسيح
الان معنيان كلمة وجسد الا انهما جميعا مخلوقان قال فاجابه
عند ذلك بطرك الاسكندريه وقال تخبرنا الان ايما اوجب
علينا عندك عبادة من خلقنا او عبادة من لم يخلقنا قال اريوس بل



عبادة من خلقنا قال له البطرك فان كان خالقنا الابن كما وصفت
وكان الابن مخلوقا فعبادة الابن المخلوق اوجب من عبادة الاب الذى
ليس بخالق بل تصير عبادة الاب الخالق للابن كفرا وعبادة الابن المخلوق
ايمانا وذلك من اقبح الاقاويل فاستحسن الملك وكل من حضر مقاله
البطرك وشنع عنده مقالة اريوس ودار بينهما ايضا مسايل كثيره
فامر قسطنطين للبطرك الاكصندروس ان يلعن اريوس وكل من قال
بمقالته فقال له بل يوجه الملك يشخص البطاركه والاساقفة حتى
يكون لنا مجمع ويصنع فيه قضيه ويلعن اريوس ونشرح الدين
ونوضحه للناس فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان فجمع
البطاركه والاساقفه فاجتمع فى مدينه نيقيه بعد سنه وشهرين
الفان وثمانيه واربعون اسقفا وكانوا مختلفين الارا مختلفى الاديان
فمنهم من يقول المسيح ومريم الهان من دون الله وهم المريمانيه
ويسمون المرتميين ومنهم من كان يقول ان المسيح من الاب
بمنزله شعله نار تعلقت من شعله نار فلم ينقص الاوله لايقاد
الثانيه منها وهى مقاله سباريون واشباعه ومنهم من كان
يقول لم تحبل مريم لتسعه اشهر وانما مر نور فى بطن مريم كما
يمر الما فى الميزاب لان كلمه الله دخلت من اذنها وخرجت من حيث
يخرج الولد من ساعتها وهى مقاله اليان واشياعه ومنهم من
يقول ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره
وان ابتدا الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر
الانسى صحبته النعمه الالهيه فحلت فيه بالمحبة والمشية فلذلك
سمى ابن الله ويقولون ان الله جوهر واحد واقنوم واحد يسمونه بثلاثة
اسما ولا يومنون بالكلمه ولا بروح القدس وهى مقاله بولس الشمشاطى

بطرك انطاكيه واشياعه وهم البوليانيون ومنهم من كان يقول
ثلثه الهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما وهي مقاله مرقيون واشياعه
وزعموا ان مرقيون رئيس الحواريين وانكروا بطرس السليح ومنهم
من كان يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقاله الثلثمايه
وثمانيه عشر اسقفا قال فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم عجب
من ذلك واخلا لهم دارا وتقدم لهم بالاكرام والضيافة وامرهم
ان يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم
ثلثمايه وثمانيه عشر اسقفا على دين واحد وراي واحد فتناظروا
بقيه الاساقفه المختلفين فافلجوا عليهم بحججهم واظهروا الدين المستقيم
وكان ايضا باقي الاساقفه مختلفي الاديان والارا وصنع الملك
للثلثمايه والثمانيه عشر اسقفا مجلسا خاصا عظيما وجلس في
وسطه واخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها اليهم وقال
لهم قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم لتصنعوا مما
ينبغي لكم ان تصنعوا بما فيه قوام الدين وصلاح المومنين فباركوا
على الملك وقلدوه سيفه قالوا له اظهر دين النصرانيه وذب عنه
ووضعوا له اربعين كتابا فيها السنن والشرايع وفيها ما يصلح ان
يعمل به الاساقفة وما يصلح للملك ان يعمل بما فيها وكان رئيس الجمع
والمقدم فيه الاكصندروس بطرك الاسكندريه وبطرك
الانطاكيه واسقف بيت المقدس ووجه بطرك روميه من
عنده رجلين فاتفقوا على نفي اريوس واصحابه ولعنهم وكل من قال
مقالته ووضعوا الامانة واثبتوا ان الابن مولود من الاب قبل
كون الخلايق وان الابن من طبيعة الاب غير مخلوق واتفقوا على ان
يكون فصح النصارى في يوم الاحد الذي يكون بعد فصح اليهود وان



لا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى في يوم واحد واثبتوا ما رفعه
من تقدم ذكره من حساب الصوم والفصح وان يكون فطر النصارى
يوم فصحهم يوم الاحد الذي يكون بعد فصح اليهود لان النصارى
كما قلنا من قبل كانوا اذا عيدوا عيد الحميم وهو عيد الغطاس
صاموا من الغد اربعين يوما ويفطرون فاذا كان عيد اليهود عيدوا
معهم الفصح فصيروا يوم الفصح للفطر ومنعوا ان يكون للاسقف
زوجة وذلك ان الاساقفه من وقت الحواريين الى مجمع الثلثمايه
وثمانيه عشر كان لهم نسا لانه كان اذا صير واحدا اسقفا وكانت
له زوجة تثبت معه ولم تتنح عنه ما خلا البطاركه فانه لم تكن
لهم نسا ولا كانوا ايضا يصيرون احدا بطركا له زوجه قال
وانصرفوا مكرمين محظوظين وذلك في سبع عشرة سنه من ملك
قسطنطين قال وسن قسطنطين الملك ثلث سنن احداها كسر
الاصنام وقتل كل من يعبدها والثانيه ان لا يثبت في الديوان الا
اولاد النصارى ويكونون امرا وقوادا والثالث ان يقيم الناس
جمعه الفصح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملا ولا يكون فيها
حرب قال وتقدم قسطنطين الى اسقف بيت المقدس ان يطلب
موضع المقبره والصليب ويبني الكنايس ويبدا ببنا القيمه المقدسه
فقالت هيلانه ام قسطنطين للملك اني نذرت ان اصير الى بيت
المقدس فاطلب المواضع المقدسه فابنيها فدفع الملك اليها اموالا
كثيرة وجزيله وسارت الى بيت المقدس مع اسقف بيت المقدس
فلما وصلت لم يكن لها حرص ولا همه الا طلب الصليب فجمعت اليهود
والسكان في بيت المقدس واختارت منهم عشره ومن العشرة
ثلثه فسالت واحدا منهم يقال له يهودا فسالتهم ان يدلوها على موضع

الصليب فامتنعوا وقالوا ليس عندنا علم منه ولا خبره بالموضع فامرت
بهم فطرحتهم في جب ليس فيه ما فاقاموا سبعة ايام لم يطعموا
ولم يسقوا فقال احدهم الذي اسمه يهودا لصاحبيه ان اباه عرفه
بالموضع الذي تطلب هذه المراة وان جده عرف اباه فصاح الاثنان
من الجب اخرجونا حتى نعلم الملكه بحال هذا الرجل فاخرجوهم
فاخبروا الملكة بما قال لهما يهودا فامرت بضربه بالسياط فاقر
انه يعرف الموضع فخرج حتى جا الى الموضع الذي فيه المقبره
والاقرانيون وكانت مزبلة عظيمة هناك فصلى وقال اللهم
ان كان في هذا الموضع المقبره فاسالك ان تزلزل المكان وتخرج
منه دخان حتى نومن فزلزل الموضع وخرج منه دخان كما سال
فآمن فامرت هيلانه بكنس الموضع من التراب فظهرت المقبرة
والاقرانيون ووجد ثلثة صلبان قالت هيلانة كيف لنا ان
نعلم بصليب السيد المسيح وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة
قد يئس منه فوضع الصليب الاول عليه والثاني والثالث فقام المريض
وليس به شي يكره فعلمت هيلانة انه الصليب الذي لسيدنا المسيح
فجعلته في غلاف من ذهب وحملته معها وحملت مما تقدر عليه
واظهرت كلما كان مدفونا من اثار سيدنا المسيح وحملته الى ابنها
المسيح قسطنطين وبنت كنيسه القيامة في موضع الصليب
والاقرانيون وكنيسه قسطنطين وانصرفت وامرت اسقف
بيت المقدس ان يبني باقي الكنايس وذلك في اثنين وعشرين
من ملك قسطنطين قال فمن ميلاد سيدنا المسيح الى ان وجد
الصليب ثلثمايه وثمانيه وعشرون سنه وذكر انه بعد هذا اجتمعوا
بجمع عظيم ببيت المقدس وكان معهم رجل قدسه بطرك القسطنطينيه



القسطنطينيه وجماعه معه ليسالوا بطرك الاسكندريه وكان
هذا الرجل لما رجع الى الملك اظهر انه مخالف لاريوس وكان يرى
رايه ويقول بمقالته فقام هذا الرجل واسمه قاينوس فقال ان
اريوس لم يقل ان المسيح خلق الاشيا ولكنه قال به خلقت الاشيا
لانه كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خلق الله الاشيا
بكلمته ولم تخلق الاشيا كلمته كما قال سيدنا المسيح في الانجيل
المقدس كل بيه كان ومن دونه لم يكن شي فقال به كانت
الحياه والحياه نور البشر وقال في العالم والعالم به تكون فاخبر
ان الاشيا به تكونت ولم يخبر انها كون له قال فهذه كانت مقاله
اريوس ولكن الثلثمايه وثمنيه عشر اسقفا تعدوا عليه وحرموه
ظلما وعدوانا فرد عليه بطرك الاسكندريه وقال اما اريوس
فلم يكذب عليه الثلثمايه وثمنيه عشر اسقفا ولا ظلموه لانه انما
قال ان الابن خالق الاشيا دون الاب واذا كانت الاشيا انما خلقت
بالابن دون ان يكون الاب لها خالقا فقد يجب ان يكون ما خلق
منها شيا وفي ذلك تكذيب المسيح قوله للاب يخلق وانا اخلق
وقال ان انا لم اعمل عمل ابي فلا تصدقوني وقال كما ان الاب
يحيي من يشا ويميته كذلك الابن يحيي من يشا ويميته فدل على
انه يحيي ويخلق وفي هذا تكذيب لمن زعم انه ليس بخالق وانما
خلقت به دون ان يكون خالقا له واما قولك ان الاشيا كونت
به فانا لما كنا لا نشك ان المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله
اني افعل الخلق والحياة كان قولك به كونت الاشيا انما هو راجع في
المعنى الى انه كونها فكانت مكونه ولو لم يكن ذلك كذلك
لتناقض القولان قال ورد عليه ايضا فقال اما قول من قال

من اصحاب اريوس ان الاب يريد الشي فيكونه الابن والارادة للاب
والتكوين للابن فان ذلك يفسد ايضا اذا كان للابن غيره مخلوقا
فقد صار حظ المخلوق في الخلق اوفى من حظ الخالق فيه وذلك
ان هذا المراد اراد وفعل وذاك اراد ولم يفعل فهذا اوفر حظا
في فعله من ذاك ولا بد لهذا ان يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزله
كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه ويكون حكمه كحكمه
في الجبر والاختيار فان كان مجبورا فلا شي له في الفعل وان كان
مختارا فجايز ان يطاع وجايز ان يعصى وجايز ان يثاب وجايز
ان يعاقب وهذا اشنع القول ورد عليه ايضا وقال ان كان
الخالق انما خلق خلقه بمخلوق فالمخلوق غير الخالق بلا شك فقد
زعمتم ان الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج الى متمم ليفعل
به اذ كان لا يتم له الفعل الا به والمحتاج الى غيره منقوص والخالق
يتعالى عن هذا كله قال فلما دحض بطرك الاسكندريه
حجج اوليك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم تحيروا وخجلوا
فوثبوا على بطرك الاسكندريه فضربوه حتى كاد يقتل فخلصه
من ايديهم ابن اخت قسطنطين وهرب بطرك اسكندريه المحتج
على اصحاب اريوس وصار الى بيت المقدس من غير حضور احد من الاساقفه
ثم اصلح دهن الميرون وقدس الكنايس ومسحها بدهن الميرون
وسار الى الملك فاعلمه بالخبر فصرفه الملك الى الاسكندريه

فصل قال وامر الملك ان لا يسكن يهودي بيت المقدس
ولا يجوز بها ومن لم يتنصر يقتل فتنصر من اليهود خلق كثير
وظهر دين النصرانيه فقيل لقسطنطين الملك ان اليهود يتنصرون
من فزع القتل وهم على دينهم قال الملك كيف لنا ان نعلم ذلك منهم



قال بولس البترك ان الخنزير في التوراه حرام واليهود لا ياكلون
لحم الخنزير فامر ان يذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن
لم ياكل منه علمنا انه مقيم على دين اليهوديه فقال الملك اذا كان
الخنزير في التوراة حراما فكيف يجوز لنا ان ناكل لحم الخنزير
ونطعمه الناس فقال له بولس البترك ان سيدنا المسيح قد ابطل
كلما في التوراة وجاءنا بناموس اخر وبتوراة جديده وهو الانجيل
وفي انجيله المقدس ان كلما يدخل البطن ليس بحرام ولا بنجس
وانما ينجس الانسان الذي يخرج من فيه وقال بولس الرسول
في رسالته لما ولي الطعام للبطن
ومكتوب في الابركسيس يعني اخبار الحواريين ان بطرس رييس
الحواريين كان في مدينه يافا في منزل رجل دباغ يقال له سيمون
وانه صعد الى المنزل ليصلي وقت ست ساعات من النهار
فوقع عليه سبات فنظر الى السما قد تفتحت واذا ازار قد نزل
من السما حتى بلغ الارض وفيه كل ذي اربع قوايم على الارض
من السباع والذباب وغير ذلك من طير السما وسمع صوتا
يقول له يا بطرس قم فاذبح وكل فقال بطرس يا رب ما اكلت
شيا نجسا قط ولا وسخا قط فجاه صوت ثاني كلما طهره الله فليس
بنجس وفي نسخه اخرى ما طهره الله فلا تنجسه انت ثم جاه
الصوت بهذا ثلث مرات ثم ان الازار ارتفع الى السما فتعجب
بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه فيهذا المنظر وما قال
سيدنا المسيح في انجيله المقدس امر بطرس وبولس ان ياكل كل ذي
اربع قوايم من الخنزير وغيره من جميع الحيوان حلالا لنا فامر الملك
ان تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويقطع صغارا صغارا وتصير على ابواب

الكنايس في كل مملكته بوم احد الفصح وكل من خرج من الكنيسه
لغم لقمة من لحم الخنزير فمن لم ياكل منه يقتل فقتل لاجل ذلك
خلق كثير قال سعيد وكان لقسطنطين ثلثه اولاد اكبرهم
قسطنطين بن قسطنطين وذلك حين ملك اردشير بن سابور بن
هرمز على الفرس وملك بعده سابور بن سابور خمس سنين من ملك
قسطنطين قال وفي ذلك العصر اجتمع اصحاب اريوس وكل
من قال بمقالته الى الملك قسطنطين فحسنوا له دينهم ومقالتهم وقالوا
وقالوا ان الثلثمايه والثمانية عشر اسقفا الذين كانوا اجمعوا
بنيقيه قد اخطاوا وحادوا عن الحق في قولهم ان الابن متفق مع
الاب في الجوهر فنامر ان لا يقال هذا فانه خطا فاراد الملك ان
يفعل ذلك قال وفي ذلك العصر ظهر على الاقرانيون وهو الجلجلة
نصف النهار صليب من نور من الارض الى السما يفوق ضوءه ضو
الشمس وكان يبلغ الى طور زيتا فراى ذلك كل من كان في بيت
المقدس من كبير وصغير وكتب اسقف بيت المقدس الى
قسطنطين بن قسطنطين بالخبر وقال في ايام ابيك السعيد
ظهر صليب كواكب من السما في نصف النهار وفي ايامك ظهر ايها الملك على الاقرانيون
صليب من نور يفوق نوره نور الشمس في نصف النهار وكتب
اليه ان لا يقبل قول اصحاب اريوس فانهم حايدون عن الحق
كفار قد لعنهم الثلثمايه وثمانيه عشر اسقفا ولعنوا كل من
يقول بمقالتهم فقبل قوله قال وفي ذلك الوقت غلب بمقاله
اريوس على قسطنطينيه وانطاكيه وبابل والاسكندريه ومن سمي
التابعون اريوس والقايلون بمقالته اريوسيين مشتقا من اسمه
قال وفي ثاني سنه من ملك قسطنطين صير على انطاكيه بطرك



اريوس ثم بعده احرا ريوسي ثم بعده اخر سماني وصير على
قسطنطينيه بترك سماني قال ففي عشر سنين من ملكه صير
على قسطنطينيه بطرك وكان يقول روح القدس مخلوقه اقام
عشر سنين ومات ونقل بعد ذلك بطرك انطاكيه فصير على
قسطنطينيه وكان منانيا واما اهل مصر والاسكندريه فكان
اكثرهم اريوسيين ومانيين فغلبوا على كنايس مصر فاخذوها
ووثبوا على بترك الاسكندريه ليقتلوه فهرب منهم واستخفى وصير
على اسكندريه بتركا منانيا وفي ذلك الزمان قدم من القسطنطينيه
الى الاسكندريه تايد وكان اريوسيا فنفى الملكي واقام بطركا
اريوسيا فلما خرج العابد قتل الملكيون ذلك البترك الاريوسي
واحرقوه بالنار ومات الملك قسطنطين بن قسطنطين وله في
الملك اربع وعشرون سنه وملك بعده يوليانوس الملك الكافر
على الروم سنين واراد ان يرد الناس الى عبادة الاصنام وقتل
من الشهدا خلقا كثيرا وفي اول سنه من ملكه وثب الاريوسيون
ببيت المقدس على اسقفها الملكي الذي كتب بظهور الصليب
ليقتلوه فهرب منهم وصيروا اسقفا اريوسيا قال وفي
ثاني سنه من ملكه صير على انطاكيه بطرك على الامانه فاقام
خمسا وعشرين سنه وفي احدى وعشرين سنه من ملكه سنه
كان المجمع الثاني بقسطنطينيه قال وكان في عصره اهل
مدينة نيربار كلهم صابيين فوضع اسقف ميمرا في ميلاد المسيح
ويقول في ابتدا الميمر المسيح ولد مختونا هتك فيه دين الصابيين
وفضحهم فيه وتمكن فيه دين النصرانيه قال وكان في عصر
يوليانوس الملك الكافر اول راهب سكن بريه مصر وفي الديارات

وجمع الرهبان وكان احزما بالشام وهو اول من سكن بريه الاردن
وجمع الرهبان وبنى الديارات قال وخرج هذا الملك الكافر
لقتال سابور ملك الفرس لسو مذهبه ورداه دينه وما اراد
ان ياخذ بعبادة الاصنام ظفر به ملك الفرس فقتله وقتل
من اصحابه مقتلة عظيمة وذكر اسقف قيسارية انه كان جالسا
في محرابه وحداه لوح فيه صورة مارى مركورس الشاهد فنظر
الى اللوح فلم ير فيه صورة الشاهد فتعجب من ذلك اذ غابت فلم
يكن الا ساعة حتى عادت صورة الشاهد الى اللوح وفي طرف
الحربه الصورة التي في يد الشاهد شبيه بالدم فتعجب من ذلك
وبقى متحيرا حتى بلغه ان الملك الكافر قتل في الحرب فعلم ان
مارى مركورس الشاهد قتله لشدة بغضه كان النصارى وما
كان عزم عليه من عبادة الاصنام وذكر بعد هذا جماعة من
البتاركه والاساقفه كان بعضهم اريوسيا وبعضهم منانيا
وبعضهم ملكيا وذكر فتنا بينهم وتعصب كل طايفة لبترككها
حتى يقتل بعضهم بعضا ويبغي بعضهم بعضا وذكر انه اختلف
ارا النصارى وكثرت مقالاتهم وغلبت عليهم مقالة اريوس
وانهم ملكوا عليهم ملكا اسمه بدوسيس وان الوزرا والقواد
اجتمعوا اليه ذاكرين ان مقالات الناس اختلفت وفسدت
وغلب عليهم مقالة اريوس ومقدونيوس فنظر الملك في هذا
وبحث عن النصرانية وبوضح الامانة المستقيمة وكتب الى بطرك
اسكندريه وانطاكيه ورومية واسقف بيت المقدس يحضروا
مع اساقفتهم بقسطنطينيه الا بطرك رومية فانه كتب
وانفذ بالامانه المستقيمة فاجتمع بقسطنطينيه مايه وخمسون

اسقفا وكان



اسقفا وكان المقدم البطاركة الثلاثة فدفع الملك اليهم كتاب
بطرك رومية فكان صحيحا موافقا وكان يزعم ان روح القدس
الاه ولكن مخلوق مصنوع فقال بطرك الاسكندريه ليس روح
القدس عندي معنى غير حياته فاذا قلنا ان روح القدس مخلوق
فقد قلنا ان حياته مخلوقه واذا قلنا ان حياته مخلوقه فقد زعمنا
انه غير حي واذا زعمنا انه غير حي فقد كفرنا ومن كفر وجب
عليه اللعن فاتفقوا على لعن مقدونيوس فلعنوه واشياعه ولعنوا
البطاركه الذين كانوا بعده يقولون بقوله ولعنوا اسقف لوديه
واشباهه ولعنوا بولينا ربوس واشباهه لانه كان يقول
ان الاب والابن وحد واحد ولعنوا بولسا ربوس واشياعه
لانه كان يقول ان جسد سيدنا المسيح بغير عقل وثبتوا ان
روح القدس خالقة غير مخلوقة اله حق وان طبيعه الاب
والابن جوهر واحد وطبيعه واحدة وزادوا في الامانه التي وضعها
الثلثمايه والثمانيه عشر اسقفا الذين اجتمعوا في مدينه نيقيه
وروح القدس المحيي المميت المنبثق من الاب وثبتوا ان الاب
والابن وروح القدس ثلثه اقانيم وثلاثه وجوه وثلاث خواص
في وحدانيه واحده وكيان واحد وثلثه اقانيم اله واحد
جوهر واحد طبيعه واحده وثبتوا ان جسد سيدنا المسيح
بنفس ناطقه عقليه قال فمن المجمع الاول الى هذا المجمع الثاني
ثمان وخمسون سنه قال واطلق بطرك الاسكندريه للبطاركة
والاساقفه والرهبان اكل اللحم من اجل المنانية ليعرف
المناني منهم لان المنانيه لا يرون اكل اللحم ولا شيا من الحيوان
البته وكان اكثر اساقفه مصر منانية فاكل بطاركه مصر واسا

ففتنهم

اللحم واما بطاركة رومية وقسطنطينيه واساقفتها ورهبانها
فلم ياكلوا اللحم واكلوا بدل اللحم السمك واقاموه مقام اللحم
اذ كان حيوانا قال سعيد بن بطريق لم يطلق اكل
اللحم على انهم يعتاضون منه بالسمك اذ ليس بذبيحة ويبغون
اكل اللحم اذ كان قد اخطا الذين اقاموا السمك مقام اللحم
وسيدنا المسيح فقد اكل اللحم فوجب ضرورة اكل اللحم اقتدا
بالسيد المسيح ولو يوما واحدا في السنه ليزيلوا الشك المنانية
قال وفي الابركسيس مكتوبا ما نطق بطرس المسلح بنا من ينزل
السما وفيها كل ذي اربع قوايم وبهذا الحكم كل من لم ياكل
اللحم مخالفا لشريعة النصرانية ومضاه لمذهب الصابية
والروم وهم لا يغتسلون الى اليوم لان المنانية لا يرون الغسل
بالما فلما طال بهم الزمان اقاموه على هذه السنه وقال
قوم انما تركوا الغسل بالما لشدة برد بلادهم وبرد الما عندهم
وانه لا يتهيا لهم بالجمله ان يقربوا الما في الشتا لثلجه وبرده
فصار سنه جارية شتا وصيفا والمنانيه صنفان
السماعون والصديقون فالسماعون يصومون في كل شهر
اياما معلومة والصديقون يصومون الدهر كله ولا
ياكلون الا ما ينبت من الارض فلما تنصروا خافوا ان يتركوا
اكل اللحم فيعلم بهم فجعلوا لانفسهم صياما فصاموا
الميلاد والحواريين فلما طال بهم الزمان وندبوا في
هذا الصوم اكلوا اللحم فتبعتهم في ذلك النساطرة واليعاقبة
والمارونيه وصارت سنة استحسنها الملكية فتبعوهم
وخاصه المقيمون ببلاد سلام واما الروم فما تركوا اكل اللحم

في ايام

في ايام صوم الميلاد وصوم الحواريين وتلك الايام التي يظن
انها من جملة الصوم الكبير فمن احب ان يصوم الميلاد والحواريين
والسبت ولا ياكل لحما فليس بواجب وليس لاحد قطع اللحم
طول السنة الا في صوم الاربعين المقدسه فقط ومن فعل
بضد ذلك فهو مخالف راجع الى اصحاب الارا المختلفة قال
وفي ثمان سنين من ملك بدوس ظهرت الفتية الذين كانوا
هربوا من داقنوس الملك واختلفوا في الكهف وذلك ان
الرواة على طول الزمان كانوا اذا جازوا بذلك الموضع الذي
هو الكهف قلعوا الطوب المبني على باب الكهف حتى عاد
مفتوحا كالباب فلما انتبهت الفتية توهموا انهم كانوا
نياما ليلة واحدة فقالوا لصاحبهم الذي كان يذهب يبتاع
لهم الطعام امض واشتري لنا طعاما واستعلم خبر دقنوس
فلما خرج الى باب الكهف نظر الى البنيان والهدم ثم مضى
حتى بلغ باب المدينه وهي افسس فراى باب المدينه عليه
صليب كبير منصوب فانكر ذلك في نفسه وقال احسب اني
نايم فاقبل يمسح عينيه وينظر يمينا وشمالا لاهل يرى من يعرفه
فلم ير فبقي متحيرا وقال لعلي اخطات الطريق واهل هذه
مدينة اخرى ثم دخل المدينة فدفع دراهم مما كان معه عليها
صورة داقنوس الملك فانكر عليه وقالوا لعله اصاب
كنزا ثم قالوا من اين لك هذه الدراهم والا قتلناك فلم يكلمهم
فصاروا به الى بطريق المدينة وكلمه فلم يتكلم فجا اليه اسقف
المدينه فكلمه وخوفه فقال انك ان لم تكلمني وتقبل مني وتقول
لي من اين لك هذه الدراهم والا قتلناك وانما كان يمتنع من الكلام

خوفا من دقيانوس فقالوا انه قد مات وملك بعده جماعة ملوك
فضربوه حتى المه الضرب فخبرهم بحاله على جليتها فقالوا له ان
دقيانوس قد مات وملك بعده ملوك كثيره والملك اليوم
تدوس الكبير وقد ظهر دين النصرانيه ثم سار معهم الى الكهف
فنظروا الى اصحابه والصندوق النحاس الذي فيه الصحيفة الرصاص
مكتوب فيها قصتهم وخبرهم وكثر تعجبهم وكتبوا الى الملك
يعلمونه بخبرهم فركب وسار الى مدينة افسس فنظر اليهم
وكلمهم وبعد ثلثة ايام دخل اليهم فوجدهم امواتا فامر ان
يتركوا والكهف ولا يخرجوا ولكن يدفنوا ويبنى عليهم فيه
كنيسه ويسمى باسماهم ويعيد لها عيد في كل سنة في ذلك
اليوم وانصرف الى قسطنطينه قال فمن وقت هرب الفتيه
من دانيوس الى الكهف الى الوقت الذي ظهروا فيه وماتوا
مايه وسبع او وتسع واربعون سنه قلت هذا مما اخطا
فيه فان الله تعالى اخبر انهم لبثوا في كهفهم ثلثمايه سنين
وازدادوا تسعا لكن بعض المفسرين زعم ان هذا قول
قول بعض اهل الكتاب لقوله الله اعلم بما لبثوا وليس كذلك
فان الله لم يذكر هذا عن اهل الكتاب بل ذكره كلاما منه
قال سعيد وفي زمنه كانت قصه بترك قسطنطينيه
يوحنا الملقب بفم الذهب وتولى بعده ابنه تدوس الصغير اثنين
واربعين سنة لاحدى عشره سنة من ملك يزدجرد بن بهرام
وفي زمنه جعل نسطورس الذي ينسب اليه مقالة النسطوريه
بطركا على قسطنطينه قال وكان نسطورس يقول ليست
ان مريم العذرا ليست بوالدة الها على الحقيقة وكذلك كان



ابنان احدهما الذي هو الاله مولود من الاب والاخر الذي هو
انسان مولود من مريم وان هذا الانسان الذي يقول انه مسيح ويقال له اله
بالمحبة متوحد مع ابن الاله وابن الاله ليس بالحقيقة ولكن بوهبه
واتفاق الاسمين والكرامة شبيها باحد الانبيا فبلغ
قوله بطرك الاسكندريه فانكر ذلك وكتب اليه يقبح عليه
فعله ومقالته ويعرفه فساد ما هو عليه ويساله الرجوع الى
الحق فجرت بينهما رسايل كثيره ولم يرجع نسطورس
عن مقالته فكتب الى بطرك انطاكيه يساله ان يكتب الى نسطورس
ويعرفه قبح فعله ورايه وفساد مقالته ويساله الرجوع
الى الحق وكتب الى نسطورس انه لم يرجع فلم يرجع اجتمعوا فلم يرجع
ولعنوه وجرت بينهما رسايل كثيره فكتبوا الى بطرك رومية
وانطاكيه وبطرك بيت المقدس ان يجتمعوا في مدينه افسس
لينظروا في مقالة نسطورس فاجتمع بالمدينه مايتا اسقف
مقدمهم بطرك اسكندريه وتاخر بطرك انطاكيه فلم
ينتظروه وبعثوا الى نسطورس فلم يحضر معهم فنظروا في
مقالته واوجبوا عليه اللعن فلعنوه وثبتوا ان مريم العذرا
والدة اله وان المسيح اله حق وانسان معروف بطبيعتين
متوحد في الاقنوم وهذا هو خلاف المحبة لان نسطورس
كان يقول ان التحيد اي الاتحاد اتفاق الوجهين واما التحيد
اي الاتحاد المستقيم فانما هو ان يكون اقنوما واحدا من
طبيعتين فلما لعنوا نسطورس قدم يوحنا بطرك انطاكيه
فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره غضب وقال ظلمتم نسطورس
ولعنتموه باطلا وتعصب مع نسطورس لجمع الاساقفه الذين

الذين قدموا معه فقطع بطرك اسكندريه وقطع اسقف
افسس فلما راى اصحاب بطرك اسكندريه قبح فعاله وقع بينهم
شر عظيم وخرجوا من افسس وصار اصحاب بطرك اسكندريه
والمشرقيون حزبين فلم يزل يدوس الملك حتى اصلح بينهم
وكتب المشرقيون صحيفة وثبتوا فيها الامانة الصحيحة وقالوا
فيها ان مريم العذرا القديسة ولدت الاها ربنا يسوع المسيح
الذي هو مع ابيه في الطبيعة ومع الناس في الناسوت واقروا
بطبيعتين ووجه واحد واقنوم واحد ولعنوا نسطورس
ووجهوا بالصحيفه الى بطرك اسكندريه فقبل الصحيفة واجابهم
عنها بموافقتهم على ذلك وقال قوم لما قبل صحيفه المشرقيين بدا
له ولم يقبل طبيعتين ووجها واحدا قال سعيد بن بطريق
وهم في ذلك كاذبون لان كتبه تنطق بذلك ثم ارسل نسخه
صحيفه المشرقيين الى جماعة من الاساقفة تعلمهم ان المشرقيين
رجعوا الى الايمان وانهم غير موافقين لنسطورس قال
ثمن المجمع الثاني الى المايه والخمسين اسقفا المجتمعين بمدينه
قسطنطينيه ولعنوا نسطورس ومقدونيوس الى هذا المجمع
المايتي اسقفا المجتمعين بافسس على نسطورس احدى وخمسون سنه
قال ولما نفي نسطورس صار الى مصر فاقام فاقام بضيعة في صعيد
مصر يقال لها اخميم ومات ودفن بها وكانت مقالته قد اندرست
فاحياها من بعده بزمان طويل مطران في عصر بو سيطانوس ملك نصيبين
الروم وقباذ بن فيروز ملك الفرس ثبتها بالمشرق فلذلك كثر
النسطوريه بالمشرق وخاصه ارض فارس بالعراق والموصل والفرات
والجزيره قال سعيد بن بطريق رايت ان ارد على النسطوريه
في هذا الموضع



في هذا الموضع وابين بطلان قولهم وفساده لان النسطوريه في
عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم وزعموا ان نسطور كان
يقول ان المسيح جوهران واقنومان الاه تام باقنومه وجوهره
وانسان تام باقنومه وجوهره وان مريم ولدت المسيح من جهة
ناسوته لا من جهة لاهوته لان الاب عندهم ولد الها ولم يلد
انسانا ومريم ولدت انسانا ولم تلد الها فيقال لهم ان
كان الامر على ما تقولون فالمسيح مسيحان واثنان فمسيح اله وابن
اله ومسيح انسان وابن انسان فانه لا بد لمريم ان تكون ولدت
المسيح او لم تلده فان كانت ولدته فلا بد ان يكون ولدا روحانيا
روحانيا او جسمانيا فان كان جسمانيا فهو غير الذي ولده الاب
وذلك يوجب ان يكون مسيحان وان كان روحانيا فالمسيح
ابن واحد اقنوم واحد مسيح واحد والدليل على ذلك صفيحه
الحديد التي تتحد بها النار فانها سيف واحد تحرق وتلمع وتقطع
وتضي لا يجوز ان يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة
من غير جهة النار اذ كان ما لم يكن فيه نار من الحديد غير
محرق ولا الجهة النارية هي القاطعة الماضية اذ كان شان
النار الاضاءة والاحراق لا القطع فقد ثبت بهذا وصح ما يعتقده
الملكيه من ان المسيح اقنوم واحد وبان زيف قول النسطوريه
ان المسيح اقنومان قلت يقال لهذا ان قول النسطوريه
والملكيه وان كانا باطلين فقول الملكية اشد بطلانا
واعظم كفرا وتناقضا وما ذكره هذا باطل اما قوله
لو كان الامر على ما تقولون فالمسيح مسيحان فيقال له هذا انما يلزم
ان لو كان اللاهوت بمجرده يسمى مسيحا فان النسطورية وافقوهم

على باطل وهو ان الرب ولد الاها وهذا باطل ولم يقل احد قط
من الانبيا لا في الانجيل ولا غيره ان صفة الله القايمة به مولوده
ولا ان الرب له مولود قديم ازلي لكن اذا قدر ان الامر كذلك
فصفة الله لم يسمها احد مسيحا فاذا قدر ان اللاهوت والناسوت
جوهران اقنومان لا اتحاد بينهما لم يلزم ان يكون اللاهوت
مسيحا ولا هناك مسيح هو اله ولا مسيح هو ابن اله وقد تقدم
عن نسطور انه كان يقول ان هذا الانسان الذي نقول انه
مسيح متوحد بالمحبة مع ابن الله ويقال له الله وابن الله ليس
في الحقيقة ولكن موهبة فبطل ما الزمه اياه من انه يلزم
ان يكون هنا مسيحان واما قوله لا بد لمريم من ان تكون
ولدت المسيح او لم تلده فيقال بل ولدت المسيح وهو الانسان
وهو عند اللاهوت الذي يزعمون ان الاب ولده وليس في ذلك
مسيحان بل مسيح واحد انسان مخلوق وايضا فقوله فان كانت
ولدته فلا بد ان يكون ولادا روحانيا او جسمانيا فان كان
روحانيا فالمسيح ابن واحد اقنوم واحد مسيح واحد تقسيم باطل
وحجة فاسدة فان مريم لم تلد ولادة روحانية بل خرج الولد
من فرجها كما يخرج اولاد النسا من فروجهن سوا كانت عذرتها
باقية او لم تكن واما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد
فلو قدر انه مثل مطابق لم يدل على صحة قولهم بل غايته انه يدل
على امكانه فاين الدليل على ان هذا هو الواقع فليس فيه ما يدل
على صحة قول الملكية وفساد قول خصومهم فكيف وهو
تمثيل غير مطابق فان الحديد اذا اتحدت بها النار كانت الحديد
قد استحال عن صفته فلم يبق حديدا محضا وليست نارا محضة

كالخشب وغيره



كالخشب وغيره اذا احترق وصار نارا فليس هو خشبا محضا
وليس هو نارا محضة بسيطة فمن شان الشيئين اذا اتحدا ان
يستحيل كل منهما الى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة ليست لا هذا
ولا هذا كالماء واللبن اذا اعتدا فان ذلك يصير جوهرا ثالثا
وطبيعة ثالثة لا لبنا محضا ولا ماء محضا وكذلك النار مع الحديد
او الخشب او غير ذلك فان ذلك يصير جوهرا ثالثا ليس حديدا
محضا وخشبا محضا ولا نارا محضة لكن الحديد اذا برد
فهو حديد لكنه تغيرت صفته فالنار تلينه وتذهب خبثه
لا يبقى بعد اتحاده بالنار كما كان قبل والخشب يصير فحما
وهو جوهر ثالث اذا كان في طبع النار انها تؤثر في كل جسد
بحسبه فتؤثر في الحديد بحسبه وفي الخشب بحسبه وكل شيئين
اتحدا فانهما يصيران جوهرا ثالثا واقنوما ثالثا وطبيعة ثالثة
فان كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا كما زعموا فقد
استحالت صفة اللاهوت واستحالت صفة الناسوت فلم يبق
اللاهوت لاهوتا ولا الناسوت ناسوتا بل صار جوهرا ثالثا
لا لاهوت ولا ناسوت وهم ينكرون هذا القول وهو باطل
فان رب العالمين لا يتبدل ولا تستحيل صفاته الى صفات
المحدثات ولا ينقلب القديم ولا شي من صفاته محدثا ولا يستحيل
القديم الرب الخالق والمخلوق المحدث الى شي ثالث بل صفات
الرب لا تتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل فضلا عن ان يستحيل
الى امر ثالث ثم هذا الثالث ان كان قديما خالقا صار هنا
خالقان قديمان وان كان مخلوقا محدثا كان الخالق قد صار
مخلوقا محدثا ومعلوم ان استحالة الخالق الى خالق اخر او الى

مخلوق ممتنع ظاهر الامتناع ومما يوضح هذا ان ما مثلوا به من
الحديدة المحماة بالنار هي جوهر ثالث يجري على نارها ما يجري
على حديدها فاذا طرقت فالمطرق واقع على نارها كما هو
واقع على حديدها وكذلك اذا قدت وكذلك اذا بصق عليها
وكذلك اذا القيت في الما فان كان هذا التمثيل مطابقا
لزم ان يكون ما حل بالناسوت قد حل باللاهوت فيكون
رب العالمين هو الذي كان ياكل ويشرب ويبول ويتغوط
وهو الذي صفع عندهم وبصق في وجهه وجعل الشوك على
راسه وضرب بالسياط وصلب ومات وتالم كما يحكي مثل
هذا عن اليعقوبية وهذا لازم لكل من قال بالاتحاد حتى
النسطورية ان قالوا انهما متحدان بالمشية بمعنى ان مشية
هذا مشية هذا بخلاف ما اذا قال ان مشيته موافقة لمشيئته
ليست اياها ولهذا قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه
النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثه وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه والله غفور رحيم الى قوله ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا
ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون
لان ذلك من اظهر الادله على انهما مخلوقان مربوبان اذ كان
هو الخالق احدا صمدا لا ياكل ولا يشرب وقد ذكر مريم مع المسيح



لان من النصارى من اتخذها الها اخر نعبدها كما عبد المسيح
والذين لا يقولون بهذا كثير منهم يطلب منها كلما يطلب من الله بنآءه
حتى يقول لها اغفري لي وارحميني وغير ذلك على انها تشفع في ذلك
الى ابنها فتارة يقولون يا والدة الاله اشفعي لنا الى الاله وتارة
يسلونها الحوايج التي تطلب من الله ولا يذكرون شفاعة واخرون
يعبدونها كما يعبدون المسيح وقد ذكر سعيد بن البطريق
هذا عنهم لما ذكر اجتماعهم عند قسطنطين بنفسه قال
وكانوا مختلفين الارا مختلفي الاديان فمنهم من يقول المسيح
وامه الهان من دون الله وهم المريمانيه ويسمون المريمانيين وكذلك
قال بن حزم وقد قال تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به
ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما
توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شي شهيد
وهو سبحانه لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سال المسيح
سوالا يتبرع به من اتخذه وامه الهين من دون الله قال
ابن البطريق ويقال للنسطوريه ايضا اخبرونا عن الناسوت
الذي اتحد به المسيح اللاهوت وسمي مسيحا هكذا هو لم يزل
مسيحا منذ كان في بطن امه مريم الى حيث ولدته وارضعته
وسبت وصلب وقتل ام كان ثلثين سنة وهو واحد من الناس
ثم اتحذ اللاهوت بعد ذلك بالناسوت فكان مسيحا فان قالوا
لم يكن مسيحا وهو في بطن مريم وانما ولدت مريم انسانا كان من للين

سنه وتهوكوا احد من الناس ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت
وكان مسيحا تركوا قولهم وكذبوا الانجيل و بولص وجميع كتب
الكنيسه وخرجوا عن مقاله النصرانيه وان قالوا ان اللاهوت
اتحد بالناسوت عند الحمل وانه كان مسيحا وهو محمول ومولود
ومرضع الى ان صلب وقتل فقد اقروا ان مريم ولدت الاها مسيحا
واحدًا اقنوما واحدًا فيقال له هذا التقسيم يدل على بطلان
قول النصارى الذين ابتدعه طوايفهم الثلث وغيرهم فان الاتحاد
يزعمون انه كان من حين حملت به مريم وانه كان ينموا قليلا
قليلا كنمو جسد المسيح والاتحاد باطل كما قد قرر غير مره ولو قدر (ممكن ص)
انه لظهر اثر ذلك فان الله لما كلم موسى من الشجره ظهر من الايات
والعظمه ما دل على ذلك وكذلك كان اذا كلم موسى يظهر
ايات ذلك وكذلك ما اخبر به في التوراه وغيرها من مصاحبته
لبني اسرايل هو مما ظهر امره وان لم يكن متحدًا ولا حالا في شي من
ذلك ولما تجلى من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من
جبال فاران بما انزله من كتبه ظهر ايات ذلك وان لم يكن ذاته
متحده ولا حاله بفاران ولا طور سينا باتفاق الامم فكيف يكون
ذاته متحده بما في بطن مريم او حاله فيه ولا يظهر اثر ذلك ايضا
فيقال له قد تقول النسطوريه له الناسوت كان مسيحا من
حين الحمل بمعنى انه كان طاهرًا متقدسًا لا بمعنى اتحاد اللاهوت
به فان قالوا المسيح اسم اللاهوت والناسوت جميعًا فيقال ليس
في كتب الانبيا ما يقتضي هذا والنسطوريه يسلمون ذلك لكن قد
يقولون ان المسيح اسم لهما كما ان الانسان اسم للروح وللجسد
ثم قد يقال لجسد الانسان الميت هذا الانسان ويقال



وهو في بطن مريم امه قبل نفخ الروح فيه هذا الجنين وهذا
الحمل فكذلك اذا قيل له مسيح بدون اللاهوت وايضا
فقد تقول المساطره بانتزان اللاهوت من حين الحمل
ولا يلزم ان يكون قد ولدت الاها اذا لم يقولوا بالاتحاد
بل قالوا هما جوهران اقنومان ولدت احدهما ولم تلد الاخر
كما تقول الملكيه معهم انه صلب احدهما ولم يصلب الاخر
ومات احدهما ولم يمت الاخر وتالم احدهما ولم يتالم الاخر
فكيف جوز الملكيه حسن الموت ان تحل الموت والصلب
وساير الامور البشريه باحد الجوهرين دون الاخر ولم يجوزوا
حين الولاده ان تلد مريم احد الجوهرين دون الاخر وهل
هذا الا من تناقضهم كقولهم جميعا انه صعد الى السما وقعد
عن يمين ابيه مع قولهم ان اللاهوت مع الناسوت من اله حق قعد
عن يمين الاب ويقولون مع ذلك ان اللاهوت القاعد عن يمين ابيه
الاب يعني الاخر هو ذلك الاخر وهما جوهر واحد واله واحد (كتبره)
مع قوله انه اله حق من اله حق فتناقضهم ولا ريب ان قول
النسطوريه ايضا متناقض لكن لا يمكن ان يصح قول الملكيه
دون قولهم بل قول الملكيه اعظم فسادًا وتناقضا فالنسطوريه
يقولون الاله لم يولد ولم يصلب واليعقوبيه يقولون ولد
وصلب والملكيه يقولون ولد ولم يصلب ومتى جاز ان يولد
جاز ان يموت ويصلب وان لم يجز ان يصلب ويموت لم يجز
ان يولد فتجويز احدهما ومنع الاخر تناقضا ويقال للملكيه انتم
تقولون ان اللاهوت اتحد بالناسوت عند الحمل وكان مسيحا
وهو مصفوع ومصلوب وميت ومتالم ويقولون هذا كان بالناسوت

دون اللاهوت فهذا التناقض من جنس تناقض النساطره
قال ابن البطريق ويقال للنساطره ايضا متى اتحدت
الكلمه بالانسان أقبل الولادة ام في حال الولاده فان قالوا قبل
الولادة قلنا لهم قبل الولاده قبل الحمل او قبل الولاده وهو
حمل فان قالوا قبل الولادة وقبل الحمل فقد زعموا انه اتحد
قبل ان يكون انسانا وقبل ان يصور وقولك فان كان ذلك
كذلك فسد قول النسطوريه ان القديم اتحد بانسان
جزى لان الانسان الجزى انما كان انسانا جزيا لما صار
مصورا بشريا فيقال له هذا السوال لازم للطوايف
الثلاثه فانهم يقولون بالاتحاد اعظم من النساطره فان قيل
هم يقولون انه اتحد بانسان كلي كان هذا من افسد
الاقاويل فان المسيح بشر معين جزى يمنع تصوره من وقوع
الشركه فيه لم يكن انسانا كليا ثم قال ويلزمهم ان يزعموا
ان اللاهوت قد كان حل مع الناسوت تسعه اشهر بنحوها
من بعد الحمل مقيما معه في الموضع الذي يحل فيه الجنين ثم
ولدا معا وهذا خلاف قولهم ان مريم ولدت المسيح من جهه
ناسوته لا من جهه لاهوته فيقال قد يقولون انه ولد
الناسوت دون اللاهوت كما يقول الملكيه انه صلب
الناسوت دون اللاهوت وان كان هذا متناقضا فالنساطره
اقل تناقضا لان الملكيه يقولون انهما شخص واحد اقنوم
واحد فقد اتحد احدهما بالاخر فاذا جاز مع هذا ان
يفارق احدهما الاخر في الاكل والشرب والصلب
والموت فمن قال انهما جوهران اقنومان هو اولى ان



ان يقول ولدت احدهما دون الاخر ثم قال وان قالوا اتحد به
وهو حمل صورة تامه قلنا لهم فقد كان للاله حملا قبل
الولادة واذا جاز ان يحمل جاز ان يولد فيقال هم
لا يقولون بانهما صارا شخصا واحدا اقنوما واحدا بل يقولون
جوهران اقنومان وجنبين فلا يقولون حملت بالاله ولا ولدت
الها كما لا يقولون الملكيه صلب اللاهوت ومات اللاهوت
مع قولهم بان اللاهوت والناسوت اتحدا قال فان قالوا كان
الاتحاد في حال الولادة قلنا فقد ولدت مريم الكلمه اذن
مع الانسان والكلمه عندنا وعندهم الاله فقد ولدت مريم ان يكون م
الها فان قالوا نعم قلنا فاذ جاز ان يولد فلم لا يجوز حملا فاذا
اجازوا ذلك تركوا قولهم وان لم يجوزوه قلنا فما الفرق بين ان
يكون مولودا وبين ان يكون محمولا فان قالوا ليس الاله مولود
ولم يكن الاتحاد قبل الولادة وهو ان يكون محمولا ولا في حاله
كونه ولدا في حال الولادة قلنا فهذا نقض قولكم ان مريم
ولدت المسيح لان المسيح عندكم ليس هو الانسان وحده ومريم
عندكم انها ولدت الانسان وحده واذا كان المسيح ليس هو
الانسان وحده ومريم عندكم انما ولدت الانسان وحده قبل
الاتحاد فانما ولدت اذن ما ليس بمسيح اذ كان انما كان
مسيحا بالاتحاد وكان الاتحاد بعد الولادة فانما كان
مسيحا بعد الولادة فاذا كان هذا عندكم فاسدا وكانت مريم
ولدت المسيح فمريم لم تلد الانسان وحده وهذا يوجب انها
قد ولدت الاله مع الانسان ويوجب ان الاتحاد كان
قبل الولادة قال فقد تبين زايف ما يعتقده النسطوريه

من ان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته
وصح ان مريم ولدت الاها مسيحا واحدا مالك ويقال
لهم اذا زعمتم ان المسيح جوهران جوهر قديم وجوهر محدث
ثم زعمتم ان لم زعمتم ان مريم ولدت المسيح فقد اقررتم
ان مريم ولدت هاذين الجوهرين الذين هما المسيح واذا ولدتهما
واحدهما الاله فقد ولدت الها قديما ولا يجوز ان تلد الا ما كان
محمولا فهذا يوجب انها قد كانت حاملة لذلك الاله فقد
تبين زايف ما تعتقده النسطوريه ان مريم لم تحمل الاها
ولم تلده وصح ما يعتقده الملكيه ان مريم ولدت الها مسيحا
واحدا ابنا واحدا اقنوما واحدا فيقال له ليس هذا التناقض
من النسطوريه باعظم من تناقض الملكيه فانهم مع قولهم
باتحاد اللاهوت والناسوت وانهما شخص واحد يقولون
ان احدهما كان ياكل ويشرب ويصوم ويصلي وينصرف
وانه اخذ وصفع ووضع الشوك على راسه وصلب والم ومات
دون الاخر فاذا كان قول النسطوريه متناقضا فقول
الملكيه اعظم تناقضا فاذا منعوا ان تحبل المراه وتلد الناسوت
دون اللاهوت لاجل الاتحاد الذي بينهما وجب ان يمنعوا
ان ياكل ويشرب ويصلب ويقتل احدهما دون الاخر لاجل
الاتحاد بطريق الاولى وكون الصلب والقتل اعظم منافاه
للربوبيه من حمل مريم به وولادته اياه لا يمنع كون كل
ذلك ممتنعا على الله ومن جوز عقله ان يكون رب العالمين
خرج من فرج مريم وهي بكر فقد جعل رب العالمين يخرج
من ثقب صغير وهذا اعظم ما يكون من الامتناع ومن جوز



عليه هذا جوز عليه ان يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب واكبر
منه وجوز ان يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه
ومن ثقوب الابواب وغير ذلك من الثقوب وان ما لو اداه الى
مكان طاهر مثل افواه الانبيا والصالحين اطهر من كل فرج
في العالم فيجوز ان يخرج من فم كل نبي وولي لله ومن اذنه
ومن انفه فان هذه الخروق والثقوب افضل من فروج النسا
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فهولا النصارى يقولون كون
ان الله مولودا من فرج مريم غير كونه مولود في الازل من الاب
بل هما ولادتان روحانيه وجسمانيه وهم اذا طولبوا بتفهيم
ما يقولون وقيل لهم هذا لا يتصور ان يكون رب العالمين يخرج
من ثقب ضيق لا فرج ولا فم ولا اذن ولا غير ذلك من الانقاب
قالوا هذا فوق العقل واعترفوا بان هذا لا يتصوره العقل
فيقال لهم هذا الكلام لم يقله نبي من الانبيا ولم ينطق به
نبي من الانبيا بان مريم حملت برب العالمين وولدته بل ولا
نطق نبي من الانبيا بان الله مولود ولا شي من صفاته مولودا
لا علمه ولا حياته ولا غير ذلك ولا نطق نبي من الانبيا لا المسيح
ولا غيره بان الله اتخذ ابنا من المخلوقات وليس في الانجيل
وغيره مما ينقل عن الانبيا شي من ذلك بل غايه ما فيها كلمات متشابهه
كقوله انا وابي شي واحد كما قال تعالى لمحمد ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله فاذا قال بعض
ملاحده المسلمين من الشيعه او المتصوفه او غيرهم ان الله اتحد
بمحمد لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله كان هذا من جنس
قول النصارى والايه لم تدل على ذلك بل متابعة الرسول متابعة

الله لان الرسول امر بما امر الله به فليس في كلام الانبيا ان الله
ولا شي من صفاته مولود المولاه التي يسمونها ولادة عقلية
روحانية ولا في كتبهم ان شيا من صفات الله يسمى ابنا لله ولا ان
اللاهوت ابن الله فضلا عن ان ينطقوا بان الله مولود من امراة
ولادة وخرج من فرجها فيكون مولودا ولادة جسمانية ولهذا
لما تنازعت النصارى في ذلك لم يكن لمن ادعاه على من نفاه حجة
من نصوص الانبيا غاية ما عندهم التمسك بالفاظ متشابهة
ومعها الفاظ صريحة محكمة بين ان المولود انما هو بشر
فاذا قالوا في الالفاظ المتشابهة لا نعلم مراد الرسول بها كان هذا
مما قد يعذرون به فان المتشابه من النصوص لا يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم فاذا قالوا لسنا من الراسخين في العلم
الذين يعلمون تاويله كانوا شاهدين على انفسهم بعدم العلم
وشهادة الانسان على نفسه مقبولة بخلاف القول الذي تكلموا
به هم وزعموا ان معناه يدل عليه كلام الانبيا او يدل عليه
العقل فان عليهم ان يبينوا معناه الذي عنوه به وعليهم ان يبينوا
انه قد دل على ذلك شرع او عقل فاذا قالوا نفس الكلام
الذي قلناه لا يتصور معناه كانوا معترفين انهم يقولون
على الله ما لا يعلمون وهذا حرام عليهم وان قالوا ان كلام الانبيا
دل على ذلك كان غاية ما عندهم التمسك بالمتشابه وحينيذ
فيطالبون بتفسير المتشابه والجمع بينه وبين المحكم على وجه
صحيح معلوم والا فاذا قالوا هذا فوق العقل لا نفهمه فيقال
لهم فدعوا المتشابه لا تحتجون به ولا تذكروا له معنى تزعمون انكم
لا تعقلونه فمتى ثبت عن الانبيا قول وقال قوم انا لا نفقهه انهم



يصدقون على انفسهم واما اذا فسروا كلام الانبيا بقول عبروا
به عن مراد الانبيا وقالوا هذا مرادهم مع تعبرهم عنه بعبارات
اخرى طولبوا بان يبينوا ذلك المعنى ويقال لهم ان فهمتم هو ما قلتموه
فبينوه وان لم تفهموه فلا تتكلموا بلا علم قال سعيد
ابن بطريق ان ايمة الضلالة اعني نسطورس واريوس وديسقورس
وسورس ويعقوب البرادعي واشياعهم الذين ارادوا ان يتمموا
الزيف والمحال ولم يرجعوا الى خشية الله وزاغوا عن سبيل
الحق لسو اريهم فقد تورطوا في بحر الضلالة وهم جميعا فيما
ارتطموا فيه من ضلالتهم يضمرون جهلا منهم باتحاد لاهوت
سيدنا المسيح بناسوته ويتورط كل واحد منهم في وجه
من وجوه الخلطة ويتمسك به فقد رايت ان اوضح وجه
الخلطة وابين ذلك لنقف على فساد قولهم ان من عظم تدبير
الله وكمال عدله وجليل رحمته ان بعث كلمته الخالقة
التي بها خلق كل شي من جوهره ليست مخلوقة ولكن
مولودة منه من قبل كل الدهور ولم يكن الله بلا كلمته
ولا روحه قط ولا كانت الكلمة بريه منه قط ولا من روحه
الخالقة ولا من جوهره فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها
القايم الدايم الثابت الذي لم يزل ولا يزال فالتحمت من مريم
العذرا وهي جارية طاهرة مختارة من نسل داود اصطفاها
الله لهذا التدبير من نسا العالمين وطهرها بروح القدس
روحه الجوهرية حتى جعلها اهلا لحلول كلمة الله الجوهرية
بها واحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها
بمسرة للاب وموازرة روح القدس خلقا جديدا من غير نطفة

ادميه جرت عليها الخطيه ومن غير مجامعه لبشريه ولا افتكاك
عذرة تلك الجاريه المقدسه فهو انسان تام بجسده ونفسه
الدمويه وروحه الكلمانيه التي من صورة الله في الانسان
وشبهه وكانت مسكنا لله في حلوله واحتجابه للطفها
عن جميع ما لطف من الخلايق كلهم واعلم انه لا يرى شي من لطيف
الخلق الا في غليظ الخلق ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف
الا ما هو اغلظ منه فيما يظهر لاهل الانتقال من غليظ الخلق
وانا وجدنا روح الانسان العاقله الكلمانيه الطف من لطيف الخلق
فلذلك كانت اولى خلق الله بحجاب الله وكانت لها حجابا ولمن
هو الطف منها وكانت النفس الدمويه لها حجابا والجسد
الغليظ حجابا فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقه لنفس الانسان
الكامله بجسدها ودمها وروحها العاقله الكلمانيه وصارت
كلمة الله بقوامها قواما لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها
بنفوسهم قولهم كلمة الله ابانيها لانها لم تخلق ولم تك شيا
الا بتقول من كلمة الله الذي خلقها وكونها لا من شي لا سبق قبل
ذلك في بطن مريم ولا من سبب كان لها من نطفه ولا من غير
ذلك غير قوام الكلمه الخالقه الذي هو احد التثليث الالهي
فذلك القوام معدود معروف مع الناس لما ضم اليه وخلقه
له التحم به من جوهر الانسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد
قوام لكلمة الله الخالقه واحد في التثليث بجوهر لاهوته واحد
من الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين ولكن واحد مع الاب
والروح وهو اياه واحد مع الناس جميعا بجوهرين مختلفين من
جوهر اللاهوت الخالق وجوهر الناسوت المخلوق فتوحد العوالم





الواحد قوام الكلمه التي هي الابن المولود من الله قبل الادهار
كلها وهو اياه المولود من مريم العذرا في اخر الزمان من غير
مفارقه من الاب ولا من روح القدس قلت فهذا كلام سعيد
ابن بطريق الذي قرر به دين النصارى وفيه من الباطل ما يطول
وصفه لكن نذكر من ذلك وجوها الوجه الاول قوله ان من عظيم
تدبير الله ان بعث كلمته الخالقه التي بها خلق كل شي من جوهره
ليست مخلوقه ولكن مولوده منه فهبطت كلمة الله الخالقه بقوام القايم
الدايم فالتحمت من مريم العذرا فيقال قد جعلت الكلمه
خالقه وقلت ولا كانت الكلمه بريه منه ولا من روحه الخالقه
وقلت بعدها فاحتجبت الكلمه الخالقه بانسان مخلوق خلقته
لنفسها بمره الاب وموازره روح القدس خلقا جديدا فيقال
لهم اخالق العالم عندكم خالق واحد وهو اله واحد ام للعالم
ثلثه الهه خالقون فان قالوا ان الخالق واحد وهم ثلثه خالقون
كما انهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثه الهه وثلثه خالقين
ثم يقولون اله واحد وخالق واحد فيقال وهذا تناقض ظاهر
فاما هذا واما هذا واذا قلتم الخالق واحد له ثلث صفات لم ننازعكم
في ان الخالق له صفات لكن لا تختص بثلثه فان قالوا بثلثه الهه
ثلثه خالقين كما قد لزمهم في كثير من كلامهم بان كفرهم وعظم
شركهم وبان ان شركهم اعظم من كل شرك في العالم فغايه
المجوس الثنويه اثبات اثنين نور وظلمه وهولاء يثبتون ثلثه
ثم الادلة السمعية في التوراه والانجيل والزبور وساير كلام الانبيا
مع الادله العقليه المثبته لكون الخالق واحدا كثيره جدا لا يمكن
حصرها هنا فان قالوا ان الخالق واحد له صفات قيل لهم فهذا

متناقض لقولكم انه بعث كلمته الخالقة وقولكم ولا كانت الكلمة
بريه منه ولا من روحه الخالقه وقولكم فهبطت الكلمة الخالقة
وقولكم فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها
بمسرة الاب وموازرة الروح فهذا يقتضي ان الكلمة خالقة
وان الروح خالقة وانها خلقت بمسره الاب الخالق وموازرة
الروح الخالقه وهذا الخالق هبط والاب لم يهبط فاذا كان
الخالق واحدا له صفات لم يكن هنا الا خالق واحد الوجه
الثاني قولكم بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شي وقد
نطقت الكتب بان الله يخلق الاشيا بكلامه فيقول لها كن فيكون
هكذا في القران والتوراه وغيرهما لكن الخالق هو الله تعالى يخلق
بكلامه ليس كلامه خالقا ولا يقول احد قط ان كلام الله خلق
السموات والارض والتوراة كلام الله والانجيل كلام الله ولا
يقول احد ان شيا من ذلك خلق السموات والارض ولا يقول احد
يا كلام الله اغفر لي وارحمني فقول هاولا ان كلمته هي الخالقة
وانه خلق بها كلام متناقض فانها ان كانت هي الخالق لم تكن هي
المخلوق به فالمخلوق به ليس هو الخالق الثالث ان يقال
قولكم كلمه الله الخالقه اهي كلام الله كله ام هي بعض كلام
الله ام هي المعنى القايم بالذات القديم الازلي الذي يثبته ابن
كلاب ام حروف واصوات قديمة ازلية كما يقوله بعض الناس
ام هي الذات المتكلمة فان كانت هي الذات المتكلمة فهي الاب
والرب وتكون هي الموصوفة بالحياة فلا يكون هنا كلام مولود
ولا كلمة ارسلت ولا غير ذلك مما ذكروه وهذا خلاف قولهم
كلهم فان الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الاب عندهم وان قالوا

بل هو كلام الله



كلمة

بل هي كلام الله قيل لكم فيكون المسيح هو التوراة والانجيل
والقران وساير كلام الله وهذا لا يقولونه ولم يقله احد
ولا يقوله عاقل وان قالوا انها هي المعنى الواحد القديم الازلي والحروف
والاصوات القديمة الازلية قيل لهم هذان القولان وان كانا
باطلين فان قلتم بهما لزمكم ان يكون المسيح هو كلام الله كله فان هذين
عند من يقول بهما هما جميع كلام الله والتوراة والانجيل وساير كلام
الله عبارة عن ذلك المعنى القايم بذات الله او هو الحروف والاصوات
بعينه
القديمة القايمة بالذات عند من يقول هذين وان قلتم ان المسيح كلمات
الله تخبيه لله كلمات اخر غير المسيح فاجعلوا كل كلمة خالقا كما
جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقا اذ كنتم تقولون الكلمة هي الخالقة
وهي المخلوق بها فقولوا عن ساير كلمات الله انها خالقه مخلوق بها
وحينيذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله واذا كانت كلمات الله
لا نهاية لها كان المخلوق خالقون لا نهاية لهم وهذا غاية الباطل
والكفر وبالجملة اي شي فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم ولكنهم
يتكلمون بما لا يفهمونه ويقولون الكذب والكفر المتناقض
وانما عندهم تقليد من اضلهم كما قال تعالى يا اهل الكتاب لا
تغلوا في دينكم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا
وضلوا عن سوا السبيل الرابع ان يقال لهم هذا الكلام لم يعلم
بالمعقول فليس في المعقول ما يدل عليه وانتم لا تدعون انكم
عرفتموه بالعقل لكن بما نقل عن الانبيا وانتم قد فسرتم كلمته
بعلمه وحكمته وروح القدس فعن اي نبي تنقلون ان علم الله
بحيوته
وحكمته مولودة منه وانه يسمى ابنه وان علمه او حكمته خلق
كل شي وان حياته خلقت كل شي وان علمه خالق والله رب
ورب

وحياته خالقة واله ورب وليس في الاشيا من سمى شيا من صفات
الرب ولدا له ولا ابنا ولا ذكر ان الله ولد شيا من صفاته فزعمتم
ان صفته القديمة الازلية ولدت مرتين مرة ولادة قديمة ازلية
وولادة حادثة من فرج مريم كذب معلوم على الانبيا لم يقل احد منهم
ان الله ولد ولا ان شيا من صفاته ولد لا ولادة روحانية ولا ولادة
جسمانية وهذا وان ابطل قول الملكية فهو كقول اليعقوبية اشد
ابطالا وهو مبطل ايضا لقول النسطورية فانهم يقولون بالامانة
التي فيها انه مولود قديم ازلي فان طوايفهم الثلثة متفقون على
الامانة التي ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد اكثر من ثلثماية سنة
من المسيح الخامس قولكم بعث كلمته الخالقة فهبطت
بكلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شي ليست مخلوقة ولكن مولودة
منه ولم يكن الله بلا كلمة ولا روح قط من قال من الانبيا انه لم
يكن بلا روح قط او ان روحه صفة له قديمة او انها حيوته وكلام
الانبيا كله ينطق بان روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو
ما نزله على الانبيا كالوحي والتاييد او الملكية فليست روح
الله صفة قايمة به لا حياته ولا غيرها ولكنها امر باين عنه ٥
السادس انه اذا كان قد بعث كلمته الخالقة وهبطت
والتحمت من مريم فهو نفسه رب العالمين هبط والتحم من مريم
ام رب العالمين نفسه لم يهبط ولم يلتحم من مريم وانما هبط
والتحم الكلمة التي ارسلها فان قلتم هو نفسه هبط والتحم كان
الاب الوالد للكلمة هو الذي هبط والتحم وكان الاب هو
الكلمة وهذا مناقض لاقوالكم وان قلتم ان المبعوث الهابط
الملتحم ليس هو الاب بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق فيكون

هناك خالقان



هناك خالقان خالق ارسل فهبط والتحم وخالق ارسل ذلك ولم
يهبط ولم يلتحم وقد ثبتم خالقا ثالثا وهو الروح وهذا تصريح
بثلثة الهة خالقين الوجه السابع انه قال ان الله بعث كلمته
الخالقة التي بها خلق كل شي فمع كونه جعلها خالقة جعل انه بها
خلق كل شي والذي خلق بها كل شي هو الخالق فجعلها خالقة
وجعل خالقا اخر وجعل احد الخالقين قد خلق الاخر به كل شي
وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذي به خلق كل شي
وجعل الكلمة الخالقة احتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها
بمسرة الاب وموازرة روح القدس خلقا جديدا واذا كانت
هي الخالقة بمسرة الاب فالاب لم يخلقه بل سر بذلك وروح
القدس وازرت ذلك والخالق خلق الخلق ومعلوم انه اذا كان
للخالق من يوازره على الخلق لم يكن مستقلا بالخلق بل يكون
له فيه شريك فهذه الكلمة تارة يقولون هي الخالقة وتارة يقولون
خلق بها الخلق وتارة يقولون خلقت وتارة يقولون ان روح القدس
وازرها في الخلق فهذه اربعة اقوال ينقض بعضها بعضا فان الله كان
هو الخالق لكل شي فالخالق واحد وليس هناك خالق اخر
ولا شريك له في الخلق والخالق اذا خلق الاشيا بقوله كن لم يكن
كلامه خالقا ولو كانت كل كلمة الها خالقا لكان الالهة
الخالقون كثيرين لا نهاية لهم ثم قال ليست بمخلوقة ولكن
مولودة منه من قبل كل الدهور فيقال من من الانبيا
سمى شيا من صفات الله مولودا له وايضا فكيف يكون مولود
قديم ازلي وهل يعقل مولود الا محدثا وايضا فاذا جاز ان يكون
الكلمة التي يفسرونها بالعلم او الحكمة مولودة منه فكذلك

حيوته مولودةً منه وان كانت حياته منبثقه منه فكلمته منبثقه
منه فجعل احدى الصفتين الازليتين مولودة في الازل غير
منبثقه والاخرى ليست مولودة من الاول بل منبثقه مع
كونه باطلا فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين فانه ان
جاز ان يقال للصفه القديمه الازليه انها مولودة منه فالحياة
مولوده وان جاز ان يقال انها منبثقه فالكلمه منبثقه وايضا
فكون الصفه الها خالقا واثبات ثلثه الهه خالقين مع قولهم
ان الخالق واحد تناقض اخر وايضا فقوله ولم يكن الله بلا كلمه
ولا روح قط ان اراد بروحه حياته فهذا صحيح لكن من من الانبيا
سمى حياة الله روحه ومن الذي جعل لله روحًا قديمه ازليه وهل
هذا الا افترا على الانبيا وتلبيس لقايل ان يقول ان هذا نزاع لفظي
فلا اعتبار به لان هذا تفسير لكلام الانبيا فهم الذين تكلموا بروح
الله وروح القدس ونحو ذلك ولم يرد احد بذلك حياة الله قط
فتسميه حياة الله روحًا وتفسير مراد الانبيا بذلك افترا على الله
ورسله الوجه الثامن قوله فهبطت كلمه الله الخالقه
بقوامها القايم الدايم الثابت الذي لم يزل ولا يزول فاتحدت من
مريم العذرا وهي جاريه طاهره مختارة من نسل داود واصطفاها
الله لهذا التدبير من نسا العالمين وطهرها بروح القدس روحه
الجوهريه التي جعلها اهلا الحلول كلمه الله الجوهريه بها فاتحدت
الكلمه الخالقه بانسان مخلوق خلقته لنفسها بنبوه الاب
وموازره روح القدس خلقا جديدًا فيقال ان الكتب دلت
على ان المسيح تجسد من روح القدس من مريم العذرا البتول
وهكذا هو في الامانه التي لهم وهذا اخبر القران حيث
اخبر في غير موضع انه نفخ في مريم من روحه مع اخباره انه ارسل





اليها روحه قال تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانًا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابًا فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويًا قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيًا
قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال
كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمه منا
وكان امرًا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانًا قصيا فاجاها
المخاض الى جذع النخله وقال تعالى والتي احصنت فرجها
فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين وقال
تعالى ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين فالكتب
الالهيه تصدق بعضها بعضًا لكن دعواكم ان روح القدس
روح الله الجوهريه اي حياته القديمه الازليه امر مخالف
لجميع كتب الله وانبيايه فلم يفسر احد منهم روح القدس بصفه
لله لا جوهريه ولا غير جوهريه ولا قديمه ولا غير قديمه ولا ارادوا
بذلك حياته فقولكم هذا تبديل لكلام الله وكلام انبيايه
ورسله كما انكم في قولكم ان كلمه الله او علمه او حياته مولود
منه وان صفته القديمه الازليه هي ابنه مما خرقتم فيه كلام
الانبيا فلم يرد احد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط ولم يطلق
في جميع الكتب التي عندكم لفظ الابن والمولود الا على محدث
مخلوق لا على شي قديم ازلي لا موصوف ولا صفه لا علم ولا كلام
ولا حكمه ولا غير ذلك وكل ولاده في الكتب الالهيه التي عندكم
وغيرها فهي ولاده حادثه زمانيه وكل مولود فهو مخلوق محدث

زماني لكيس في الكتب ولادة قديمه ازليه ولا مولود قديم ازلي
كما ادعيتم ذلك في امانتكم وغيرها فلو كان ما ذكرتموه ممكنا
في العقول لم يجز ان يجعله موجودا واقعا وتقول الانبيا
ارادوا ذلك الا ان يكونوا اسوا ان ذلك مرادهم فاذا كان
كلامهم صريحا في انهم لم يريدوا ذلك والمعقول الصريح
يناقض ذلك كان ما تلتموه كذبا على الله وعلى انبيايه ورسله
ومسيحه وكان باطلا في العقول وكنتم ممن قيل فيه لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ثم يقال انتم قلتم
ان الكلمه الخالقه هبطت فالتحمت من مريم واحتجبت بانسان
مخلوق خلقته لنفسها وقلتم ان مريم حملت بالاله الخالق وولدته
الذي هو الابن فاذا جوزتم ان تكون مريم هي اما للخالق الذي
هو الابن وولدته فلم لا يجوز ان تكون زوجه للخالق الذي
هو الاب مع ان الخالق التحم من مريم وقد قلتم لم يكن الله بلا
كلمته ولا روحه قط ولا كانت الكلمه بريه منه قط ولا من
روحه الخالقه ولا من جوهره فجعلتم الروح خالقه والله الذي هو
الاب خالقا والمسيح تجسد من الروح الخالقه ومن مريم
وكما ان مريم امه فالروح الخالقه بمنزله ابيه ايضا فمريم
لها اتصال بالاب وبروح القدس وكلاهما اب للمسيح على ما
ذكرتموه واذا كانت مريم متصله بكل واحد ممن جعلتموه
ابا للمسيح وقلتم ان الخالق التحم من مريم فهذا ابلغ ما يكون
من جعل الخالق زوج مريم ومهما فسرتم به اتحاد اللاهوت
بناسوت المسيح المخلوق منها كان تفسير التحام اللاهوت
بناسوت مريم حتى يصير زوجا لمريم اولى واحرى وليس في

ذلك النقص



نقص ولا عيب الا وفي كون اللاهوت ابن مريم ما هو ابلغ منه
في النقص والعيب ومعلوم ان الانسان اعلا قدرا عنده من زوجته
وان تسلطه على زوجته اعظم منه على امه فان الرجل مالك للزوجه
قوام عليها والمراة اسيرة عند زوجها بخلاف امه فاذا جعلتم
اللاهوت الخالق القديم الازلي ابنا لناسوت مريم بحكم الاتحاد
مع كونه خالقا لها بلاهوته وابنا لها بناسوته ولم يكن هذا
ممتنعا عندكم ولا قبيحا فان تكون مريم صاحبة له وزوجه وامراة
بحكم الالتحام بالناسوت اولى واحرى وان كان هذا ممتنعا
وقبيحا ولهذا ذهب طوايف من النصارى الى ان مريم زوجة الله
وصاحبته وقالوا ابلغ من ذلك حتى ذكروا شهوته للنكاح
ولقد قال بعض اكابر عقلا الملوك ممن كان نصرانيا انهم كانوا اذا
انتهوا الى قولهم المسيح بن مريم بن الله لم يفهم من ذلك الا ان المسيح
ابنه كما يحبل الرجل المراة وتلد له الولد فيكون قد انفصل من
الله جزء في مريم بعد ان نكحها وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم
ولدته مريم كما تلد المراة الولد الذي منها ومن زوجها وقد
قالت الجن المومنون وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبه ولا ولدا
فنزهوه عن هذا وهذا وهولا الجن المومنون اكمل عقلا ودينا
من هولا النصارى وقال تعالى بديع السموات والارض انى
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شي وهو بكل شي عليم
فقوله انى يكون له ولد تقديره من اين يكون له ولد فانى في اللغه
بمعنى من اين ذلك وهذا استفهام انكار وحن اكابر عقلا الملوك
من كان نصرانيا انهم كانوا اذا انتهوا الى قولهم المسيح بن مريم بن الله
لم يفهم من ذلك الا ان المسيح ابنه كما يحبل الرجل المراة وتلد له الولد

فقال بعض الشعرا [illegible]

~~فيكون قد انفصل من الله جزو في مريم لعد ان نكحها فذلك الجزو~~
~~الذي من الله ومن مريم ولدته مريم كما تلد المراه الولد الذي منها~~
ومن زوجها فبين سبحانه انه يمتنع ان يكون له ولد ولم يكن له
صاحبه مع انه خالق كل شي وان هذا الولد يمتنع ان يكون
وان هذا الامتناع في صريح المعقول ثم اذا كانت الكلمه التي هي
الخالق المخلوق به قد حلت في جوف مريم والتحمت من مريم وخلقت
منها انسانا هو المسيح خلقته لنفسها واحتجبت به واتحدت به
فهل كان خلقها لهذا الانسان قبل الاتحاد والاحتجاب ام حين
ذلك فانه بعد ذلك ظاهر الامتناع بحال لانها بعد الاحتجاب
به والاتحاد خلقته بل لا بد ان يكون خلقته قبله او معه فان
كان معه لزم كون المخلوق متحدًا بالخالق دايما لم يمر عليه لحظه
الا هو متحد به فاذا امكن ان يقارن المخلوق خالقه
وعندهم انه اقام تسعه اشهر حملا كعامه الناس وقد ذكر ذلك
سعيد بن بطريق هذا فاذا كان كذلك كان الرب متحدًا بالمضغه
والجماد الذي لا روح فيه واذا جاز عليه هذا جاز ان يتحد بساير
الجمادات وهذا على قول الاكثرين الذين يقولون ان الروح انما
نفخت فيه بعد اربعه اشهر وهذا اشبه قول جمهور النصارى
الذين يقولون ان المسيح مات وصلب وفارقته مستقر الروح
الناطقه المنفوخه فيه والاله المتحد به لم يفارقه فانهم يقولون
انه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه بل هو الان متحد به
وهو في السما قاعد عن يمين ابيه وذلك القاعد هو الاله الخالق القديم
والاب هو الاله الخالق القديم الازلي وهما مع ذلك اله واحد والمقصود
هنا انهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسد لا روح فيه قبل النفخ



وبعد الموت الى ان قام من قبره فعاد الروح اليه وحينيذ لم
يظهر من تلك الصفه شي من العجايب وهم يستدلون على الهيه
المسيح بالعجايب مع انه كان الاله متحدًا به قبل ان يظهر
العجايب وحينيذ لا يلزم من عدم ظهور العجايب من شي الجزم
بان الرب لم يتحد به مع امكان الاتحاد ويلزم ان كل جامد وحي
ظهرت منه العجايب ان يكون ذلك دليلا على ان الرب اتحد به
وحينيذ فعباد العجل اعذر من النصارى وان كان من عباد الاصنام
من يقول ان الصنم خلق السموات والارض فهو اعذر من النصارى
لان ظهور العجايب من الحيوان الاعجم والجماد اعظم من ظهورها
من الانسان الناطق لا سيما الانبيا والرسل فان الانبيا والرسل
معروفون بظهور العجايب على ايديهم فاذا ظهرت على يد من يقول
انى نبي مرسل كانت دليلا على نبوته لا على الالهيه والمسيح كان
يقول انى نبي مرسل كما ذكر ذلك في الانجيل في غير موضع فاما
الحيوان الاعجم والجماد فلا يجوز ان يكون نبيا فان جاز الاتحاد
بالمضغه وبالجسم المقبور الذي لا روح فيه فاتحاده بالعجل وبالصنم
اولى وحينيذ فخوار العجل عجيب منه فاستدلال عباد العجل
بذلك على انه اله خير من استدلال النصارى على الهيه المضغه
المضغه ان قدر ظهور شي من العجايب التي قد يستدلون بها وان
كانت تلك لا تدل الا على نبوته صلى الله عليه وسلم تسليما
الوجه التاسع قوله فاحتجبت الكلمه الخالقه بانسان
مخلوق خلقته لنفسها وقوله وكانت مسكنًا في حلوله واحتجابه
للطفها عن جميع ما الطف من الخلايق كلهم يقال له اولا من اين لك
ان روح الانسان الطف من جميع المخلوقات وانها الطف من الملايكه

والروح الذي قال الله فيه يوم يقوم الروح والملايكه صفا
لا يتكلمون وانها الطف من الروح التي نفخ في ادم منه بقوله ونفخت
فيه من روحي وبتقدير ان يكون الطف فانت لا تقول ان
الاحتجاب والاتحاد كان بروح الانسان مجردة بل بالجسد
الناسوتي الدموي الغليظ وتقول ان الخالق التحم من مريم العذرا
فجعل الخالق قد التحم مريم من رحمها الذي هو لحم ودم وهذه
اجساد كثيفه بل جمهورهم يقول انه اتحد بجسد لا روح فيه
قبل النفخ وبعد الموت وقبل ان يقوم من قبره وحينيذ فقولك
وكانت مسكنا لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما
لطف من الخلايق كلهم وصف ممنوع والتعليل به باطل
بانه لو كان مسكنا للطفه لم يجز ان يسكن الا في الروح اللطيفه
فلما اثبت اتحادا بالجسد الكثيف بطل قولك انه اتحد بالانسان
للطفه الوجه العاشر قولك واعلم انه لا يرى شي من
لطيف الخلق الا في غليظ الخلق ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف
الا مع ما هو اغلظ منه يقال لهم اما ان يكون الله لما اتحد
بالمسيح عندكم قد راه الناس وعاينوه او لم يره احد فان قلتم
قد راه الناس وعاينوه فهذا للحس والشرع والعقل اما الحس
فان احدا ممن راى المسيح لم ير شيا يتميز به المسيح من غيره
من البشر غير العجايب التي ظهر على غيره منها ما هو اعظم
مما ظهر عليه ولم يرا الا بدن المسيح الظاهر لم ير باطنه لا قلبه
ولا كبده ولا طحاله فضلا عن ان يرى روحه فضلا عن ان يرى
روحه فضلا عن يرى الملايكه الذين يوحون اليه فضلا عن ان انه
يرى الله ان قدر انه كان متحدا به اتحادا لا يبه فدعوى المدعي



ان من راى المسيح فقد راى الله عيانا ببصره في غاية المباهته
والمكابرة والكذب لو قدر ان الله حال فيه او متحد به
فانه من المعلوم ان الملايكه نزلت على المسيح وغيره وتتصل بارواحهم
والناس لا يرون الملايكه بل الجن تدخل في بني ادم والناس
لا يرونهم وانما يرون جسد المصروع وكل انسان معه قرينه
من الملايكه وقرينه من الجن وهو نفسه لا يرى ذلك ولا يراه
من حوله وتحضره الملايكه وقت الموت ولا يراهم من حوله مع انه
هو يراهم قال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ
تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا
ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاذا كانت
هذه المخلوقات التي اتفق اهل الملل على اقترانها بالانسان
واتصالها بهم وان رويتها ممكنه لا يراها الناس فكيف يقال
ان المسيح الذي لم ير الناس منه الا ما راوه من امثاله من الرسل
كابرهيم وموسى ولم يكن له قط شي يتميز به عن جنس
الرسل كيف يقال ان الذين راوه راوا الله عيانا بابصارهم
واما الشرع فموسى والمسيح وغيرهما من الانبيا اخبروا ان
احدا لا يرى الله في الدنيا واما العقل فان روية بعض ملايكه
الله او بعض الجن يظهر لرايها من الدلايل والاحوال ما يطول
وصفه وكيف بمن راى الله فالذين راوا المسيح لم يكن حالهم
الا كحال سائر من راى الرسل منهم الكافر به المكذب
له ومنهم المومن به المصدق له بل هم يذكرون من اهانه
ناسوته ما لا يعرف عن نظرايه من الرسل مثل ضربه والبزاق
في وجهه ووضع الشوك على راسه وصلبه وغير ذلك وايضا

فمعلوم ان من راى الله اما ان يعرف انه الله او لا يعرف فان عرف
انه را الله كان الذين راوا المسيح قد علموا انه الله ولو علموا ذلك
لم يحصل ذلك لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب وان كانوا
لم يعرفوه فهذا في غايه الامتناع حيث صار رب العالمين لا يميز
بينه وبين غيره من مخلوقاته بل يكون كواحد منهم ولا يميز بينه
وبينهم ولا يعرف الراي ان هذا هو الله ولوازم هذا القول
الفاسد كثيرة جدا وان قالوا ان الله لم يرى لما اتحد بالمسيح وانما
رى جسد المسيح الذي احتجب به الله فقولهم بعد ذلك واعلم
انه لا يرى شي من لطيف الخلق الا في غليظ الخلق ولا يرى ما هو
لطيف من اللطيف الا مع ما هو اغلظ منه كلام لا فايده فيه
اذ كان هذا مثلا ضربوه لله ليبينوا انه رى فاذا سلموا انه لم
يرى لم يكن في هذا المثل فايده بل كان استدلالا على شي يعلمون
انه باطل وايضا فما ذكروه من ان اللطيف لا يرى الا في الغليظ
باطل فان اللطيف كروح الانسان لا يرى في الدنيا وان علم وجودها
واحس الانسان بروحه روح الانسان العاقله الكلمانيه
يعنون النفس الناطقه الطف من لطيف الخلق فلذلك كانت
اول خلق الله يحجاب الله وكانت له حجابا وكانت النفس الدمويه
لها حجابا والجسد الغليظ حجابا فعلى هذا خالطت كلمات الله
الخالقه لنفس الانسان الكامله بجسدها ودمها وروحها
العاقله الكلمانيه وصارت كلمه الله بقوامها قواما للتثليث
الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمه الله اياها
لانها لم تخلق ولم تك شيا الا بقول من كلمه الله الذي خلقها
وقومها لا من شي سبق قبل ذلك في بطن مريم ولا من سبب كان لها

وصفاتها وبينها بالعصر غير هذا يسمى ذلك
الوجه الذي عظمت قولهم وكانا وجنسيام



من غير ذلك غير قوام الكلمه الخالقه الذي هو احد الثليث
الالاهي فيقال لهم هذا الكلام يقتضي ان الخالق احتجب
بالنفس الناطقه والنفس الناطقه احتجبت بالبدن وانتم
مصرحون بان نفس الكلمه التي هي الخالق وهي الله عندكم
التي خلقت لنفسها انسانا احتجبت به وقلتم هو انسان تام
بجسده ونفسه الدمويه وروحه الكلمانيه اي نفسه
الناطقه التي هي صورة الله في الانسان وشبهه وكانت
مسكنا لله وصرحتم بان البدن مع الروح مسكنا لله في حلوله
واحتجابه وانه هو الذي خلق ذلك البدن والروح وقلتم ان هذه
الكلمه الخالقه المحتجبه التي قلتم انها الله اتحدت من مريم العذرا
فاذا كان الله الخالق قد اتحد من مريم العذرا فمعلوم ان ذلك
قبل خلق نفخ النفس الناطقه التي سميتموها الروح الكلمانيه
في المسيح واذا كان الخالق تعالى قد اتحد بجسد لا روح فيه
والتحامه به ابلغ من حلوله فيه ثم اتخذ الجسد حجابا قبل
نفخ الروح الكلمانيه فيه وكيف يقال انما حل في الروح لا في
البدن وهو قد التحم بالبدن واتخذ منه جزا مسكنا له
وحجابا قبل ان ينفخ فيه الروح الكلمانيه وقلتم ايضا فعلى
هذا خالطت كلمه الله الخالقه لنفس الانسان الكامله بجسدها
ودمها وروحها العاقله الكلمانيه وهذا تصريح بان الخالق
خالط الانسان بجسده ودمه وروحه وكيف تقولون انما
احتجب بالروح اللطيفه مع تصريحكم بان الخالق اختلط
بالجسد والدم وهذا ايضا يناقض قول من قال انه اتحد
به اتحادا بريا من الاختلاط فقد صرحتم هنا انه اختلط به

في حلوله احتجابه

وسياتي نظاير هذا في كلامهم يصرحون فيه باختلاط اللاهوت
بالناسوت الوجه الثاني عشر قولكم غير قوام
الكلمه الخالقه الذي هو احد الثليث الالهي فذلك القوام معدود
معروف مع الناس لما ضم اليه وخلقه له اتحد به من جوهر
الانسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام الكلمه
الخالقه واحد في التثليث بجوهر لاهوته و احد من الناس
بجوهر ناسوته وليس باثنين ولكن واحد مع الاب والروح
وهو اياه واحد مع الناس جميعا بجوهرين مختلفين من جوهر
اللاهوت الخالق وجوهر الناسوت المخلوق بتوحيد القوام
الواحد قوام الكلمه التي هي الابن المولود من الله من قبل
كل الدهور وهو اياه المولود من مريم العذرا في اخر الزمان
من غير مفارقته من الاب ولا من روح القدس فيقال في هذا
الكلام بل في ما تقدم ذكره ما يطول تعداده ووصفه
من التناقض والفساد والكلام الباطل والكلام الذي
تكلم به قايله وهو لا يتصور ما يقول مع سو التعبير عنه
كقوله وهو اياه فيضع الضمير المنفصل موضع المتصل ويعطف
احدهما على الاخر بلا واو عطف الى امثال ذلك ما يطول
ذكر معانيه وذلك ان قولهم في نفسه باطل لا حقيقه له وهم
لم يتصوروا معنا معقولا ثم عبروا عنه حتى يقال قصروا في
التعبير بل هم في ضلال وجهل لا يتصورون ولا يعرفون ما
يقولون بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه في المسيح بل مهما
قالوه من بدعهم كان باطلا وكانوا هم معترفين بانهم لا يفقهون
ما يقولون لهذا يقولون هذا فوق العقل ويقولون قد اتحد



فما لا يدرك
به بشر لا يدرك ~~وما يقولون فوق العقل~~ وما هو فوق العقل ليس لاحد
ان يعتقده ولا يقوله برايه لكن اذا اخبرت الرسل الصادقون
بما يعجز عقل الانسان عنه صدقهم وان نقل عنهم ناقل
ما يعلم بصريح العقل بطلانه علم انه يكذب عليهم اما في
اللفظ والمعنى واما في احدهما واما اذا كان هو يقول
القول الذي يذكر انه علم صحته او انه يفسر به كلام الانبيا
وهو لا يتصور ما يقوله ولا يفقهه فهذا قايل على الله وعلى رسله
ما لا يعلم وهذا قد ارتكب اعظم المحرمات قال تعالى
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال عن الشيطان انما يامركم
بالسوء والفحشا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال تعالى
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثه انتهوا خيرا لكم
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملايكه المقربون ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا
واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا واتفق اهل الملل على ان القول على الله بغير علم
حرام والله سبحانه نهاهم ان يقولوا على الله الا الحق وكان

هذا نهيا ان يقولوا الباطل سوا علموا انه باطل او لم يعلموا
فانهم ان لم يعلموا انه باطل فلم يعلموا انه حق ايضا اذ الباطل
يمتنع ان يعلم انه حق وان اعتقد معتقد اعتقادا فاسدا
انه حق فذلك ليس بعلم فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون وان
علموا انه باطل فهو اجدر ان لا يقولوه وعامة النصارى ضلال
لا يعلمون ان ما يقولوه حق بل يقولون على الله ما لا يعلمون في المقصود
ان الباطل في كلامهم كثير كقولهم فهو يوحد ذلك القوام
الواحد قوام لكلمة الله الخالقة والمسيح عندهم اسم للاهوت
والناسوت جميعا اسم للخالق والمخلوق واحدهما متحد بالاخر
فهو يتوحد ذلك القوام قوام لكلمة الله الخالقة وسوا اريد
بذلك ان الناسوت واللاهوت قوام للاهوت والناسوت قوام للاهوت
وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد فيكون كما لو
قيل ان الجسد والروح او الجسد قواما للروح او النار او الحديد
او الحديد قوام للنار فيقال الخالق الازلي الذي لم يزل ولا يزال
هل يكون المحدث المخلوق قواما له فيكون المخلوق المصنوع المحدث
المفتقر الى الله من كل وجه قواما للخالق الغني عنه من كل
وجه وهل هذا الا من اظهر الدور الممتنع فانه من المعلوم بصريح
العقل واتفاق العقلا ان المخلوق لا قوام له الا بالخالق فان كان
الخالق قوامه بالمخلوق لزم ان يكون كل من الخالق والمخلوق
قوامه بالاخر فيكون كل منهما محتاجا الى الاخر اذ كان قوام
الشي به فان الشي محتاج اليه وهذا مع كونه يقتضي ان الخالق
يحتاج الى مخلوقه وهو من الكفر الواضح فانه يظهر امتناعه
بصريح العقل وهذا لازم للنصارى سوا قالوه بالاتحاد او بالحلول



بلا اتحاد وان كانت فرقهم الثلث يقولون بنوع من الاتحاد فانه مع
الاتحاد كل من المتحدين لا بد له من الاخر فهو محتاج اليه كما يمثلون
به في الروح مع البدن والنار مع الحديد فان الروح التي في البدن
محتاجة الى البدن والنار التي في الحديدة محتاجة الى الحديدة وكذلك
الحلول فان كل حال محتاج الى محله فان ذلك المخلوق ان قدر انه موجود
بنفسه قديم ازلي فليس هو مخلوقا ومع هذا فيمتنع ان يكون كل
من القديمين الازليين محتاجا الى الاخر سوا قدر انه فاعل له
او تمام الفاعل له او كان مفتقرا اليه بوجه من الوجوه لانه
اذا كان مفتقرا اليه بوجه من الوجوه لم يكن موجودا الا به
فان الموجود لا يكون موجودا الا بوجود لوازمه وما لا يتم وجوده
الا به فكلما قدر انه انه محتاج اليه لم يكن موجودا الا به
فاذا كان كل من القديمين محتاجا الى الاخر لزم ان لا يكون
هذا موجودا الا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الاخر وان لا يكون
هذا موجودا الا بخلق ذلك ما به يتم حاجة الاخر والخالق لا
يكون خالقا حتى يكون موجودا ولا يكون موجودا الا بلوازم
وجوده فيلزم ان لا يكون هذا موجودا حتى يجعله الاخر موجودا
ولا يكون ذاك موجودا حتى يجعله الاخر موجودا اذ كان
جعله لما يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه فلا يكون موجودا
الا به فلا فرق بين ان يحتاج احدهما الى الاخر في وجوده او فيما
لا يتم وجوده الا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلا
واما الدور المعي وهو انه لا يوجد هذا الا مع هذا ولا هذا الا
مع هذا كالابوة مع البنوة وكصفات الرب بعضها مع بعض
وصفاته مع ذاته فانه لا يكون عالما الا مع كونه قادرا ولا يكون

بلغ

عالما قادرا الا مع كونه حيا ولا يكون حيا الا مع كونه عالما
قادرا ولا تكون صفاته موجودة الا بذاته ولا ذاته موجودة
الا بصفاته فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران الى الخالق
الذي يحدثهما جميعا كالابوة والبنوة وجائز في الرب الملازم
لصفاته تعالى واما اذا قدر قديمان ازليان ربان فاعلان امتنع
ان يكون احدهما محتاجا الى الاخر اذ كان وجوده لا يتم الا بما
يحتاج وجوده اليه ولا يكون فاعلا لشيء ان لم يتم وجوده فيمتنع
مع نقص كل منهما عن تمام وجوده ان يكون فاعلا لغيره العيره
تمام وجود ذلك الغير فلهذا لم يقل بهذا احد من الامم ولكن الذي
قاله النصارى انهم جعلوا قوام الخالق تعالى بالمخلوق فيقال
لهم هذا ايضا ممتنع في صريح العقل اعظم من امتناع قيام كل
من الخالقين بالاخر وان كان هذا ايضا ممتنعا فان المخلوق
مفتقر في جميع اموره الى الخالق فيمتنع مع فقره في وجوده
وتمام وجوده الى الخالق ان يكون قوام الخالق به لان ذلك
يقتضي ان يكون مقيما له وان يكون تمام وجوده به فيكون
المخلوق لا وجود لشيء منه الا بالخالق فالقدر الذي يقال انه يقيم
به الخالق هو من الخالق والخالق خالقه وخالق كل مخلوق فلا
وجود له ولا قيام الا بالخالق فكيف يكون به قيام الخالق وليس
هذا كالجوهر واعراضه اللازمة او كالمادة والصورة عند
من يزعم ان الصورة جوهر اذ كانا متلازمين فان هذا من باب
الدور المعي كالبنوة مع الابوة وهذا جائز كما تقدم اذ كان ع
الخالق لهما جميعا هو الله واما كون كل منهما هو الخالق فهو ممتنع
ومع كون احدهما خالقا والاخر مخلوقا فهو اشد امتناعا والرب

تعالى غني عن كل ما سواه



تعالى غني عن كل ما سواه من كل وجه وكل ما سواه فقير اليه
من كل وجه وهذا من معنى اسمه الصمد فان الصمد الذي يصمد
اليه كل شيء لافتقاره اليه وهو غني عن كل شيء لا يصمد الى شيء
ولا يسأله شيئا سبحانه وتعالى فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات
وهذا الاتحاد الخاص من النصارى يشبه من بعض الوجوه قول
اهل الوحدة والاتحاد العام الذين يقولون كما يقوله ابن عربي
صاحب الفصوص والفتوحات المكية ان اعيان المخلوقات
ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها فهي مفتقرة اليه
من حيث الوجود المشترك العام وهو وجوده وهو مفتقر
اليها من حيث الاعيان الثابتة في العدم وهو ما يختص به
كل عين عين فيجعل كل واحد من الخالق والمخلوق مفتقر
الى الاخر ويقولون الوجود واحد ثم يثبتون تعدد الاعيان
ويقولون هي مظاهر ومجالي فان كان المظهر والمجلي غير الظاهر
لهذا فقد ثبت التعدد وان كان هو اياه فلا تعدد فيضطرون الى
التناقض كما يضطر اليه النصارى يثبتون الوحدة مع الكثرة
ويقررون فيعبدني واعبده ويحمدني واحمده وهؤلاء بنوا
قولهم على اصلين فاسدين احدهما ان اعيان الممكنات ثابتة
في العدم كقول من يقول من اهل الكلام ان المعدوم شيء ثابت
في العدم وهذا القول فاسد عند جماهير العقلاء وانما حقيقته
ان الامر المعدوم يراد ايجاده ويتصور ويخبر به ويكتب قبل
وجوده فله وجود في العلم والقول والخط واما في الخارج فلا
وجود له والوجود هو الثبوت فلا ثبوت له في الوجود العيني
الخارجي وانما ثبوته في العلم اي يعلمه العالم قبل وجوده والاصل

والاصل الثاني انهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق
القديم الازلي الواجب بنفسه هو نفس وجود المربوب المصنوع
الممكن كما قال ابن عربي ومن عرف ما قررناه في الاعداد
وان نفيها عين اثباتها علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه
فالامر الخالق هو المخلوق والامر المخلوق هو الخالق كل ذلك
من عين واحدة لا بل هو العين الواحد وهو العيون الكثيره
الى ان قال فما ذبح سوى نفسه وما نكح سوى نفسه وقال ومن
اسمايه الحسنى العلي على من يكون عليا وما هو الا هو وعن ما
ذا يكون عليا وما ثم الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود
عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو
وقد نقل عن ابي سعيد الخراز انه قيل له بما ذا عرفت ربك
قال بجمعه بين الاضداد وفسرا قوله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شي عليم اراد بذلك انه يجتمع في حقه سبحانه
ما يتضاد في حق غيره فان المخلوق لا يكون اولا اخرا ظاهرا باطنا
وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت
الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي فجا
هذا الملحد وفسر قول ابي سعيد بان المخلوق هو الخالق فقال
قال ابو سعيد وهو وجه من وجوه الحق ولسان من السنته
ينطق عن نفسه بان الله لا يعرف الا بجمعه بين الاضداد في الحكم
عليه بها فهو الاول والاخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر
وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن
عنه سواه فهو ظاهر لنفسه باطن عن نفسه وهو المسمى ابو سعيد
الخراز



الخراز وغير ذلك من اسما المحدثات ولهذا قال بعض النصارى
لمن يقول مثل هذا وتحكيه عن شيوخه ويقول انه مسلم انتم كفرتمونا
لاجل ان قلنا ان الله هو المسيح وشيوخكم يقولون ان الله هو ابو
سعيد الخراز والمسيح خير من ابي سعيد وهولا يجيبون النصارى
بجواب يتبين به انهم اعظم الحادا من النصارى فيقولون للنصارى
انتم خصصتموه بالمسيح ونحن نقول هو وجود كل شي لا يخص المسيح
ولهذا قال بعضهم لاحذق هولا التلمساني الملقب بالعفيف انت
نصيري فقال نصير جزو مني فان النصيريه اتباع ابي شعيب محمد بن
نصير يقولون ان علي بن ابي طالب نظير ما تقوله النصارى في المسيح
كذلك ساير الغلاة في علي او في احد من اهل بيته او في الاسماعيليه
بني عبيد المنتسبين الى محمد بن اسمعيل بن جعفر كالحاكم وغيره
او في الحلاج او بعض احد من الشيوخ الذين يقولون في واحد يعتقدونهم ؟
من هولا باتحاد اللاهوت به او حلوله فيه نظير ما تقوله النصارى
في المسيح وهولا يقولون بان الحلول او الاتحاد محدث وان القديم
حل او اتحد بالمحدث بعد ان لم يكونا متحدين واما اوليك
فيقولون بالوحدة المطلقه ومحققوهم يقولون انه وجود كل شي
لا يقولون باتحاد وجودين ولا بحلول احدهما بالاخر بل قد يقولون
ان الوجود والثبوت وجود الحق وثبوت الاشيا اتحدا وكل
منهما مفتقر الى الاخر فالحق اذا ظهر كان عبدا والعبد
اذا بطن كان ربا ويقولون اذا حصل لك التجلي الذاتي وهو
هذا لم تضرك عبادة الاوثان ولا غيرها بل يصرحون بانه عين الاوثان
والانداد وان احدا لم يعبد غيره كما يقول ابن عربي مصوبا لقوم
نوح الكفار ومكروا مكرا كبارا لان الدعوه الى الله مكر بالمدعو قال

فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الى الله فهذا عين
المكر فاجابوه مكرا كما دعاهم مكرا فقالوا في مكرهم لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فانهم
اذا تركوها ولا جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هاولا فان للحق
في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله كما قال
في المحمديين وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي حكم وما حكم الله
بشي الا وقع فالعارف يعرف من عبد وفي اي صورة ظهر حتى عبد
وان التفريق والكثرة كالاعضا في الصورة المحسوسة وكا
وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية فما عبد غير الله في كل
معبود وصوب هذا الملحد فرعون في قوله انا ربكم الاعلى قال
ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وانه الخليفة
بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال انا ربكم
الاعلى اي وان كان الكل اربابا فانا الاعلى منهم بما اعطيته
في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون
فيما قاله لم ينكروه واقروا له بذلك وقالوا له انما تقضي هذه
الحياة الدنيا فاقض ما انت قاض فالدولة لك فصح قول فرعون
انا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق وصوب ايضا عباد
العجل في عبادتهم وزعم ان موسى رضي بذلك فقال ولما
كان موسى اعلم بالامر من هرون لعلمه بان الله قد قضى ان لا
يعبد الا اياه وما حكم بشي الا وقع وكان عتبه على هرون
لانكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شي
بل من يراه عين كل شي ومن هولا طايفة لا يقولون بثبوت
الاعيان في العدم بل يقولون ما ثم وجود الا وجود الحق لكن

يفرقون



يفرقون بين المطلق والمعين فيقولون هو الوجود المطلق الساري
في الموجودات المعينة كالحيوانية الثابتة في كل حيوان والانسانية
الثابتة في كل انسان وهذا الذي يسمى الكلي الطبيعي ويسمون
هذا الوجود الاحاطة فيقولون هو الوجود المطلق اما بشرط
الاطلاق عن كل قيد وهذا يسمى الكلي العقلي وهذا عند عامة
العقلا لا يوجد الا في الذهن لا في الخارج ولكن يحكى عن شيعة افلاطن
انهم اثبتوا هذه الكليات المجردة عن الاعيان في الخارج وقالوا
انها قديمة ازلية انسانية مطلقة وحيوانية مطلقة ويسمونها
المثل الافلاطونية والمثل المعلقة وقد رد ذلك عليهم اخوانهم
ارسطو وشيعته وجماهير العقلا وبينوا ان هذه انما هي متصورة
في الاذهان لا موجودة في الاعيان كما يتصور الذهن عددا مطلقا
ومقادير مطلقة كالنقطة والخط والسطح والجسم التعليمي
ونحو ذلك مما يتصور في الذهن وليس من ذلك شي في الموجودات
الثابتة في الخارج وهذا المطلق بشرط الاطلاق يظن هاولا ثبوته
في الخارج وقد يسمونه الاحاطة وهو الوجود المجرد عن جميع
القيود ثم بعده الوجود المطلق لا بشرط والوجود المطلق العام
ينقسم الى واجب وممكن الى قديم وحادث ونحو ذلك كانقسام
الحيوان الى ناطق واعجم وهذا المطلق لا بشرط يوجد في الخارج
وان الاسم المفرد يصدق عليه فيقال هو حيوان لكن الاسم العام شامل لانواعه
واشخاصه لكن لا يوجد في الخارج الا مقيدا معينا ومن قال انه
يوجد في الخارج كليا فقد غلط فان الكلي لا يكون كليا قط
الا في الاذهان لا في الاعيان وليس في الخارج الا شي معين اذا
تصور منع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ولكن العقل ياخذ

القدر المشترك الكلي من المعينات فيكون كليا مشتركا في
الاذهان وهولا يجعلون الوجود الواجب هذا وتارة يجعلونه بعد
هذا فيقولون ههنا فوق الواجب وهذا الوجود الكلي اذا قيل
انه لا يوجد في الخارج الا معينا فلا يوجد في الخارج سوى الموجودات
المعينة المشخصة بما فيها من الصفات القايمة بها وان قدر وجوده
في الخارج فهو اما جزء من المعينات واما صفة لها فعلى الاول
لا يكون في الخارج موجود هو رب الموجودات المعينة وعلى
الثاني يكون رب الموجودات جزءها او صفة لها ومعلوم بصريح
العقل ان صفة الشي القايمة به لا تخلق الموصوف وان جزء الشي
لا يخلق الشي بل جزء الشي بعض من الشي فاذا كان هو الخالق
للجملة كان خالقا لنفسه وكان بعض الشي خالقا لكله ومن
هولا من يقول ان الرب في العالم كالزبد في اللبن والدهن في السمسم
ونحو ذلك فيجعلونه جزءا من العالم ونفس تصور هذا يكفي في
العلم بفساده لكن هولا يقولون لمن يتبعهم ان لم تترك العقل
والنقل لم يحصل لك التحقيق والتجلي الذي حصل لنا ويقولون
ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل فقلت لبعضهم
ان الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه اكمل الناس كشفا وهم يخبرون
بما يعجز عقول الناس عن معرفته لا بما تعرف عقولهم انه باطل
فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول فمن دونهم اذا اخبر
عن شهود وكشف يعلم بصريح العقل بطلانه علم ان كشفه باطل
واما ان كان لم يعلم بطلانه فهذا قد يمكن فيه اصابته وقد يمكن
خطاه اذ غير الانبيا لم يكن معصوما وهولا سمعوا باسم الله وقصدوا
عبادته ومعرفته فوقفوا على اثره في مصنوعاته فظنوا انه هو كمن

سمع بالشمس



سمع بالشمس فلما راى الشعاع المنبسط في الهوا والارض ظن ان ذلك
هو الشمس ولم يصعد ببصره وبصيرته الى الشمس التي في السما
وكذلك هولا لم تصعد بصاير قلوبهم الى رب العالمين الذي فوق
كل شي المباين لمخلوقاته وسر ذلك انهم يشهدون بقلوبهم وجودا
مطلقا بسيطا ليس له اسم خاص كالحي والعليم والقدير ولا له
صفة ولا يتميز فيه شي عن شي فهذا هو الوجود المشترك لكن هذا
المشهود هو في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج وكثير ممن يخاطبهم
لا يتصور ما يشهدونه فيظنون انه لم يفهم ما شهدوه وقد خاطبت
غير واحد منهم وبينت له ان هذا الذي تشهدونه هو في الذهن وبتقدير
ان يكون موجودا في الخارج فهو صفة للموجودات او جزء منها ويظنون
مع ظنهم انه موجود في الخارج انه لم يبق في الخارج غير ما شهدوه فانهم
يغيبون عن الحس الذي يدرك المعينات ويغيبون بعقلهم عن تصورها
حتى لا يميزوا بين موجود وموجود ويقولون الحس فيه تفرقة
ثم يشهدون هذا الوجود المطلق مع عزلهم الحس فيظنون ان هذا
المطلق هو نفس المعينات وانه ما بقي موجود اصلا فيقال لهم لو قدر
ان الوجود الكلي ثابت في الخارج كليا وانكم تشهدون ذلك
فمعلوم عند كل عاقل ان الوجود الكلي المشترك لا يناقض وجود
المعين المختص فالحيوانية والانسانية المشتركة المطلقة لا يناقض
اعيان الحيوان واعيان الانسان وحينيذ فثبوت اعيان الموجودات
حاصل في الخارج وهب انكم غبتم عن هذا لم تشهدوه فالغيبة
عن شهود الشي لا يوجب عدمه في نفسه فاذا لم يشهد العبد
الشي او لم يره او لم يعلمه او لم يخطر عليه او فني عن شهوده
او اصطلم او غاب لم يلزم من ذلك ان يكون الشي في نفسه صار

صار معدوماً فانياً لا حقيقة له بل الفرق ثابت بين ان يعدم الشي
في نفسه ويفنى ويتلاشى وبين ان يعدم شهود الانسان له وذكره
ومعرفته وهولا من جهلهم يظنون انه اذا فني شهودهم للوجود
كانت فانية في نفسها فلم يبق موجود الا ما تخيلوه من الوجود
المطلق ويقولون التفرقة والكثرة في الحس فاذا فني شهود
القلب عن الحس لم يبق تفرقة ولا كثرة ويظنون ان شهود الحس
حينئذ خطا والعقل هو الذي يشهد الكليات والمطلقات
دون الحس فاذا ابطلوا ما شهد الحس لم يبق معهم الا الوجود الكلي
ثم يظنون مع ذلك انه هو الله فيبقى الرب عندهم وهما وخيالا
في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهم وهو
الششتري صاحب ابن سبعين وهمك هو تشخص ما تحته
شي وذاك ترى الوجود واحدا وانت ذاك وليس عليك زايد
ما ثم سواك وقلت لبعض حذاقهم هب ان هذا الوجود المطلق
ثابت في الخارج وانه عين الموجودات المشهودة من اين لك
ان هذا هو رب العالمين الذي خلق السموات والارض وكل شي
فاعترف بذلك وقال هذا ما فيه حيلة والحس الباطن او الظاهر
ان لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره والا دخل
فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النايم والممرور والمبرسم
وغيرهم ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه والبهايم قد تكون
اهدى من هولا كما قال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
وهولا يصرحون برفض السمع والعقل فدخلوا في قوله ام تحسب

ان اكثرهم



ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا ويلزمون انفسهم الغيبة عن العقل والحس الظاهر والشرع
ولهذا يقول احذقهم التلمساني فقل لحسك غب وجدا
ودن طربا فيها وقل لزوال العقل لا تزل واصمت الى ان
تراها فيك ناطقة فان وجدت لسانا قايلا فقل وهولا
بسط الكلام عليهم موضع اخر والمقصود هنا ان النصارى
زعموا ان اللاهوت محتاج الى ما اتحد به من الناسوت وهولا
زعموا ان رب العالمين محتاج الى كل ما سواه من الاعيان الثابتة
في العدم فان كل من قال ان رب العالمين اتحد بغيره فكل من المتحدين
مفتقر الى الاخر مع استحالة كل منهما وتغير حقيقته وكذلك
الحلول المعقول فان الحلول لا يعقل الا اذا كان الحال قايما
بالمحل والقايم بالمحل محتاج اليه سوا اريد بذلك حلول الصفات
والاعراض في الموصوفات والجواهر او اريد به حلول الاعيان
بان يكون احد الجسمين محلا للاخر كحلول الما في الظرف هو
يوجب افتقاره اليه وما يحل في قلوب المومنين من معرفة الرب
والايمان به هو قايم بقلوبهم محتاج اليه وكذلك ما تثبته الفلاسفة
من الهيولى والصورة ويقولون ان الهيولى محل الصورة يعترفون
مع ذلك بان الصورة محتاجة الى الهيولى والقايلون بوحدة الوجود
قد يجعلون الخالق مع المخلوقات كالصورة مع الهيولى ويقولون
هو في الما ما وفي النار نار وفي كل شي بصورة ذلك الشي وقد
بسط الكلام عليهم في مواضع غير هذا واذا قالوا ان الرب
حل في المسيح كما حل في غيره وهو الحلول الموجود في كلام داود
عندهم حيث قالوا انت تحل في قلوب القديسين فقد عرف ان هذا

حلول الايمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي
كما قد بسط في موضع اخر ولهذا هذا يسمى ظهورًا والشعاع
الحال على الارض والهوا عرض قايم بذلك وهو مفتقر الى الارض
والهوا والرسل صلوات الله عليهم اخبروا بان الله فوق العالم
بعبارات متنوعة تارة يقولون هو العلي وهو العلي الاعلا
وتارة يقولون هو في السما كقوله أامنتم من في السما ان يخسف
بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم
حاصبًا وليس مرادهم بذلك ان الله في جوف السما وان او ان
الله يحصره شي من المخلوقات بل كلام الرسل كله يصدق بعضه
بعضًا كما قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقد قال
تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انت الاول فليس قبلك شي
وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي
وانت الباطن فليس دونك شي فاخبر انه لا يكون شي فوقه السما
ولهذا قال غير واحد من ايمة السلف انه ينزل الى سما
الدنيا ولا يخلوا العرش منه فلا يصير تحت المخلوقات وفي
جوفها قط بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق
فلا يكون الرب الا عاليًا عليه وقول الرسل في السما اي في العلو
ليس مرادهم انه في جوف الافلاك بل السما العلو وهو اذا كان
فوق العرش فهو العلي الاعلا وليس هناك مخلوق يكون الرب
محصورًا في شي من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة بل
ليس موجودًا الا الخالق والمخلوق والخالق بائن عن مخلوقاته



عال عليها فليس هو في مخلوق اصلا سوا سمي ذلك المخلوق جهة
او لم يسم جهة ومن قال انه في جهة موجودة تعلوا عليه
او تحيط به او يحتاج اليها بوجه من الوجوه فهو مخطي كما
ان من قال ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ومحمد
لم يعرج به الى ربه ولا تصعد الملايكة اليه ولا تنزل الكتب
منه ولا يقرب منه شي ولا يدنوا الى شي فهو ايضا مخطي ومن
سمى ما فوق العالم جهة وجعل العدم المحض جهة وقال
هو في جهة بهذا المعنى اي هو نفسه فوق كل شي فهذا معنى صحيح
ومن نفى هذا المعنى بقوله ليس في جهة فقد اخطا بل طريق
الاعتصام ان ما اثبته الرسل لله اثبت له وما نفته عن الله نفي
عنه والالفاظ التي لم ينطق الرسل فيها بنفي ولا اثبات
كلفظ الجهة والحيز ونحو ذلك لا يطلق نفيا ولا اثباتا الا
بعد بيان المراد فمن اراد بما اثبته معنى صحيحًا فقد اصاب
في المعنى وان كان في اللفظ خطا ومن اراد بما نفاه معنى صحيح
فقد اصاب في المعنى وان كان في لفظه خطا واما من اثبت
بلفظه حقا وباطلا او نفا بلفظه حقًا وباطلا فكلاهما مصيب
فيما عناه من الحق مخطي فيما عناه من الباطل قد لبس الحق بالباطل
وجمع في كلامه حقا وباطلا والانبيا كلهم متطابقون
على انه في العلو وفي القران والسنة ما يقارب الف دليل
على ذلك وفي كلام الانبيا المتقدمين ما لا يحصى

## فصل

قال سعيد بن البطريق وذلك مثلما ان شعاع الشمس المولود من
عين الشمس الذي يملا ضوه ما بين السما والارض نورًا وفي بيت

من البيوت تكون فيه ضيا بنوره من غير مفارقته لعين الشمس
التي تولد منها لانه لم ينقطع من العين ولا من الضو فكذلك
سكن الله في الناسوت من غير ان يفارقه للاب فهو مع الناسوت
وهو مع الاب وروح القدس فيقال ـــــــ هذا التمثيل
لو قدر انه صحيح فانما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول انه
بذاته في كل مكان كشعاع الشمس الذي يظهر في الهوا والارض
واما النصارى فانهم يخصونه بناسوت المسيح دون ساير
النواسيت ولو قال بهذا من يقول انه بذاته في كل مكان
لكان باطلا فكيف النصارى فان الضو انما يكون في الهوا
وسطوح الارض لا يكون تحت السقوف والغيران وباطن
الارض ثم هذا تمثيل باطل من وجوه احدها ان الشعاع ليس
متولدًا من جرم الشمس ولا شعاع النار متولد من جرم النار
بل هو حادث باين عن جرم الشمس ولكنها سبب في حصوله
ولهذا يشبه به العلم الحاصل في قلب المتعلم بسبب تعلم
العلم من غير ان يكون من ذات علم العالم ولهذا يشبه علم
العالم بالسراج الذي يقتبس كل احد من نوره وهو لم ينقص
بخلاف تولد المولود عن والده فانه متولد من عينه والشعاع
القايم بالهوا والارض ليس هو قايما بذات الشمس والنار بل هو
عرض قايم بمحل اخر والعرض الواحد لا يكون في محلين والنصارى
يقولون ان الكلمه التي هي علم الله او حكمته متولده عنه وهي
قديمه ازليه والصفه قايمة بالموصوف فالصفة مثلما يقوم بذات
الشمس من استدارة وضو فذاك صفه لها وهو غير الشعاع القايم
بالهوا فان كان ذاك باينا عنها فكيف تجعل هذا هو هذا وان قالوا نحن



مقصودنا ان حكمه الله وعلمه ونوره انزله الى المسيح وافاضه
على المسيح كما يفيض الشعاع عن الشمس قيل لهم فهذا قدر مشترك
بين المسيح وساير الانبيا فلا اختصاص للمسيح بذلك الوجه
الثاني قولهم الذي يملا ضوه ما بين السما والارض نورًا وفي بيت
من البيوت يكون فيه ضيا من غير مفارقه لعين الشمس التي تولد
منها حيا فيقال لهم الشعاع الذي بين السما والارض هو
الضو وهو النور فقولكم ان الشعاع يملا ضوه ما بين السما
والارض نورا يقتضي شعاع وضو شعاع ونور صدر عن ذلك
وهذا غلط بل ليس هنا الا جرم الشمس التي في السما وشعاعها
وهو الضو والنور الذي ما بين السما والارض ـــــ الثالث
قولكم من غير مفارقه عن الشمس يقتضي ان هذا الشعاع
هو نفس ما قام بالشمس وهذا مكابرة للحس والعقل
بل الشعاع الذي قام بالهوا والارض عرض لم يقم بالشمس
قط وكل شعاع ببقعة فليس هو عين الشعاع الذي في البقعه
الاخرى وان كان هو نظيره ومثله وجنس الشعاع يجمعهما
كما ان شعاع هذا السراج ليس هو شعاع هذا السراج وان
قدر اختلاطهما حتى يرى الضو ولا حركه هذا الهوا هي
حركه هذا الهوا ونظاير ذلك متعدده ـــــ الرابع
قولكم كذلك الله سكن بالناسوت من غير ان يفارقه للاب
تمثيل باطل فان الشمس نفسها لم تسكن في الهوا والارض
وانما سكن شعاعها فوزانه ان يقول فكذلك سكن نور
الله وبرهانه وهداه وروحه وهذا اذا قلته فهو منقول
عن الانبيا سطق كتبهم بان نور الله وروحه وهداه في قلوب

المومنين لكن لا اختصاص للمسيح بذلك قال الله تعالى الله نور
السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري قال ابي بن
ابن مثل نوره في قلب المومن وفي الترمذي عن ابي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المومن فانه ينظر
بنور الله ثم قرا قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين
الخامس انكم اذا جعلتم الله نفسه ساكنا في المسيح
فوزانه ان تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الارض
وهذا التمثيل يبطل قولكم والله اجل واكبر واعظم من كل
شي والشمس ايه من اياته ومخلوق من مخلوقاته ومع هذا
فلو قال قايل ان الشمس سكنت في جوف امراة وخرجت
من فرج تلك المراة لكان كل عاقل يعلم فساد قوله وينسبه
الى الجهل العظيم او الجنون وسوا قال ان الشمس نفسها
نزلت او لم تنزل وانتم تقولون ان رب العالمين سكن
في بطن مريم ويقول اكثركم كالملكيه واليعقوبيه
انه خرج من فرج مريم ولو قال قايل عما هو من اصغر
مخلوقات الله كوكب من الكواكب او جبل من الجبال
او صخره عظيمه ان ذلك كان في بطن امراة وخرج من
فرجها لضحك الناس من قوله وكيف بمن يدعي مثل ذلك
في رب العالمين واذا قالوا ان الله نزل الى السما الدنيا
او نزل الى الطور وكلم موسى من العليقه او في عمود الغمام
ونحو ذلك فليس في شي من ذلك انه اتحد بمخلوق لا سما
ولا طور ولا شجره ولا كان كلامه قايما بشي مخلوق لا شجره



ولا غيرها وعندهم انه اتحد بالمسيح وكان صوت المسيح القايم فصل
به هو صوت رب العالمين بلا واسطه قال سعيد
ابن بطريق ومثلما ان كلمة الانسان المولوده من عقله تكتب
في قرطاس فهي في القرطاس كلها حقا من غير ان تفارق العقل
الذي منه ولدت ولا يفارقها العقل الذي ولدها لان العقل
بالكلمه يعرف لانها فيه والكلمه كلها من العقل الذي
ولدها وكلها في نفسها وكلها في القرطاس الذي اتحدت به
كذلك كلمه الله كلها في الاب الذي ولدت منه وكلها
من نفسها وكلها في الروح وكلها في الناسوت التي حلت
فيها واتحدت فيقال هذا التمثيل حجه عليكم وعلى فساد
قولكم لا حجه لكم وذلك يظهر بوجوه احدها ان يقال ان كان
حلول كلمه الله التي هي المسيح في الناسوت مثل كتابه الكلام
في القرطاس فحينيذ يكون المسيح من جنس ساير كلام
الله كالتوراه وزبور داود والانجيل والقران وعند ذلك فان
هذا كله كلام الله وهو مكتوب في القراطيس باتفاق اهل
الملل بل الخلق كلهم متفقون على ان كلام كل متكلم يكتب في القراطيس
وقال تعالى في القران بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وقال
تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون
وقال يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمه وقال انه تذكره
فمن شا ذكره في صحف مكرمه مرفوعه مطهره بايدي سفره
كرام برره وقال تعالى والطور وكتاب مسطور
في رق منشور واذا كان الكلمه الذي هو المسيح عندكم
هكذا فمعلوم ان كلام الله المكتوب في القراطيس ليس هو

الها خالقا وهو كلام كثير لا ينحصر في كلمه ولا كلمتين ولو
قال قايل يا كلام الله اغفر لي وارحمني او يا توراه او يا انجيل
او يا قران اغفر لي وارحمني كان قد تكلم بباطل عند جميع اهل
الملل والعقلا وانتم تقولون المسيح اله خالق وهو يدعا ويعبد
فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس الثاني
ان الكلام المكتوب صفه للمتكلم تقوم به وتكتب في القرطاس
عند سلف اهل الملل وجماهيرهم وعند بعضهم هو عرض مخلوق
يخلقه في غيره فالجميع متفقون على ان الكلام صفه تقوم بغيرها
ليس صفه جوهرا قايما بنفسه والمسيح عندكم لاهوته جوهر قايم
بنفسه وهو اله حق من اله حق وهو اله تام وانسان تام فكيف
تجعلون الاله الذي هو عين قايمه بنفسها كالصفه التي لا تقوم
الا بغيرها الثالث قولكم ان كلمه الانسان مولوده من
عقله لو كان صحيحا فالتولد لا يكون الا حادثا وانتم تقولون
ان كلمه الله القديمه الازليه متولده منه قبل الدهور وتقولون
مع هذا هي هذا وهذا كما ان بطلانه معلوم بصريح العقل
فهي بدعه وضلال في الشرع فانه لم يسم احد من الانبيا شيا
من صفات الله ابنا له ولا قال ان صفته متولده منه ولفظ الابن
لا يوجد عندكم عن الانبيا الا اسما للناسوت مخلوق لا لصفه الله
القديمه فقد بدلتم كلام الانبيا بهذا الافترا الرابع
قولكم مولوده من عقله ان اردتم بعقله العين القايمه بنفسها
التي تسميها قلبا وروحا ونفسا او نفسا ناطقه فتلك انما تقوم
بها المعاني واما الالفاظ فانما تقوم بفمه ولسانه وان اردتم
بعقله مصدر عقل يعقل عقلا فالمصدر عرض قايم بالعاقل وهو من



جنس العلم والكلمه والعمل الصالح وان اردتم بالعقل الغريزه
التي في الانسان فهو ايضا عرض الخامس ان تسميتكم
تكلم الانسان بالمعنى او اللفظ تولدا امرا اخترعتموه لا يعرف
عن نبي من الانبيا ولا امه من الامم ولا في لغه من اللغات وانما
ابتدعتم هذا لتقولوا اذا كان كلام الانسان متولدا منه
وكلام الله متولد منه ولم ينطق احد من الانبيا بان كلام الله
تولد منه ولا انه ابنه الخامس قولكم ان كلمه الانسان المولوده — وقوله ان كلمه تولد منه وانه ابنه السادس
من عقله تكتب في القرطاس فهي في القرطاس كلها حقا من غير
ان تفارق العقل الذي منه ولدت الى قولكم الكلمه كلها
في العقل الذي ولدها وكلها في نفسها وكلها في القرطاس الذي
التحمت به مكابره ظاهره معلومه الفساد بصريح العقل فان
وجود الكلام في القلب واللسان ليس هو عين وجوده مكتوبا
في القرطاس بل القايم بقلب المتكلم معان طلب وخبر وعلم
واراده والقايم بنفسه حروف مولفه هي اصوات مقطعه
او هي حدود اصوات مقطعه وليس في قلب الانسان ولا فمه
مداد كالمداد الذي في القرطاس والكلام مكتوب في القرطاس
باتفاق العقلا مع علمهم بانه ليس في القرطاس علم وطلب
وخبر قايم به كما يقوم بقلب المتكلم ولا قام به اصوات
مقطعه مولفه حروفا كالاصوات القايمه بفم المتكلم بل
لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب اما المداد المصور واما
صوره المداد وشكله ويقال على الحرف المنطوق اما الصوت
المقطع واما حد الصوت ومقطعه وصورته وكل عاقل يميز
بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم وبين المداد المري

بالبصر ولا يقول عاقل ان هنا هو هذا ولا يقال ان هنا وهنا
هو نفس المعنى القايم بقلب المتكلم وكيف تقولون ان الكلمة
في القرطاس كلها وكلها في العقل الذي ولدها وكلها في نفسها
السابع ان حرف في التي يسميها النحاه ظرفًا يستعمل في كل
موضع بالمعنى المناسب لذلك الموضع فاذا قيل ان الطعم واللون
والريح حال في الفاكهه او العلم والقدره والكلام في المتكلم
فهذا معنى معقول واذا قيل ان هذا حال في داره او ان الما
حال في الظرف فهذا معنى اخر فان ذاك حلول صفه في موصوفها
وهذا حلول عين قايمه تسمى جسما وجوهرًا في محلها ومنه يقال
لمكان القوم المحله ويقال فلان حل بالمكان الفلاني واذا
قيل الشمس والقمر في الما او في المراة او وجه فلان في المراة
او كلام فلان في هذا القرطاس فهذا له معنى يفهمه الناس يعلمون
انه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه في المراة ورويت فيها
وانه لم يحل بها ذات ذلك وانما حل فيها مثال شعاعي عند من
يقول بذلك وكذلك الكلام اذا كتب في القرطاس فالناس
يعلمون انه مكتوب فيه ومقرو فيه ومنظور فيه ويقولون
نظرت في كلام فلان وقراته وتدبرته وفهمته ورايته ونحو
ذلك كما يقولون رايت وجهه في المراة وتاملته ونحو ذلك
وهم في ذلك كله صادقون يعلمون ما يقولون ويعلمون ان نفس
جرم الشمس والقمر والوجه لم يحل في المراة وان نفس ما قام به
من المعاني والاصوات لم يقم بالقرطاس بل كانت المراة واسطه
في رويه الوجه فهو المقصود بالرويه وكان القرطاس واسطه
في معرفه الكلام فهو المقصود بالرويه ويعلمون ان حاسه



البصر باشرت ما في المراة من الشعاع المنعكس ولكن المقصود
بالرويه الشمس وحاسه البصر باشرت ما في القرطاس من المداد
المكتوب ولكن المقصود بالرويه الكلام المكتوب ويعلمون
ان نفس المثال الذي في المراة ليس هو الوجه وان نفس المداد
المكتوب به ليس هو الكلام المكتوب بل يفرقون بينهما كما
قال تعالى قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددًا ففرق سبحانه
بين الكلمات وبين المداد الذي يكتب به الكلمات فكيف
يقال ان هذا هو هذا وان الكلمه في القرطاس كلها وهي في
المتكلم كلها الثامن ان الكلام له معنى في المتكلم يعبر
عنه بلفظه واللفظ يكتب في القرطاس فالمكتوب في القرطاس
هو اللفظ المطابق للمعنى لا يكتب المعنى بدون كتابه اللفظ
ولهذا من لم يعرف اللفظ الذي كتب بالخط لم يعرف ما كتب
فدعوى هولا ان نفس المعنى الذي في القلب كله هو في القرطاس
كله جعل لنفس المعنى هو الخط وهذا باطل التاسع
انه لا ريب ان كلام المتكلم يقال انه قايم به ويقال مع ذلك
انه مكتوب في القرطاس ويقال هذا هو كلام فلان بعينه
وهذا هو ذاك ونحو ذلك من العبارات التي تبين ان هذا
المكتوب في القرطاس هو الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه
لم يزد فيه ولم ينقص لم يكتب كلام غيره لا يريدون بذلك
ان نفس الخط نفس الصوت او نفس المعنى فان هذا لا يقوله
عاقل فان قيل ففي المسلمين من يقول ان كلام الله القديم
الازلي او كلام الله الذي ليس بمخلوق هو حال في الصدور والمصاحف

من غير مفارقة ومن هاولا من يقول انه يسمع من الانسان الصوت
القديم او الصوت الذي ليس بمخلوق ومنهم من يقول ان الحرف
القديم او الذي ليس بمخلوق هو في القرطاس وحكي عن بعضهم
انه يقول ذلك في المداد ومن هاولا من يقول القديم حل في
المصحف ونحو ذلك فيقول النصارى نحن مثل هولا فيقال
الجواب من وجوه احدها ان المقصود بيان الحق الذي بعث الله
به رسله وانزل به كتبه والرد على من خالف ذلك من النصارى
وغيرهم ونحن لا ننكر ان في المنتسبين الى الاسلام طوايف منهم
منافقون ملحدون زنادقة ومنهم جهال ومبتدعة ومنهم
من يقول مثل قول النصارى ومنهم من يقول شر منه فالرد
على هاولا كلهم والعصمة ثابتة لكتاب الله وسنة رسوله
وما اجتمع عليه عباده المومنون فهذا لا يكون الا حقا
وما تنازع فيه المسلمون ففيه حق وباطل الوجه الثاني
ان يقال هاولا الذين قالوا في القران ما قالوه ليس قولهم مثل
قول النصارى فان النصارى جعلوا لله ولدا قديما ازليا سموه
كلمة وقالوا انه اله يخلق ويرزق وانه اتحد بالمسيح فجعلوا
المسيح الذي هو الكلمة عندهم الها يخلق ويرزق وليس في
طوايف المسلمين المعروفة من يقول ان كلام الله اله يخلق ويرزق
ولكن محمد وغيره من الرسل بلغوا الى الخلق كلام الله الذي تكلم
به وكان الصحابة والتابعون لهم باحسان على ان التوراة والقران
والانجيل وغير ذلك من كلام الله هو كلام الله الذي تكلم
به وان الله انزله وارسل به ملايكته ليس هو مخلوقا باينا عنه
خلقه في غيره ويقولون ان هذا القران هو كلام الله الذي بلغه رسوله

والمسلمون يقرونه



والمسلمون يقراونه ويسمع من القاري كلام الله لكن يقراونه بافعالهم
واصواتهم ويسمعونه من القاري الذي يقراه بصوت نفسه فالكلام
كلام الباري والصوت صوت القاري ويقولون ان الله تكلم به
وبما كلم به موسى وان موسى سمع ندا الله باذنه فكلمه الله بالصوت
الذي سمعه موسى كما بين ذلك في كتب الله القران والتوراة وغير
ذلك فحدث بعد الصحابة واكابر التابعين طايفة معطلة يقولون
ان الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ ابرهيم خليلا فقتل المسلمون
مقدمهم الجعد وصار لهم مقدم يقال له الجهم نسبت اليه الجهمية
نفاة الاسما والصفات تارة يقولون ان الله لم يتكلم ولم يكلم موسى
وانما اطلق ذلك مجازا وتارة يقولون تكلم ويتكلم حقيقة ولكن
معنى ذلك انه خلق كلاما في غيره سمعه موسى لا انه بنفسه قام به
كلام وهذا قول من يقوله من المعتزلة ونحوهم وزين هذا القول
لبعض ذوي الامارة ودعوا اليه مدة واظهروه وعاقبوا من خالفهم
ثم اطفا الله ذلك واظهر ما كان عليه سلف الامة ان القران والتوراة
والانجيل كلام الله تكلم هو به منه بدا ليس باينا منه وليس مخلوق
خلقه في غيره ولما اظهر الله هذا والتاليون قول الله تعالى وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله صار بعض اهل
الاهوا انما يسمع صوت القاري وصوته مخلوق وهو كلام الله فكلام
الله مخلوق ولم يميز هذا بين ان يسمع الكلام من المتكلم به كما
سمعه موسى من الله بلا واسطة وبين ان يسمع من المبلغ عنه
ومعلوم انه لو سمع كلام الانبيا وغيرهم من المبلغين لم يكن صوت
المبلغ هو صوت المبلغ عنه وان كان الكلام كلام المبلغ عنه
لا كلام المبلغ وكلام الله اذا سمع من المبلغين عنه اولى ان يكون هو

كلام الله لا كلام المبلغين وان بلغوه باصواتهم فجات طايفه ثانيه
فقالوا هذا المسموع الفاظنا واصواتنا وكلامنا ليس هو كلام الله لان
هذا مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق وكان مقصودها ولا تحقيق ان
كلام الله غير مخلوق فوقعوا في انكار ان يكون هذا القران كلام الله
ولم يهتدوا الى انه وان كان كلام الله فهو كلام الله مبلغا عنه
ليس هو كلامه مسموعا منه ولا يلزم اذا كانت افعال العباد واصواتهم
مخلوقه ليست هي كلام الله ان يكون الكلام الذي يقرونه بافعالهم
واصواتهم كلامهم ويكون مخلوقا ليس هو كلام الله وهولا الذين قالوا
ليس هذا كلام الله منهم من قال هو حكاية لكلام المبلغ عنه
لا كلامه واهل الحكايه منهم من يقول ان كلام الرب يتضمن حروفا
مولفه اما قايما بذاته على قول بعضهم او مخلوقه في غيره على قول بعضهم
والقايم بذاته معنى واحد ومن هولا من قال الحكايه تماثل المحكي
عنه فلا نقول هو حكايه بل هو عبارة عنه والتقدير عندهم فاجره
حتى يسمع عبارته وحكايته فجات طايفه ثالثه فقالت بل نقول
ان هذا المسموع كلام الله وكلام الله ليس بمخلوق وهذا المسموع هو
الصوت فالصوت غير مخلوق ثم من هولا من قال انه قديم ومنهم من قال
ليس بقديم ومنهم من قال يسمع صوت الرب والعبد ومنهم من قال
انما يسمع صوت الرب ثم منهم من قال انه قديم ومنهم من قال
انما يسمعه من العبد وهولا منهم من قال ان صوت الرب حل في
العبد فضاهوا النصارى ومنهم من قال بل هو ظهر فيه من غير
حلول ومنهم من قال لا نطلق لا هذا ولا هذا وكل هذه الاقوال
محدثه مبتدعه لم يقل شيا منها احد من الصحابه ولا التابعين
لهم باحسان ولا امام من ائمة المسلمين كمالك والثوري والاوزاعي

لكلام الله وطرد ذلك في كل من بلغ كلام غيره ان يكون مبلغا لا منشيا

والليث بن سعد



والليث بن سعد وابي حنيفه وابي يوسف ومحمد والشافعي واحمد
ابن حنبل واسحق بن راهويه وابي عبيد وغيرهم بل هولا كلهم متفقون
على ان القران كلام الله منزل غير مخلوق وان الله ارسل به جبريل فنزل
به جبريل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه محمد الى الناس فقراه
الناس بحركاتهم واصواتهم وليس شي من افعال العباد واصواتهم
قديما ولا غير مخلوق ولكن كلام الله غير مخلوق ولم يكن السلف يقولون
القران قديم ولكن لما احدث الجهميه وموافقوهم من المعتزله
وغيرهم انه مخلوق باين من الله قال السلف والايمه انه كلام الله غير
مخلوق ولم يقل احد من السلف ان الله تكلم بغير قدرته ومشيئته
ولا انه معنى واحد قايم بالذات ولا انه تكلم بالقران او التوراه
او الانجيل به في الازل بحرف وصوت قديم فحدث بعد ذلك طايفه
فقالوا انه قديم ثم منهم من قال القديم هو معنى واحد بالذات هو معنى
جميع كلام الله وذلك المعنى ان عبر عنه بالعبريه كان توراه وان عبر
عنه بالسريانيه كان انجيلا وان عبر عنه بالعربيه كان قرانا
والامر والنهي والخبر صفات له لا انواع له ومن هولا من قال بل هو قديم
وهو حروف او حروف واصوات ازليه قديمه وانها هي التوراه والانجيل
والقران فقال الناس لهولا خالفتم الشرع والعقل في قولكم انه
قديم وابتدعتم بدعه لم يسبقكم اليها احد من الصحابه والتابعين
وايمه المسلمين وفررتم من محذور الى محذور كالمستجير بالرمضا بالنار ثم
قولكم انه معنى واحد هو مدلول جميع العبارات مكابرة للعقل
والشرع فانا نعلم بالاضطرار انه ليس معنى ايه الكرسي هو معنى
ايه الدين ولا معنى تبت يدا ابي لهب هو معنى سورة الاخلاص والتوراه
اذا عربناها لم تصر هي القران العربي الذي جا به محمد وكذلك

اذا ترجمنا القران بالعبريه لم يكن هو توراه موسى وقول من قال
منكم انه حروف اوحروف واصوات ازليه ظاهر الفساد فان الحروف
متعاقبه فيسبق بعضها بعضا والمسبوق بغيره لايكون قديما
لم يزل والصوت المعين لايبقى زمانين فكيف يكون قديما ازليا
والسلف والايمه لم يقل احد منهم بقولكم لكن قالوا ان الله تكلم
بالقران وغيره من الكتب المنزله وان الله نادي موسى بصوت
سمعه موسى باذنه كما دلت على ذلك النصوص ولم يقل احد منهم
ان ذلك الندا الذي سمعه موسى قديم ازلي لكن قالوا ان الله لم
يزل متكلما اذا شا وكيف شا لان الكلام منه كمال لا
صفه نقص وانما يكون منه كمال اذا قام به لا اذا كان
مخلوقا باينا عنه فان الموصوف لا يتصف الا بما قام به لا يتصف
بما هو باين عنه فلا يكون الموصوف حيا عالما قادرا متكلما رحيما
مريدا يحبوه قامت بغيره ولا بعلم وقدره قامت بغيره ولا بكلام
ورحمه واراده قامت بغيره والكلام بمشيه المتكلم وقدرته
اكمل ممن لا يكون بمشيته وقدرته واما كلام يقوم بذات
المتكلم بلا مشيته وقدرته فاما انه ممتنع او هو صفه نقص
كما يدعى مثل ذلك في المصروع واذا كان كما لا فدوام الكمال
له وانه لم يزل موصوفا بصفات الكمال اكمل من كونه صار
متكلما بعد ان لم يكن لو قدر ان هذا ممكن فكيف اذا كان
ممتنعا وكان ايمه السنه والجماعه كلما ابتدع في الدين بدعه
انكروها ولم يقروها ولهذا حفظ الله دين الاسلام فلا يزال في
امة محمد طايفه هاديه مهديه ظاهره منصوره بخلاف اهل الكتاب
فان النصارى ابتدعوا بدعا خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم





ممن هو متمسكا بشرع المسيح حتى لم يبق حين بعث الله محمدا
من هو متمسك بدين المسيح الا بقايا من اهل الكتاب كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان الله نظر الى اهل الارض
فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فلما اظهر قوم
من الولاه ان القران مخلوق ودعوا الناس الى ذلك ثبت الله ايمه
السنه وجمهور الامه فلم يوافقوهم وكان المشار اليه من الايمه
اذ ذاك احمد بن حنبل ثم بقي ذلك القول المحدث ظاهرا نحو
اربعه عشر سنه وايمه الامه وجمهورها منكره حتى جا
من الولاه من منع من اظهاره والقول به فصار مخفيا كغيره من
البدع وشاع عند العامه والخاصه ان القران كلام الله غير مخلوق
فاراد بعض الناس ان يجيب عن شبهه من قال ان هذا الذي يقوم
بنا مخلوق فقال القران كلام الله غير مخلوق ولكن الفاظنا
به مخلوقه وتلاوتنا له مخلوقه وربما قالوا هذا الذي نقراه مخلوق
وهذا ليس هو كلام الله فقصدوا معنى صحيحا وهو كون صفات
العباد وافعالهم مخلوقه لكن غلطوا حيث اطلقوا القول اوافهموا
الناس بان هذا القران الذي يقراه المسلمون مخلوق ولم يهتدوا
انا اذا اشرنا الى كلام متكلم قد بلغ عنه فقلنا مثلا لما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرى ما نوى هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
او لقول الشاعر ٭ الا كل شي ما خلا الله باطل ٭
هذا شعر لبيد بن ربيعه ونحو ذلك فانا نشير الى نفس الكلام
معانيه ونظمه وحروفه لا الى ما يختص بالمبلغ من حركته وصوته
بل ولا صوت المبلغ عنه وفعله فان كون الحي متحركا او مصوتا

قدر مشترك بين الناطق والاعجم وليس هذا صفة الكمال والكلام
الذي يتميز به الناطق عن الاعجم وانما يتميز بالمعاني القايمة به
وباللفظ المطابق لها من الحروف المنظومة بالاصوات المقطعة
وهذا امر يختص به المتكلم بالكلام لا المبلغ عنه فليس للمبلغ
الا تاديه ذلك ولهذا لو قال قايل لشعر لبيد الا كل شي
ما خلا الله باطل فقال هذا شعري او كلامي لكونه انشده
بصوته لكذبه الناس ولو قال هذا الذي انشده مثل شعر لبيد
لكذبه الناس وقالوا بل هو شعر نفسه ولكن اديته بصوتك
بخلاف ما اذا قال قولا نظما او نثرا وقال اخر مثله فان الناس
يقولون هذا مثل قول فلان كما قال تعالى كذلك قال الذين
من قبلهم مثل قولهم وقال عن القران قل لين اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولهذا لو قال
قاري انا اتي بمثل هذا قران محمد وتلاه نفسه وقال هذا مثله بقراته
لانكر الناس ذلك وضحكوا منه وقالوا هذا القران الذي جا به ليس
هو كلام اخر مماثل له فاذا كان القران الذي يقراه المسلمون هو
كلام الله الذي بلغه الرسول لم يجز ان يقال ليس هو بكلام الله
بل هو مثل له او حكاية عنه او عبارة واذا كان معلوما انما هو
كلام الله فقد تكلم الله به سبحانه لم يخلقه باينا عنه ولم يجز
ان يقال لما هو كلامه انه مخلوق فاذا قيل عن ما يقراه المسلمون
انه مخلوق والمخلوق باين عن الله ليس هو كلامه فقد جعل مخلوقا
ليس هو بكلام الله فصار الامة يقولون هذا كلام الله وهذا
غير مخلوق لا يشيرون بذلك الى شي من صفات المخلوق بل الى كلام الله
الذي تكلم به وبلغه عنه رسوله والمبلغ انما بلغه بصفات نفسه

والاشارة



والاشارة في مثل هذا يراد بها الكلام المبلغ لا يراد بها ما به وقع
التبليغ وقد يراد بهذا الثاني مع التقييد كما في مثل الاسم اذا قيل
عبدت الله ودعوت الله فليس المراد ان المعبود المدعو هو الاسم
الذي هو اللفظ بل المعبود المدعو هو المسمى باللفظ فصار بعضهم
يقول الاسم هو غير المسمى حتى قيل لبعضهم اقول دعوت الله فقال
لا تقل هكذا ولكن قل دعوت المسمى بالله وظن هذا الغالط
انك اذا قلت ذلك فالمراد دعوت هذا اللفظ ومثل هذا يرد عليه
في اللفظ الثاني فما من شي عبر عنه باسم الا والمراد بالاسم هو المسمى
فان الاسما لم تذكر الا لبيان المسميات لا ان الاسم نفسه هو ذات
صواب وان قال
المسمى فمن قال ان اللفظ او المعنى القايم بالقلب هو عين المسمى فغلطه
واضح ومن قال ان ما الاسم في مثل قولك دعوت الله وعبدته هو
نفس اللفظ فغلطه واضح ولكن اشتبه على الطايفتين ما يراد بالاسم
ونفس اللفظ كذلك اولئك اشتبه عليهم نفس كلام المتكلم
المبلغ عنه الذي هو المقصود بلفظ المبلغ وكتابته بنفس صوت
المبلغ ومداده والفرق بين هذا وهذا واضح عند عامة العقلا
واذا كتب كاتب اسم الله في ورقة او نطق باسم الله في خطابه
وقال قايل انا كافر بهذا ومومن بهذا كان مفهوم كلامه انه
مومن او كافر بالمسمى المراد باللفظ والخط لا انه يكفر
يومن به
بصوت او مداد وكذلك من قال لما يسمعه من القرا ولما يكتب
في المصاحف ان هذا كلام الله او قال لما يسمع من جميع المبلغين
لكلام غيرهم ولما يوجد في الكتب هذا كلام زيد فليس مرادهم
ذلك الصوت والمداد وانما هو المعنى واللفظ الذي بلغه زيد
بصوته وكتب في القرطاس بالمداد فاذا قيل عن ذلك انه مخلوق

فقد قيل انه ليس بكلام الله ولم يتكلم به ومن قصد نفس الصوت
او المداد وقال انه مخلوق فقد اصاب كما ان من قصد نفس
الصوت او الخط وقال ليس هذا هو الله بل هو مخلوق فقد اصاب
لكن ينبغي ان يبين مراده بلفظ لا لبس فيه فلهذا كان الايمه
كاحمد بن حنبل وغيره ينكرون على من اطلق القول بان اللفظ
بالقران مخلوق او غير مخلوق ويقولون من قال انه مخلوق فهو
جهمي ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع ومن قال انه مخلوق فقد
يقولون انه ليس هو كلام الله وهذا خلاف المتواتر عن الرسول
وخلاف ما يعلم في مثل ذلك بصريح المعقول فان الناس يعلمون بفطرهم
ان من بلغ كلام غيره فالكلام كلام المبلغ عنه الذي قاله مبتديا
امرا بامره مخبرا بخبره لا كلام من قاله مبلغا عنه موديا
ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الموسم الا رجل يحملني
الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي
رواه ابو داود وغيره عن جابر ولما انزل الله الم غلبت الروم في
ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال بعض الكفار لابي بكر
الصديق هذا كلامك او كلام صاحبك قال ليس بكلامي ولا
كلام صاحبي ولكنه كلام الله فلهذا اشتد انكار احمد بن
حنبل وغيره من ايمه الاسلام وبالغ قوم في الانكار عليهم وقالوا
لفظنا بالقران غير مخلوق واطلقوا عبارات تتضمن وتشعر
ان يكون شي من صفات العباد غير مخلوقة فانكر ذلك احمد وغيره
كما انكر ذلك ابن المبارك واسحق بن راهويه والبخاري وغير
هاولا من ايمه السنه وبينوا ان الورق والمداد واصوات العباد
وافعالهم مخلوقه وان كلام الله الذي يحفظه العباد ويقرونه ويكتبونه

غير مخلوق



غير مخلوق وكلام ايمه السنه والجماعه في هذا الباب متفق غير
مختلف وكله صواب ولكن قد يسبق بعضهم في بعض الاوقات
ما لا يبينه غيره لحاجته في ذلك ممن ابتلي بمن يقول ليس هذا
كلام الله كالامام احمد كان كلامه في ذم من يقول هذا مخلوق
مخلوق ؟
اكثر من ذمه لمن يقول لفظي ومن ابتلي بمن يجعل بعض صفات
العباد غير مخلوقه كالبخاري صاحب الصحيح كان كلامه في ذم
من يجعل ذلك غير مخلوق اكثر مع نص احمد والبخاري وغيرهما
على خطا الطايفتين فصل قال سعيد بن البطريق
وليس حلول كلمه الله الخالقه والتحامها بجوهر الناسوت
عن انتقال ولا تغيير ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كيانه
فلا اللاهي احتال عن ان يكون الها خالقا ولا الناسي احتال
عن ان يكون ناسا مخلوقا والاحتيال والتغير انما يلزم الخلطه
اذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين مثل الماء والخمر والماء والعسل
والسمن والعسل والذهب والورق والنحاس والرصاص وما اشبه
ذلك لان كل ثقيل غليظ وكل شي يخالطه مثله لا محاله يلزمه
التغير حتى يصير الى ما كانت عليه الافعال فلا الخمر خمر ولا الماء
ماء بعد اختلاطهما ولكنهما احتالا جميعا عن جوهرهما فصارا
الى امر متغير ليس هو احدهما بعينه ولا احدهما خالص من الفساد
والاحتيال عن حاله فاما اذا كانت الخلطه من خلق لطيف
وخلق غليظ لم يخالط تلك الخلطه تغيير ولا احتيال مثل خلطه
النفس والجسد انسانا واحدا احدهما يلتحم بالاخر من غير ان تكون
النفس تغيرت واحتالت اي استحالت عن جوهرها اي تكون
نفسا يعرفها بفعالها ولا الجسد تغير ولا احتال عن حاله وافعاله

ومثل ما كان مخالطه النار والحديد فيلتحمان جميعا فيكونان جمره
واحده من غير ان يكون النار قد تغيرت الى ان تكون حديده ثقيله
مرسحه وتنقطع ولا الحديده تغيرت واحالت الا ان تكون نارا تحرق
وكذلك تفعل كل خلطه مولفه من شيين مختلفين احدهما روحانى
لطيف والاخر ثقيل غليظ مثل النفس والجسد والنار والحديد
ومثل الشمس المخالطه للما والطين وكل رطوبه وحماه فهى لا تتغير
ولا تحتال عن نورها ونقايها وضويها مع مخالطتها كل سواد ووسخ
ونتن ونجس قال والخلطه تكون على ثلثه اوجه احدها خلطه
باختلاط من الطبيعتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما
مثل خلطه الخمر والما والخل والعسل والذهب والورق والنحاس
فان فى ذلك كله وما اشبهه احتيالا وفسادا لان مزاج الخمر
والما ليس بخمر ولا ما لاحتيال كل واحد منهما عن طبعه واختلاطهما
وفسادهما وتغيرهما عن حالهما وكذلك خلطه الخل والعسل
قد صارت لا خلا ولا عسلا لاحتيال كل واحد منهما وخلطه
الذهب والورق على مثل ذلك صارت على غير صحه لا من الذهب
ولا من الورق وخلطه الورق والنحاس على غير صحه لا من الورق
ولا من النحاس فهذا وجه من الوجوه الثلاثه والوجه
الثانى خلطه افتراق من الطبيعتين الثقيلتين وقد يعرف
من تلك الخلطه كل واحد من الطبيعتين باينه فى الاخرى بقوامها
ووجهها مثل الزيت والما فى قنديل واحد ومثل الكتان
والقز فى ثوب واحد منسوج بكتان مضلع بقز ومثل صنم نحاس
راسه من ذهب وما اشبه ذلك مما لا ينبغى ان يسمى خلطه لمع افتراق
الطبيعتين والقوامين مثل ما لا ينبغى ان يكون بين الما والفتيله



التى هو فيها خلطه لان طبيعه الفتيله تخالف قوامها فليس بينها
وبين الما خلطه بل اشد الفرقه وكذلك الما والزيت لولا ان وعا
القنديل الذى هما فيه جمعهما ما اجتمعا وكذلك الكتان والقز
ليس بينهما خلطه وان كانا فى ثوب واحد ولا فى الذهب والنحاس
ولم يسبكا خلطه وان جمعهما صنم واحد فهاتان الخلطتان
لا يكونان ابدا لا فى انتقال جسمانيات غليظه فان التحم بعضها
ببعض مثل ما يرى من الذهب والنحاس ويفترقان جميعا وقعت
فى وجه خلطه الاحتيال والفساد لان تلك الصوره ليست بذهب
صحيح ولا بنحاس صحيح فان لم يلتحم والتزم بعضها بعضا مثل طوق يكون
من نحاس وذهب وقعت من وجه خلطه الافتراق التى لا يحق لها
ان تسمى خلطه وفى هذين الوجهين وقع نسطورس واشياعه
فلزموا خلطه الاحتيال والفساد فزعموا ان الطبيعه الالهيه
والطبيعه الناسيه اختلطا فى المسيح الواحد فهو هو قوام واحد
بطبيعه واحده مختلطه من طبيعتين مختلفتين الهيه وناسيه
فاثبتوا انهما قد احتالا والاحتيال فساد والزموا على هذا القول
الكافر طبيعه الله المصايب والموت وصيروا المسيح لا الها صحيحا
ولا انسانا مثل نقره الذهب والنحاس فنسطورس واشياعه
لزموا خلطه الفرقه والانقطاع فزعموا ان المسيح الواحد ذو طبيعتين
مختلفتين الهيه وناسيه وذو قوامين معروفين الاهى وناسى
فصيروا الفرقه خلطه كالطوق الملون بصنفين احدهما ذهب
والاخر نحاس والثوب المبطن ظاهره خز وباطنه قطن ليس
بينهما خلطه فى طبيعه ولا قوام وليس لهم على هذا ان يومنوا
بمسيح واحد لان الطوق الملون طوقان والثوب المبطن ثوبان

فالمسيح مثل ذلك مسيحان واحد الاهي بطبيعته وقوامه مثل
تضبيب الذهب في الطوق الملون ومثل طهارة الخز في الثوب
المبطن والاحزاناسي مثل فضه النحاس في الطوق وبطانه القطن
في الثوب والعجب كل العجب كيف لم يعقل اهل الخلاف والشقاق
من الصنفين كلاهما ولم يفهموا ان هاتين الخلطتين انهما خلطتا دوانا
اثقال جسمانيه غليظه ليس فيهما شي من الخلق الروحاني اللطيف
الخفيف ولذلك لا تصدر الافعال الغليظه على الخروج من هذين الوجهين
من وجوه الخلطه لانهما ان اختلطا خلطه ملتحمه ممتزجه
صارت الى احتيال وفساد وان اقامت على حالها لا تلتحم ولا يمتزج
بعضها ببعض فهي على وجه الاشتراك ومنقطعه بعضها من بعض
وان جمعها ضم واحد او ثوب واحد فليس يوجد لشي من الاثقال
الجسمانيه وجه خلطه سوى هذين الوجهين ابدا اما فساد
واما انقطاع الا ان يكون الخلطه في اثنين احدهما ثقيل
جسماني والاخر لطيف روحاني فان ذلك هو الوجه الثالث
من الخلطه وهي خلطه الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد
ولا فرقه ولا انقطاع لكنها تنفاد الطبيعه الطبيعه الروحانيه
في الطبيعه الثقيله السفليه حتى تنتشر في جميعها وتحل بكلها
فلا يبقى موضع من الطبيعه الثقيله السفليه خلو من الطبيعه
الروحانيه ولا احتيال من الثقيله الجسمانيه عن طبيعتها
الغليظه الثقيله ولا تغيير ولا فساد لاحدهما مثل خلطه النفس
والجسد ومثل خلطه النار والحديد في قوام جرم واحد فهي
جرم واحد بالقوام في طبيعه نار ملتحمه مخالطه لطبيعه الحديد
بلا فرقه من انقطاع ولا تخليط احتيال وفساد وقد انتشرت

النار في جميع الحديد



في جميع الحديد ولبستها واحالت النار الحديد من قوامها وقوتها
حتى انارت الحديد واحرقت ولم تنل النار من ضعف الحديد
شي من السواد ولا البروده فعلى هذا الوجه من الخلطه دبرت
كلمه الله الخالقه خلطتها للطبيعه البشريه فهو مسيح واحد
ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل الادهار كلها نور من نور
اله حق من اله حق مولود ليس بمخلوق من سر سوابيه وجوهره
وطبيعته وهو اياه من مريم العذرا المولود منها في اخر الزمان
بقوام واحد قوام ابن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كليهما
الالهيه الذي لم يزل في البد قبل كل بدو الناسوتيه التي كونت
في اخر الزمان المقوم بالقوام الازلي فهو مسيح واحد بقوام واحد
ازلي ذو طبيعتين الالهيه لم تزل وناسيه خلقها له والتحم بها
من مريم العذرا بقوامه ذلك قوام الطبيعه الالهيه والطبيعه
الناسيه جامعا لهما بلا اختلاط ولا فساد ولا فرقه انقطاع لم تزل
قوام الطبيعه الناسيه قد خلقها ولونها وقومها بقوامه الذي لم
يزل بقيم الابه ولم يصرف الاله والجواب عن هذا
الكلام بعد ان يقال انه تناقض لجعل هذا تاره اختلاطا وتاره
يقول ليس هذا اختلاطا ويقول انه لا يكون فيه تغيير واستحاله
وقد جعل هذا الحلول والالتحام اختلاطا ويقول انه لا يكون
فيه استحاله ولا تغيير وقال فاما اذا كانت من لطيف وكثيف
لم يخالط تلك الخلطه تغيير ولا احتيال اي استحاله ويقول
والخلطه تكون على ثلثه اوجه احدها كالخمر والما والثاني
كالزيت والما والكتان والقز ثم يقول وما اشبه ذلك
ما لا ينبغي ان يسمى خلطه مع افتراق الطبيعتين فجعله من اقسام

الخلطه ثم يقول ولا ينبغي ان يسمى خلطه وليس المقصود المنازعات
اللفظيه بل يقول دعواه ان احد نوعي الاختلاط يكون من تغيير
واستحاله تخالف النوع الاخر الذي هو اختلاط لطيف وغليظ
دعوى ممنوعه ولم يقم عليها دليلا بل يقول هي باطله بل لا
يكون الاختلاط بين شيئين الا مع تغيير واستحاله وما ذكره
من الامثال والشواهد فهي حجه عليه لمقوله فاما اذا كانت
الخلطه من خلق لطيف وخلق غليظ لم يخالط تلك الخلطه بغير
ولا احتيال مثل خلطه النفس والجسد انسانا واحدا احدهما
يلتحم بالاخر من غير ان يكون النفس تغيرت واحالت عن جوهرها
ان تكون نفسا تعرف بها افعالها ولا الجسد تغير واستحال
عن حاله وفعاله فيقال هذا قول باطل ظاهر البطلان
لكل من تصوره فان الجسد اذا خلا عن النفس مثل ما يكون
قبل نفخ الروح فيه وما يكون بعد مفارقه الروح له بالموت
بل ادم عليه السلم ابو البشر خلق من تراب وما وصار صلصالا
كالفخار نفخت فيه الروح فصار جسدا هو لحم وعظم وعصب
ودم فهل يقول عاقل ان هذا ادم قبل النفس وبعدها على صفه
واحده لم يتغير ولم يستحل وذريته من بعده يخلق احدهم
من نطفه علقه ثم مضغه فيكون جسدا ميتا ثم ينفخ فيه
الروح فيصير الجسد حيا بعد ان كان ميتا واي تغيير اعظم
من انتقال الجسد من الموت الى الحياه ومعلوم بالحس والعقل
الفرق بين الحي والميت كما قال تعالى وما يستوي الاحيا
ولا الاموات والجسد اذا لم ينفخ فيه الروح فهو موات ليس
له حس ولا حركه اراديه ولا سمع ولا بصر ولا ينطق ولا يعقل



ولا يبطش ولا ياكل ولا يشرب ولا يمشي ولا ينكح ولا يتفكر
ولا يحب ولا يبغض ولا يشتهي ولا يغضب فاذا انقلب به النفس
تغيرت احواله واستحالت صفاته وصار حيا شيئا متحركا
بالاراده فكيف يقال مثل خلطه النفس والجسد انسانا
واحدا احدهما يلتحم بالاخر من غير ان يكون النفس تغيرت
واستحالت عن جوهرها ان يكون نفسا يعرفها بفعالها عن حاله
وفعاله فهل يقول عاقل يتصور ما يقول ان الجسد كان حاله
وفعاله مع مفارقه النفس له كحاله وفعاله مع مخالطتها له وهل
يقول عاقل ان الجسد بعد موته ومفارقه النفس له كحاله وفعاله
اذا كانت النفس مختلطه به وهو اذا مات كالجماد لا يسمع ولا يبصر
ولا ينطق ولا يبطش ولا يمشي قد جمد دمه واسود ولم يبق سايلا
وتغيرت سحنته ولونه وتغير الجسد بالحياه بعد الموت
والموت بعد الحياه من اعظم التغيرات والاستحالات وكذلك
النفس فان النفس عند اتصالها بالبدن تلتذ بلذته وتالم بالمه
فاذا اكل البدن وشرب ونكح واشتم التذت النفس واذا ضرب
البدن وصفع واهين وحط السوك على راسه وبصق في
وجهه تالمت النفس بذلك فاذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح
باتحاد النفس بالبدن وهم يقولون ان المسيح وكل احد اذا ضرب
وصفع وصلب فتالم بدنه تالمت نفسه ايضا فان كان الاله مع
نفس المسيح وجسده كالنفس مع الجسد وجب ان يكون
الرب يتالم بتالم الناسوت ويجوع بجوعه ويشبع بشبعه فان
الم الجوع ولذه الشبع يحصل للنفس اذا جاع البدن وشبع
وايضا فالمسيح عندهم اله تام وانسان تام والاله الذي قبل الاتحاد

مالا يتغير
مالا احساس له

والانسان انسان قبل الاتحاد فهم يقولون انهما بعد الاتحاد
الاه تام كما كان وانسان تام كما كان فنظير هذا ان يكون الانسان
المركب من بدن ونفس نفسا تامه وبدنا تاما وان يكون الجمرة والحديدة
المحماه حديدا تاما وماء تاما وخشبه تامه ونارا تامه وهذا باطل
بل الانسان مركب من نفس وبدن والانسان اسم للمجموع ليس الانسان
روحا والانسان بدنا فلو كان الاتحاد حقا لوجب ان يقال ان المسيح
نصفه لاهوت ونصفه ناسوت وهو مركب من هذا وهذا لا يقال
ان المسيح نفسه انسان تام والمسيح وحده نفسه اله تام فان تصور
هذا القول على الوجه التام يوجب العلم الضروري حيث جعلوا
المسيح الذي هو المبتدا الموضوع المخبر عنه المحكوم عليه هو انسان تام
وهو اله تام يوجب ان يكون نفس الانسان هو نفس الاله ولو قيل هذا
في مخلوقين فقيل نفس الملك نفس البشر لكان ظاهر البطلان فكيف
اذا قيل في رب العالمين لا سيما وكثير من النصارى لا يقولون ان جسد
المسيح مخلوق بل يصفون الجميع بالالهوتيه وهذا يقتضي قول ابنيهم
القايلين بان المسيح اله تام لكنهم تناقضوا فقالوا مع ذلك وهو
انسان تام فكانهم قالوا هذا الخالق ليس هو الخالق ليس هو مخلوق
وهذا جمع بين النقيضين وهذا حقيقه قول النصارى لا سيما
واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح عندهم اتحاد لازم لم يفارقه البته
فيكون ذلك ابلغ من الاتحاد العارض في ان الرب كان متحد بجسد
لا روح فيه واتحد مع نفخ الروح فيه ثم بالجسد بعد مفارقة الروح
له وحيث دفن في القبر ووضع التراب عليه ومعلوم ان الانسان
اذا كانت فيه النفس وجعل في التراب معه تالمت النفس الما
شديدا لم تفارق البدن ومن العجايب انهم يقولون ان المسيح صلب



صلب ومات ففارقته النفس الناطقه وصار الجسد لا روح فيه واللاهوت
مع هذا متحد به لم يفارقه وهو في القبر واللاهوت متحد به فيجعلون
اتحاده به ابلغ من اتحاد النفس بالبدن والنفس عند اتصالها بالبدن
تتغير وتتبدل صفاتها واحوالها ويصير لها من الصفات والافعال
ما لم يكن بدون البدن وعند مفارقه البدن تتغير صفاتها وافعالها
فان كان تمثيلهم مطابقا لزم ان يكون الرب قد تغيرت صفاته
وافعاله لما اختلط بالمسيح كما تتغير صفات النفس وافعالها
ويكون الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجرده التي تفارق البدن
وايضا فالنفس والبدن شريكان في الاعمال الصالحه والفاسده
لهما الثواب وعليهما العقاب والثواب والعقاب احمل منه على
البدن فان كان الرب كذلك كان جميع ما يفعله المسيح باختيار
فعل الرب كما ان جميع ما يفعله البدن باختيار فعل النفس فالنفس
هي التي تخاطب بالامر فيقال لها صلي واشربي ولا تاكلي ولا تشربي
ولا تنكحي فان كان الرب مع الناسوت كان الرب هو المامور والمنهي
بما يومر به المسيح وكان الرب هو المصلي الصايم العابد الداعي
ويبطل قولهم يخلق ويرزق باللاهوت وياكل ويتعبد بناسوته فان
النفس والبدن لما اتحدا كانت جميع الافعال الاختياريه للنفس
والبدن فاذا صلى الانسان وصام ودعا فالنفس والبدن يوصفان
بذلك جميعا بل النفس اخص بذلك وكذلك اذا امر او نهى فكلاهما
موصوف وكذلك اذا ضرب فالم الضرب يصل اليهما كما
يصل اليهما لذة الاكل والجماع بل ابلغ من ذلك ان الجني اذا دخل
في الانسي وصرعه وتكلم على لسانه كان الانسي يتغير حتى يبقى الصوت
والكلام الذي يسمع منه ليس هو صوته وكلامه المعروف واذا

على النفس

ضرب بدن الانسي فان الجني يتالم بالضرب ويصيح ويصرخ
ويخرج منه من الم الضرب كما قد جرب الناس من ذلك ما لا يحصى
فاذا كان الجني تتغير صفاته واحواله لحلوله في الانسي فكيف
بنفس الانسان وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت اتم واكمل
من اتحاد النفس بالجسد فهل يقول عاقل مع هذا الاتحاد
انهما جوهران لكل منهما افعال اختياريه لا يشركه الاخر
فيها ويقولون مع قولهم بالاتحاد ان الذي كان يصلي ويصوم ويدعوا
ويتضرع ويتكلم ويتالم ويضرب ويصلب هو نظير البدن والذي
كان يامر وينهى ويخلق ويرزق هو نظير النفس هذا مع قولهم
ان مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت وانه اتحد به مع كونه
حيا وقبل حياته وعند مماته والجسد في ذلك كله كاجساد
الادميين لم يظهر فيه شي من خصايص الرب بل ولا يعدا امانه
بالايات فان لكل يجري مثلها واعظم منها على يدي الانبيا
لهذا اقرب امثالهم وقد ظهر فساده وابعد منه وابعد منه
واشد فسادا تمثيلهم ذلك بالنار والحديد ومعلوم عند كل
من له خبره ان النار اذا اتصلت بشي من الاجسام الحيوانيه
والنباتيه والمعدنيه مثل جسد الانسان وغيره ومثل الخشب
والقصب والقطن وغيره ومثل الحديد والذهب والفضه فانها
تغير ذلك الجسد وتبدل صفاته كما كانت تحرقه او تسوده
او تلينه والنار المختلطه لا تبقى نارا محضه بل تستحيل وتتغير ايضا
فقولها كلا ومثلما تختلط النار والحديد فيلتحمان جميعا فيكونان
جرما واحدا من غير ان تكون النار تغيرت الى ان تكون حديده تثقله
تشبح وتقطع ولا الحديدة تغيرت واستحالت الى ان تكون نارا تحرق



كلام باطل ملبس فان الجمره ليست حديده محضه ولا نارا محضة
بل نوع ثالث وقوله لم تتغير النار الى ان تصير حديده ولا الحديده
الى ان تصير نارا تلبيس فان الاختلاط لم يتضمن الاستحاله والتغير
كاختلاط الكثيفين الذي سلمه مثل الما والخمر والماء والعسل
والسمن والعسل والذهب والورق والنحاس والرصاص فقد
قال فيه انه لا الخمر خمر ولا الما ما بعد اختلاطهما ولكنهما
استحالا لاجتماع جوهرهما فصارا الى امر متغير ليس هو احدهما
بعينه ولا احدهما خالص من الفساد والاستحاله عن حاله فيقال
له فهذا الذي سلمت فيه الفساد والاستحاله لم يصير الخمر فيه
ما ولا الما خمرا فكذلك مورد النزاع اذا لم تصير النار حديده
ولا الحديده نارا لم ينفعك هذا النفي ولم يكن هذا مانعا
من الاستحاله والفساد كما ذكرته في اختلاط الكثيفين
فانه معلوم ان ما خالطته النار واتحدت به غيرته واحالته
وافسدت صورته الاولى والنار الملتحمه به ليست نارا محضة
ومعلوم ايضا ان الجمره التي ضربتها مثلا للمسيح فقلت ان الله وعيسى
اتحدا كاتحاد النار والحديد حتى صارا جمره فمعلوم ان الجمرة
اذا ضربت بالمطرقه او وضعت في الما او مدت فان هذه تقع
بالمجموع لا تقع على حديده بلا نار ولا نار بلا حديده فيلزم من
ذلك ان يكون ما حل بالمسيح من ضرب وبصاق في الوجه
ووضع الشوك على الراس ومن اكل وشرب وعبادة ومن مشي
وركوب ومن حمل وولادة وغير ذلك مما حل بالمسيح ومن موت
اما متقدم واما متاخر اذا نزل الى الارض ومن صلب على قولهم
ان يكون جميع ذلك حل بالمسيح الذي هو عندهم اله تام وانسان تام

من غير فرق بين لاهوته ولا ناسوته كما يكون ما يحل بجرم النار
من حمل ووضع وطرق بالمطرقه وتد تصور مشكل مخصوص
والقا في الما وغير ذلك حال بمجموع الجرم لا يقول عاقل ان ذلك
يحل بالحديد دون النار بل حال بالجرم المستحيله من حديده
ونار او من خشبه ونار ليست حديده محضه ولا نار محضه
ولا مجموع حديد محض ونار محض بل جوهر ثالث مستحيل
عن حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط
الى حقيقه ثالثه فلا فرق في الشيين اذا اتحدا واختلطا
وصارا شيا واحدًا من ان تكونا كثيفين او يكون احدهما
كثيفا والاخر لطيفا لا بد في ذلك كله ان يحصل لكل منهما
من التغير والاستحاله ما يوجب الاتحاد وان يكون المتحد
المختلط المركب منهما شيا ثالثا ليس هو احدهما فقط
ولا هو مجموع كل منهما على حاله فقولهم انه مع الاتحاد انسان
تام واله تام كلام معلوم الفساد بصريح العقل وكلما
ضربوا له مثلا كان المثل حجه على فساد قولهم بل مع الاتحاد
ليس بانسان تام ولا اله تام لكنه شي ثالث مركب من انسان
استحال وتغير واله استحال وتغير واذا كان كل من هذين
باطلا بل انسانيه المسيح باقيه تامه كما كانت لم تستحل
ولم تتغير ورب العالمين باق بصفات كماله لم يستحل
ولم يتصف بشي من خصايص المخلوقات ولا استحال عما كان
عليه قبل ذلك كان قولهم ظاهر الفساد فهذا مثلهم
الثاني الذي ضربوه لله حيث شبهوا الله مع الانسان بالنفس
مع الجسد وشبهوه بالنار مع الحديد وهذا المثل اشد فسادا

واما المثل الثالث



واما المثل الثالث وهو تمثيل ذلك بالشمس مع الما والطين وكل
رطوبه وحماه فمتى لا يتغير ولا يستحيل عن نورها ونقايها وضوها
مع مخالطتها كل سواد ووسخ ونتن ونجس فيقال اما جرم الشمس
التي في السما فلم يخالط شيا من الما والطين ولا اتحد به ولا حل
فيه بوجه من الوجوه بل بينهما من البعد ما لا يقدر قدره الا الله
والله تعالى اجل واعظم وابعد من مخالطه الانسان من الشمس للما
والطين فاذا كانت الشمس نفسها لم تتحد ولم تختلط ولا حل
في الما والطين بل ولا بغيرها من المخلوقات فرب العالمين اولى ان ينزه
عن الاتحاد والاختلاط والحلول في شي من المخلوقات ولكن شعاع
الشمس حل بالما والطين والهوا وغير ذلك مما يقوم به الشعاع كما
يحل شعاع النار في الارض والحيطان وان كان جرم النار القايم نفسه
بنفسه الذي في ذباله المصباح هو جوهر قايم بنفسه لم يحل
ذاته في شي من تلك المواضع ولفظ الضيا والنور ونحو ذلك يراد
به الشي القايم بنفسه المستنير كالشمس والقمر وكالنار
قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورًا وقال
وجعلنا سراجًا وهاجًا وسمى سبحانه الشمس سراجًا وضيا
لان فيها مع الاناره والاشراق تسخينا واحراقا فهي بالنار
اشبه بخلاف القمر فانه ليس فيه مع الاناره تسخينًا فلهذا
قال جعل الشمس ضيا والقمر نورًا والمقصود هنا ان لفظ
الضيا والنور ونحو ذلك يراد به الشي المستنير المضي الدايم
بنفسه كالشمس والقمر والنار ويراد به الشعاع الذي يحصل
بسبب ذلك من الهوا والارض وهذا الثاني عرض قايم بغيره
ليس هو الاول ولا صفه قايمه بالاول ولكنه حادث بسببه

فهو اشد فسادا اذ لهم قالوا كالمهم وشرك المسيح المخالطه للما والطين

فالشعاع الذي هو الضو والنور الحاصل على الما والطين والهوا وغيره
ذلك هو عرض قايم بغيره وليس هو متحدًا به البته فهذا المثل
لو صح تبه النسطوريه الذين يقولون ان الناسوت واللاهوت
جوهران بطبيعتان حل احدهما بالاخر لكان تمثيلا باطلا
فان الشمس لم تحل بغيرها ولا صارت مشيتها ومشيه غيرها
واحده كما يقوله النسطوريه بل شعاعها حل بغيره والشعاع
حادث وكاين عنها فاذا قيل ان ما يكون عن الرب من نوره
وروح قدسه وهداه ومعرفته تحل بقلوب انبيايه والمومنين
من عباده ومثل ذلك بحلول الشعاع بالارض كان اقرب الى
المعقول ولهذا قال تعالى الله نور السموات والارض مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة قال
ابي بن كعب مثل نوره في قلوب المومنين بهذا وما جا في بعض
الكتب المتقدمه ان الله يحل في قلوب الصديقين فهذا معناه
وهو حلول معرفته والايمان به ومثاله العلمي كما بسط
في غير هذا الموضع وكذلك اذا قيل نوره او هداه او كلامه
وسمي ذلك روحا يحل في قلوب المومنين فهو بهذا الاعتبار
والله قد سمى ذلك روحا فقال تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى يلقي الروح من امره
على من يشا من عباده وقال تعالى اوليك كتب في قلوبهم
الايمان وايدهم بروح منه وما جا في الكتب المتقدمه من
ان روح الله او روح القدس يحل في الانبيا والمومنين فهو حق

بهذا الاعتبار



بهذا الاعتبار واذا قيل كلام الله يحل في قلوب القارين فهو
حق بهذا الاعتبار واما نفس ما يقوم بالرب فلا يتصور ان
يقوم هو نفسه بغير الرب بل ما يقوم بالمخلوق من الصفات
والاعراض يمتنع ان يقوم هو نفسه فيمتنع في صفات الشمس بغيره
القايمه بها من شكلها واستدارتها وما قام بها من نور او غيره
ان يقوم بغيرها وكذلك ما قام بجرم النار من حرارة وضو
لا يقوم بغيرها بل اذا جاورت النار هذا او غير هذا حصل
في ذلك المحل سخونه اخرى غير السخونه القايمه بنفس النار
لسخن الهوا الذي يجاورها كما تسخن القدر الذي توقد
تحتها النار فتسخن ثم يسخن الما الذي فيها مع ان سخونه
النار باقيه وسخونه القدر باقيه فيها وسخونه الما سخونه
اخرى حصلت في الما ليست واحده من تينك وان كانت
حادثه عنها وجنس السخونه يجمع ذلك كله ولهذا
ذكر الامام احمد عن السلف انهم كرهوا ان يتكلم في حلول
كلام الله في العباد بنفي او اثبات فان لفظ الحلول لفظ
مجمل يراد به معنى باطل ويراد به معنى حق وقد جا في
كلام الانبيا لفظ الحلول بالمعنى الصحيح فتاوله من في
قلبه زيغ كالنصارى واشباههم على المعنى الباطل وقابلهم
اخرون انكروا هذا الاسم بجميع معانيه وكلا الامرين
باطل وقد قدمنا ان الناس يقولون انت في قلبي وساكن في
قلبي وانت حال في قلبي ونحو ذلك وهم لا يريدون ان ذاته
حلت فيه لكن يريدون ان تصوره وتمثله وحبه وذكره
حل في قلبه كما تقدم نظاير ذلك والمقصود هنا ان النسطوريه

لو شبهوا ما يدعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين كان
تمثيلهم باطلا فكيف بالملكية الذين هم اعظم باطلا وظلالا
فقولهم مثل الشمس المخالطة للطين والما وكل رطوبة وحماة
تمثيل باطل من وجوه منها ان الشمس نفسها لم تتحد ولم تحل بغيرها
بل ذلك شعاعها ومنها ان الشعاع نفسه لم يتحد بالما والطين
ولكن حل به وقام به ومنها ان ذلك عام في المخلوقات من وجه
وباعتقاده المومنين من وجه لا يختص للمسيح بشي فالمخلوقات
كلها مشتركة في ان الله خلقها بمشيته وقدرته وانه لا قوام لها
الا به فلا حول ولا قوة الا به وهي كلها مفتقرة اليه محتاجة
اليه مع غناه عنها ولهذا كانت من ايات ربوبيته وشواهد
الاهيته ومن سماها مظاهر ومجالي يعني ان ذاته نفسها تظهر
فيها فهو مفتري على الله ومن اراد بذلك انه ظهر بها مشيته
وقدرته وعلمه وحكمته فاراد بالمظاهر والمجالي ما يراد بالدلايل
والشواهد فقد اصاب وكذلك اذا قال هي اشارة ومقتضى
اسمايه وصفاته واما المومنون فان الايمان ومعرفته ومحبته
ونوره وهداه يحل في قلوبهم وهو المثل الاعلى والمثال العلمي فلا
اختصاص للمسيح بهذا وكذلك الكلامة في قلوب عباده المومنين
لا اختصاص للمسيح بذلك ومنها ان الشعاع لم يخالط الما والطين
ولا يخالط شيا من الاعيان ولا يتحد به بل يكون على سطحه
الظاهر فقط لكن الشعاع يسخن ما يحل فيه فاذا سخن ذلك
سخن جوفه بالمجاورة كما يسخن الما يسخونه القدر من غير ان
يكون النار خالطت القدر ولا الما فاين هذا من قولهم ان رب
العالمين اتحد بابن امراة فصار الها تاما وانسانا تاما وهل يقول

واستعدادهم

عاقل ان الما والطين



عاقل ان الما والطين صار شعاعا تاما وطينا تاما بل الطين طين
لكن اثر الشعاع فيه تجفيفه لم يتحد به الشعاع ولا نفذ فيه
ولا حل في باطنه فهذا المثل ابعد عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار
مع الحديد ومع تمثيلهم بالنفس مع الجسد فان هناك اتصالا
بباطن الحديد والبدن وهنا لم يتصل الشعاع الا بظاهر الطين
وغيره وايضا فالنفس جوهر قايم بنفسه والشعاع عرض وكذلك
النار جوهر فالشمس هنا لم تتحد ولم تحل بالطين بل شعاعها
بل ولا يوصف الطين باتحاده بالشعاع ولا باختلاط الشعاع بباطنه
ولا بحلول الشمس نفسها فيه بحيث يقول القايل ان الشمس
لم تتغير ولم تستحل عن نورها ونقايها وضوها مع مخالطتها
كل وسخ ونتن ونجس ان اريد به نفس الشمس او صفاتها
القايمة بها فتلك لم تتحد بغيرها ولا حلت فيه ولا قامت بغيرها
فاذا كانت الشمس كذلك ولله المثل الاعلا فهو اولى ان لا
يتحد بغيره ولا يحل فيه ولا يقوم به وان اريد بشعاعها فشعاعها
ليس هو الشمس فلا ينفعهم التمثيل به فانهم يقولون ان الله نفسه
اتحد بالمسيح والمسيح عندهم هو رب العالمين مع انه انسان
تام فهو عندهم اله تام انسان تام والطين ليس بشعاع تام
طين تام والشعاع نفسه لا يخالط شيا ولكن يقوم به وقيام
العرض بالمحل غير مخالطته له فان المخالطة تكون باختلاط كل
من الامرين بالاخر كاختلاط الما والطين ونحو ذلك واما
ما يقوم بالسطح الظاهر فلا يقال انه مخالط لجميع الاجزا فلا
يقال للشعاع الذي على الجبال والبحر انه مخالط لجميع الجبال
والبحر ولا للشعاع النار انه مخالط للحيطان وداخل الارض

وقد تقدم انهم قسموا هذا الباب ثلثه اقسام احدها اختلاط
احد السببين بالاخر كالما والخمر والثانى اتصال من غير اختلاط
كالما والدهن وكالانا الذى بعضه فضه وبعضه ذهب
وقالوا ان هذا لا ينبغى ان يسمى اختلاطًا مع افتراق الطبيعتين
والقوامين بل ما ينبغى ان يكون بين الما والقله التى هى فيه
خلطه لان طبيعه الفخار ليس بينها وبين الما خلطه وهذا نوع
موجود فى الشعاع والطين بل بينهما من الفرق اشد مما بين
الما والقله فان الما جرم قايم بنفسه وهذا عرض قايم بغيره والجسم
بالجسم اشبه من الجسم بالعرض والاله عندهم يخالط بجميع ناسوت
المسيح لم يحل جزء منه من اتحاد اللاله به فاين هذا من هذا فان
قيل ان الشعاع لم يستحل عن نوره ونقايه وضوه مع مخالطته كل
سواد ووسخ ونتن ونجس لم يكن مثالا مطابقا مع انه لم يخالط
الشعاع غيره ثم يقال ان اراد بما لم يتغير نفس الشعاع القايم
بالمحل فهذا ممنوع فان الشعاع يتغير بتغير محله فيرى فى الاحمر
احمر وفى الاسود اسود وفى الازرق ازرق حتى ان الزجاج المختلف
الالوان اذا صار مطرحًا للشعاع ظهر الشعاع متلونًا بتلون
الزجاج فيرى احمر وازرق واصفر وقد ضرب اهل الاتحاد
من امثال النصارى القايلون بوحده الوجود وان وجود الخالق
هو وجود المخلوق لله امثالا باطله شر من امثال النصارى
ولهم مثل السو ولله المثل الاعلى فكان مما ضربوه لله من الامثال
ان شبهوه بالشعاع فى الزجاج فالاعيان الثابته فى العدم
عندهم هى الممكنات ووجود الحق فاض عليها فشبهوا وجوده
بالشعاع واعيانها بالزجاج وهذا باطل من وجوه منها ان القول

بان اعيان



بان اعيان الممكنات ثابته فى العدم قول باطل ومنها ان قولهم
ان وجود الخالق هو عين وجود المخلوق ايضا باطل ومنها ان حلول
الشعاع بالزجاج يقتضى حلول احدهما بالاخر وهم ينكرون الحلول
ويقولون الوجود واحد ومنها ان الشعاع الذى على نفس الزجاج
ليس وجوده وجود الزجاج وعندهم وجود الرب وجود الممكنات
ومنها ان الشعاع الحال بهذا الزجاج ليس هو بعينه الشعاع
الحال بالزجاج الاخر وان كان نظيره وهولا عندهم ان الوجود
واحد بالعين لا يتعدد ومنها ان الشعاع عرض مفتقر الى الزجاج
فهو مفتقر اليه افتقار العرض الى محله فيلزم اذا مثلوا الرب به
ان يكون الرب مفتقر الى كل ما سواه مع غنى كل ما سواه عنه
وهذا قلب كل حقيقه واعظم كفر بالخالق تعالى فانه سبحانه
الغنى عن كل ما سواه وكل ما سواه مفتقر اليه وكل من قال
بحلول الله فى شى من المخلوقات من النصارى وغيرهم يلزمهم ان
يكون مفتقرا الى ما حل فيه فانه لا حقيقه للحلول الا هذا ولهذا
كان ما حل بقلوب المومنين من الايمان والهدى والنور والمعرفه
مفتقرا الى قلوب المومنين لا يقوم الا بها وجميع الصور الذهنيه
القايمه بالاذهان مفتقره الى الاذهان لا تقوم الا بها والشعاع
مفتقر الى محله لا يقوم الا به وهكذا ساير النظاير وهولا الذين
شابهوا النصارى وزادوا عليهم من الكفر بقولهم ان وجود الخالق
وجود كل مخلوق وانه قايم باعيان الممكنات يقولون انه
مفتقر الى الاعيان فى وجوده وهى مفتقره اليه فى ثبوتها
فيجعلون الخالق محتاجا الى كل مخلوق والمخلوق محتاجا الى الخالق
ويصرحون بذلك كما يصرح بعض النصارى بان اللاهوت

محتاج الى الناسوت والناسوت محتاج الى اللاهوت ومعلوم ان الله
غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه من كل وجه فهو
الصمد المستغني عن كل شي وكل شي مفتقر اليه فمن قال انه
مفتقر الى مخلوق بوجه ما فهو كاذب مفتر كافر فكيف بمن
قال انه مفتقر الى كل شي والمثل الذي ضربوه له ينبغي ان يكون
مفتقرًا الى غيره وغيره مستغني عنه كالمثل الذي ضربه له النصارى
لما مثلوه بشعاع الشمس مع محله فان محل الشعاع مستغن
عن الشعاع والشعاع مفتقر الى محله فمقتضى هذا التمثيل
ان الاله محتاج الى الانسان والانسان مستغن عن الله تعالى الله
عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
انه كان حليما غفورًا فصل وقد حصل
مما ذكرناه الجواب عن قولهم وعلى هذا المثال نقول في
السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتيه التي هي طبيعة كلمة
الله وروحه وطبيعة ناسوتيه التي اخذ من مريم العذرا
واتحدت به وعرف ان هذا قول من اقوال النصارى
وان لهم اقوالا اخر تناقض هذا وكل فريق منهم يكفر
الاخر اذ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين
بل هي مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم فضلوا بها واضلوا
كما قال تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
الحق ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سوا السبيل فذكر سبحانه انهم ضلوا من قبل مبعث
محمد صلى الله عليه وسلم والنصارى امة يلزمهم الضلال

الذي اضله



الذي اضله الجهل ولا يوجد قط من هو نصراني باطنا وظاهرًا
الا وهو ضال جاهل بمعبوده وباصل دينه لا يعرف من يعبد
ولا بماذا يعبد مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد
ومكارم الاخلاق ثم يقال على هذا لا قولهم طبيعتان ويقولون
ايضا له مشيئتان ويقولون ايضا انه شخص واحد لم يرد عدده
فانهم يقولون انهما اتحدا كما ذكروه في كتابهم هذا لا
نقول شخصين لئلا يلزمنا القول باربعة اقانيم ومنهم من
يقول هما جوهران ومنهم من يقول هو جوهر واحد
فان قالوا جوهر واحد صار قولهم من جنس قول اليعقوبيه
لا سيما وهم يقولون ان مريم ولدت اللاهوت والناسوت
وان المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت وهو اله تام وانسان
تام فاذا كان جوهرًا واحدًا لزم من ذلك ان يكون اللاهوت
قد استحال وتغير وكذلك الناسوت فان الاثنين اذا
صارا شيا واحدًا فذلك الشي الثالث مع انه ليس هو
انسانا محضًا ولا الها محضًا بل اجتمعت فيه الانسانيه
والالهيه مع انه وقد كان الانسان والاله اثنين متباينين
وهما في اصطلاحكم جوهران فاذا صار الجوهران جوهرًا
واحدًا لا جوهرين فقد لزم ضروره ان يكون هذا الثالث
ليس هو الها محضًا ولا انسانا محضًا ولا هو جوهران انسانا
والاها فان هذين جوهران بل هو شي ثالث اختلط وامتزج
لا جوهر واحد
لا جوهر واحد واستحال من هذا وهذا فتبدلت حقيقه
اللاهوت وحقيقه الناسوت حتى صار هذا الجوهر
الثالث الذي ليس لاهوتا محضًا ولا ناسوتا محضًا كسائر

ما يعرف من الاتحاد فان كل اثنين اتحدا فصارا جوهرًا
واحدًا فلا بد في ذلك من الاستحاله كما في اتحاد الما
واللبن والخمر وساير ما يختلط بالما بخلاف الما
والزيت فانهما جوهران كما كانا لكن الزيت لاصق الما
وطفا عليه لم يتحد به ومثل اختلاط ومثل اختلاط النار
والحديد فان الحديد استحال عما كان ولهذا اذا برد عاد
الى ما كان وهكذا اتحاد الهوا مع الما او التراب
حتى يصير بخارًا او غبارًا وامثال ذلك وفي الجمله
فجميع ما تعرفه الناس من الاتحاد اذا صار الاثنين واحدًا
وارتفعت الاثنينيه فلا بد من استحاله للاثنين واذا قيل
فيه طبيعه الاثنين ومشيه الاثنين كما في الما واللبن قوه الما وقوه
اللبن قيل لا بد مع ذلك ان يتغير كل قوه عما كانت عليه فتنكسر الاخرى
كما يعرف في ساير صور الاتحاد اذا لم يجد هنا مع هذا كسر كل واحد
منهما قوه الاخر عما كانت عليه كما اتحد الما البارد بالما الحار انكسرت
قوه الحر وقوه البرد عما كانت فيبقى مرتبه متوسطه بين البرد
المحض والحر المحض وكذلك الما واللبن وساير صور الاتحاد وعلى
هذا فيجب اذا اتحدا ان يتغير قوه اللاهوت وطبيعته ومشيته
عما كانت وتنكسر قوه الناسوت وطبيعته ومشيته عما كانت عليه
ويبقى هذا المتحد ممتزجًا من لاهوت وناسوت وذلك مستلزم نقص
اللاهوت عما كان وبطلان كماله كما انه من كمال الناسوت بما لم يكن
فكلما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم
من نقص اللاهوت وسلب كماله الذي يختص به وبطلان صفاته التامه
بحسب ما حصل للمعنى من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد ولا فان كان اللاهوت

تنقص

فينكسر

اذا

بوجب



كما كان بلا اتحاد بوجه من الوجوه بل الناسوت كما كان ثم هما اثنان لم
يتحد احدهما بصاحبه ولا صارا شيا واحدًا وايضا مع كون الجوهر
واحدًا يجب ان تكون مشيته واحده وطبيعته واحده فانه لو كان مشيتان لكان
محل احدى المشيتين ان كان هو محل الاخرى مع تضاد موجب
المشيتين لزم اجتماع الضدين في محل واحد فان الاراده الناسوتيه
تطلب الاكل والشرب وان تغتذي وتصوم وتصلي والاهوتيه
لوجب امتناعه من اراده هذه الاشيا وارادته ان يخلق ويرزق ويدبر
العالم والناسوتيه ممتنع من هذه الاراده فاذا قامت الارادات
والكراهات بمحل واحد لزم ان يكون ذلك الجوهر الموصوف
بهذا وهذا مريدًا للشي غير مريد له كارهًا للشي غير كاره له
وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعدده ويمتنع ان يقوم
بالموصوف الواحد ارادتان جازمتان بالشي ونقيضه او كراهتان
جازمتان للشي ونقيضه والفعل لا يقع الا بارادة جازمه مع القدره
فاللاهوت ما شا كان وما لم يشا لم يكن ومتى شا شيا مشيته
جازمه فانه على ما شا قادر والناسوت لا يفعل شيا من خصايص
البشريه حتى يريد ذلك اراده جازمه والناسوت يمتنع ان
يريد ارادة اللاهوت ويكره ذلك فيصير الشي الواحد مريدًا
للشي ارادةً جازمه قادرًا عليه ليس مريدًا له ارادةً جازمه
بل هو عاجز عنه ويلزم ايضا اذا كانا جوهرًا واحدًا قد ولد
وصفع وضرب وصلب ومات وتالم ان يكون نفس اللاهوت
ضرب وصلب ومات وتالم كما يقوله اليعقوبيه وهذا لازم
لجميع النصارى وهو موجب عقيدة ايمانهم فان قالوا بل هما جوهران
مع كونهما عندهم شخصا واحدًا لا تعدد فيه كما يقوله من يقوله

لكان

ممتنعًا من ارادته

من الملكانيه كان هذا كلاما متناقضا فان الشخص الواحد الذى لا
يتعدد فيه جوهر واحد ولهذا يحد بانه جسم وان شبهوا ذلك
بالنفس مع الجسد لزمهم المحذور فان الانسان كما يقال فيه انه
شخص واحد يقال انه جوهر واحد ولهذا يحد بانه جسم
حساس تام متحرك بالارادة ناطق هذا يقينا ولجسده وروحه
والنفس والبدن مشيه واحده ومتى شا الانسان الفعل مشيه
جازمه مع قدرته عليه فعله ولم يكن معه جوهر اخر له مشيه
غير مشيته فاذا شبهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا لزمهم
ان يكونا جوهرًا واحدًا ومشيه واحده وهذا قول اليعقوبيه
ولهذا تتالم النفس بما يحدث فى الجسد من الالم ويتالم الجسم
الذى هو القلب الصنوبرى بما يحدث فى النفس من الالام فاذا
تالمت النفس تالم قلب الجسد وعرض للجسد وكذلك
اذا تالم الجسد واذا صفع الجسد وصلب وتالم ومات وصفع
وبصق فى وجهه ووضع الشوك فيه كان ذلك كله حالا بالنفس
ونالها من اهانه الصفع والم النزع ما ينالها كما يلزمهم انه حل
بالمسيح وبدنه فانهم لا ينازعون ان الالم حل ببدن المسيح ونفسه
وانما ينازعون فى اللاهوت مع ان النفس مفارقه للبدن بالموت
واللاهوت عندهم لم يفارق الناسوت بالموت بل صعد الى السما
والمسيح الذى هو اله تام وانسان تام يقعد عن يمين ابيه وكذلك
يجى يوم القيامه وايضا فالبدن اذا كانت فيه النفس تتغير
صفاته واحكامه وتختلف احواله باجتماعها وافتراقها والنفس
اذا كانت فى البدن تختلف صفاتها واحكامها فيلزم ان يكون
ناسوت المسيح مخالفا فى الصفات والاحكام لساير النواسيت وان

بيانه ان الاتحاد



مع ان ناسوت المسيح كان جنس
نواسيت البشر لم يرجح على الاخر
بشى على غيره بل جعل على غيره
حادث من العادات لما احاطه
عليه م

يكون اللاهوت لما اتحد به تغيرت صفاته واحكامه وهذا
هو الاستحاله والتغير والتبدل بالصفات وبالجمله فاى مثل
ضربوه للاتحاد كان حجه عليهم وظهر به فساد قولهم وان قالوا هذا
امر لا يعقل بل هو فوق العقول كان الجواب من وجهين
احدهما انه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه وبين ما
يعجز العقل عن تصوره ومعرفته فالاول من محالات العقول
والثانى من محارات العقول والرسل يخبرون بالثانى واما الاول
فلا يقوله الا كاذب ولو جاز ان يقول هذا لجاز ان يقال
ان الجسم الواحد يكون ابيض اسود فى حاله واحده وانه بعينه
يكون فى مكانين وان الشى الواحد يكون موجودًا معدومًا
فى حاله واحده وامثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه وقول
النصارى مما يعلم بصريح العقل انه باطل ليس هو مما يعجز عن
تصوره يوضح هذا انه لو قال قايل فى مريم ام المسيح انها امراة
الله وزوجته وانه نكحها نكاحًا عقليا كما يقولون ان المسيح
ولده ولادةً عقليه لم يكن هذا القول افسد فى العقل من قولهم
فى المسيح وهم يكفرون من يقول ذلك ويحتجون بالعقل على فساده
واذا قال هذا فوق العقل لم يقبلوه وكذلك كل طايفه من طوايفهم
ترد على الاخرى بالعقل واذا قالوا قولنا فوق العقل لم يقبلوا هذا
الجواب فان كان هذا جوابا صحيحا فيجب ان لا يبحث فى شى من الالهيات
بالعقل بل يقول كل مبطل ما شا من القول الباطل ويقول كلامى
فوق العقل كما يقوله اصحاب الحلول والاتحاد والوحده الذى
يقولون ان وجود الخالق وجود المخلوق ويقولون ان هذا فوق
العقل وانه انما يعلم بالسمع لا بالعقل الثانى ان يقال ما يعجز

كما بطاه من موضع اخر ٩

بالاوزان

العقل عن تصوره اذا اخبرت به الانبيا عليهم السلام قبل منهم
لانهم يعلمون ما يعجز غيرهم عن معرفته وهذه الاقوال لم يقل الانبيا
شيا منها بل نفس فرق النصارى قالوها بارايهم وزعموا انهم
استنبطوها من بعض الفاظ الكتب فيقال لمن قالها منهم انت
تتصور ما تقول ام لا تتصوره و تفهمه و تعقله فان قال
لا اتصور ما اقول و لا افهمه ولا اعقله قيل فقد قلت على الله ما لا
تعلم وقفوت ما ليس لك به علم ومن اعظم القبايح المحرمة في
جميع الشرايع ان يقول الانسان برايه على الله قولا لا يتصوره
وجميع العقلا يعلمون ان من قال قولا وهو لا يتصوره و يفقهه غيره
فان قوله مردود عليه مقفول منه وان قوله من الباطل المذموم
وان قال قايلهم اني افقه ما اقول و اتصوره و اعقله
قيل له بينه لغيرك حتى يفقهه و يعقله و يتصوره ولا تقول
هو فوق العقل بل هو قول قد عقلته و فقهته وهذا تقسيم
لا محيد لهم عنه فانهم كانوا يفقهون ما يقولون و يعقلونه لزم ان
يكون معقولا وان كانوا لا يفقهونه ولا يعقلونه لزم انهم قالوا
على الله ما لا يفقهونه ولا يعقلونه قولا برايهم وعقلهم لا نقلا
لالفاظ الانبيا فان من نقل الفاظ الانبيا الثابتة عنهم لم يكن
عليه ان يفقه و يعقل ما يقول ولهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم نضر الله امرا سمع منا حديثا فبلغه الى من لم يسمعه فرب
حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه فقد يحفظ
الرجل كلاما من غيره وهو لا يفقه معناه ولا يعقله فمن نقل الفاظ فيبلغه م
التوراه او الانجيل او القران او الفاظ ساير الانبيا لم يطالبه
ببيان معناه بخلاف من ادعى انه فهم ما قاله الانبيا وعبر عن ذلك



بعبارة اخرى فانه يقال له ان كنت فهمت ما قالوه فهو معنى
واحد عبروا عنه بعبارة وعبرت عنه بعبارة اخرى كالترجمان
فهذا يعقل ما يقول و يفقهه وان قال اني لم افهم كلامهم او لم
افهم ما قلته فقد اعترف بجهله وضلاله وانه من الذين لم تفقهوا يفهموا م
كلام الانبيا عليهم السلام ولم تفقهوا ما قالوه هم فلو قالوا لم يفهموا م
نفهم كلام الانبيا وسكتوا لكانوا اسوة امثالهم من الجهال
بمعاني كلام الانبيا ولما اذا وضعوا عبارة وكلاما ابتدعوه
وامروا الناس باعتقاده وقالوا هذا هو الايمان والتوحيد وقالوا
انا مع هذا لا نتصور ما قلناه ولا نفقهه ولا نعقله فهاولا من الذين
يقولون على الله ما لا يعلمون ويفترون على الله وعلى كتب الله وانبيا الله
بغير علم بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح ويقولون
مع ذلك انا لا نعقله وهذه حال النصارى بلا ريب وهذا الموضع
غلط فيه طايفتان من الناس غالية غلت في المعقولات حتى جعلت
ما ليس معقولا من المعقول وقدمته على الحس ونصوص الرسول
وطايفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها
ما ظنته من السمعيات او الحسيات وهكذا الناس في الحسيات
الباطنة والظاهرة نوعان فيجب ان يعلم ان الحق لا ينقض بعضه
بعضا بل يصدق بعضه بعضا بخلاف الباطل فانه مختلف
متناقض كما قال تعالى في المخالفين للرسل والسماء ذات الحبك
انكم لفي قول مختلف يوفك عنه من افك وان ما علم بمعقول
صريح لا يخالفه قط لا خبر صحيح ولا حس صحيح وكذلك ما علم
بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس وكذلك ما علم بالحس
الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول والمقصود هنا الكلام مع من يعارض

المعقولات بسمع او حس ويقول لفظ المعقول يراد به المعقول
الصريحة الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فطروا عليها من غير
ان يتلقاه بعضهم عن بعض كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف
المختلفين اعني اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد والتباين
فان لفظ الاختلاف يراد به هذا وهذا وهذه المعقولات
في العلميات والعمليات هي التي ذم الله من خالفها بقوله وقالوا
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقوله افلم يسيروا
في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها
ونحو ذلك واما ما تسميه بعض الناس معقولات ويخالفه فيه
كثير من العقلاء مثل القول في تماثل الاجسام وبقاء الاعراض
وان الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة
او من المادة والصورة وان ما لا يتناهى من الامور المتعاقبة
شيئا بعد شيء يمتنع وجوده اما في الماضي والمستقبل او في الماضي
فقط وان الكليات موجودة في الخارج جواهر قائمة بانفسها
او ان لنا دهرا او مادة هي جوهر عقلي قائم بنفسه وانه يمكن
وجود جوهر قائم بنفسه لا يشار اليه ونحو ذلك مما يدعيه
من يدعيه من النظار انه عقليا وينازعهم فيه اخرون فليس هذا
هو العقليات التي يجب لاجلها رد الحس والسمع وتبنى عليها
علوم بني ادم بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية ترد الى
معقولات بديهية اولية بخلاف العقليات الصريحة مثل
كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد
معا فان هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها فاذا جاء
في الحس او الخبر الصحيح ما يظن انه يخالف ذلك مثل ان يرى



الشخص الواحد في عرفات وهو في بلده لم يبرح قاعدا في مكانه
وهو في مكان اخر او يرى انه اغاث من استغاث به او حاط امرا
في الجوامع العلم بانه في مكانه لم يتغير منه فهذا انما هو جني
تصور بصورة ذلك الشخص ليس هو نفسه فهذا يشبهه لبس
هو اياه وللحسيات ان لم نميز بينها بالعقل والا فالحس يغلط
كثيرا وكذلك من ادعى بان حصل له من المكاشفة والمخاطبة
امرا يخالف صريح العقل يعلم انه غالط فيه فمن قال من القائلين
بوحدة الوجود اني اشهد بباطني وجودا مطلقا مجردا عن
الاسما والصفات لا اختصاص فيه ولا مبدا له فلا ينازع في هذا
كما ينازعه بعض الناس لكن يقال له من اين لك ان هذا هو
رب العالمين الذي خلق السموات والارض فان كون ما تشهده
بقلبك هو الله امرا لا يدرك بحس القلب واذا ادعيت انه حصل
لك في الكشف ما يناقض صريح العقل علم انك غالط كما
قال شيخ هولا الملاحدة التلمساني ٭ يا صاحبي انت تنهاني
وتامرني ٭ والوجد اصدق نهاء وامار ٭ فان اطعك
واعص الوجد عدت عما ٭ عن العيان الى اوهام اخبار
٭ وعين ما انت تدعوني اليه اذا ٭ حققته تره المنهي يا جاري
فيقال له وجدك وذوقك لم يدلك الا شهود وجود مطلق بسيط
لكن من اين لك ان هذا هو رب العالمين بل من اين لك ان هذا
ثابت في الخارج عن نفسك كليا مطلقا مجردا انك انما تشهده
كليا مطلقا مجردا في نفسك ولست تعلم بحس ولا عقل ولا
خبر ان هذا هو في الخارج كما ان النايم اذا شهد حسه الباطن
اشياء لم يجزم معه بيقين ان هذا في الخارج فاذا عاد اليه عقله

علم ان هذا كان في خياله في المنام وكذلك السكران وغيره ممن
يضعف عقله فهذا شهد بحسه الباطن او الظاهر اشيا وقد
ضعف عقله عن تمييز ذلك لما رد عليه اذا تاب الله عليه علم ان ما
شهده كان في نفسه وخياله لا في الخارج عن ذلك فكل من اخبر بما يخالف
صريح المعقول او صحيح المنقول يعلم انه وقع له غلط وان كان
صادقا فيما يشهده في الحس الباطن او الظاهر لكن الغلط وقع في
ظنه الفاسد المخالف لصريح العقل لا في مجرد الحس فان الحس
ليس فيه علم بنفي ولا اثبات فمن راى شخصا فليس في الحس
الا رؤيته واما كونه زيدا او عمرا فهذا لا بد فيه من عقل يميز
بين هذا وهذا ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيمة والسكران
والنايم ونحوهم لهم حس ولكن لعدم العقل لا يميزون ان هذا
المشهود هو كذا ام كذا بل قد يظنون ظنونا غير مطابقة
قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه حسابه
والله سريع الحساب فالظمان يرى ان ما ظنه ماء ولم يكن ماء
لاشتباهه والحس لم يغلط لكن غلط عقله حم والانبيا بالكام
صلوات الله عليهم وسلامه معصومون لا يقولون على الله الا الحق
ولا ينقلون عنه الا الصدق فمن ادعى في اخبارهم ما يناقض صريح
المعقول كان كاذبا بل لا بد ان يكون ذلك المعقول ليس بصريح
او ذلك المنقول ليس بصحيح فما علم يقينا انهم اخبروا به يمتنع
ان يكون في العقل ما يناقضه وما علم يقينا ان العقل حكم
به يمتنع ان يكون في اخبارهم ما يناقضه وقول اهل الاتحاد
من النصارى وغيرهم سوا ادعوا الاتحاد العام او الخاص قد علم



بصريح العقل بطلانه فيمتنع ان يخبر به نبي من الانبيا بل الانبيا
عليهم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل
بطلانه فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول ومن سوى
الانبيا ليس معصوما فقد يغلط ويحصل له في كشفه وحسه
وذوقه وشهوده امور يظن فيها ظنونا كاذبة فاذا اخبر
مثل هذا بشي علم بطلانه بصريح العقل علم انه غالط واذا اخبر
غير الانبيا بما يعجز عقل كثير من الناس عن معرفته لم يلزم ان
يكون صادقا ولا كاذبا بل لا نحكم بصدقه ولا كذبه الا بدليل
لاحتمال ان يكون غالطا واحتمال ان يكون قد علم ما يعجز
غيره عن معرفته واذا قال القول المعلوم فساده بصريح العقل
من ليس بنبي وقال ان هذا فوق العقل او هذا وراء طور العقل
والنقل او هذا لا نعرفه ان لم نترك العقل والنقل او قال
هم معشر حلوا النظام واخرقوا السياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين الا ان سر جنونهم عزيز على ابوابه يسجد العقل
قيل له هذا يمتنع ان يقوله نبي او ينقله صادق عن نبي فان
اقوال الانبيا لا تناقض العقل الصريح فكيف يقبل هذا ممن ليس
بنبي وان قال كما يقوله النصارى او غيرهم ان هذا دل عليه
كلام الانبيا او فهمناه من كلام الانبيا قيل لهم الكلام في
معاني الالفاظ التي نطقت بها الانبيا شي والكلام فيما فهمتموه
عنهم شي اخر ولو قدر ان ما ذكرتموه انتم او غيركم فهمتموه من كلام
الانبيا ليس مخالفا لصريح العقل لم يجزم بان قايل ذلك مصيب في
فهمه بل قد يكون فهم من كلامهم ما لم يريدوه فكيف اذا كان
هو نفسه لم يتصور ما قال بل هم معترفون بانه غير معقول

له وهو لا يفهمه فكيف اذا كان الذي قاله معلوم الفساد بصريح
العقل فهذه ثلث مقدمات لو فهمه ثم قال انى فهمت كلامهم
لم يكن فهمه حجه فكيف اذا قال انى لم افهمه وان هذا فوق
طور العقل ولو قال هذا لم يكن قوله حجه ولم يجب تصديقه من
ان الانبيا عنوا بكلامهم المعنى الذي اعترف انه فوق العقل
فكيف اذا عرف ان ذلك المعنى باطل يمتنع ان يقوله عاقل لا نبى
ولا غير نبى فصـــل قال الحاكى عنهم فقلت لهم
انهم يقولون لنا اذا كان اعتقادكم فى البارى تعالى انه واحد
فما حملكم على ان تقولوا اب وابن وروح قدس فتوهمون السامعين
انكم تعتقدون فى الله ثلثه اشخاص مركبه او ثلثه الهه او ثلثه
اجزا او ان له ابنا ويظن من لا يعرف اعتقادكم انكم تريدون
بذلك ابن المباضعه والمناسله تتطرقون على انفسكم تهمه
انتم منها بريئون قالوا وهم ايضا لما كان اعتقادهم فى البارى
جلت عظمته انه غير ذى جسم وغير ذى جوارح واعضا وغير
محصور فى مكان فما حملهم على ان يقولوا ان له عينين يبصر بهما
ويدين يبسطهما وساق ووجه يوليه الى كل مكان وجنب
وانه ياتى فى ظلل من الغمام فيوهمون السامعين ان الله ذو جسم
وذو اعضا وجوارح وانه ينتقل من مكان الى مكان فى ظلل
من الغمام فيظن من لا يعرف اعتقادهم انهم يجسمون البارى حتى
ان قوما منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهبا ومن لم يتحقق
اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون قال فقلت لهم انهم يقولون
ان العله فى قولهم هذا ان الله له عينان ويدان ووجه وساق
وجنب وانه ياتى فى ظلل من الغمام هو ان القران نطق به وان

ذلك غير ظاهر

ذلك غير ظاهر اللفظ وكل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ و يعتقد
ان الله له عينان ويدان ووجه وجنب وجوارح واعضا وان ذاته
تنتقل فهم يلعنونه ويكفرونه فاذا كفروا من يعتقد هذا
فليس لمخالفيهم ان يلزموهم هذا بعد ان لا يعتقدوه قالوا وكذلك
نحن ايضا النصارى العله فى قولنا ان الله ثلثه اقانيم اب وابن
وروح قدس ان الانجيل نطق به والمراد بالاقانيم غير
الاشخاص المركبه والاجزا والابعاض وغير ذلك مما تقتضى
الشرك والتكثير وبالاب والابن غير ابوة وبنوه نكاح
او تناسل او جماع او مباضعه وكل من يعتقد ان الثلثه اقانيم
ثلثه الهه مختلفه او ثلثه الهه متفقه او ثلثه اجسام مولفه
او ثلثه اجزا متفرقه او ثلثه اشخاص مركبه او اعراض او قوى
او غير ذلك مما يقتضى الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه
او بنوة نكاح او تناسل او مباضعه او جماع او ولاده زوجه
او من بعض الاجسام او من بعض الملايكه او من بعض المخلوقين
نحن نلعنه ونكفره ونحرمه واذا لعنا وكفرنا من يعتقد
ذلك فليس لمخالفينا ان يلزمونا بعد ان لا نعتقده وان الزمونا
الشرك والتشبيه لاجل قولنا اب وابن وروح قدس لان
ظاهر ذلك يقتضى التكثير والتشبيه الزمناهم ايضا نحن التجسيم
والتشبيه لقولهم ان الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب
وان ذاته تنتقل من مكان الى مكان وانه استوى على العرش
من بعد ان لم يكن عليه وغير ذلك مما يقتضى ظاهره التجسيم
والتشبيه والجواب من وجوه احدها ان يقال
هذا من مما جات به الرسل وما قالوه من غير تحريف للفظه

ولا معناه فهذا لا انكار عليه بخلاف من ابتدع اقوالا لم تقلها
الرسل بل هي تخالف ما قالوه وحرف ما قالوه اما لفظا ومعنى
واما معنى فقط فهذا يستحق الانكار عليه باتفاق الطوايف
واصل دين المسلمين انهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه
وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف
ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما اثبته لنفسه وينفون عنه
ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك اقوال رسله ويجتنبون
ما خالف اقوال الرسل كما قال تعالى سبحان ربك رب
العزة عما يصفون اي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل وسلام
على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب والحمد لله رب
العالمين فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقايص
المناقضة للكمال واثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل
ونفوا عنه التمثيل فاتوا باثبات مفصل ونفي مجمل فمن نفى عنه
ما اثبته لنفسه من الصفات كان معطلا ومن جعلها مثل صفات
المخلوقين كان ممثلا والمعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما
وقد قال تعالى ليس كمثله شي وهو رد على الممثلة
وهو السميع البصير وهو رد على المعطلة فوصفته بانه حي منزه
عن الموت عليم منزه عن الجهل قدير قوي عزيز منزه عن العجز
والضعف واللغوب والذل سميع بصير منزه عن الصم والعمي
غني منزه عن الفقر جواد منزه عن البخل حليم منزه عن
السفه صادق منزه عن الكذب الى ساير صفات الكمال
مثل وصفه بانه ودود رحيم لطيف وقد قال تعالى قل هو الله
احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فالصمد اسم

يتضمن اثبات

وينفون عنه كل ما يناقض شيئا من صفات الكمال



يتضمن اثبات صفات الكمال ونفي النقايص فانه العليم
الكامل في علمه القدير الكامل في قدرته الحكيم الكامل
في حكمته ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة واخر في بيان
انها تعدل ثلث القران وذكرنا كلام علما المسلمين من الصحابة والتابعين
في معنى الصمد وان عامة ما قالوه حق كقول من قال منهم ان الصمد
الذي لا جوف له ومن قال منهم انه السيد الذي انتهى سودده
كما قيل انه المستغني عن كل ما سواه وكل ما سواه محتاج
اليه وكما قيل انه العليم الكامل في علمه والقدير الكامل
في قدرته الى ساير صفات الكمال وذكر تعالى في هذه السورة
انه احد ليس له كفوا احد فنفى بذلك ان يكون شيا
من الاشيا له كفوا وبين انه احد لا نظير له وقال في اية
اخرى فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا وقال ليس
كمثله شي وقال فلا تضربوا لله الامثال ولا تجعلوا لله اندادا
وما ورد في القران والسنة من اثبات صفات الله فقد ورد
في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك فهو امر اتفقت عليه
الرسل واهل الكتاب في ذلك كالمسلمين واذا كان كذلك
فهم في امانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والانبيا بل ابتدعوا اعتقادا
لا يوجد في كلام الانبيا فليس في كلام الانبيا لا المسيح ولا غيره
ذكر اقانيم لله لا ثلثة ولا اكثر ولا اثبات ثلثة صفات
ولا تسمية شي من صفات الله ابنا لله ولا ربا ولا تسمية حياته
روحا ولا ان لله ابنا هو اله حق من اله حق من جوهر ابيه وانه
خالق كما ان الله خالق الى غير ذلك من الاقوال المتضمنة
لانواع من الكفر لم ينقل عن نبي من الانبيا فقالوا في شريعة

ايمانهم نؤمن بالله الاب مالك كل شي صانع ما يرى وما لا يرى وهذا
حق ثم قالوا وبالرب الواحد ايسوع المسيح ابن الله الواحد بكر
الخلايق كلها مولود ليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر
ابيه نور من نور مساوى للاب فى الجوهر الذى به اتقنت
العوالم وخلق كل شى الذى من اجلنا معشر الناس ومن اجل
خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرا
البتول وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول والم
وصلب ودفن وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد
الى السما وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجى تاره اخرى
للقضا بين الاموات والاحيا ونومن بروح القدس الواحد وروح
الحق المنبثق من ابيه او الذى يخرج من ابيه روح محيه فاين فى
كلام الانبيا ان شيا من صفات الله او من مخلوقاته يقال
فيه انه اقنوم وانه اله حق من اله حق من جوهر ابيه وانه مساوى
لله فى الجوهر وانه خالق كل شى وانه جالس عن يمين الله فوق
العرش وانه الذى يقضى بين الناس يوم القيامه ولدا واين فى
كلامهم ان لله اقنوما ثالثا هو حياته ويسمى روح القدس وانه
ايضا رب حق محيى فلو كان النصارى امنوا بنصوص الانبيا كما
امن المومنون لم يكن عليهم ملام ومن اعترض على نصوص الانبيا
كان لفساد فهمه ونقص معرفته ولكن هم ابتدعوا اقوالا
وعقايد ليست منصوصه عن احد من الانبيا عليهم السلام وفيها
كفر ظاهر وتناقض بين فلو قدر انهم ارادوا بها معنى صحيحا
لم يكن لاحد ان يبتدع كلاما لم يات به نبى يدل على الكفر
المتناقض الذى يخالف الشرع والعقل ويقول انى اردت به معنا

صحيحا

ولدا قديما ازليا ومن الذى سمى كلام الله او علمه او حكمه مولودا له او ابنا له او شيا من صفاته
مولودا له او ابنا له ومن الذى قال من الانبيا انه مولود وهو مع ذلك قديم ازلى واين فى كلامهم
ان لله



صحيحا من غير ان يكون لفظه دالا على ذلك فكيف والمراد الذى
يفسرون به كلامهم فاسد متناقض كما تقدم فهم ابتدعوا
اقوالا منكره وفسروها بتفسير منكر فكان الرد عليهم
من كل واحد من الوجهين وهم فى ذلك نظير بعض ملاحده المسلمين
الذين يعتقدون الهيه بعض اهل البيت او بعض المشايخ ويصفون
الله بصفات لم ينطق بها كتاب وهولا ملحدون عند المسلمين
بخلاف المومنين الذين امنوا بالله ورسله الذين امنوا بما قالت
الانبيا ولم يبتدعوا اقوالا لم تات بها الانبيا وجعلوها اصل دينهم
الوجه الثانى ان يقال ما ذكروه عن المسلمين كذب
ظاهر عليهم فهذا النظم الذى ذكروه ليس هو فى القران ولا فى
الحديث ولا يعرف عالم مشهور من علما المسلمين ولا طايفه مشهوره
من طوايفهم يطلقون العبارة التى حكوها عن المسلمين حيث
قالوا عنهم انهم يقولون ان لله عينين يبصر بهما ويدين يبسط
بهما يبسطهما وساقا ووجها يوليه الى كل مكان وجنبا
ولكن هولا ركبوا من الفاظ القران لسوء فهمهم تركيبا
زعموا ان المسلمين يطلقونه وليس فى القران ما يدل على ظاهره
على ما ذكروه فان الله تعالى قال فى كتابه وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان
ينفق كيف يشا واليهود ارادوا بقولهم يد الله مغلوله انه
بخيل فكذبهم الله فى ذلك وبين انه جواد لا يبخل فاخبر ان يديه
مبسوطتان كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فبسط اليدين المراد
به الجود والعطا ليس المراد ما توهموه من بسط مجرد ولما كان العطا

باليد يكون ببسطها صار من المعروف في اللغه التعبير ببسط
اليد عن العطا فلما قال اليهود يد الله مغلوله وارادوا بذلك انه
بخيل كذبهم الله في ذلك وبين انه جواد ماجد واثبات اليدين له
موجود في التوراه وساير النبوات كما هو موجود في القران ولم
يكن في هذا شي يخالف ما جات به الرسل ولا ما يناقض العقل
وقد قال تعالى لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي فاخبر انه خلق ادم بيديه واما لفظ العينين فليس هو
في القران ولكن جا فيه حديث وذكر الاشعري عن اهل
السنه والحديث انهم يقولون ان لله عينين ولكن الذي جا
في القران ولتصنع على عيني واصنع الفلك باعيننا ووحينا
وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا واما قولهم له
وجه يوليه الى كل مكان فليس هذا في القران ولكن في
القران كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وقوله كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا
قد قال فيه طايفه من السلف فثم قبله الله اي فثم جهه الله
والوجه والجهه كالوعد والعده والوزن والزنه والمراد بوجه
الله وجهه الله الوجه والجهه والوجهه الذي لله يستقبل في
الصلاه كما قال في اول الايه ولله المشرق والمغرب
ثم قال فاينما تولوا فثم وجه الله كما قال تعالى
سيقول السفها من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم فاذا
كان لله المشرق والمغرب ولكل وجهه هو موليها وقوله





موليها اي متوليها اي مستقبلها فهذا كقوله فاينما تولوا فثم
وجه الله اي فاين ما تستقبلوا فثم وجه الله وقد قيل انه يدل
على صفه لله لكن يدل على ان ثم وجه لله وان العباد اينما يولون
فثم وجه الله فهم الذين يولون ويستقبلون لا انه هو يولي
وجهه الى كل مكان فهذا تحريف منهم للفظ القران عن معناه
وكذب على المسلمين ومن قال بالقول الثاني من المسلمين
فان ذلك يقتضي ان الله محيط بالعالم كله كما قد بسطت
هذه الامور في غير هذا الموضع اذ المقصود هنا بيان ضلال
هاولاي في دينهم فيما ابتدعوه من الكفر والتثليث والاتحاد
دون الذين امنوا بالله ورسله وما اخبرت به الرسل عن الله تبارك
وتعالى واما قولهم وجنب فانه لا يعرف عالم مشهور عند
المسلمين ولا طايفه مشهوره من طوايف المسلمين اثبتوا لله جنبا
نظير جنب الانسان وهذا اللفظ جا في القران في قوله ان
تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وليس في مجرد
الاضافه ما يستلزم ان يكون المضاف الى الله صفه له بل قد
يضاف اليه من الاعيان المخلوقه وصفاتها القايمه بها ما ليس
صفه له باتفاق الخلق كقوله تعالى بيت الله وناقه الله
وعباد الله بل وكذلك روح الله عند سلف المسلمين وايمتهم
وجمهورهم ولكن اذا اضيف اليه ما هو صفه له وليس صفه
لغيره مثل كلام الله وعلم الله وقدره الله ونحو ذلك كان صفه
له وفي القران ما يبين انه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب
الانسان فانه قال ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله والتفريط ليس في شي من صفات الله عز وجل

قد
والانسان اذا قال فلان فرط في جنب فلان او جانبه لا يريد به
ان التفريط وقع في شي من نفس ذلك الشخص بل يريد به انه فرط
في جهته وفي حقه فاذا كان هذا اللفظ اذا اضيف الى
المخلوق لا يكون ظاهره ان التفريط في نفس جنب الانسان المتصل
باضلاعه بل ذلك التفريط لم يلاصقه فكيف يظن ان ظاهره
في حق الله ان التفريط كان في ذاته وجنب الشي وجانبه
قد يراد به منتهاه وحده ويسمى جنب الانسان جنبا بهذا
الاعتبار قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع خوفا
وطمعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل
قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب واذا
قدر ان الاضافة تتضمن صفة لله كان الكلام في هذا كالكلام
في ساير ما يضاف اليه تعالى من الصفات وفي التوراه من ذلك
نظير ما في القران وهذا يتبين بالوجه الثالث
وهو ان يقال ما في القران والحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس
تجسيما هو مثل ما في التوراه وساير كتب الانبيا وهو الذي
في التوراه وكتب الانبيا ليس مما احدثه اهل الكتاب ولو
كانوا هم ابتدعوا ذلك ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه
من التجسيم لكان النبي صلى الله عليه وسلم ذمهم على ذلك
كما ذمهم على ما وصفوه به من النقايص في مثل قوله لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وقوله وقالت
اليهود يد الله مغلوله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشا وقال تعالى ولقد خلقنا

السموات



السموات والارض وما بينهما في سته ايام وما مسنا من لغوب
فنفى عنه اللغوب الذي يظن في لفظ الاستراحه الذي في
التوراه فان فيها ان الله خلق العالم في سته ايام ثم استراح
في يوم السبت فظن بعض الناس انه تعب فاستراح ثم من
علما المسلمين من يقول هذا اللفظ حرفوا معناه دون لفظه
وهذا لفظ التوراه المنزله قاله ابن قتيبه وغيره قالوا معناه
ثم ترك الخلق فعبر عن ذلك بلفظ استراح ومنهم من قال
بل حرفوا لفظه كما قاله ابو بكر بن الانباري وغيره وقالوا
ليست هذه لفظ التوراه المنزله واما ما في التوراه من اثبات
الصفات فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم شيا من ذلك بل
كان علما اليهود اذا ذكروا شيا من ذلك يقرهم عليه ويصدقهم
عليه كما في الصحيحين عن ابن مسعود ان حبرا من اليهود جا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل
يوم القيامه يحمل السموات على اصبع والارضين على اصبع
والجبال والشجر على اصبع ~~والارضين على اصبع والجبال~~
~~والشجر على اصبع~~ والما والثرى على اصبع وساير الخلق على
اصبع فيهزهن فيقول انا الملك قال فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا لقول
الحبر ثم قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه الايه وفي التوراه
ان الله كتب التوراه باصبعه واذا ثبت ان مثل هذه النصوص
في التوراه والكتب والكتب المتقدمه باتفاق اهل الكتاب
وبما يشهد على ذلك من اخبار الرسول بنظير ذلك ونقل اخباره

لما في التوراة وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من ذلك
لم يكن المسلمون مختصين بذكر ما سموه تجسيما بل يلزم
اهل الكتاب اليهود والنصارى من ذلك نظير ما يلزم المسلمين
وقد افترق اهل الكتاب في ذلك كما افترق فيه
المسلمون منهم الغالي في النفي والتعطيل ومنهم الغالي في
التشبيه والتمثيل والمسلمون ايضا منهم وجمهورهم مقتصدون
بين التعطيل والتمثيل وكذلك طايفة من اهل الكتاب
والمقصود انه اذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب
الالهية التوراة وغيرها كما جاءت في القران لم يكن للمسلمين
بذلك اختصاص ولم يجز للنصارى ان يجعلوا ذلك نظير ما
اختصوا به من التثليث والاتحاد فان ذلك مختص بهم وهذه
الصفات قد اشترك فيها الملل الثلاث لان التثليث
والاتحاد ليس منصوصا عن احد من الانبيا عليهم السلام
وهذه الصفات منصوصة في القران والتوراة وغيرهما
من كتب الانبيا فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا الوجه
الرابع قولهم فيوهمون السامعين ان الله ذو جسم
واعضا وجوارح كلام باطل وذلك ان الله سمى نفسه
وصفاته باسما وسمى بعض عباده باسما وصفات عباده
باسما هي في حقهم نظير تلك الاسما في حقه سبحانه وتعالى
فسمى نفسه حيا كقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم وتوكل
على الحي الذي لا يموت وسمى بعض عباده حيا كقوله يخرج الحي
من الميت مع العلم بانه ليس الحي كالحي وسمى نفسه عليما
كقوله ان ربك حكيم عليم وسمى بعض عباده عليما بقوله وبشرناه



بغلام عليم مع العلم بانه ليس العليم كالعليم وسمى نفسه
حليما بقوله ان الله غني حليم وسمى بعض عباده حليما بقوله
وبشرناه بغلام حليم وسمى نفسه رؤوفا رحيما بقوله ان الله
بالناس لرؤوف رحيم وسمى بعض عباده رؤوفا رحيما بقوله
بالمومنين رؤوف رحيم وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم
كالرحيم وكذلك سمى نفسه ملكا جبارا متكبرا عزيزا
وسمى بعض عباده ملكا وبعضهم عزيزا وبعضهم جبارا
متكبرا وليس هو في ذلك مما ثلا لخلقه وكذلك سمى بعض
صفاته علما وقوة وايدا وقدرة ورحمة وغضبا ورضى ويدا
وغير ذلك وسمى بعض صفات عباده بذلك وليس علمه كعلمهم
ولا قوته كقوتهم ولا رحمته وغضبه كرحمتهم وغضبهم
ولا يده كايديهم وكذلك ما اخبر به عن نفسه من استوايه
على العرش ومجيه في ظلل من الغمام وغير ذلك من هذا
الباب ليس استواوه كاستوايهم ولا مجيه كمجيهم وهذه
المعاني التي تضاف الى الخالق تارة والى المخلوق اخرى
تذكر على ثلثة اوجه تارة تقيد بالاضافة الى الخالق او
باضافته اليها كقوله تعالى ولا يحيطون بشي من علمه
الا بما شا ان الله هو الرزاق ذو القوة وتارة تقيد بالمخلوق
كقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولو العلم
وتارة تطلق مجردة فاذا قيدت بالخالق لم تدل على شي
من خصايص المخلوقين فاذا قيل علم الله وقدرته واستواوه
ومجيه ويده ونحو ذلك كانت هذه الاضافة توجب
ما يختص به الرب الخالق وتمنع ان يدخل فيها ما يختص به

المخلوق وكذلك اذا قيل فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك كانت هذه الاضافه توجب ما يختص بالعبد وتمنع
ان يدخل في ذلك ما يختص بالرب عز وجل واذا جرد اللفظ
عن القيود نذكر بوصف العموم والاطلاق تناول الامرين
كسائر الالفاظ التي يطلق على الخالق والمخلوق وهذه
للناس فيها اقوال قيل انها حقيقه في الخالق مجاز في المخلوق
كقول ابي العباس الناشي وقيل بالعكس كقول غلاه الجهميه
والباطنيه والفلاسفه وقيل حقيقه فيهما وهو قول
الجمهور ثم قيل هي مشتركه اشتراكا لفظيا وقيل
متواطيه وهو قول الجمهور ثم من جعل المشككه نوعا
من المتواطيه لم يمتنع عنده اذا قيل مشككه ان تكون متواطيه
ومن جعل ذلك نوعا اخر جعلها مشككه لا متواطيه وهذا
نزاع لفظي فان المتواطيه التواطي العام يدخل فيها المشككه
اذ المراد بالمشككه ما يتفاضل معانيها في مواردها كلفظ
الابيض الذي يقال على البياض الشديد كبياض الثلج والخفيف
كبياض العاج والشديد اولى به ومعلوم ان مسمى البياض
في اللغه لا يختص بالشديد دون الخفيف فكان اللفظ دالا
على ما به الاشتراك وهو المعنى العام الكلي وهو متواطي بهذا
الاعتبار وهو باعتبار التفاضل يسمى مشككا واما اذا اريد
بالتواطي ما يستوي معانيه كانت المشككه نوعا اخر
لكن تخصيص لفظ المتواطيه بهذا عرف حادث وهو خطا
ايضا فان عامه المعاني العامه تتفاضل والتماثل فيها في جميع
مواردها بحيث لا تتفاضل في شي من مواردها اما قليل واما



معدوم فلو لم يكن هذه الاسما متواطيه بل مشككه كان
عامه الاسما الكليه غير متواطيه وهذا مبسوط في موضع اخر
والمقصود هنا ان الله سبحانه وتعالى اذا اضاف الى نفسه
ما اضافه اضافه يختص بها وتمنع ان يدخل فيها شي من خصايص
المخلوقين وقد قال مع ذلك انه ليس كمثله شي وانه لم يكن له
كفوا احد وانكر ان يكون له سمي كان من فهم من هذه ما
يختص به المخلوق قد اوتي من سوء فهمه ونقص عقله لا من قصور
في بيان الله ورسوله ولا فرق في ذلك بين صفه وصفه فمن فهم
من علم الله ما يختص به المخلوق من انه عرض محدث باضطرار
او اكتساب فمن نفسه اتي وليس في قولنا علم الله ما يدل
على ذلك وكذلك من فهم من قوله بل يداه مبسوطتان وما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ما يختص به المخلوق من
جوارحه واعضايه فمن نفسه اتي فليس في هذا اللفظ ما يدل
على ما يختص به المخلوق كما في سائر الصفات وكذلك اذا
قال ثم استوى على العرش من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق
كما يفهم من قوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فمن نفسه اتي فان ظاهر اللفظ يدل على استوا مضاف الى الله
عز وجل كما يدل في تلك الايه على استوا مضاف الى العبد
واذا كان المستوي ليس مماثلا للمستوي لم يكن الاستوا
مماثلا للاستوا فاذا كان العبد فقيرا الى ما استوى عليه يحتاج
الى حمله وكان الرب عز وجل غنيا عن كل ما سواه والعرش
وما سواه فقيرا اليه وهو الذي يحمل العرش وحمله العرش لم يلزم
اذا كان الفقير محتاجا الى ما استوى عليه ان يكون الغني عن

كل شي وكل شي محتاج اليه محتاجًا الى ما استوى عليه وليس
في ظاهر كلام الله عز وجل ما يدل على ما يختص به المخلوق من
حاجه الى الحامل وغير ذلك بل يتوهم هذا من سوء الفهم لا من
دلاله اللفظ لكن اذا تخيل المتخيل في نفسه ان الله مثله
تخيل ان يكون استواوه كاستوايه واذا عرف ان الله ليس
كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله علم ان استواءه
ليس كاستوايه ولا مجيه كمجيه كما ان علمه وقدرته ورضاه
وغضبه وما بين الاسما من المعنى العام الكلي كما بين قولنا
حي وحي وعالم وعالم وهذا المعنى العام الكلي المشترك
لا يوجد عامًا كليًا مشتركًا الا في العلم والذهن والا فالذي
في الخارج امر يختص بالموصوف فصفات الرب عز وجل مختصه
به وصفات المخلوق مختصه به ليس بينهما اشتراك ولا بين
مخلوق ومخلوق الوجه الخامس قولهم لما كان
اعتقادهم في الباري جلت ~~عظمته~~ وقدرته انه غير ذي جسم
استعمال منهم للفظ الجسم في القدر والغلظ لا في ذي القدر
والغلظ وهذا احد موردي استعماله وهو الاشهر في لغه
العامه فيقولون هذا الثوب له جسم وهذا ليس له جسم
اي هذا له غلظ وكثافه دون هذا ولكن النظار اكثر
ما يستعملون لفظ الجسم في نفس ذي القدر فيقولون للقايم
بنفسه ذي القدر انه جسم وهذا اللفظ لما كثر استعماله في
كلام النظار تفرقوا في معانيه لغةً وعقلًا وشرعًا تفرد فا
ضل به كثير من الناس فان هذا اللفظ اصله في اللغه
هو الجسد قال غير واحد من اهل اللغه كالاصمعي وابي زيد

ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه
في نسخة

118

وغيرهما الجسم هو الجسد وهذا انما يستعمله اهل اللغه فيما
كان غليظًا كثيفًا فلا يسمون الهوا جسمًا ولا جسدًا ويسمون
بدن الانسان جسدًا وقد تقدم ان الجسم يراد به نفس الجسد
ويراد به قدر الجسد وغلظه قال تعالى وزاده بسطه
في العلم والجسم وقال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسنده وقد يراد
به هذا وهذا ثم ان اهل النظر استعملوا لفظ الجسم في اعم من
معناه في اللغه كما فعلوا مثل ذلك في لفظ الجوهر ولفظ
العرض ولفظ الوجود ولفظ الذات وغير ذلك فاستعملوا لفظ
الجسم فيما يقوم بنفسه ويمكن الاشارة الحسيه اليه
ثم تنازعوا نزاعًا عقليًا فيما يشار اليه كالهوا والنار والتراب
والما وغير ذلك هل هو مركب من الجواهر المنفرده التي لا
تقبل القسمه او من المادة والصورة او ليس مركبًا لا من هذا
ولا من هذا على تلك اقوال قد بسط الكلام عليها في غير
هذا الموضع فمن اعتقد انها مركبه من هذا او من هذا يلزمه
اذا قال ان الله جسم ان يكون الله مركبًا من هذا او هذا
وهذا باطل ولهذا قالوا ان هذا باطل واوجبوا على اصلهم
نفي مسمى هذا الاسم ومن اعتقد انه ليس مركبًا لا من هذا
ولا من هذا قال لا يلزمني اذا قلت هو جسم ان يكون مركبًا
من هذا ولا من اطلق عليه لفظ الجسم واراد به القايم بنفسه
او الموجود كما اطلق هذا ولا لفظ الجوهر وقالوا اراد بالجوهر
القايم بنفسه وكما قال هذا لا ليس في الوجود الا جوهر
او بعره وهو العرض والجوهر اشرف القسمين وقال

وهو اما قائم بنفسه فان الوجود ومن زعم الجوهر هو

الاخرون ليس في الوجود الا قايم بنفسه وهو الجسم او قايم بغيره
وهو العرض والجوهر اشرف القسمين وقال الاخرون
ليس في الوجود الا قايم بنفسه وهو الجسم او قايم بغيره وهو
العرض والجسم اشرف القسمين فما سماه اوليك جوهرًا سماه
هولا جسما وكلاهما ليست تسميه لغويه ولا شرعيه واذا قال
هاولا هو جوهر لا كالجواهر كما يقال هو شي لا كالاشيا
قال اوليك هو جسم لا كالاجسام كما يقال هو شي لا كالاشيا
واذا قال هاولا الجوهر ينقسم الى كثيف ولطيف قال
اوليك والجسم ينقسم الى لطيف وكثيف والمقصود هنا
ان هاولا المثبته نزاعهم مع النفاه قد يكون لفظيا كنزاع
النصارى في لفظ الجوهر وقد يكون عقليا كنزاعهم في
ان المشار اليه هل هو مركب من الجواهر المنفرده او الماده
او الصوره او لا من هذا ولا من هذا ومن كان من القايلين بانه
جسم ويقول انه مركب من الجواهر المفرده او من الماده
والصوره فهاولا مذمومون لفظا ومعنى عند جماهير المسلمين
وغيرهم وان كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هاولا
اذ كان ما يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصايص الاجسام
طرقا ضعيفه لا تثبت على المعيار العقلي كما قد بسط في موضع
اخر بخلاف من كان نزاعه لفظيا فهذا يذم لغة واما لغة
وشرعا فلكونه اطلق لفظا لم ياذن به الشرع او استعمله في
خلاف معناه اللغوي كما تقدم فقد يذم الذي مثل ذلك لغة
وشرعا اذا كان معناه صحيحا واما من كان من النفاه او
المثبته نافيا او مثبتا باطلا فهذا مذموم ذما معنويا



شرعًا وعقلا واما الشرع فالرسل واتباعهم كالمتقدمين
من امه موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يقولوا
ان الله جسم ولا انه ليس بجسم ولا انه جوهر ولا انه ليس بجوهر
لكن النزاع اللغوي والعقلي والشرعي في هذه الاسما
هو مما حدث في الملل الثلث بعد انقراض الصدر الاول
من هاولا وهاولا وهاولا والذي اتفقت عليه الرسل واتباعهم
ما جا به القران والتوراه من ان الله موصوف بصفات الكمال
وانه ليس كمثله شي فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين
مع اثبات ما اثبته لنفسه من الصفات ولا ندخل في صفاته
ما ليس منها ولا نخرج منها ما هو داخل فيها اذا تبين هذا
فالمسلمون لما كان اعتقادهم في الرب تعالى انه موصوف
بما وصف به نفسه وانه ليس كمثله شي وكان ما اثبته
له من الصفات مما جاءت به الرسل لم يكن عليهم ملام
لانهم اثبتوا ما اثبته الرسل ونفوا ما نفته الرسل فكان
في هذا النفي ما ينفي الوهم الباطل بخلاف من اثبت امورًا
لم تات بها الرسل وضم اليها ما يوكد المعنى الباطل لا ما ينفيه
وكان فيما نفوه عنه انه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفرده
ولا من الماده والصوره اما على احد قولي النظار بل الجمهور
فان ما سواه من الموجودات القايمه بانفسها ليس مركبا لا من
هذا ولا من هذا فهو سبحانه احق بتنزيهه عن مثل هذا اذ
كل نقص نفي عن المخلوق فالخالق احق بتنزيهه منه واما على
القول الاخر فتارة يقولون لان المركب من الجواهر المنفرده
يمكن افتراق اجزاوه وذلك ممتنع في حق الله تعالى وتارة يقولون

حاشيه
لم يرد شيخ الاسلام بقوله وكان فيما نفوه انه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفرده ولا من الماده والصوره انه ورد نص على نفي هذا المعنى
بهذا اللفظ فلا تعجل واقف على قوله ذلك بقوله لم يرد نص بذلك او ابن النص بذلك وليستغفر لاما الى اخره فقد بين مقصوده
بقوله هذا ان ذلك صفه نقص والرسل قد نفت النقايص عن الله ونزهته عنها فعد دخلت هذه النقيصه في عموم تنزيههم
العام لربهم سبحانه عن كل نقص وكل صوره شملها عموم لفظ خبرا وامرا ونهيا يصح ان يقال اخبر بكذا او امر بكذا او نهى
عن كذا لدخول تلك الصوره في عموم اللفظ وهو ما بنص على ان لفظ الجسم والمركب لم يرد في حق الله في الكتاب والسنه
لا نفيا ولا اثباتا وفي مغلوب هذه الصحيفه دليل
الجوهر

لانه مفتقر الى اجزايه وذلك ممتنع فى حق الله تعالى اذ جزؤه
غيره والمفتقر الى غيره لا يكون واجبا بنفسه قديما ازليا
كما قد بسط الكلام على هذه الامور فى موضع اخر ثم منهم
من لا يطلق من النفى والاثبات الا الالفاظ الشرعيه وكما
لا يقول هو جسم وجوهر لا يقول ليس بجسم ولا جوهر ومنهم
من يطلق هذه الالفاظ و~~هاولا~~ منهم من ينفيها ومنهم من
يثبتها وكل من الطايفتين قد يدخل فى ذلك ما يوافق الشرع
وقد يدخل فى ذلك ما خالف الشرع وكل من الطايفتين يدعى
النظر العقلى او اللغوى وربما اعتصم بعضهم بما يظنه
دليلا شرعيا والغالب عليهم انه لا يعتصمون فى ذلك
بشرع اذ لم يكن فى ذلك شرع وانما يتكلمون بغير اللغه
الذى بعث بها الرسول ثم يحملون الفاظه على ما ابتدعوه من
اللغه كما فعلته النصارى فى حمل كلام الانبيا على ما ابتدعوه
من اللغه فان الانبيا لم يسموا علم الله وحياته ابنا وروح قدس
ولا ربا فسمى النصارى علمه وحياته ابنا وروح قدس وربا
ثم حملوا كلام الانبيا على ذلك كذلك طايفه من اهل
الكلام كان السلف يسمونهم الجهميه احدثوا تسميه الواحد
والاحد ونحوها لما لا يشار اليه ولا يميز الحس منه شيا عن شى
وهذا خلاف اللغه فان اهل اللغه يسمون بالواحد والوحيد
والاحد فى النفى لما يشار اليه ويميز الحس منه شيا من شى
كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا فسمى الانسان وحيدا
وقال تعالى وان كانت واحده فلها النصف فسمى المراة
واحده وقال وان احد من المشركين استجارك فاجره



حتى يسمع كلام الله فسمى المستجير وهو انسان احد وكذلك
قوله تعالى لم يكن له كفوا احد فنفى ان يكون احد
كفوا له فلو كان ما يشار اليه لا يسمى احدا لم يكن قد نزه
نفسه عن مماثله المخلوقات له فان المشهود من المخلوقات
كلها يشار اليها فان لم تدخل فى احد لم يكن قد نزه نفسه
عن مماثلتها فهولا لما احدثوا ان مسمى الاحد والواحد لا يكون
مشارا اليه قالوا والرب قد سما نفسه احدا وواحدا فيجب
ان لا يكون مشارا اليه ولغه الرسول التى خاطب بها الناس
لم تكن موافقه لما ابتدعوه من اللغه وكذلك الذين قالوا هو
جسم غيروا اللغه وجعلوا الجسم اسما لما يشار اليه او لكل
موجود او لكل قايم بنفسه ثم قالوا هو موجود او قايم بنفسه
او مشار اليه فيكون جسما ولا يوجد فى اللغه اسم الجسم
لا لهذا ولا لهذا وقالوا لا يلزم من كونه مشارا اليه ان يكون
مركبا من الجواهر المفرده ولا من الماده والصوره وقال
اوليك بل يلزم ان كل مركب فانه يسمى فى اللغه جسما
فيلزم ان يسمى جسما اذا قلنا هو مشار اليه او يرى بالابصار
او متصفا بصفات تقوم به وليس ما ذكروه عن اللغه
بمستقيم فان اهل اللغه لا يعنون بالجسم المركب بل الجسم
عندهم هو الجسد ولا يسمون الهوا جسما اذا تبين هذا
فتمثيل هاولا ~~كذب~~ النصارى باطل على كل قول طايفه
من طوايف المسلمين فان من يقول الجسم فى اللغه هو المركب
والله ليس بمركب فليس بجسم لا يقولون ما ذكروه من ان
الله له وجه يوليه الى كل مكان وجنب ونحو ذلك

وكذلك من قال ان الله ليس بمركب وسماه جسما بمعنى انه قايم
بنفسه او لم يسمه جسما لا يقول بذلك ايضا ومن حكى عنه انه
يثبت له خصايص الاجسام المركبه فهاولا ان اطلقوا ما
نفاه فلا حجه للنصارى عليهم وان لم يطلقوه فحجتهم ابعد
فقد تبين انه ليس لهم حجه على افسد الناس قولا في التجسيم
فضلا عن غيرهم الوجه السادس ان يقال لهولا
النصارى اما ان تعنوا بلفظ الجسم المعنى اللغوي وهو الجسد
واما ان تعنوا به المعنى الاصطلاحي عند اهل الكلام كالمشار
اليه مثلا فان عنيتم الاول لم يلزم من نفي ذلك نفي ما ذكرتموه
من الصفات لا سيما وانتم تقولون انه جوهر وتقسمتم الجوهر
الى لطيف وكثيف فاذا كان الكثيف هو الجسم واللطيف
جوهر ليس بجسم لم يمتنع على مثل هذا ان يكون له ما يناسبه
من الصفات كالمليكه فان المليكه لا يمتنع وصفها
بذلك وان لم تكن اجساما على هذا الاصطلاح بل هي جواهر
روحانيه وكذلك روح الانسان التي تخرج منه لا يمتنع
وصفها بما يناسبها من ذلك وان كانت ليست بجسم على هذا
التقرير فتبين ان نفي مسمى الجسم اللغوي عن الشي لا يمتنع
اتصافه بما ذكر من الصفات وامثالها وان عنيتم بالجسم
القايم بنفسه او المشار اليه لم يمتنع عندكم ان يكون جسما
فانكم سميتموه جوهرا وعنيتم القايم بنفسه فان قام الدليل
على ان كل قايم بنفسه يشار اليه كان ايضا مشارا اليه
وان قام دليل على انه قايم بنفسه لا يشار اليه كان جوهرا
وجسما عند من يفسر الجسم بالقايم بنفسه ومن يفسره بالمشار

اليه لم يسم عنه



اليه لم يسم عنه جسما فتبين انه على اصلكم لا يمتنع ان يسمى
جسما مع تسميتكم له جوهرا الا اذا ثبت ان من الموجودات
ما هو جوهر قايم بنفسه لا يشار اليه وهذا لم يقيموا عليه دليلا
وليس هذا قول اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى
وانما هو قول طايفه من الفلاسفه وقليل من اهل الملل وافقوهم
ثم يقال لكم انتم قلتم انه حي ناطق وله حياه ونطق
بل زدتم على ذلك حتى جعلتموه اقانيم ثلثه ومعلوم ان الحياه
والنطق لا تعقل الا صفه قايمه بموصوف ولا يعلم موصوف
بالحياه والنطق الا ما هو مشار اليه بل ما هو جسم كالانسان
فان جاز لكم ان تثبتوا هذه الاعراض في غير جسم جاز
لغيركم ان يثبت المجي واليد ونحو ذلك لغير جسم وان قلتم
هذا لا يعقل الا لجسم قيل لكم وذلك لا يعقل الا لجسم
فان رجعتم الى الشاهد كان حجه عليكم فان جاز لكم
ان تثبتوا في الغايب حكما على خلاف الشاهد جاز لغيركم
وحينيذ فلا تناقض بين ما نفاه المسلمون واثبتوه لو كان
ما ذكرتموه عنهم في النفي والاثبات حقا على وجهه
وكيف وقد وقع التحريف في الطريقين الوجه
السابع ان يقال غايه مقصودكم ان تقولوا ان
المسلمين لما اطلقوا الفاظا ظاهرها كفر عندهم بمجي النص
بها وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها كذلك نحن اطلقنا
هذه الالفاظ التي ظاهرها كفر لمجي النص بها ونحن لا نعتقد
مدلولها فيقال لكم اولا ان ما اطلقه المسلمون من
نصوص الصفات اطلقتموه انتم كما وردت به التوراه فهذا

مشترك بينكم وبينهم وما اختصصتم به من التثليث والاتحاد
لم يشركوكم فيه ثم يقال وثانيا ان المسلمين اطلقوا
الفاظ النصوص وانتم اطلقتم الفاظا لم يرد بها نص والمسلمون قرنوا
تلك الالفاظ بما جاءت به النصوص من نفي التمثيل وانتم لم تقرنوا
بالفاظكم ما ينفي ما اثبتموه من التثليث والاتحاد والمسلمون
لم يعتقدوا معنى باطلا وانتم اعتقدتم التثليث في الاقانيم والاتحاد
ما هو معنى باطل والمسلمون لم يسموا صفات الله باسما احدثوا
تسميه الصفات بها وحملوا كلام الرسل عليها وانتم احدثتم
لصفات الله اسما سميتموه انتم بها لم تسمه بها الرسل وحملتم
كلام الرسل عليها والمسلمون لم يعدلوا عن النصوص الكثيره
المحكمه البينه الواضحه الى الفاظ قليله متشابهه وانتم عدلتم
عن هذا الى هذا والمسلمون لم يضعوا لهم شريعه اعتقاد غير
ما جاءت به الرسل وانتم وضعتم شريعه اعتقاد غير ما جاءت
به الرسل والمسلمون لم يقولوا قولا لا يعقل وانتم قلتم قولا
لا يعقل والمسلمون لم يتناقضوا فيجعلوا الاله واحدا ويجعلونه
اثنين بل ثلاثه وانتم تناقضتم فهذه الفروق وغيرها مما يبين
فساد تشبيهكم انفسكم بالمسلمين الوجه الثامن
قولكم وكذلك ايضا نحن النصارى العلة في قولنا ان الله
ثلثه اقانيم اب وابن وروح قدس ان الانجيل نطق به فيقال
لكم هذا باطل لم ينطق به الانجيل ولا شي من النبوات بان الله
ثلثه اقانيم ولا خص احد من الانبيا الكتب بثلث صفات دون
غيرها ولا قال المسيح ولا غيره ان الله هو الاب والابن وروح
القدس ولا ان له اقنوما هو الابن واقنوما هو روح القدس ولا

قال ان الابن كلمته



قال ان الابن كلمته او علمه او حكمته او نطقه وان روح القدس
حياته ولا سمى شيئا من صفاته ابنا ولا ولدا ولا قال عن شي
من صفات الرب انه مولود ولا جعل القديم الازلي مولودا ولا قال
عن قديم ولا مخلوق انه اله حق من اله حق ولا عن صفات الله
انها الهه وان الكلمه اله والروح اله ولا قال ان الله اتحد
لا بذاته ولا بصفاته بشي من البشر بل هذا كله مما ابتدعتموه
وخرجتم به عن الشرع والعقل فخالفتم الكتب المنزله والعقول
الصريحه ولستم ممن قيل فيه لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
في اصحاب السعير فانكم انتم الذين سميتم نطق الله ابنا وقلتم
سميناه ابنا لانه تولد منه كما يتولد الكلام من العقل
فكان ينبغي ايضا ان تسموا حياته ابنا لانها منبثقه منه
ومتولده عنه ايضا اذ لا فرق بين علم الرب وحياته فعلمه
لازم له وحياته لازمه له فلماذا جعلتم هذا ابنا دون هذا
وقلتم انه مولود من الله وانه قديم ازلي وانتم تعترفون بان احدا
من الانبيا لم يسم علم الله ولا كلامه ولا حكمته مولودا منه
والذي يعقله الخلق في المولود الذي يولد من غيره كما يتولد
العلم والكلام من نفس الانسان انه حادث منه او منفصل
منه لا يعقل انه قايم به وانه قديم ازلي ثم قلتم في امانتكم انه
تجسم من روح القدس او منه ومن مريم وهو انما تجسم عندكم
من الكلمه الذي سميتموها الابن دون روح القدس وان كان
تجسم من روح القدس فيكون هو روح القدس لا يكون هو الكلمه
التي هي الابن ثم تقولون هو كلمه الله وروحه فيكون جسد
اقنومين اقنوم الكلمه واقنوم الروح وانما هو اقنوم واحد عندكم

فهذا تناقض وحيره تجعلونه الابن الذي هو الكلمه وهو اقنوم
الكلمه فقط وتقولون تجسم من روح القدس ولا تقولون انه
تجسم من الكلمه وتقولون هو كلمه الله وروحه والكلمه والروح
اقنومان ولا تقولون انه اقنومان بل اقنوم واحد وتقولون انه
خالق العالم والخالق هو الاب وتقولون ليس هو الاب وتقولون
اله حق من اله حق وتقولون اله واحد وتقولون ساوا الاب
في الجوهر وتقولون ليس له مثل وليس شي من هذا في كلام
احد من الانبيا فكيف تشبهون انفسكم بمن اتبع نصوص الانبيا
ولم يحرفها وغايه ما عندكم ما وجد في انجيل متى دون ساير
الاناجيل من ان المسيح عليه السلام قال عمدوا الناس
باسم الاب والابن وروح القدس وانتم قد عرفتم في كلام المسيح
وغيره من الانبيا انهم لا يريدون لا يريدون بالابن صفه الله لا
كلامه ولا علمه ولا حكمته ولا يريدون ان الابن اله حق من اله
حق ولا مولود قديم ازلي بل يريدون به وليه وهو ناسوت
لا لاهوت ليعقوب والحواريين ولا يريدون بروح القدس
نفس حياة الله ولا يريدون به انه رب حي وانما يريدون بها الملك
او ما ينزله الله على قلوب الانبيا يه واصفيايه من الهدى والتاييد
ونحو ذلك فروح القدس يكون عندكم وعند المسلمين في الانبيا
وغيرهم كما كانت في داود وكانت في الحواريين فلو قدر ان لفظ وغيره
الابن وجد في كلام المسيح مستعملا بمعنى كلمه الله وتارة تارة
في وليه الناسوت وروح القدس مستعملا تارة في حياته وتارة فيما
ينزله على قلوب انبيايه كان جزمكم بانه اراد بذلك هنا صفات الله
جزما باطلا فما وصف به المسيح بانه ابن الله وبان روح القدس

فيه قد وصف



فيه قد وصف به غيره من الانبيا والصالحين فان كان الابن وروح
القدس صفتين لله وجب ان يكون المسيح لاهوتا و ناسوتا غيره
كالمسيح اذ الذي حل في المسيح حل في غيره كان جزمكم بانه اراد
بذلك هنا صفات الله جزما باطلا وروح القدس مستعملا تارة في
حياته وتارة فيما ينزله على قلوب انبيايه ثم جزمكم بان هذه الصفات
اقانيم وانه ليس لله صفات ذاتيه او جوهريه او نحو ذلك الا هذه
الثلثه ثم تفرقتم في الثلاثه هل المراد بالاقانيم الموجود والعلم
والحياه او الحكمه او الكلام او النطق بدل لفظ العلم
او المراد الموجود والعلم والقدرة تلك الحياه او المراد الموجود بدل ع
والحياه والقدرة او المراد الموجود مع الحياه والعلم والقدرة
الى اقوال اخر يطول امرها فيا ليت شعري ما الذي اراد المسيح
بلفظ الاب والابن وروح القدس من هذه الامور التي اختلفتم
فيها لو كان مراده ما ادعيتموه من الاقانيم والاقانيم لفظا
ومعنى لا يوجد في كلام احد من الانبيا بل قيل فيها انها لفظه
روميه يفسرونها تارة بالاصل وتارة بالشخص وتارة بالذات
مع الصفه ويفسرونها تارة بالخاصه وتارة بالصفه فهلا
تركتم كلام المسيح على حاله ولم تحرفوه هذه التحريفات ولقد
احسن بعض الفضلا اذ قال لو سالت نصرانيا وابنه
وامراته من النصارى عما يعتقدونه لاخبرك كل واحد بعقيده
تخالف عقيده الاخر اذ كان اصل اعتقادهم جهلا وضلالا
ليس معهم علم ولا عقل ولا نقل فهم كما قال الله تعالى ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ليس معهم
بما اعتقدوه من التثليث والاتحاد علم بوجه من الوجوه فضلا

وفضلا

عما هو احص من ذلك وهو علم يهتدون به فليسوا بمهتدين فضلا عما هو
احص من الهدى وهو كتاب منير فليس معهم به كتاب منير ولو
تكلمتم بهذا الكلام وقلتم لا نفهم معناه او ظاهره باطل وله تاويل
مقبول كما حكيتموه عمن تشبهتم به من المسلمين انه يقوله
في الصفات لكان هذا اقرب الى القياس فكيف والامر بعكس
ما ذكرتم وذلك يتبين بالوجه التاسع وهو انكم
انما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الانبيا وظاهره الى ما تاولتموه
عليه من التاويلات التي لا يدل عليها لفظه لا نصا ولا ظاهرا
فعدلتم عن المحكم واتبعتم المتشابه ابتغا الفتنه وابتغا تاويله
فلو تمسكتم بظاهر هذا الكلام لم تضلوا فان الابن ظاهره في
كلام الانبيا لا يراد به شي من صفات الله بل يراد به وليه
وحبيبه ونحو ذلك وروح القدس لا يراد به صفته بل يراد به
وحيه وملكه ونحو ذلك فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه
الى معنى لا يدل عليه اللفظ البته فكيف تدعون انكم اتبعتم
نصوص الانبيا الوجه العاشر انكم بالغتم في ذم
المسيح وانجيله كما بالغتم في سب الله وشتمه وانتم
لا تعلمون ان ذلك ذم فلم ترضوا ان تجعلوا ظاهر كلام المسيح ما انتم
عليه من الكفر حتى جعلتم ظاهره كفرا لا ترضونه مثل ثلثه
الهه متفقه او متفرقه او ثلثه اشخاص مركبه فهذا ونحوه
هو الذي ادعيتم انه ظاهر كلام المسيح عليه السلام وانتم لا تقولون
بهذا الظاهر بل تكفرون قايله كما تكفر المسلمون من يقول
بالظاهر الذي هو التجسيم والتمثيل وهذا يتضمن ان كلام
المسيح ظاهر في اثبات ثلثه الهه وثلثه اجسام مولفه وثلثه

ثلثه اجسام مركبه او ثلثه اجزا متفرقه نسخه

اجزا مفترقه



اجزا مفترقه وثلثه اشخاص مركبه كما زعمتم ان ظاهر القران
التجسيم وانكم عدلتم عن هذا الظاهر الى اثبات الاقانيم الثلثه
التي جعلتم فيها كلمه الله هي ابنه وهو جوهر خالق مساويه في
الجوهر وان المسيح هو هذا الابن المساوي للاب في الجوهر
خالق العالمين وديان يوم الدين والجالس فوق العرش عن يمين
الرب وانه اله حق من اله حق والروح ايضا اله ثالث والالهه
الثلثه اله واحد وهذا الذي ذكرتموه فيه من عيب المسيح وذمه
ما ينتصر الله به للمسيح ولمن افترى عليه منكم ومن غيركم فان
المسيح عليه السلام على قولكم لم يفصح لكم بامانه تعتقدونها
ولا بتوحيد تعرفون به ربكم عز وجل بل تكلم بما ظاهره اثبات
ثلثه الهه وثلثه اجسام مركبه وثلثه اجزا مفترقه وانكم
انتم اصلحتم ذلك حتى جعلتموه ثلثه اقانيم ووضعتم تلك الامانه
المخالفه لعقول ذوي العقول ولكل كتاب جا به رسول
مع ان المسيح لم ينطق بتثليث قط ولا باتحاد ولا بما يدل على ذلك
وعمدتكم على ما نقله متى عنه دون الثلثه انه قال عمدوا الناس
باسم الاب والابن وروح القدس وهذا الكلام ظاهره بل نصه
حجه على خلاف قولكم وانه اراد بالابن نفسه وهو الناسوت
لم يرد به صفه الله واراد بروح القدس ما ايده الله به او روح
القدس الذي نفخ في امه حتى حبلت به لم يرد به صفه الله تعالى
فتاولتم كلامه على خلاف ظاهره تاويلا يخالف صريح المعقول
وصحيح المنقول فكيف تدعون انكم تمسكتم بظاهر كلامه
ولما كان قول النصارى في التثليث متناقضا في نفسه
لا حقيقه له صار مجرد تصوره التام كافيا في العلم بفساده

من غير احتياج الى دليل وان كانت الادله تظهر فساده ولهذا
سلك طايفه من العلما في الكلام معهم هذا المسلك وهو ان
مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده فانه غير معقول
وقالوا ان النصارى ناقضت في اللفظ واحالت في المعنى فلا
يجوز ان يعتقد ما يدعون استحاله لتناقضه وذلك انهم
يزعمون ان الثلثه واحد والواحد ثلثه وهذا لا يصح اعتقاده
لانه لا يجوز ان يعتقد المعتقد في الشي انه ثلاثه مع اعتقاده
فيه انه واحد لان ذلك متضاد واذا كان ذلك كذلك فليس
يخلوا من ان يعتقد انه ثلثه او انه واحد وليس يحتاج ان يعرف
بدليل بطلان قول من ادعى ان الواحد ثلثه وان الثلثه واحد
لان ذلك لا يعقل وهو كمن ادعى في الشي انه موجود معدوم
او قديم محدث او في الجسم انه قايم قاعد متحرك ساكن واذا
كان كذلك فتناقضه اظهر من ان يحتاج فيه الى دلاله
واذا قال النصارى انه احدى الذات ثلاثي الصفات قيل
لو اقتصرتم على قولكم انه واحد وله صفات متعدده لم ينكر
ذلك عليكم جمهور المسلمين بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث
فان هذا باطل من وجوه متعدده منها ان الاب عندكم هو الجوهر
ليس هو صفه فلا يكون له صفه الا الحياة والعلم فيكون جوهرًا
واحدًا له اقنومان وانتم جعلتم ثلثه اقانيم ومنها ان صفات الرب
لا تنحصر في العلم والحياة بل هو موصوف بالقدرة وغيرها ومنها
انكم تارة تفسرون روح القدس بالحياه فتارة بالقدرة وتارةً بالوجود
وتفسرون الكلمه تارةً بالعلم وتارةً بالحكمه وتارة بالكلام فبطلان
قولكم في اثبات ثلث صفات كثير وانتم مع هذا تجعلون كل واحدة





منها الهًا فتجعلون الحياة الهًا والعلم الهًا وهذا باطل واما من لم
يثبت الصفات من المسلمين وغيرهم فيردون عليكم من وجوه اخرى
قالوا فان قيل السنا تقولون ان الابعاض الكثيره تكون
انسانًا واحدًا والاحاد الكثيره عشره واحده والاجسام
الكثيره دارًا واحدة ومدينه واحده وما جرى هذا المجرى
مما هو اكثر من ان يحصى فكيف عبتم ذلك من النصارى ولم انكرتم
واظهر من ان يخفى
ان يكون ثلثه اقانيم جوهرًا واحدًا قيل ان قولنا انسان واحد
ودار واحده وعشرة واحده وما يجرى هذا المجرى اسما تنبى
عن الجمل لا عن احاد واذا قلنا انسان واحد فكانا قلنا جمله
واحده وكذلك اذا قلنا عشرة واحدة لا انا نثبته واحدًا
في الحقيقه كيف ونحن نقول ان ابعاض الانسان متغايره فكل
بعض منها غير سايرها وكذلك كل واحد من العشرة غير سايرها
فنحن وان قلنا انسان واحد فلسنا نثبته شيا واحدًا في نفسه
ولو اثبتنا ذلك لتناقضنا مناقضه النصارى وانما قلنا هي جمله
واحده ولو قالت النصارى مثل ذلك لم تتناقض حتى يزعموا انها
ثلثه اشيا جمله واحده فيكون مرادهم في ذلك بوصفهم الاقانيم
الثلثه بانها جوهر واحد ما نريد بقولنا الابعاض الكثيره
انه انسان واحد فيكون وصفهم لها بانها جوهر انما ينبى انها
جمله وليس هذا مما يذهبون اليه ولا يعتقدونه ولا يجعلون له
معنى لانهم لا يعطون حقيقه التثليث فيثبتون الاقانيم
الثلثه متغايره ولا حقيقه التوحيد فيثبتون القديم واحدًا
ليس باثنين ولا اكثر من ذلك واذا كان كذلك فما قالوه هو
شي لا يعقل ولا يصلح اعتقاده ويمكن ان يعارضوا على قولهم

بكل حال فيقال لهم اذا جاز عندكم ان تكون ثلثة اقانيم جوهرًا
واحدًا فلم لا يجوز ان تكون ثلثة الهة جوهرًا واحدًا وثلثة فاعلين
جوهرًا واحدًا وثلثة اشيا جوهرا واحدًا وثلثة قادرين جوهرًا
واحدًا وكل ثلثة اشيا جوهرًا واحدًا وثلثة اغيار جوهرًا واحدًا
وكلما يجرى هذا المجرى فى المعارضه فلا يجدون فصلا
الوجه الحادى عشر ان غلاة المجسمه الذين يكفرهم المسلمون
احسن حالا منكم شرعًا وعقلا وهم اقل مخالفه للشرع والعقل
منكم واذا كان هاولاى خيرا منكم فكيف تتشبهون انفسكم
بمن هو خير من هاولا من اهل السنه من المسلمين الذين لا يقولون
لا بتمثيل ولا بتعطيل وبيان ذلك ان التوراه والانجيل وساير
كتب الله وغير ذلك مما هو ماثور عن الانبيا فيه نصوص كثيره
صريحه ظاهره واضحه فى وحدانيه الله وانه لا اله غيره وهو
مسمى فيها بالاسما الحسنى موصوف بالصفات العلى وان كلما
سواه مخلوق له ليس فيها تثليث ولا اتحاد الخالق بشى من
المخلوقات لا المسيح ولا غيره وفيها الفاظ قليله مشكله متشابهه
وهى مع ذلك لا تدل على ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد
لا نصًا ولا ظاهرًا ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم وليس فيها
شى يحتمل جميع ما قلتم فضلا عن ان يكون ظاهرًا فيه او نصًا بل
بعضها يحتمل بعض قولكم واخذتم ذلك المحتمل وضممتم اليه
من الكفر الصريح والتناقض القبيح ما صيرتموه امانة لكم
اى عقيدة ايمان لكم ولو كانت كلها تحتمل جميع ما قلتم لم تجز
العدول عن النص الظاهر الى المحتمل ولو كان بعضها ظاهرًا
فيما قلتم لم يجز العدول عن النصوص الصريحه الى الظاهر

المحتمل ولو قدر ان فيها نصوصًا صريحه قد عارضها نصوص اخرى
صريحه لكان الواجب ان ينظر سور الله الذى ايد به عباده المو منين
فيتبعون احسن ما انزل الله وهو المعنى الذى يوافق صريح العقول
وساير كتب الله عز وجل وذلك النص الاخر ان فهموا تفسيره
والا فوضوا معناه الى الله تعالى ان كان ثابتا عن الانبيا وهاولا
عدلوا عن ما يعلم بصريح العقول وعما يعلم بنصوص الانبيا
الكثيره الى ما يحتمل بعض الالفاظ بموافقته لهواهم فلم يتبعوا
الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاهم من ربهم الهدى واما
كفار المجسمه فهاولا اعذر واقل كفرًا من النصارى فان هاولا
يقولون كما تقوله معهم النفاه ان ظواهر جميع الكتب هو
التجسيم ففى التوراه والقران من الايات التى ظاهرها التجسيم
ما لا يحصى وليس فيها نص بما يقوله النفاة من ان الله ليس
بداخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا هو
فوق العرش ولا يشار اليه ولا يصعد اليه شى ولا ينزل منه
شى ولا يقرب اليه شى ولا يدنوا من شى ولا يدنوا اليه شى الى
نحو ذلك من النفى الذى يقوله نفاة الصفات فمعلوم انه ليس
فى الكتب الالهيه لا التوراه ولا الانجيل ولا الزبور ولا القران
ولا غير ذلك من النبوات من هذا حرف واحد وكلها مملوه
بما يقول هاولا انه تجسيم فيقول هاولا نحن اتبعنا نصوص
الانبيا ولم نعدل عنها الى غيرها ولم نجد فى نصوصهم نصًا
محكمًا صريحا بالنفى الذى يقوله نفاة الصفات ووجدنا
نصوصهم كلها بالاثبات الذين يقولون انه تجسيم فكان
على قولنا وقولهم نصوص الانبيا ظاهره فى التجسيم وليس لهم

نص يناقض ذلك فاتبعنا نصوصهم وكل من عارض اثبات
الصفات لم يعارضها بنصوص صريحه عن الانبيا لكن بحجج
عقليه فيقول هاولا ان النصارى خالفوا صريح المعقول وصريح
كلام الانبيا واتبعوا قليلا من متشابه كلامهم ونحن اتبعنا
نصوص الانبيا ولم نخالف شيا من صرايح نصوصهم ولكن
مخالفينا تقول انا خالفنا العقل ونحن ننازعه في ذلك
وندعي ان العقل معنا لا علينا وان ما يدعيه من المعقولات التي
تعارض كلام الانبيا باطله او يقولون نحن والنصارى متفقون بين
على انا لا نعارض كلام الانبيا بالشبه العقليه لكن نحن اتبعنا
كلامهم المحكم الظاهر الكثير الذي لا مخالف له في كلامهم
وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم واتبعوا قليلا من المتشابه
وتقول الغلاة من هاولا الذين يكفرهم جمهور المسلمين
الذين يحكى عنهم ان الله ينزل الى الارض عشيه عرفه فيعانق
المشاه ويصافح الركبان وانه يمشي في الارض فيكون موطا
اقدامه مروجا ونحو ذلك ليس هذا القول باعجب من قول
النصارى الذين يقولون انه هو المسيح وان اللاهوت والناسوت
اتحدا نحن نقول ايضا انه حل في بعض الاجساد المخلوقه
كما يقوله النصارى او نقول انه تجسد كما تجسد الملايكه
والجن وهذا اقوى من قول النصارى انه اتخذ جسم المسيح
فانا قد عهدنا اللطايف من الملايكه تظهر في صور بشريه
ولم نعهد ملكا صار هو والبشر شيا واحدا فاذا لم يتحد ان
يتحد الملك بالبشر فكيف يجوز ان يتحد رب الخلايق كلهم
بالبشر قالوا وقد يحل الجني في بدن الانسي ويتكلم على لسانه



الا انهما جوهران ومشيتان وطبيعتان لم يبن بينهما اتحاد
لكنه دخل فيه وتكلم على لسانه والنصارى يقولون ان رب
العالمين اتحد بالبشر فمنهم من يقول هو جوهر واحد ومنهم
من يقول شخص واحد واقنوم واحد ومنهم من يقول مشيه
واحده فلا بد لكل منهم من نوع اتحاد وهذا ابعد من حلول
الجني في الانسي فاذا كان ما يقولونه يمتنع عن الجن والملايكه
فكيف برب العالمين ومن غلاة المجسمه اليهود من يحكى
عنه انه قال ان الله بكى على الطوفان حتى رمد فعادته
الملايكه وانه ندم حتى عض يده وجرى منه الدم فهذا
كفر واضح لكن يقولون قولنا خير من قول النصارى
فان النصارى يقولون انه اخذ وضرب وبصق في وجهه
ووضع الشوك على راسه كالتاج وصلب بين لصين وفعل به انتح
ما يفعل باللصوص وقطاع الطريق وقد صرح كثير منهم بان
هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعا وشريعه ايمانهم تدل
على ذلك وهو لازم لمن انكر ذلك منهم مع القول بالاتحاد فانه
الذي لا بد لطوايفهم الثلثه منه يمتنع ان تحل العقوبات في
هذا دون ذاك فلا يمكن ان تحل في الناسوت دون اللاهوت
فان هذا انما يتصور اذا كانا اثنين ومن قال بالاتحاد امتنع
عنده ان يكون هناك اثنان وفي الجمله فالنصارى المثلثه
اما ان يصرحوا بالاتحاد من كل وجه كاليعقوبيه وهاولا
يصرحون بان الالام حلت باللاهوت واما ان يقولون بالاتحاد
من وجه كقول الملكيه انهما شخص واحد وقول النسطوريه
هما مشيه واحده وحينيذ فما قالوه من التعدد الذي يوجب

المباينه وانه لا يتصف بما يتصف به الاخر ولا يحل به ما حل به
فيكون مناقضا لهذا فاحسن احوالهم ~~انها شخص واحد ويقول~~
~~النسطوريه هما مشيه واحده وحقيقين فما قالوه من العدد~~
الدسوا ان تناقضوا في الاتحاد كما تناقضوا في التثليث وهذا خيارج
حقيقه قول هاولا يتكلمون بالكفر وما يناقضه وبالتوحيد
وما يناقضه ومعلوم ان ما يفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن
هو دون ما تفعله اعداؤه به من ضرب وصفع وجعل الشوك
على راسه وصلبه بين لصين وان استغاثته بمن يخلصه من
ذلك اشد نقصا من ندمه وحزنه وان قالوا فعل هذا حتى
يعلم عباده التشبه به امكن اوليك المجسمه الكفره ان
يقولوا بكى وندم وعض يده ندما حتى جرى الدم حتى يعلم
عباده التوبه من الذنوب ففي الجمله ما قال قوم من اهل الملل
قولا في الله الا وقول النصارى من اهل الملل اقبح منه ولهذا
كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لا ترحموهم فلقد
سبوا الله مسبة ما سبه اياها احد من البشر ولهذا يعظم
الله فريتهم على الله في القران اشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا
للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم
عدا وكلهم اتيه يوم القيامه فردا وفي الصحيحين عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله شتمني
ابن ادم وما ينبغي له وكذبني ابن ادم وما ينبغي له فاما شتمه



اياي فقوله اني اتخذت ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد
ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد واما تكذيبه اياي
فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي
من اعادته ورواه البخاري عن ابن عباس الوجه
الثاني عشر ان كل من يعتقد في التجسيم ما يعتقد يمكنه
ان يقول كما تقوله النصارى فان النصارى عمدوا الى ما هو
جسد من جنس سائر اجساد بني ادم قالوا انه اله تام وانسان
تام وليس فيه من الالهية شي فما بقي هذا يمتنع ان يعتقد لعله مع
في نظايره ما يعتقد فيه فلو قال القائل ان موسى بن عمران كان
هو الله لم يكن هذا ابعد من قول النصارى فان معجزات
موسى كانت اعظم وانتصاره على عدوه اظهر وقد سماه الله
في التوراه الها لهرون ولفرعون فاذا قيل فيه ما قالوه في
المسيح انه اظهر المعجز بلاهوته واظهر العبودية بناسوته
لم يكن بطلان هذا اظهر من بطلان قول النصارى بل متى
جوزوا اتحاد اللاهوت بالناسوت لم يمكنهم دفع ذلك
عن احد ممن يدعا فيه الا بدليل خاص بل اذا قيل لهم حل
في كثير من الانبيا والقديسين لم يمكنهم نفي ذلك
واذا قالوا لم يخبر بذلك احدا ولم يبشر به نبي او هذا
غير معلوم قيل لهم غايه هذا كله انكم لا تعلمون ذلك
ولم يقم عندكم دليل عليه وعدم العلم ليس علما بالعدم
فعدم علمكم وعدم علم غيركم بالشي ليس علما بعدم ذلك الشي
وكذلك عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول عليه
فان كل ما خلقه الله دليل عليه ثم اذا عدم ذلك لم يلزم عدم

الخالق ونفي الشي لعدم الدليل الدال عليه لا يجوز ان يكون عدم
الدليل مستلزمًا لعدمه كالامور التي تتوفر الهمم على نقلها
اذا لم ينقل علم انتفاؤها والمقصود انكم مع العدم لا يمكنكم
النفي لعدم الدليل الدال عليه فانه لا يلزم من عدم الدليل
عدم المدلول في نفس الامر لاسيما وهو كان متحدًا بالمسيح
عندهم اكثر من ثلثين سنه ومع هذا فكان يخفي نفسه ولا
يظهر الا العبوديه فاذا قيل لهم هو كذا كان متحدا بغيره
من الانبيا والصالحين ولكن اخفى نفسه لحكمة له في ذلك
او اظهر على نفسه لبعض خواص عباده او اظهر لطايفه لم
ينقل الينا خبرهم ونحو ذلك لم يكن مع تصديق النصارى
فيما يدعونه الجزم بكذب هولا بل من جوز قول النصارى
جوز ان يتحد بغير ذلك من الاجسام فيجعل كثيرًا من الاجسام
المخلوقه هي رب العالمين اذ كانت ليس هو متحدا بها
في نفس الامر فاذا اعتقدوا الاتحاد كما اعتقدته
النصارى في المسيح لم يكن ثم الاه في الحقيقه الا ذلك
الجسم الناسوتي المخلوق لكن ظن الضال انه رب
العالمين كما ظن عباد العجل ان العجل اله موسى فاذا جاز
ان يتحد الرب عز وجل ببعض الاجسام لم ينكر على اصحاب
العجل اذا جوزوا ان يكون رب العالمين اتحد بالعجل
وقد راى منه نوع خرق عادة فليس للنصارى ان ينكروا
على عباد العجل ولا عباد شي من الاصنام اذا امكن ان يكون
الرب عز وجل حل بها عندهم ان لم يقيموا دليلا على ان الرب
لم يحل في ذلك فاذا قيل ان موسى عليه السلام انكر على عباد



العجل قيل نعم وموسى ينكر على كل من عبد شيا من المخلوقات
حتى لو عبد احد الشجره التي كلمه الله منها لانكر عليه فانكاره
على النصارى اعظم وموسى عليه السلام لم يقل قط ان الله يتحد
بشي من المخلوقات ويحل فيه بل اخبر من عظمة الله عز وجل بما يناقض
ذلك ففي التوراه عن نهيه عن عبادة ما سوى الله ومن تعظيم
امره وعقوبه المشركين به وبما اخبر به من صفات الله عز وجل
ما يناقض قول النصارى ولهذا كان من تدبر التوراه وغيرها
من كلام الانبيا عليهم السلام من النصارى تبين له ان دينهم
يناقض دين الانبيا كلهم وان ما هم عليه من التثليث والاتحاد
والشرك لم يبعث به احد من الانبيا عليهم السلام وما
يفعلونه من دعا المخلوقين كالملايكه او كالانبيا والصالحين
الذين ماتوا مثل دعايهم مريم وغيرها وطلبهم من الاموات
الشفاعه لهم عند الله لم يبعث به احد من الانبيا فكيف
وقد صوروا تماثيلهم ليكون تذكيرًا لهم باصحابها ويدعون
تلك الصور وان قصدوا دعا اصحابها فهم اذا صرحوا بدعا
اصحابها وطلبوا منهم الشفاعه وهم موتى وغايبون كانوا
مشركين فكيف اذا كان الدعا في الظاهر لتماثيلهم المصوره
وهذا مما يعترف حذاق علمايهم بانه مخالف لدين الانبيا
كلهم ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنايس
لما ابتدعه بعضهم كما هو مذكور في اخبارهم ولم يات من ابتدع
ذلك بحجه شرعيه والمجسمه يعتقدون انه قديم ازلي وانه
عظيم جدا لا يقولون انه متحد بشي من الاجسام المخلوقه
ولا يحل منها فمن قال باتحاده وحلوله فيها كان قوله شرا من

قول هاولا المجسمه كما ان المتفلسفه الذين يقولون بان الافلاك
اجسام قديمه ازليه واجبه بنفسها اولها علة لسببه بها
كما يقوله ارسطواو ذو ره او يثبتون لها علة فاعله لم تزل
مقارنه لها كما يقوله بن سينا وامثاله وهولا قولهم شر من
قول اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات
والارض خالقا خلقها بمشيته وقدرته ولو قال من قال منهم
ان ذلك جسم فغايته ان يثبت جسما قديما ازليا موصوفا بصفات
الكمال فمن اثبت جسما قديما ازليا ليس موصوفا بصفات
الكمال كان قوله شر من قول هذا فتبين ان المجسمه الذين
يثبتون جسما قديما ازليا واجب الوجود بنفسه عالما بكل شي
قادرا على كل شي مع قولهم انه تحله الحوادث وتقوم به الحركه
والسكون خيرا من الفلاسفه الذين يقولون ان الافلاك اجساما
قديمه ازليه واجبه الوجود بنفسها كما يقوله ارسطواو ذو ره
وخير من النصارى ايضا الوجه الثالث عشر
قولهم من قال ثلثه الهه مختلفه او متفقه او ثلثه اشخاص مركبه
او غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض
والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره فيقال لهم انتم ايضا تلعنون
من قال ان المسيح ليس هو اله حق من اله حق ولا هو مساو
الاب في الجوهر ومن قال ليس بخالق ومن قال انه ليس
بجالس عن يمين ابيه ومن قال ايضا ان روح القدس ليس برب
حي محيي ومن قال انه ليس ثلثه اقانيم وتلعنون ايضا
مع قولكم انه الخالق من قال انه الاب والاب هو الخالق
فتلعنون من قال هو الاب الخالق ومن قال ليس هو الخالق تجمعون



بين النقيضين فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك وتثليث
ومن اثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الاخر وتجمعون
بين النقيضين فمن اثبت احدهما منفكا عن الاخر لعنتموه
كمن قال عندي واحد ثلثه فمن قال هو واحد ليس بثلاثه
كذبه ومن قال هو ثلثه ليس واحد كذبه ومن قال عندي
شي موجود معدوم ليس معدوم كذبه ومن قال عندي شي
هو حي ميت هو عالم جاهل هو قادر عاجز فمن قال هو حي
ليس بميت كذبه ومن قال هو ميت ليس بحي كذبه
فهكذا انتم تجمعون بين قولين متناقضين احدهما حق والاخر
باطل فمن قال الحق ونفى الباطل لعنتموه وانتم تشبهون الملاحده
من الجهميه والفلاسفه والباطنيه الذين يسلبون عنه النقيضين
او يمتنعون عن اثبات احد النقيضين فيقولون لا نقول هو
حي ولا ليس بحي ولا هو عالم ولا ليس بعالم ولا قادر ولا ليس بقادر
بل منهم من يقول لا نقول هو موجود ولا معدوم ولا نقول
هو شي ولا نقول ليس بشي ومنهم من يقول ليس بحي ولا ميت
ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ومنهم من يقول لا
نطلق لا هذا ولا هذا فيقال لهم رفع النقيضين كجمع النقيضين
والامتناع عن اثبات احد النقيضين كالامتناع عن نفي احد
النقيضين وكذلك من وصفه بانه موجود واجب الوجود
لذاته ثم وصفه بصفات تستلزم عدمه فقد جمع بين النقيضين
وكل قول يتضمن جمع النقيضين اثبات الشي ونفيه او رفع
النقيضين الاثبات والنفي فهو باطل والنصارى في هذا الباب
من ابلغ الناس تناقضا يقولون الشي ويقولون ما ينقضه ويلعنون

من قال هذا و من قال هذا و ايضا فكل طايفه منكم تلعن الاخرى
فان اهل الامانه تلعن الاريوسيه وغيرهم من طوايف النصارى
وهم يلعنونكم وكل من فرقكم الثلاثه النسطوريه واليعقوبيه
والملكيه تلعن الطايفتين الاخرتين فانتم واليعقوبيه
تلعنون من يقول ان مريم لم تلد الها ويقولون ان مريم ولدت
انسانا تاما الاها تاما وانتم والنسطوريه تلعنون من قال
هما جوهر واحد بمشيه واحده وطبيعه واحده ومن قال
ان اللاهوت تالم مع قولكم ان المسيح الذي ولدته مريم مات
وصلب وفي اقوالكم من العجايب المتناقضه التي توجب انكم
ملعونون بما يطول وصفه فما منكم من احد الا وهو لاعن
ملعون فلعنكم من قال بهذه المقالات لا يوجب انكم على الحق
بل يوجب ان تكونوا من جمله الملعونين عندكم كطايفه من
طوايفكم والنصارى طوايف كثيرون مختلفون اختلافا
كثيرا والطوايف الثلثه المشهوره في الازمان المتاخره
منهم بعض طوايفهم والا فهم طوايف كثيرون مختلفون في
التثليث والاتحاد وتجد كل صنف منهم ومن غيرهم في
مقالاتهم يحكي اقوالا غير الاقوال التي حكاها الاخرون
ومن اجل من جمع اخبارهم عندهم سعيد بن البطريق بترك
الاسكندريه في اثنا المايه الرابعه من دوله الاسلام وله
بحث لهم بحثا استقصى فيه بزعمه نصر مذهبهم وهو ملكي
وقد ذكرت كلامه في غير هذا الموضع وفيهم من يقول ان مريم
زوجه الله وفيهم من يجعلها الها اخر كالمسيح وفيهم من يثبت
ان المسيح بن الله الولاده المعقوله المعروفه من الحيوان والامانه

التي جعلوها



التي جعلوها عقيدتهم واصل ايمانهم في زمن قسطنطين بعد
المسيح باكثر من ثلثمايه سنه هي وغيرها من اقوالهم الظاهره
تدل على هذه الامور المنكره القبيحه دلاله بينه لكن علماوهم
يتاولونها بتاويلات تناقض مدلولها مع فساد تلك المعاني التي يحملونها
عليها عقلا وشرعا وليست تلك الفاظ الانبيا حتى ينال حكمهم
في ذلك حكم ساير الطوايف من المسلمين وغيرهم الذين يقولون بما يرونه
متشابها من كلام الانبيا ويقولون ان الانبيا تكلموا بما لا يعرف
احد معناه او انهم خاطبوا الجمهور بما ارادوا به تفهيمهم امورا
ينتفعون بها وان كان ذلك كذبا باطلا في نفس الامر فان هاولا
الطوايف وان كان فيهم من الضلال والجهل ما قد بسط في غير
هذا فقد فعلوا ذلك في الفاظ الانبيا التي لها حرمه النبوه
بخلاف النصارى فانهم وضعوا عقيده وشريعه ليست الفاظها
منقوله عن احد من الانبيا الوجه الخامس [الرابع] عشر
قولهم ويراد بالاب والابن غير ابوه وبنوه نكاح ومن اراد
ولاده زوجه لعناه فيقال لفظ الولاده المعروف انما يكون
من اصلين وانما يكون بانفصال جزء من الاصلين وانما
يكون بحدوث المولود سوا اريد ولاده الحيوان او غيرها
كما تتولد النار من الزنادين فاذا قدح احدهما بالاخر
خرج منهما جزء لطيف فاستحال نارا ثم سقط على الحراق
وقد توسع بعض الناس في الولاده حتى عبر به عما يحدث
عن الشي وان لم يكن بانفصال جزء منه كتولد الشعاع عن
النار والشمس وغيرها لان هذا يحدث بشيين احدهما ما يصدر
عنه من الشمس والنار والثاني المحل القابل الذي ينعكس

عليه وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع فاما ما يحدث
عن شي واحد فلا يعرف انه يسمى ولادة ان قدر وجود ذلك
وكذلك لا يعرف مما يلزم الشي الواحد انه يسمى ولدا فاما
ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمه له فهو ابعد عن ان يسمى
هذا الملزوم ولادة بل لا يكون الولادة الا عن اصلين وكل
من قال ان لله ولدا لزمه ان يكون له صاحبه باي وجه
فسر الولاده وان يكون له ولد حادثا ولهذا قال
تعالى وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل
شي وهو بكل شي عليم فاستفهم تعالى استفهام انكار
ليبين امتناع ان يكون له ولد اذا لم تكن له صاحبه فان
الولد لا يكون الا من اصلين وهذا مما ينبغي ان يتفطن له
فان تسميه ما يلزم الشي الواحد متولدا عنه لا يعرف لا سيما
الصفات القديمه الازليه اللازمه لذات رب العالمين الذي
لم يزل ولا يزال موصوفا بها فان صفات العبد اللازمه له كحياته
وقدرته ونحو ذلك ليست متولده عنه عند جميع العقلا
ولا يقول عاقل يعقل ما يقول ان لون السما وقدرها متولد
عنها ولا ان قدر الشمس وضوها القايم بها اللازم لها متولد
عنها ولا يقول احد ان حرارة النار وضوها القايم بها
متولد عنها وانما يقال ان قيل فيما ليس بقايم بل قايم بغيرها
او فيما هو حادث بعد ان لم يكن كالشعاع القايم بالارض
والحيطان وهذا ليس بقايم بها بل قايم بغيرها وهو حادث

متولد عن



متولد عن اصلين لا عن اصل واحد فاما صفات المخلوق القايمه
به اللازمه له فلا يقول احد من العقلا انها متولده عنه
والنصارى يزعمون ان كلمه الله التي يفسرونها بعلمه او حكمته
وروح القدس التي يفسرونها بحياته او قدرته هي صفه له
قديمه ازليه لم يزل ولا يزال موصوفا بها ويقولون مع
ذلك ان الكلمه هي مولوده فيجعلون علمه القديم الازلي
متولدا عنه ولا يجعلون حياته القديمه متولده عنه وقد
اصابوا في انهم لم يجعلوا حياته متولده عنه لكن ظهر بذلك
بعض مناقضاتهم وضلالهم فانه انواع كثيره فانه ان كانت
صفه الموصوف القديمه الازليه لذاته يقال انه ابنه وولده
ومتولد عنه ونحو ذلك فتكون حياته ايضا ابنه وولده
ومتولده عنه وان لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده
ولا متولدا عنه واقطع من ذلك ان روح القدس المنفصله
عنه القايمه بالانبيا والصديقين لا يقولون انها ولده ولا
انها متولده عنه بل يخصون ذلك بالكلمه فلا ينقلون عن احد
من الانبيا انه سمى شيا من صفات الله ابنا ولا ولدا ولا
قال ان علم الله او كلامه او حكمته ولده او ابنه او هو
متولد عنه فعلم ان القوم في غايه التناقض في المعاني
والالفاظ وانهم مخالفون للكتب الالهيه كلها ولما فطر
الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقليه
ومخالفون لجميع لغات الادميين وهذا مما يظهر به فساد
تمثيلهم فانهم قالوا تولدت الكلمه عنه كما تولد الكلمه
والحكمه عن العقل فيقال لهم لو قدر ان الانبيا سموا ذلك

الازليه

ولدًا مما تتولد منا حادث فينا بعد ان لم يكن وحدوثه بسبب
من فعلنا وقدرتنا ومشيتنا فاما صفاتنا اللازمه لنا
التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا
يقول عاقل انها متولده فينا وعنا وانتم تجعلون صفته الله
القديمه اللازمه له التي لم تزل ولا يزال متصفا بها متولده
عنه فلو كان ما ذكرتموه من التولد العقلي امرًا معروفا
في اللغه والعقل والشرع لم يكن لكم ان تجعلوا علم الله
وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابنا له مولودًا منه لم يزل
مولودًا منه لان هذا باطل عقلا وشرعًا ولغه اما العقل
فان صفه الموصوف اللازمه له وان كان مخلوقا ليست
متولده عنه فكيف الصفه القديمه للموصوف القديم
ولو جاز هذا جاز ان يجعل ما كان لازمًا لغيره ولدًا له
ومولودًا منه فيجعل كيفيات الاشيا وكمياتها متولده
عنها وابناها ويقال ان طول الجسم وعرضه وعمقه
متولده عنه وان حياه الحي متولده عنه وان القوى والطبايع
التي جعلها الله في المخلوقات متولده عنها واما الشرع
فان هذا لو كان متولدا وهو في بعض اللغات يسمى ولدًا
لم يجز ان يحمل على ذلك كلام الانبيا الا ان يكون في لغتهم
يسمى ولدًا وكل من نظر في كتب الانبيا من علما النصارى
وغيرهم لم يجد احدا من الانبيا يسمي علم الله وكلمته وحياته
ولدًا له ولا ابنا له ولا قال ان ذلك متولدًا عنه فقولهم عن
المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس
انه اراد بالابن كلمه الله القديمه الازليه وانها مولده منه

وانه اراد



وانه اراد بروح القدس حياة الله القديمه الازليه كذب
محض على المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام
غيره من الانبيا انهم سموا علم الله وحكمته ولا شيا من صفاته
القايمه به ابنا ولا سموا حياته روح القدس واما اللغه
فان هذا التعبير الذي ذكروا تسميه صفات الموصوف
اللازمه له ولدًا وابنا ومتولدًا لا يعرف في لغات بني ادم
المعروفه وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولدًا فيجعله
بمنزله الولد وان لم يكن متولدًا عنه كما كانت تفعله
اهل الجاهليه من العرب وغيرهم ولهذا نزه الله تعالى نفسه
عن الولاده وعن اتخاد الولد فقال تعالى الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال
تعالى وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق
كل شي وهو بكل شي عليم وقال تعالى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد واما اتخاد الولد ففي مواضع
متعدده كقوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك وقوله وقالوا اتخذ الله
ولدًا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
بديع السموات والارض واذا قضى امرًا فانما يقول له كن
فيكون وقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم

من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
وقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا
واهل الكتاب يذكرون ان في كتبهم تسميه عباد الله الصالحين
ابنا وتسميه الله ابا وتسميه المصطفين ابنا وهذا اذا كان
ثابتا عن الانبيا فانهم لا يعنون به الا معنا صحيحا والالفاظ
قد يكون له في لغه معنى وله معنى اخر في لغه اخرى
كغير ذلك والمراد بهذا الولد والابن لا ينافي كونه
مخلوقا مربوبا عبدا لله عز وجل واما تسميه شي
من صفات الله ابنا او ولدا فهذا لا يعرف عن احد من الانبيا
ولا الامم اهل اللغات سوى مبتدعه النصارى ولم يبق
للتولد الا معنيان احدهما ان ينفصل عنه جزء والثاني
ان يحدث عنه شي اما باختياره واما بغير اختياره وقدرته
كحدوث الشعاع عن النار والشمس وكل من الامرين لا
يكون الا عن اصلين ولا بد ان يكون حادثا لا يكون
من صفاته اللازمه له فيمتنع ان يتولد عنه شي ان لم
يكن معه اصل اخر يتولد عنهما والتولد عنه بغير
قدرته ومشيته ممتنع عند اهل الملل المسلمين واليهود
والنصارى وساير الامم سوى طايفه من المتفلسفه يقولون
انه موجب بذاته مستلزم لما يصدر عنه فهولا قولهم يناسب
هذا التولد والنصارى تكفر هاولا لكن قد ضاهوهم
في القول كما قال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله

وقالت

134

وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم
يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون
وهذا قاله طايفه من اليهود وهو معروف عن شخص يقال
له فنحاص بن عازورا واتباعه قال ابو محمد بن حزم
والصدوقيه طايفه نسبوا الى رجل يقال له صدوق وهم
يقولون من بين ساير اليهود ان العزير ابن الله وكانوا
بجهه اليمن ولكن المتفلسفه الذين يقولون بصدور العقول
والافلاك عنه وان سمى ذلك مولدا فهم يجعلون ولده منفصلا
عنه لكن يثبتون ولدا قديما ازليا صدر عنه بغير اختياره
ويجعلون الشي الواحد متولدا عنه وساير الطوايف الذين
اثبتوا لله ولدا جعلوه حادثا منفصلا عنه فاما جعل صفته
القايمه به ولدا ومولودا فهذا لا يعرف عن غير النصارى
فاذا اثبتوا له ولدا وابنا غير مخلوق والصفات القايمه
به اللازمه له لم تتولد عنه ولا تسمى ابنا ولا ولدا عند احد
من الانبيا وغيرهم تعين ان يكون الولد اما جزا منفصلا
عنه واما معلولا له صادرا عنه بغير قدرته ومشيته
واى القولين قالوه فهم فيه كفار مضاهون لقول الذين كفروا
من قبل وبعض علمايهم وان انكر ذلك لكنهم يقولون ما
يستلزم ذلك ويشبهونه بالشعاع من الشمس ويقولون
عن الروح هو منبثق من الله خارج منه وهذا كله يناسب
الولاده التي هي خروج شي منه او حدوث شي عنه بغير
اختياره ومشيته ولا بد له مع ذلك من محل يقوم به فان
الشعاع لا يقوم الا بالارض والامر المنبثق الخارج من غيره

اما ان يكون جوهرًا قايما بنفسه او صفه قايمه بغيرها فان كان
جوهرًا فقد انفصل من الرب جزء وان كان عرضًا فلا بد له
من محل فيكون متولدًا عن اصلين وتشبيههم بتولد الكلام
عن العقل تشبيه باطل فان ذلك يحصل بقدرة الانسان
ومشيته وهو حادث بعد ان لم يكن هذا اذا عرف ان ما
يقوم بقلب الانسان من علم وحكمه يقال انه متولد عنه
ويقال انه ابنه مع ان هذا امر غير معروف في اللغات
ولو كان معروفا في لغه بعض الامم لم تجز ان تفسر به كلام
الانبيا ان لم يكن معروفا في لغتهم واما ما يدعونه فانهم
يقولون ان الكلمه لازمه لذات الله ازلا وابدًا وهي متولده
منه مع انها غير مصنوعه فهذا كلام متناقض باطل من
وجوه فان المتولد عن الشي لا يتولد الا عنه وعن غيره واما
الشي الواحد فلا يتولد عنه وحده شي وايضا فان ما تولد
عن غيره لم يكن الا حادثًا واما الصفه القديمه اللازمه
لذات الرب فليست مولوده ولا متولده عنه بل هي قايمه
به لازمه لذاته وايضا فان المولود اسم مفعول يقال
ولده يلده فهو مولود وهذا لا يقال الا في الحادث المتجدد
فانه مفعول بفعل الوالد والقديم الازلي لا يكون مفعولا
مولودًا وايضا فتسميه الصفه القديمه الازليه مولودًا
واينًا لا يوجد في كلام احد من الانبيا عليهم السلام فهب
ان هذا مما يسوغ لنا في اللغه ان نقوله لا يجوز ان نحدث
لغةً غير لغه الانبيا ونحمل كلامهم عليها مثال ذلك
ان الانبيا اخبروا بان الله واحد وكفروا من اثبت الهين

اثنين وامروا



اثنين وامروا بالتوحيد ودعوا اليه وحرموا الشرك وكفروا
اهله واخبروا ان الله واحد احد وكان مرادهم بذلك توحيده
وانه لا يجوز ان يعبد الا الله وانه لا يستحق العبادة الا هو ليس
مقصودهم بذلك نفي صفاته فلم يقصدوا بلفظ الاحد والواحد
انه ليس له علم ولا قدرة ولا شي من الصفات فجا طايفه من
اهل البدع ففسروا اسم الواحد والاحد بما جعلوه اصطلاحا
لهم فقالوا الواحد الذي ليس فيه تركيب ولا ينقسم ولو كان له
صفات لكان مركبا ولو قامت به الصفات لكان جسمًا
والجسم مركب من الجواهر المنفرده او من المادة والصوره
فلا يكون احدًا ولا واحدًا فمثال هذا الذي قالوه لو قدر انه
صحيح في العقل واللغه فليس هو لغه الانبيا التي خاطبوا بها
الخلق فكيف اذا لم يكن هذا الواحد من الامم بل جميع الامم من لغه احد
تسمي ما قام به الصفات واحدا بل يسمونه وحيدًا وقد يسمونه
في غير الاسباب احدًا كقوله وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله ذرني ومن خلقت وحيدًا
وامثال ذلك واما البحث العقلي في هذا فقد بسطناه في غير
هذا الموضع وبينا ان ما يسميه هولا المتفلسفه تركيبا كقولهم
ان الشي مركب من وجود وماهيه وقولهم ان الانواع مركبه
من الاجناس هو باطل عند جمهور العقلا وليس في الخارج الذات والفصول
متصفه بصفات ليس في الخارج وجود قايم بنفسه وماهيه
اخرى غير هذا الشي الموجود القايم بنفسه مثلا ولكن قد يعني
بلفظ الماهيه ما يتصور في الاذهان وبالوجود ما يوجد في الاعيان
فهذه الماهيه غير هذا الموجود وحينيذ فيقال هذا الماهيه

غير هذا الوجود ولكن كذلك قولهم ان الانسان الموجود في
الخارج مركب من الجنس والفصل فان الانسان الموجود هو ذات
متصفه بصفات هو وغيره من الموجودات ولكن يتصور في الذهن
ما هو مركب من الحيوان والناطق كما يتصور ما هو مركب من الحيوان
والضاحك وهذا تركيب وهمي لا تركيب في الخارج وقد بسط
هذا في غير هذا الموضع وبين ان ما جعلوه من الصفات داخلا
في الماهيه وما جعلوه خارجا عنها لازما لها وما هو مجموع اجزا
الماهيه يرجع عند التحقيق الى ما هو مدلول عليه بالتضمن والالتزام
والمطابقه ومن ذلك تركب الجسم من الجواهر المفرده او من الماده
والصوره واكثر العقلا ينكرون تركب الجسم من هذا وهذا
والمقصود هنا ان كلام الانبيا لا يجوز ان يحمل الا على لغتهم
التي عادتهم ان يخاطبوا بها الناس لا يجوز ان يحدث احد غير لغتهم
ويحمل كلامهم عليها بل اذا كان لبعض الناس عادة ولغه بها
اصحابه وقدر ان ذلك يجوز له فليس له ان يجعل ذلك لغه النبي
صلى الله عليه وسلم ويحمل كلام النبي على ذلك ومن هذا اخبار
الانبيا بان الله يقول ويتكلم وينادي ويناجي وانه قال كذا
وتكلم بكذا ونادى موسى ونحو ذلك والمعروف في لغتهم
ولغه ساير الامم ان المتكلم من قام به الكلام وان كان
متكلما بقدرته ومشيئته لا يعرف في لغتهم ان المتكلم من احدث
كلاما منفصلا عنه ولا ان المتكلم من قام به الكلام بدون
قدرته ومشيئته فليس لاحد اذا جعل اسم المتكلم لمن يحدث
كلاما باينا عنه او من قام به بدون ان يحمل كلام الانبيا
على هذا بل المتكلم عند الاطلاق من يتكلم بقدرته ومشيئته



مع قيام الكلام به وهذا هو المعروف في لغه الانبيا وساير
الامم عند الاطلاق ونظاير هذا متعدده فمن فسر كلام الانبيا
بغير لغتهم المعروفه فهو ممن بدل كلامهم وحرفه والنصارى
من هاولا وكذلك اسم العادل والظالم ونحوهما فان المعروف
في كلام الانبيا وغيرهم ان العادل من قام به العدل وفعل العدل
بمشيئته وقدرته والظالم من قام به الظلم وفعله بقدرته ومشيئته
لا يسمون من لم يقم به الظلم ولكن قام بغيره ظالما لكونه قد
جعل ذلك فاعلا له ولا يسمون من لم يفعل الظلم ولكن فعله
غيره فيه ظالما فمن جعل الظالم والكافر والفاسق من لم يفعل
شيا من ذلك ولكن فعله غيره فيه او جعل الظالم من لم
يقم به ظلم فعله ولكن جعل غيره متصفا به ظالما فقد خرج
عن المعروف من كلام الانبيا وغيرهم وابلغ من ذلك ان المحدث
والحادث في لغه جميع الامم لا يسمى به الا ما كان بعد ان لم
يكن والمخلوق ابلغ من المحدث والحادث فليس لاحد اذا احدث
اصطلاحا سمى به القديم الازلي الذي لم يزل موجودا ولكنه
زعم انه معلول لغيره فسماه محدثا بهذا الاعتبار ان يقول
انا احمل كلام الانبيا الذي اخبروا به ان السموات والارض وما
بينهما مخلوق او مصنوع او مفعول او محدث او نحو ذلك من العبارات
على ان مرادهم بذلك انه معلول مع كونه قديما ازليا لم يزل
واما لفظ القديم فهو في اللغه المشهوره التي خاطبنا بها الانبيا
يراد به ما كان متقدما على غيره تقدما زمانيا سوا سبقه
عدم او لم يسبقه كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم
وقال تعالى تالله انك لفي ضلالك القديم وقال الخليل افرايتم

ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العالمين فلهذا كان القديم الازلي الذي لم يزل موجودا ولم
يسبقه عدم احق باسم القديم من غيره وليس لاحد ان يجعل
القديم والمتقدم اسما لما قارن غيره في الزمان لزعمه انه متقدم
عليه بالعلة ويقول انه متقدم على غيره وسابق له بهذا الاعتبار
وان كان المعلول متاخرا عنه بهذا الاعتبار ثم يحمل ما جا
من كلام الانبيا واتباع الانبيا وعموم الخلق على هذا الاصطلاح
لو كان حقا فكيف اذا كان باطلا وما ذكره من التقدم
والسبق والتاخر بغير الزمان امر غير موجود ولا معقول ولا يعرف
في الوجود من فعل شيا وكان علة فاعلة له الا وهو متقدم عليه
سابق له ليس مقارنا له في الزمان البتة بل متقدم تقدما
زمانيا وكل ما يعرف انه سبب او علة فاعلة فانه متقدم
على مسببه ومعلوله لكن قد يكون متصلا به ليس بينهما
زمان اخر فيقال ليس هذا متاخرا عن هذا اي هو متصل به
ليس بينهما فصل ويقال ليس ذلك متقدما على هذا اي
ليس بينهما زمان بل هو متصل به اذ قد يراد بلفظ المتقدم
هذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم الجنازة متبوعة وليست
بتابعة ليس منها من تقدمها اي من كان قد تقدمها حتى لم يكن
قريبا منها لم يكن تابعا لها كما جا في الحديث الاخر الراكب
خلف الجنازة والماشي امامها ووراها وعن يمينها ويسارها
قريبا منها رواه ابو داود وغيره وهو ابين حديث روي في هذا
الباب في هذا الحكم ومنه قوله تعالى ولا الليل سابق النهار
اي لا يتقدم عليه بحيث يكون بينهما انفصال بل كل منهما



متصل بالاخر والمقصود هنا ان معرفة اللغة التي خاطبنا بها
الانبيا وحمل كلامهم عليها امر واجب متعين ومن سلك
غير هذا المسلك فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب
عليهم وافترى ومثل هذا التحريف والتبديل قد اتفق المسلمون
واليهود والنصارى على انه وقع فيه خلق كثير من اهل الكتب
الثلاثة فان التوراة والانجيل حرفا بهذا الاعتبار وكذلك
القران حرفه اهل الالحاد والبدع بهذا الاعتبار فان هذا
كذب محض عليهم وهكذا تفعل النصارى وامثالهم
من اهل التحريف لكلام الانبيا يحدثون لهم لغة تخالف
لغة الانبيا ويحملون كلام الانبيا عليها فان اهل الكتاب
نقلوا عن الانبيا انهم تكلموا بلفظ الاب والابن ومرادهم عندهم
بالاب الرب وبالابن المصطفى المختار المحبوب ولم
ينقل احد منهم عن الانبيا انهم سموا شيا من صفات
الله ابنا ولا قالوا عن شي من صفاته انه تولد عنه ولا انه
مولود له فاذا وجد في كلام المسيح عليه السلام انه قال
عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس ثم
فسروا الابن بصفة الله القديمة الازلية كان هذا
كذبا بينا على المسيح حيث لم يكن في لغته ان لفظ
الابن يراد به صفة الله القديمة الازلية وكذلك اذا
لم يكن في كلام الانبيا ان حياة الله تسمى روح القدس
وانما يريدون بروح القدس ما ينزله الله تبارك وتعالى
على الانبيا والصالحين ويويدهم به كان تفسير قول
المسيح روح القدس انه اراد حياة الله كذبا على المسيح

وهذا من بعض الوجوه افسد من قول بعض المتفلسفة ان
العقول والنفوس والفلك معلولة له متولدة عنه
لازمة له ازلا وابدا وان كان هذا ايضا باطلا في صريح
العقل كما هو مخالف لما اخبرت به الانبيا كما قد بسط
في موضع اخر فانه لا يصدر شي عن فاعل الاشيا بعد
شي لا يتصور ان يكون المفعول مقارنا للفاعل لا يتاخر
عنه ولا يكون التولد الا عن اصلين والواحد
من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية لا وجود له ولو
كان له وجود لم يصدر عنه وحده شي كما قد بسط
الكلام على ذلك في مواضع اخر ومما يوضح ذلك ان
النصارى وعلماءهم مع تجويزهم ان يقال ان المسيح
ابن الله يلزمهم ان تكون مريم صاحبة الله وامراته
كما قال ذلك من يغلوا منهم ومنهم من يجعل مريم
الها مع الله كما جعل المسيح الها فان قالوا بذلك
جعلوا لله صاحبة وولدا وجعلوا المسيح بن مريم
وامه مريم الهين من دون الله كما نقل ذلك من
نقله منهم فانهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون
به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها الها كما جعلوا
في المسيح الها فيقولون يا والدة الاله اغفري لنا
وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبونه من الله
عز وجل ومنهم من يقول عن مريم انها صاحبة الله
سبحانه وتعالى وبيان لزوم ذلك ان المسيح عندهم
انسان تام واله تام ناسوت ولاهوت فناسوته من



مريم ولاهوته الكلمة القديمة الازلية وهي الخالق عندهم
فالمسيح بين اصلين ناسوت ولاهوت فاذا كان الاب هو الله عندهم
والكلمة المولودة عن الاب ابن الله فمعلوم ان اللاهوت لما التحم
بالناسوت ليصير منهما المسيح ازدوج به وقارنه وهذا معنى
الزوجية وكما انهم قالوا ان الولادة عقلية لا حسية فكذلك
الازدواج والنكاح عقلي لا حسي فان اللاهوت على قولهم ازدوج
بناسوت مريم ونكحها نكاحا عقليا وخلق المسيح من هذا
وهم يقولون في الامانة ان المسيح تجسد من مريم ومن روح
القدس فان فسروا روح القدس بجبريل كما يقوله المسلمون
فهو الحق وبطل قولهم لكنهم يقولون روح القدس هو
الاقنوم الثالث كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت
عندهم فهم قد ذكروا انه تجسد من الناسوت واللاهوت
فيلزمهم على هذا ان يكون المسيح هو الابن وهو روح القدس
فيكون اقنومين لا اقنوما واحدا وقد تقدم تناقضهم في هذا
والمقصود هنا انهم اذا قالوا ان الرب او بعض صفاته اتحد
بما خلق من مريم فلا بد ان يجعل له اتصال بمريم قبل اتصاله
بما خلق منها وذلك هو معنى النكاح والازدواج وعند
جمهور النصارى ان مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت
فهي ام اللاهوت ويقولون في دعائهم يا والدة الاله واللاهوت
الذي ولدته مريم هو عندهم رب العالمين واللاهوت اتحد
بالناسوت عندهم من حين خلق الناسوت في بطن مريم لم يحدث
بعد الولادة فاذا جاز ان يكون لرب العالمين عندهم ام ولدته
بوجه من الوجوه فامكان ان يكون له صاحبة وزوجة اولى

واحرى وليس في ذلك مما يحيله العقل والشرع الا وهو لكونها
اما للاهوت اشد احاله فان جاز ان يكون للاهوت ام والام
اصل فلان يكون له صاحبه هي زوجه ونظير اقرب واولى
فان من المعلوم ان ولد الشي المتفرع المتولد عنه انقص بالنسبه
اليه من نظيره فاذا قالوا ان لرب العالمين ولدًا اتحد بالناسوت
هو نظيره المساوي له في الجوهر وقالوا ان الناسوت ام هذا المسيح
الذي هو الله وهو ابن الله وقالوا ان الناسوت مريم ولد اللاهوت
كما ولد الناسوت ولم يكن هذا عيبًا ينزه الرب عنه
فلان يجعلوا ام هذا الولد الذي حبلت به واتحد به اللاهوت
وهو منها وولدت اللاهوت صاحبه وزوجه للاب اولى
واحرى والا فكيف يلد ابنه الذي هو اللاهوت ولا يكون
صاحبته وامراته وهم يقولون سمينا علمه مولودًا عنه لكونه
تولد عنه تولد الكلمه عن العقل وبهذا الولد اتحد بالناسوت
فسمينا المجموع ولدًا وبهذا يفرقون بين كون المسيح ابنا وغيره
من الانبيا يسمى ابنا فانهم فانهم يقولون هاولا ابنا بالوضع
والمسيح ابنا بالطبع اي اوليك سموا ابنا بمشيه الرب وقدرته
لانه اصطفاهم والكلمه التي جعلوها متحده بالمسيح هي عندهم
متولده عن الله تولدًا قديمًا ازليًا لا يتعلق بمشيته وقدرته
ولهذا قالوا مولود غير مصنوع فان القديم الازلي مع كونه قايما
بذاته لا يكون مصنوعًا عند احد من العقلا ولا القايلين
بقدم العالم فاذا كانت الكلمه اتحدت بالمسيح المخلوق من
مريم واتحدت به فاذا قيل مع ذلك ان القديم مس المحدث
اولامسه او باشره كان ايسر من هذا كله فلهذا كان



الحلول اسهل من الاتحاد ممن قال انه حل في جسد المسيح
وباشره كما يحل الماي في اللبن كان اهون ممن يقول انه اتحد
به والتحم به فاذا قيل ان مريم امراة القديم وصاحبته وزوجته
كان ما في هذا من اثبات مباشرته لها ومماسته لها واتصاله
بها ومهما قدر من انفال الزوج فزوجته اهون مما قالوه من اتحاد
القديم بالمحدث ومصيره واياه اما جوهرًا واحدًا واما شخصًا
واحدًا واما مشيه واحدة ولهذا كان كل عاقل يعلم ان
النكاح الحسي اسهل من الولادة الحسيه العقليه فالذكر من
الحيوان اذا نكح الانثى فانما مس الذكر لانثى لم تصر الانثى
متولده عنه فاذا جوزوا ان يكون الرب القديم الازلي ما يتولد
عنه ويتحد به وهو محدث مخلوق فلان يكون مما مسه
اولى واحرى واذا قالوا ان المسيح انما كان ابنا لان الكلمه
التي هي ابن اتحدت به قبل فقد يسمى الناسوت الذي اتحد
به القديم ابنا عندكم باسم القديم وجعلتموه الها خالقًا
فما المانع ان يجعل ام ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابن الله
صاحبه لله وزوجه باعتبار ان القديم الازلي حصل منه ومنها
ما هو ابن للقديم الازلي الوجه الخامس عشر
ان يقال لفظ الابن وروح القدس قد جا في حق غير المسيح
عندكم حتى الحواريين عندكم يقولون ان المسيح قال
لهم ان الله ابي وابيكم والاهي والهكم ويقولون ان روح
القدس يحل فيهم وبما عندكم من التوراة ان الرب قال
لموسى اذهب الى فرعون فقل له يقول لك الرب اسرايل
ابني بكري ارسله ليعبدني فان ابيت ان ترسل ابني بكري

قتلت ابنك بكرك فلما لم يرسل فرعون بني اسرايل كما قال
رسل الله انكار فرعون وقومه من ذكر فرعون الجالسين
على السرير الى الاول من اولاد الادميين الى ولد الحيوان
البهيم فهذه التوراه تسمي بني اسرايل ابنا الله وابكاره وتسمي
ابنا اهل مصر ابنا فرعون فتوسع بتسميه سخال الحيوان اولاد
الملك للحيوان وفي مزامير داود يقول انت ابني سلني اعطك
وفي الانجيل يقول انا ذاهب الى ابي وابيكم والاهي والهكم
وقال اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السما قدس اسمك
افعل بنا كذا وكذا ويقولون عن القديسين ان روح القدس
حل فيهم وكذلك حلت في داود وغيره من الانبيا بل عندهم
ان الله حل في الصديقين كلهم فان كان الابن وروح القدس
يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت وجب ان يكون كل من
الحواريين لاهوتا وناسوتا وكذلك الانبيا فيكون النبي
لاهوتا وناسوتا لانه قد يسمى عندكم ابن الله وتطلق فيه
روح القدس لا سيما وانتم قلتم في الامانه ان روح ممجد
مسجود له ناطق في الانبيا فان كان هذا يوجب حلول
اللاهوت في الناسوت او اتحاده لزم ان يكون غير المسيح
من الانبيا بل والحواريين بل وابنا اسرايل لاهوتا وناسوتا
اذ كان الذي جعلتموه اللاهوت حل بغير المسيح واتحد به
او سكن فيه او احتجب به اذ ما تلتم من الالفاظ التي استدللتم
بها على ان اللاهوت حل في المسيح كلفظ الابن وروح القدس
موجود عندكم في حق غير المسيح والمعجزات التي احتججتم بها
للمسيح قد وجدت لغير المسيح ولو قدر ان المسيح افضل من بعض او كل

عن المسيح



فلا ريب ان المسيح عليه السلام افضل من جمهور الانبيا افضل
من داود وسليمان واصحاب النبوات الموجود عندكم وافضل
من الحواريين لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيله في النبوه
والرساله كفضيله ابرهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم
وسلامه وذلك لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل كما قال
تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقه كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات
ثم انظر انى يوفكون وقال تعالى وقال المسيح يا بني اسرايل
اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنه وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثه وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا
عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقه الايه كلها
وجماع هذا الجواب ان ما يوصف به المسيح عندهم من كونه ابن الله
او حل فيه او ظهر او سكن وكون روح القدس او روح الله حلت
فيه وكونه مسيحا كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح
فليس للمسيح اختصاص بشي من هذه الالفاظ وانما يوجد اختصاصه
بلفظ الكلمه وهذا هو الذي خصه به القران فان الله قال
انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وان محمدا عبده ورسوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه ادخله الله الجنه على ما كان من عمل
فهذا الذي خصه به القران هو الذي خصته به الكتب المتقدمه
اذ كان القران مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه

وكلمته القاها الى مريم وروح [illegible]
[illegible] عيسى عبده [illegible]
[illegible] الا الله و

واما سایر ما یوصف به ویدعون اختصاصه به من کونه ابنا و کونه
مسیحا فغیره ایضا فی کتب الله یسمی ابنا لله و مسیحا و کذلک ما یذکر
من الالفاظ التی یحتجون بها علی الحلول مثل کون الرب ظهر فیه
او حل او سکن فان هذه الالفاظ موجودة عندهم فی حق غیر المسیح
بخلاف لفظ الاتحاد فانه لا یوجد عندهم عن الانبیا لا فی حق المسیح
ولا غیره کما لا یوجد عندهم عن الانبیا لفظ الاقانیم ولا لفظ
التثلیث ولا اللاهوت والناسوت ولا تسمیه الله جوهرا
بل هذا کله ما ابتدعوه کما ابتدعوا ایضا تسمیه صفات الله ابنا
وروح القدس فهم ابتدعوا الفاظا لم ینطق بها الانبیا اثبتوا لها
معانی باطله وابتدعوا استعمال الفاظ الاسامی غیر مرادهم
وحملو مرادهم علیها والالفاظ المتشابهه التی یحتجون بها علی اتحاد
اللاهوت بالناسوت موجودة عندهم فی حق غیر المسیح فلیس للمسیح
خاصه فی کلام الانبیا توجب ان یکون هو الله او ابن الله وتلک
الالفاظ قد عرف باتفاقهم واتفاق المسلمین ان المراد حلول الایمان
بالله ومعرفته وهداه ونوره ومثاله العلمی کما قد بسط الکلام
علی ذلک وقد تقدم ومن قال من ضلال المسلمین ان الرب یتحد
او یحل فی الانبیا والاولیا وهذا من السر الذی لا یباح به فقوله
من جنس قول النصاری فی المسیح وهذا یوجد فی کلام کثیر من
المشایخ والمدعین للمعرفه والتحقیق والتوحید یجعلون توحید
العارفین ان یصیر الموحد هو الموحد ومنهم من یقول ان الله یحل فی
قلب العارف ویتکلم بلسانه کما یتکلم الجنی علی لسان المصروع
ویقول الاول ما وحد الواحد من واحد اذ کل من وحده جاحد
توحید من ینطق عن نعته عاریه ابطلها الواحد توحیده ایاه توحیده

ونعت من ینعته لاحد ومن هولا من یقول ان هذا هو السر الذی باح
به الحلاج وغیره وهذا عندهم من الاسرار التی یکتمها العارفون فلا یبوحون بها
الا لخواصهم ومنهم من یقول انما قتل الحلاج لانه باح بالسر ویتشدون
من باح بالسر کان القتل شیمته من الرجال ولم یوخذ له ثاره
وامثال ذلک وهولا فی دعواهم الاتحاد بغیر المسیح شر من النصاری
فان المسیح صلوات الله علیه افضل من کل من لیس بنبی بل هو افضل
من جماهیر الانبیا والمرسلین فاذا کان من ادعی ان اللاهوت اتحد به
کافرا فکیف من ادعی ذلک فیمن هو دونه وهذا الاتحاد الخاص
غیر الاتحاد والحلول العام کقول الذین یقولون انه حال بذاته فی
کل مکان او یتحد بکل شی وغلاه هولا ومحققوهم یقولون انه عین الوجود والوجود
واحد فیجعلون الموجود الخالق القدیم الواجب هو عین وجود
المخلوقین المحدثین الممکنین فهولا مثل ابن عربی الطای وصاحبه
الصدر القونوی وصاحبه التلمسانی العفیف وابن سبعین وصاحبه
الششتری وعبد الله البلیانی وعامر البصری وطوایف غیرها وهولا
یقولون النصاری انما کفروا لانهم خصوا ذلک بالمسیح وحقیقه
قول هولا هو جحد الخالق وتعطیله کما قال فرعون وما رب العالمین
وقال ما علمت لکم من اله غیری فان فرعون ما کان ینکر هذا الوجود
المشهود لکن ینکر ان له صانعا مباینا له خلقه وهولا موافقون
لفرعون فی ذلک لکن فرعون اظهر الجحود وهولا سوا نظموا قصاید
علی مذهبهم کابن الفارض فی قصیدته المسماه بنظم السلوک حیث یقول
لها صلواتی بالمقام اقیمها واشهد بها انها لی صلت
کلانا مصل واحد ساجد الی حقیقته بالجمع فی کل سجدة
وما کان لی صلی سوای ولم تکن صلاتی لغیری فی ادا کل رکعة

وان الوجود واحد فلم یفصل الوجود الخالق عن وجود المخلوق وهو لا ظنوا انهم یفرقون بالخالق

وما زلت اياها واياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي احبت — الى ان قال
الى رسولا كنت مني مرسلا وذاتي باياتي علي استدلت — وقوله
فان دعيت كنت المجيب وان اكن المنادي اجابت من دعاني ولبت
وقد رفعت تا المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
وكذلك لابن اسرايل في شعره قطعه من هذا كقوله
وما انت غير الكون بل انت عينه ويفهم هذا السر من هو ذايق
والتلمساني الملقب بالعفيف كان من الحد الناس وكان احذق
هاولا الملاحده ولما قرى عليه كتاب فصوص الحكم لابن عربي
قيل له هذا الكلام يخالف القران قال القران كله شرك وانما
التوحيد في كلامنا فقيل له فاذا كان الوجود واحد فلما ذا يحرم
علي امي وتباح امراتي فقال الجميع عندنا حلال ولكن هاولا المحجوبون — متناقض
قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وكلام هاولا كله ينقض بعضه بعضا
فان قوله على هاولا المحجوبون وقلنا حرام عليكم يقتضي الفرق بينه وبين
المحجوبين وبين المخاطب والمخاطب وهذا يناقض وحده الوجود واذا
قالوا هذه مظاهر للحق ومجال كان ذلك الظاهر غير المظهر والمجلي — قلنا
غير المتجلي فقد ثبت التعدد وان في الوجود اثنين ظاهرا ومظهرا وان
جعلوهما واحد فقد بطل جوابهم فصل قال
الحاكي عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا قولنا ان الله تعالى جوهر
قالوا انا نسمع عن هاولا القوم انهم ذو فضل وادب ومعرفه
ومن هذا صورته وقد قرا شيا من كتب الفلاسفه والمنطق
فما حقهم ينكرون هذا علينا وذلك انه ليس في الوجود شي الا
وهو اما جوهر واما عرض لان اي امر نظرناه وجدناه اما قايما
بنفسه غير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر واما مفتقر
في وجوده



في وجوده الى غيره لا قوام له بنفسه وهو العرض ولا يمكن ان يكون
لهذين القسمين قسم ثالث واشرف هذين القسمين القايم بذاته
الغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر ولما كان الباري
تقدست اسماوه اشرف الموجودات اذ هو سبب سايرها
اوجب ان يكون اشرف الامور واعلاها الجوهر ولهذا قلنا
انه جوهر لا كالجواهر المخلوقه كما نقول انه شي لا كالاشيا
المخلوقه والا لزم ان يكون قوامه بغيره ومفتقر في وجوده
الى غيره وهذا من القبيح ان يقال على الله تعالى فقلت لهم انهم يقولون
انا انما نمتنع من تسميته جوهرا لان الجوهر ما قبل عرضا وما
شغل الحيز ولهذا ما يطلق عليه القول بانه تعالى جوهر
قالوا ان الذي يقبل عرضا ويشغل حيزا هو الجوهر الكثيف
فاما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضا ولا يشغل حيزا مثل جوهر
النفس وجوهر العقل وجوهر الضو وما يجري هذا المجرى
من الجواهر اللطيفه المخلوقه فاذا كانت الجواهر اللطيفه المخلوقه
لا تقبل عرضا ولا تشغل حيزا فيكون خالق الجواهر اللطايف — كلام
والكثايف ومركب اللطايف بالكثايف يقبل عرضا ويشغل
حيزا والجواب من وجوه احدها ان يقال اما تسميه
الباري جوهرا فهو من اهون ما ينكر على النصارى ولهذا كان
من الناس من ينكره من جهه الشرع فقط او اللغه ومنهم من
ينكره من جهه العقل ايضا ومنهم من يراه نزاعا لفظيا
وطايفه من المسلمين يسمونه جوهرا وجسما ايضا وذلك ان
المسلمين في اسما الله تعالى على طريقين وكثير منهم يقول
ان اسماه سمعيه شرعيه فلا يسمى الا بالاسما التي جات بها الشريعه

فان هذه عبادات والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع
ومنهم من يقول ما صح معناه في اللغه وكان معناه ثابتا له لم
يحرم تسميته به فان الشارع لم يحرم علينا ذلك فيكون
عفوا والصواب القول الثالث وهو ان يفرق بين ان يدعا
بالاسما او يخبر بها عنه فاذا دعي لم يدع الا بالاسما الحسنى كما
قال تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في اسمايه واما الاخبار عنه فهو بحسب الحاجه
فاذا احتيج في تفهيم الغير المراد الى ان تترجم اسماوه بغير العربيه
او يعبر عنه باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرما واما الذين
ينفوه من جهه العقل فكثير منهم يقولون ان الجوهر ما شغل
الحيز وحمل الاعراض والله سبحانه وتعالى ليس كذلك وهذا
قول من نفا ذلك من اهل الكلام ومنهم من يقول الجوهر
ما اذا وجد كان وجوده لا في موضوع وهذا انما يكون فيما وجوده
زايدا على ذاته وواجب الوجود وجوده عين ذاته فلا يكون
جوهرا وهذا قول ابن سينا وامثاله من متاخري المتفلسفه
واما قدما الفلاسفه كارسطوا وامثاله فكانوا يسمونه
جوهرا وعنهم اخذت النصارى هذه التسميه فان ارسطوا
كان قبل المسيح باكثر من ثلثمايه سنه ولهذا قال هادلاي كابام
تعجب ممن ينكر ذلك وهو يقرا شيا من كتب الفلاسفه والمنطق
واما اللغه فان لفظ الجوهر ليس من العربيه العربا ولهذا
لا يعرف في كلام العرب المحض وانما هو معرب كما ذكر ذلك
الجوهري وغيره قال الجوهري الجوهر معرب الواحده
جوهره فهو من العربيه المعربه لا من العربيه العربا كلفظ سجيل

واستبرق

واستبرق وامثال ذلك من الالفاظ المعربه وهذا اللفظ
ليس موجودا في القران ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغه
هو الجوهر المعروف وتسميه القايم بنفسه او الشاغل للحيز
جوهرا فهو امر اصطلاحي ليس هو من الاسما اللغويه ولا العربيه
العامه ولا الاسما الشرعيه وقد قيل انه ماخوذ من كلام الاوايل
كاليونان وغيرهم فانه يوجد في كلامهم تسميه القايم بنفسه
جوهرا وقد قيل سموه بذلك لان جوهر الشي اصله
والقايم بنفسه هو الاصل وقد يسمون العرض القايم بغيره جوهرا
وقيل لان لفظ الجوهر فوعل من الجهر وهو الظهور والوضوح
والقايم بنفسه يظهر ويعرف قبل ان يعرف ما قام به من
الاعراض والناس متفقون على اثبات الاعيان القايمه بنفسها
التي تسمى جوهرا واجساما وتنازعوا في ثبوت الاعراض القايمه
بها والنزاع عند محققيهم لفظي فان عاقلا لا ينازع ان الجسم
يتحرك بعد سكونه لكن منهم من يقول حركته ليست
زايده على ذاته ومنهم من يقول هي زايده على ذاته وهو نظير
تنازعهم في الصفات هل هي زايده على الذات او ليست زايده
والتحقيق ان مسمى الانسان اذا اطلق دخل فيه صفاته
واذا ميز بين هذا وهذا قيل الذات والصفات ومن الناس
من يخص بلفظ العرض ما لم يكن من الصفات لازما للموصوف
والصفات اللازمه يسميها صفات ذاتيه جوهريه فاذا كان
كذلك فلا يدخل في اسما الله التي تذكر في اصول الايمان التي
يجب اعتقادها من الاسما ما هو اصطلاح طايفه من الناس مع
انه يوهم معنى باطلا وهذا الموضع مما اضطرب فيه مع النصارى

ومنهم من يخص بالعرض ما لا يبقى زمانين ويقول
صفات الكلام عرض فانها لا تبقى زمانين وبعض الصفات
نفسه فانها عنده باقيه فلا يسميها اعراضا السلفيين
يسمي صفات كل موصوف اعراضا

كثير من الناس منهم من يجعل الصفات اعيانا قايمه بنفسها
وجواهر قايمه بنفسها ومنهم من يجعل الاعيان القايمه بنفسها
صفات والصفات لا تقوم الا بانفسها لابد لها من موصوف تقوم به
والاولون نوعان منهم من ينفي الصفات وقال لو اثبتنا الحياه
وعلما وقدره لزم ان يكون هذه الهه فان القدم اخص وصفه
فلو اثبتنا قديما ليست هي الذات لزم ان يشارك الذات في اخص
وصفها فتكون ذاتا اخرى قايمه بنفسها وهذه طريقه كثير
من نفاه الصفات من مبتدعه المسلمين واليهود والنصارى
احتجوا على نفي الصفات فانا لو اثبتناها لزم ان يكون الهه وقال
من قال من المنتسبين الى الاسلام انا لو اثبتنا الصفات لقلنا
بقول النصارى حيث اثبتوا الله الاقانيم وبحجه هولا نايعه على
النصارى وهم النوع الثالث فانهم اثبتوا الله صفات وجعلوها
جوهرا قايما بنفسه وقالوا في هذا انه اله من اله وهذا اله من اله
فاثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قايمه بنفسها ثم قالوا الجميع
جوهر فكان في كلامهم امور كثير من الباطل المتناقض منهم
من جعل الصفات جوهرا ومنهم من جعل الجواهر المتعدده
جوهرا واحدا والذين قالوا من نفاه الصفات المعتزله والجهميه
ان من اثبت الصفات فقد قال بقول النصارى هو متوجه على
من جعل الصفات جواهر فهولاهم والنصارى يزعمون ان الصفات
جواهر الهه ثم قال هولا ولا اله الا الله فلا صنه له وقالت النصارى
بل الاب جوهر اله والابن جوهر اله وروح القدس جوهر اله ثم قالوا
والجميع اله واحد ونفس تصور هذه الاقوال التصور التام يوجب
العلم بفسادها واما الرسل واتباعهم فنطقوا بان لله علما وقدره

وغير ذلك

ان الله موجود حي ناطق ثم [illegible] لواحد جوهر قائم بنفسه
ونطقه وهو الكلمة جوهر قائم بنفسه وكذلك [illegible]



وغير ذلك من الصفات وثبتوا ان لا اله الا اله واحد فاذا قال القايل
عبدت الله ودعوت الله فانما دعا وعبد الها واحدا وهو ذات
متصفه بصفات الكمال لم يعبد ذاتا لا حياة لها ولا علم ولا قدره
ولا عبد ثلثه الهه ولا ثلثه جواهر بل نفس اسم الله يتضمن ذاته
المقدسه المتصفه بصفاته سبحانه وليست صفاته خارجه
عن مسمى اسمه ولا زايده على مسمى اسمه بل اذا قدر ذات مجرده عن
الصفات فالصفات زايده على هذه الذات المقدره في الذهن المجرده
عن الصفات ليست الصفات زايده على الذات المتصفه بالصفات
فان الله لا اله الا بصفاتها فتقديرها مجردة عن صفاتها تقدير ممتنع
وقد تنازع المثبته هل يقال الصفات عين الذات ام ليست
عين الذات ام يقال لا يقال هي غير الذات ولا يقال ليست
غير الذات وتنازعوا في مسمى الغير هل هما ما جاز العلم باحدهما
مع عدم العلم بالاخر وغايه ذلك منازعات لفظيه وكثير منهم
فرق في الصفات اللازمه بين بعضها وبعض فجعل بعضها زايدا
على الذات وبعضها ليس بزايد على الذات وكان الفرق بحسب
ما يتصوره لا بحسب ما الامر عليه في نفسه فاذا امكنهم
تصور الذات بدون صفه قالوا هذه زايده والا قالوا ليست
زايده وهذا يقتضي انها زايده على ما تصوروه هم من الذات
لا انه في الخارج ذات مجرده عن تلك الصفه وصفه زايده عليها
بل ليس الا الذات المتصفه بتلك الصفات ولكن يجب الفرق
بين ان يقال ان الصفات غير الذات وبين ان يقال انها غير الله
فان اسم الله متناول لذاته المتصفه بصفاته فاذا قال القايل
دعوت الله وعبدت الله فلم يدع ذاتا مجردة ولا صفات مجردة

بلغ

يقال،

مفارقة احدهما الاخر مطلقا او زمانا او مكانا
يوجد [illegible] او مما جائز

بل دعا الذات المتصفه بصفاتها فاسمه تعالى يتناول ذلك فليست
صفاته خارجه عن مسمى اسمه ولا زايده على ذلك وان قيل
انها زايده على الذات المجرده ومن ظن انها زايده على الذات
المتصفه بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسماها فقد غلط ولكن
في الاذهان والالسنه زلق في هذا الموضع كثيرًا فاذا قيل
الصفات مغايره للذات لم يكن في هذا من المحذور ما في قولنا
ان صفات الله غير الله فان اسم الله يتناول صفاته فاذا قيل انها
غيره فهم من ذلك انها مباينه له وهذا باطل ولهذا كان الثقاة
اذا ناظروا ايمة المسلمين كما ناظروا الامام احمد بن حنبل في
محنته المشهورة فقالوا له ما تقول في القران وكلام الله اهو
الله ام غير الله عارضهم بالعلم وقال لهم ما تقولون في علم الله اهو
الله ام غير الله واجاب ايضا بان الرسل لم تنطق بواحد من
الامرين فلا حجه لهم في كلام الله ورسوله فان الله لم يقل
لكلامه هو انا ولا قال انه غيري حتى يقول القايل اذا
كان قد جعل كلامه غيره وسواه فقد اخبر انه خالق لكل
ما سواه فان كان الاحتجاج بالسمع فلا حجه فيه وان كان
الاحتجاج بالعقل فالمرجع في ذلك الى المعاني لا الى العبارات
فان اراد المريد بقوله هل كلامه وعلمه غيره انه مباين له
فليس هو غيره بهذا الاعتبار وان اراد بذلك ان نفس
الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم فهو غير له بهذا الاعتبار
واذا كان اللفظ مجملا لم يجز اطلاقه على الوجه الذي يفهم
المعنى الفاسد واما الذين جعلوا الاعيان القايمه بانفسها
صفات منهم هؤلا المتفلسفه النفاة للصفات ومن اشبههم

فانهم قالوا



فانهم قالوا ان رب العالمين عقل وعاقل ومعقول ولفظ العقل
عندهم وان كانوا يقولون هو جوهر قايم بنفسه فقد صرحوا
ايضا بانه نفسه علمه حتى صرحوا بان رب العالمين علم كما صرح
بذلك ابن رشد وغيره ونقلوه عن ارسطو وان العقول
العشره كل منها علم فهو علم وعالم ومعلوم بل قالوا عقل وعاقل
ومعقول وعاشق ومعشوق وعشق ولذيذ وملتذ ولذه فجعلوه
نفسه لذة وعقلا وعشقا وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ
وجعلوا نفس العلم نفس العشق ونفس اللذة فجعلوه نفسه صفات
وجعلوه ذات قايمه بنفسها وجعلوا كل صفه هي الاخرى وهذا
مما يعلم بصريح العقل بطلانه ومنهم من لا يصرح بانه نفسه علم
فانه يقول هو عاقل ومعقول وعقل فيقول انه يعلم نفسه
فلا علم علمه بل هو العالم وهو المعلوم وهو العلم وحقيقه كلامهم
تعود الى قول اوليك فانهم اذا قالوا ان العلم الذي يعلم به ذاته
هو العالم وهو المعلوم فقد جعلوا نفس العلم نفس العالم ونفس
العلم نفس المعلوم وهي حقيقه قول اوليك وهذه الامور مبسوطه
في غير هذا الموضع الوجه الثاني ان يقال لهم
انتم تقولون انكم متبعون للكتب الالهيه واذا كان كذلك
لم ينبغي لكم في شريعه ايمانكم من الاسما الا ما جات به الانبيا
عليهم السلام والانبيا لم يسميه احد منهم جوهرًا وانما سماه
بذلك ارسطو وامثاله وهؤلا كانوا مشركين يعبدون
الاصنام ولم يكونوا يعرفون الله المعرفه الصحيحه ولا يقولون
انه خالق السموات والارض ولا انه بكل شي عليم ولا على كل
شي قدير وانما كانوا يعبدون الكواكب العلويه والاصنام

السفليه ويعبدون الشياطين ويومنون بالجبت والطاغوت
وانما صاروا مومنين لما دخل اليهم دين المسيح صلوات الله عليه
وسلامه بعد الاسكندر المقدونى صاحب ارسطوا بنحو
ثلثمايه سنه ويقال انه اخر ملوكهم كان بطلميوس وكانوا
يسمون الملك من ملوكهم بطلميوس كما يسمون القبط
ملكها فرعون والحبشه ملكها النجاشى والفرس كسرى
ونحو ذلك وحينيذ فعدولكم عن طريقه الانبيا والمرسلين
الى طريقه الكفار والمشركين المعطلين من الضلال المبين
وفى كتبهم ان بولص لما صار الى اثينه دار الفلاسفه وجد فيها
دار الاصنام مكتوبا الاله الخفى الذى لا يعرف هو الذى خلق وجد
العالم وكانوا لا يعرفون رب العالمين فكيف يعدل عن
طريقه رسل الله وانبيايه كموسى وداود والمسيح الى طريقه
هاولا الكفار المشركين المعطلين ولكن النصارى ركبوا
دينا من دينين من دين الانبيا الموحدين ودين المشركين
فصار فى دينهم قسط مما جات به الانبيا وقسط مما ابتدعوه
من دين المشركين فى اقوالهم وافعالهم كما احدثوا الفاظ الاقانيم
وهى الفاظ لا توجد فى كلام الانبيا وكما احدثوا الاصنام
المرقومه بدل الاصنام المجسده والصلاه الى الشمس والقمر
والكواكب بدل الصلاه اليها والصيام فى وقت الربيع ليجمعوا بين الدين
الشرعى والامر الطبيعى وغير ذلك الوجه الثالث
قولهم ان الذى يشغل حيزا ويقبل عرضا هو الجوهر الكثيف
فاما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضا ولا يشغل حيزا مثل
جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضو فيقال



الكلام فى الجواهر هل هى منقسمه الى متحيز وغير متحيز او كلها
متحيزه هو متصل بالكلام على نفس الانسان الناطقه
فنقول ان المسلمين من اعظم الناس معرفه بوجود الملايكه
والجن كما دل على ذلك الكتاب والسنه واجماع الامه
وكذلك سلف الامه وايمتها يعرفون وجود النفس التى هى
روح الانسان التى تفارق بدنه حين الموت كما دل على ذلك
الكتاب والسنه واجماع السلف والايمه وان كان كثير
من اهل الكلام يزعم انها عرض من اعراض البدن او جز
من اجزايه فهذا قول محدث فى الاسلام لم يذهب اليه احد
من السلف والايمه وان كان محكيا عن اكثر المتكلمين فليس
الذين قالوا هذا من سلف الامه ولا ايمتها بل هم من اهل الكلام وايمتها
المحدث المذموم عند السلف والايمه وكثير من المتفلسفه
الداخلين فى اهل الملل يقولون ان الذوات التى تسميها الانبيا
الملايكه هى التى تسميها المتفلسفه المشاون عقولا او عقولا
ونفوسا غلط عظيم كما قد بسط فى موضعه فان العقول
التى يثبتها هاولا المتفلسفه لا حقيقه لها عند الرسل واتباعهم
بل ولا حقيقه لها فى المعقول الصريح انها اعراض قايمه بنفسها بل جميع كلامهم
قد صرحوا بان واجب الوجود نفسه هو علم وجعلوا نفس العلم
هو نفس العالم ونفس تصور هذا القول يكفى فى العلم
بفساده كما ان هاولا المتفلسفه اتباع ارسطوا لا يعرفون
الملايكه بل ولا الجن وانما علمهم معرفه الاجسام الطبيعيه
وتكلموا فى الالهيات بكلام قليل فيه كثير من الخطا واكثره من جهته
كما قد بسط فى موضع اخر وهاولا يزعمون ان العقل الاول

ابدع ما دونه من العقول والافلاك الى ان ينتهى الامر الى العقل
العاشر فهو مبدع ما تحت فلك القمر وهذا كله من اعظم
الكفر عند الرسل واتباعهم اهل الملل فان مضمون هذا
ان ملكا من الملايكه خلق كلما تحت السما وملكها فوقه
خلق كلما سوى الله سبحانه وهذا من اعظم الكفر فى دين
المرسلين واهل الملل المسلمين واليهود والنصارى
قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
فاخبر ان الملايكه لا تسبقه بالقول ولا تعمل الا بامره فضلا
عن ان يكون ملك خلق كل شى وهولا يقولون ان الوحى
والكلام الذى جات به الرسل انما هو فيض من هذا العقل
الفعال على قلوب الانبيا والله تعالى عندهم ولا لم يكن يعرف
موسى ولا عيسى ولا ابرهيم ولا محمدا ولا غيرهم من الرسل ولا
يعرف الجزئيات بل عند ارسطوا واتباعه انه لا يعلم شيا
من الاشيا بل ولا خلق عندهم شيا بل ولا يقدر عندهم على
خلق شى فضلا عن ان يكون على كل شى قدير وان يكون احاط
بكل شى علما وارسطوا وقومه كانوا مشركين يعبدون
الاصنام بمقدونيه واثينيه وغيرهما من مداين الفلاسفه
اليونان وكان وزيرا للاسكندر بن فيلبس المقدونى
وكان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو ثلثمايه سنه
ولم يكن وزيرا لذى القرنين الذى بنا سد ياجوج وماجوج
وعامه علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات واما العلم



الالهى وهو الذى يسمونه علم ما بعد الطبيعه وهو منتهى
فلسفتهم فاما يتكلموا فيه على امور كليه فقسموا الوجود
الى جوهر وتسعه اعراض يجمعها بيتان :. زيد الطويل
الاسود بن مالك :. فى داره بالامس كان متكى :. فى يده
سيف نضاه فانتضا :. فهذه عشر مقولات سوا :.
وهى الجوهر والكم والكيف والاين ومتى والاضافه
والملك والوضع وان يفعل وان ينفعل وقد نازعه اتباعه
وغيرهم فى الحصر وقالوا لا انه لا دليل عليه ومنهم من
جعلها ثلثه ومن قال غير ذلك واثبت العله الاولى
بنا على حركه الفلك وانه يتحرك حركه شوقيه فلا بد
له مما يتشبه به فالعله الاولى هى غايه لحاجه الفلك
اليها من جهه انه متحرك للتشبه بها كحركه المؤتم بامامه
والمقتدى بقدوته وقد يقولون كتحريك المعشوق لعاشقه
وكلام ارسطوا فى ذلك موجود قد نقلته بالفاظه
وتكلمت عليه فى غير هذا الموضع وقد ذكره فى مقالة
اللام وهى اخر فلسفته ومنتهى حكمته وفى كتاب اثولوجيا
ولم يثبت ان الرب مبدعا للفلك عله فاعله ولا يسمى
واجب الوجود ولا قسم الموجودات الى واجب قديم وممكن
قديم بل ذاك فعل المتاخرين كابن سينا وامثاله وقد
بسطنا الكلام عليهم فى غير هذا الموضع والمتاخرون
الذين سمعوا كلام اهل الملل ارادوا اصلاح كلامه وتقريبه كلامه
الى المعقول لعله توافق ما علم بصريح المعقول وصحيح المنقول
فتكلم عليه [illegible] وبين ان الفلك لا قوام له الا بطبيعته ولا
ثابت بن قره

قوام لطبيعته الا بحركته ولا قوام لحركته الارادية الا بمحركها
وزعموا ان المحرك يجب ان لا يكون متحركا وقرروا ذلك بادلة فاسدة
قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع فقالوا انه انما يحرك
الفلك من جهة تشبه الفلك به وان لم يكن هو القادر على تحريك
الفلك بل ولا شعور منه بالفلك وعبر عن ذلك ابن رشد الفيلسوف
وامثاله فقالوا انه يامر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لامر
الله مع انه عندهم لا ارادة له ولا علم له بما يامر به بل كونه امرا
هو معنى كون الفلك يتشبه به كما يامر المعشوق عاشقه اي يحبه
وان كان المعشوق لا شعور له ولا ارادة في ان يحبه ذاك بل لو
قدر انه هو الامر فانما تصور سبب امره مجرد حركة الفلك ولهذا
شبهوا ذلك بامر السلطان لعسكره بامر يطيعونه فيه فجعلوا الحركة
معلولة له بهذا الاعتبار لم يثبتوا انه ابدع شيئا من الافلاك والعناصر
والمولدات ولا العقول ولا النفوس لا ابدع اعيانها ولا صفاتها
ولا افعالها بل غايته ان يكون امرا لها بالحركة كامر الملك لعسكره — بشي من ج
مع انه عندهم ليس امرا بالحقيقة بل ولا علم له بالموجودات بل غاية
ما يزعم ارسطو واتباعه ان للفلك حاجة اليه من جهة تشبهه
به واما كونه هو علة موجبة للفلك فانما يقول هذا من يقوله
من متاخريهم كابن سينا واما الفارابي فهو الذي وسع القول في
هذا الباب وقسموا الوجود الى واجب وممكن وجعلوا الافلاك
ممكنة واجبة به وفي ذلك من العناد والاضطراب ما قد بسط
في غير هذا الموضع وبنى ابن سينا الكلام في نفي صفاته على كونه
واجب الوجود واما الفارابي في كتاب اراء المدينة الفاضلة
وغير ذلك فاعتمد على كونه اول وكذا لارسطو في كتاب اعتمد على كونه
اثولوجيا



هو الاول وتشبيهه بالاول في العدد وعلى ذلك بنوا نفي الصفات
وابطلوا اثباتها تخرج عن كونه اول مع انهم لم يقيموا حجة على كونه
اول بهذا المعنى الذي زعموه كما لم يقيموا حجة على كونه
واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه بل تكلموا بالفاظ مجملة متشابهة
تحتمل حقا وباطلا فانه معلوم ان الله واجب الوجود بذاته موجود
بنفسه وانه الازلي الذي ليس قبله شي فهو القديم الازلي الذي
لم يزل ولا يزال وهولا جعلوا وجوب الوجود بمعنى انه لا يتعلق
بغيره فلا يكون له صفة وكونه اول بمعنى اول الاعداد الذي
لا تعدد فيه فمعلوم ان الواحد والاول المجرد عن كل شي انما يقدر
في الاذهان لا في الاعيان فالذهن يقدر واحدا واثنين وثلثة
واربعة الى ساير الاعداد المجردة والعدد المجرد عن المعدود
انما يوجد في الاذهان لا في الاعيان فاما الموجود في الخارج
فانما هي اعيان قايمة بانفسها وصفاتها القايمة بها والاول منها
هو ذات متصفة بصفاتها لا توجد في الاعيان ليس بذات قايمة
بنفسها ولا صفة قايمة بغيرها بل لا توجد ذات مجردة عن صفاتها
وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع ولكن نبهنا هنا
عليها لان هولا القوم قالوا انا نعجب من هولا القوم انهم ذو
فضل وادب ومعرفة ومن هذا صورته وقد قرا شيا من كتب
الفلاسفة والمنطق فما حقهم ينكرون علينا هذا فكل كلام هولا
النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة واهل المنطق وان من قرا
كتبهم عرف بها من الحق في الالهيات ما لا يعرفه ساير اهل الملل
وهذا يدل على جهل هولا النصارى بما جاءت به الرسل وبما
يعرف بالعقل المحض اما الاول فلان المسيح واتباعه كالحواريين

المدينة والشرايع التي هي جزء مما جاءت به الرسل واليهود والنصارى
بعد النسخ والتبديل اعلم من هولاء بالعلوم الالهية والاخلاق
والسياسات

ومن اتبعهم لكبير فيهم من عظم هولا الفلاسفه ولا استغنا بهم
بل هم عندهم من ايمة الكفر ورووس الضلال وكذلك موسى
واتباعه وكذلك محمد واتباعه فليس في رسل الله وانبيايه ولا
في اتباعهم من يعظمهم ولا يستعين بكلامهم بل الرسل واتباعهم
متفقون على تضليلهم وتجهيلهم واما العقليات فانما يعظم كلام
هاولا الفلاسفه في العلوم الكليه والالاهيه من هو من اجهل
الناس بالمعارف الالهيه والعلوم الكليه اذ كان كلامهم في ذلك
فيه من الجهل والضلال ما لا يحيط به الا ذو الجلال واما كان
القوم يعرفونه ما يعرفونه من الطبيعيات والرياضيات كالهندسه
وبعض الهيه وشيا من علوم الاخلاق والسياسات فضلا عما وراء
ذلك فاعتقاد هاولا النصارى هولا المتفلسفه يدل على عظم
جهلهم بالشرعيات والعقليات وقد بسط الكلام في مواضع
متعدده اذ كان الرد على الفلاسفه لا يختص به النصارى
بل الكلام في ذلك معهم ومع من يعظمهم من اهل الملل عموما ومعلوم
ان المنتسبين الى الاسلام من اتباع الفلاسفه كالفارابي وابن سينا
والسهروردي المقتول وابن رشد الحفيد وامثالهم احذق منهم
واعلم من النصارى وكتب الفلاسفة التي صارت الى المسلمين من
الطب والحساب والمنطق وغير ذلك هذبها المنتسبون الى الاسلام
فجا كلامهم فيها خيرا من كلام اوليك اليونان والنصارى واليهود
انما يعتمدون في هذه العلوم على ما وصفه هاولا المنتسبون الى
الاسلام مع ان هاولا عند علما الاسلام جهال ضلال في الالهيات
والكليات فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم من اليهود والنصارى
ولما صار اوليك اليونان عارفين بالله موحدين له عابدين له



مومنين بملايكته وكتبه ورسله لما دخل اليهم اتباع المسيح يدعوهم
الى دين الله الذي بعث به المسيح وكل من كان من اتباع المسيح
غير مبدل لشي من دينه قبل النسخ فانه من المومنين المهتدين
وهم من اوليا الله وهم من اهل الجنه ومن ظن ان كلام الرسل
يوافق هاولا اليونان فان ذلك يدل على جهله بما جات به الرسل
وبما يقوله هاولا وانما يوجد مثل هذا في كلام الملاحده من
اهل الملل ملاحده اليهود والنصارى وغيرهم كاصحاب
رسايل اخوان الصفا وامثالهم من الملاحده المنتسبين الى
تشيع او الى تصوف كابن عربي وابن سبعين وامثالهما
وفي الكتب المضنون بها على غير اهلها ونحو ذلك من الكلام
المنسوب الى ابي حامد قد وقطعه من ذلك وهاولا يحتجون بالحديث
المانور اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال
له ادبر فادبر فقال وعزتي ما خلقت خلقا اكرم علي
منك فبك اخذ وبك اعطي وبك الثواب وعليك العقاب
وهذا الحديث كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر ذلك اهل العلم بالحديث كابي جعفر العقيلي وابي حاتم
ابن حبان البستي وابي الحسن الدارقطني وابي الفرج بن
الجوزي وغيرهم ثم لفظه لو كان صحيحا حجة على نقيض
مطلوبهم فانه قال اول ما خلق الله العقل قال له
بنصب اول وفي لفظ لما خلق الله العقل قال له فلفظه
يقتضي انه خاطبه في اول اوقات خلقه فحرفوا لفظه وقالوا اول
ما خلق الله العقل بالضم وليس هذا لفظه ولكن لفظه
يقتضي انه خاطبه في اول اوقات خلقه ولهذا قال

ماخلقت خلقا اكرم علي منك وهذا يقتضي انه خلق قبله
غيره وعندهم هو اول المبدعات يمتنع ان يتقدمه شي مع
انه وساير العقول والافلاك عندهم قديمه ازليه لم تزل
ولا تزال ثم قال فبك اخذ وبك اعطي وبك الثواب
وعليك العقاب فجعل به هذه الانواع الاربعه وعندهم ان
صدر عنه جميع العالم العلوي والسفلي وذلك ان لفظ العقل
في الحديث سوا كان صحيحا او ضعيفا هو العقل في لغه
الانبيا والمرسلين وهو عقل الانسان وهو عرض قايم به و
صفه قايمه بالانسان ليس هو جوهرا قايما بنفسه والعقل
في لغه هولا الفلاسفه هو جوهر قايم بنفسه واما النفس
الفلكيه فلهم فيها قولان قيل انها عرض قايم بالفلك وهو
قول اكثرهم وقيل بل جوهر قايم بنفسه والى هذا يميل ابن
سينا وهذه الامور مبسوطه في موضع اخر والمقصود هنا
ذكر هولا النصارى ان ثم جوهرا لطيفا غير الجوهر الكثيف
وتمثلوا ذلك بالنفس والعقل والصور ثم لم يقيموا على ثبوت
شي من ذلك دليلا ولا دليل مما دلت عليه الكتب الالهيه
فان النفس الفلكيه والعقول العشره لم ينطق بها كتاب
ولا رسول نبي ولا دل عليها دليل عقلي وادله المتفلسفه
عليها ضعيفه وانما دل العقل على ما اخبرت به الرسل من
الملايكه ولكن هولا الذين حملوا كلام الرسل على ما يوافق
قول المتفلسفه يجعلون اللوح المحفوظ هو النفس الفلكيه
كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الاول والعرش هو
الفلك التاسع وغير ذلك مما قد بسط الكلام عليه في موضع اخر



واذا لم يقيموا حجه شرعيه ولا عقليه علي ما مثلوا به من الجواهر
اللطيفه لم يكن لهم حجه على من قال ان الجوهر ما يشغل حيزا ويقبل
عرضا ولما قرنوا النفس بالعقل كان ذلك ظاهرا في انهم ارادوا
النفس الفلكيه فاما ان ارادوا النفس الانسانيه فهي ثابته
اخبرت بها الرسل واتباعهم كما قد بسط في موضعه لكن هذه
لا تقترن بالعقل الذي هو جوهر والعقل صفه هذه وهو مصدر
عقل يعقل عقلا وقد يراد بالعقل غريزه قايمه بها وقد يراد
بالعقل العمل بالعلم كما قد بسط في موضع اخر الوجه
الرابع قولهم وجوهر الضو فيقال لهم ان اردتم بالضو
نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز يشغل حيزا ويقبل
عرضا ليس هو من الجواهر اللطيفه التي مثلتم بها وان اردتم
بالضو الشعاع القايم بالهوا والجدران ونحو ذلك فليس هذا
بجوهر لا لطيف ولا كثيف بل هو عرض قايم بغيره الوجه
الخامس قولكم ان الجوهر اللطيف لا يقبل عرضا كلام ممنوع
وهو باطل ايضا فان نفس الانسان تقبل الاعراض القايمه بها
وكذلك النفس الفلكيه عند من اثبتها تقوم بها ارادات
وتصورات متجدده ولفظ العرض في اصطلاح النظار يراد
به ما قام بغيره سوا كان صفه لازمه او عارضه وهذا موجب
تقسيم النصارى كما هو قول الفلاسفه فانهم قالوا ليس في الوجود
شي الا وهو اما جوهر واما عرض لانه اي امر نظرناه وجدناه اما قايما
بنفسه غير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر واما مفتقر
في وجوده الى غيره لا قوام له بنفسه وهو العرض قالوا ولا يمكن
ان يكون لهذين قسم ثالث وهذا الذي قالوه هو تقسيم ارسطو

واتباعه وهو يسمي المبدا الاول جوهرًا وهذا تقسيم ساير النظار
لكن اكثرهم لا يدخلون رب العالمين في مسمى الجوهر ومنهم من يدخله لفظي
فيه وبعض النزاع في ذلك واذا كان الامر على ما قالوه فالضو القايم
بالارض والهوا عرض ليس جوهرًا قايما بنفسه وقد جعلوه جوهرا
وهذا تناقض بين وايضا فالجواهر اللطيفه تقوم بها الاعراض
كالحياه والعلم بل والرب على قولهم تقوم به الحياه والعلم فاذا
سموه جوهرًا لزمهم ان يسموا صفاته اعراضا اذا قالوا الموجود
الا جوهرًا او عرض فهذا لا يوجد تناقض قولهم الموجود اما جوهر
واما عرض فليس في الموجودات الا هذا وهذا بل موجب
كلامهم انها قايمه بذات الله فكيف بذات غيره واذا قالوا يعني
بالاعراض الصفات العارضه او القايمه بالاجسام كان هذا تناقضا
لقولهم للوجود اما جوهر واما عرض مع قولهم ان الرب جوهر
ثلثه اقانيم والاقنوم ذات وصفه ومع قولهم ان الرب جوهرا
فقولهم يقتضي ان الرب جوهر تقوم به الاعراض فكيف غيره
ثم يقال اذا قدر انهم يدعون ثبوت جوهر لا يقوم به الاعراض
فهذا اصطلاح لهم وافقوا فيه نفاه الصفات من الفلاسفه
كارسطو وذويه فانهم يقولون ان الرب جوهر لا يتصف
بشي من الصفات الثبوتيه لكن ليس هذا قول النصارى فتبين
انهم في قولهم ان الرب جوهر وفي قولهم ان من الجواهر ما لا يقوم
به الصفات موافقون المشركين الفلاسفه ارسطو واتباعه
لا موافقين للمسيح والحواريين وانهم اثبتوا الصفات لله موافقه
للمسيح والحواريين ثم جعلوه جوهرًا ثم قالوا ان الجوهر اللطيف
لا تقوم به الصفات وهذا قول الفلاسفه المشركين المعطلين
وهذا تحقيق



وهذا تحقيق ما ذكرناه عنهم من انهم ركبوا دينًا من دين المسيح
والحواريين ومن دين الكفار المشركين ونظار المسلمين فيها وان
عنوا بالعرض هنا وكل جوهر يقبل الصفات وان ارادوا بالعرض
ما يعنيه المتفلسفه بالصفات العرضيه التي يفرقون بينها وبين
الذاتيه مع ان هذا ليس مقتضى كلامهم فقد ذكرنا في غير هذا
الموضع ان تقسيم هولا الصفات اللازمه للموصوف الى ذاتيه
وعرضيه تقسيم باطل وتقدير ان يكون حقًا فالنفس ايضا تقبل
الصفات العرضيه بل وكذلك كل جوهر سوا كان لطيفًا او كثيفًا
فقولكم ان الجوهر اللطيف لا يقبل عرضًا مثل جوهر النفس وجوهر
العقل وجوهر الضو وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفه
كلام باطل على كل تقدير وان عنوا بلفظ العرض شيا اخر لم يفهم
ذلك فان المتكلمين الذين قالوا الجوهر هو ما يشغل حيزًا ويقبل
عرضًا انما ارادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني سوا كان لازمًا
له او عارضًا له ومعلوم ان كل جوهر فانه يقوم به المعاني والخالق
تعالى عندهم يقوم به الحيا والعلم فاذا كان الخالق تعالى يقوم به
المعاني وهم يسمونه جوهرًا فكيف لا تقوم المعاني بغيره وهذا لا
يثبتون جوهرًا لطيفًا لا تقوم به الاعراض مع قولهم انه تقوم به
المعاني وهذا اصطلاح لهم لا يوافقهم عليه احد ثم يتناقضون فيقولون
الموجود اما جوهر واما عرض وهذا تناقض ونظار المسلمين لهم في
تسميه صفات الله القايمه به اعراضًا نزاع فبعضهم يسميها اعراضا
وبعضهم ينكر هذه التسميه مع اتفاق هاتين الطايفتين على قيام الصفات
به وجمهور نظار المسلمين لا يسمونه جوهرًا وبعضهم يسميه جوهرًا
واما من انكر قيام الصفات به فذاك لا يسميه جوهرًا ولا جسمًا

وهاولا النصارى متناقضون تناقضا بينا ولهذا كان لهم طريقة لا
يوافقهم عليها احد من طوايف العقلا وذلك يظهر بالوجه
السادس وهو ان الناس لهم في اثبات الصفات القايمة بذات
الله تعالى قولان سلف المسلمين وايمتهم وجمهور الخلق من اهل
الملل وغير اهل الملل يثبتون قيام الصفات لله تبارك وتعالى
وهل تسمى اعراضا على قولين والقول الثاني قول من ينفي الصفات
مثل الملاحدة الجهمية ونحوهم من مبتدعة المسلمين ومن وافقهم من
الفلاسفة وبعض اليهود والنصارى فهولا لا تقوم به المعاني والصفات
عندهم فلا يقولون تقوم به الاعراض ثم من هاولا من يسميه جوهرا
كارسطو واتباعه ومنهم من لا يسميه جوهرا كمتاخري الفلاسفة
ابن سينا وامثاله مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم سوا سموه جوهرا
او لم يسموه واما الجمهور القايلون بقيام المعاني به فبعضهم
يسميها اعراضا وان لم يسمه جوهرا وقد سماه بعضهم جوهرا
وبعضهم ينفي ان يكون اعراضا وبعضهم يسكت عن النفي والاثبات
فلا يسميها اعراضا ولا ينفي تسميتها بذلك او يستفصل القايل
عن كونها اعراضا واما هولا النصارى فقالوا جوهر ثلثة اقانيم
ووصفوه بالصفات الثبوتية وهي الحياة والنطق وقالوا الموجود
اما جوهر واما عرض فلزمهم ان يكون صفات الله اعراضا عندهم
ثم قالوا الجوهر اللطيف لا يقوم به الاعراض ونزهوا الرب
ان تقوم به الاعراض مع قولهم انه جوهر تناقضوا تناقضا بينا
حيث جمعوا مع كلام الرسل واتباعهم وبين كلام المشركين المعطلين
الفلاسفة فما نقلوه عن المسيح فهو حق وما ابتدعوه من قول من
خالف الرسل فهو باطل فجمعوا في قولهم بين الحق والباطل وسلكوا

ما لليهود والنصارى

بين

مسلكا

مسلكا لا يعرف عن غيرهم وايضا فهنا ان يقال في الوجه السابع
ان هذا الذي ذكروه تناقض بين فانهم قالوا الموجود اما جوهر
واما عرض فالقايم بذاته هو الجوهر والقايم بغيره هو العرض ثم
قالوا انه موجود حي ناطق له حياة ونطق فيقال لهم حياته
ونطقه اما جوهر واما عرض وليس جوهرا لان الجوهر ما قام بنفسه
والحياة والنطق لا يقومان بانفسهما بل بغيرهما فهما من الاعراض
فتعين انه عندهم جوهر يقوم به الاعراض مع قولهم انه جوهر لا يقبل
عرضا فان قيل اراد بقولهم لا يقبل عرضا ما كان حادثا قيل
فهذا ينقض تقسيمهم الموجود الى جوهر وعرض فان المعنى القديم
الذي يقوم به ليس جوهرا وليس حادثا فان كان عرضا فقد
قام به العرض وقبله وان لم يكن عرضا بطل التقسيم يبين هذا انه
تعالى انتم قلتم انه شي حي ناطق وقلتم هو ثلثة اقانيم وقلتم
المتحد بالمسيح اقنوم الكلمة وقلتم في الامانة نومن باله واحد
اب ضابط الكل وبرب واحد ايسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود
من الاب قبل كل الدهور اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود
غير مخلوق مساو للاب في الجوهرية فقلتم ان الرب جوهر وقلتم
ان الذي يشغل حيزا او يقبل عرضا هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر
اللطيف فلا يقبل عرضا ولا يشغل حيزا مثل جوهر النفس وجوهر
العقل وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة فاذا كانت
الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضا ولا تشغل حيزا فيكون
خالق الجواهر اللطايف والكثايف ومركب اللطايف في الكثايف
يقبل عرضا ويشغل حيزا كلا فصرحتم بانه جوهر لا يقبل عرضا
وقلتم ليس في الموجود شي الا وهو اما جوهر واما عرض فان كان

فهو الجوهر وان كان مفتقرا في وجوده الى غيره صح

قايما بنفسه غير محتاج في وجوده الى غيره لا قوام له بنفسه فهو
العرض فيقال لكم الابن القديم الازلي المولود من جوهر ابيه
الذي هو مولود غير مخلوق الذي تجسد ونزل جوهر قايم بنفسه
ام هو عرض قايم بغيره والوجود عندكم اما جوهر واما عرض
فان قلتم جوهر فقد صرحتم باثبات جوهرين للاب جوهر والابن
جوهر ويكون حينيذ اقنوم الحياة جوهرا ثالثا فهذا تصريح
باثبات ثلثه الهه جواهر قايمه بنفسها وحينيذ فيبطل
قولهم انه اله واحد وانه احدي الذات ثلاثي الصفات
وانه واحد بالجوهر ثلثه بالاقنوم اذ كنتم قد صرحتم على هذا
التقدير باثبات ثلثه جواهر وان قلتم بل الاب القديم الازلي
الذي هو الكلمه التي هي العلم والحكمه عرض قايم بجوهر الاب
ليس جوهرا ثانيا فقد صرحتم بان الرب جواهر تقوم به الاعراض
وقد انكرتم هذا في كلامكم وقلتم هو جوهر لا تقوم به الاعراض
وقلتم ان في المخلوقات وقلتم هو جوهر لا تقوم بها الاعراض
فالخالق اولى وهذا تناقض بين لا حيله فيه لمن تدبر كلامهم اوله
واخره فان كلامهم هذا يوجب انه جوهر واحد لا يقوم به
شي من الاعراض وهم يقولون جوهر واحد ثلثه اقانيم
سموها صفات او خواص او اعراض او قالوا الاقنوم هو الذات
والصفه فيقال لهم الرب مع الاقانيم ثلثه جواهر او جوهر واحد
له ثلثه صفات او جوهر لا صفه له فان قالوا ثلثه جواهر اثبتوا
ثلثه وبطل قولهم ان الرب جوهر واحد واله واحد وصرحوا باثبات
ثلثه الهه وان قالوا بل جوهر واحد له ثلث صفات فقد صرحوا
ان هذا الجوهر تقوم به الصفات واذا قامت به الصفات وقد

سموه جوهرا



سموه جوهرا وقالوا كل موجود اما جوهر واما عرض لزمهم قطعا
ان تكون صفاته اعراضا فيبطل قولهم انه جوهر لا يقوم به الاعراض
وان قالوا جوهر واحد لا تقوم به الصفات بطل قولهم له حياة
ونطق واذا نفوا الصفات ابطلوا التثليث والاتحاد وبطلت
الامانه مع مخالفتهم لكتب الانبيا فانها مصرحه باثبات الصفات
ومع مخالفتهم لصريح العقل والمقصود انهم يتناقضون تناقضا
بينا لانهم اثبتوا جوهرا لا تقوم به الاعراض مع قولهم الموجود
اما جوهر واما عرض ومع قولهم انه جوهر ثلثه اقانيم فاذا لم تقم
به الاعراض لم يكن له صفات فان الصفه قايمه بغيرها ليست
جوهرا بل هي اذا كان الموجود اما جوهر واما عرض من قسم
الاعراض لا من قسم الجواهر فكان هذا الكلام نافيا لقيام
الصفات به مطلقا ثم قالوا انا الاقانيم التي توجب اما اثبات
صفات واما اثبات جواهر ثلثه قايمه بنفسها مع انها اذا
قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات ولا ريب ان القوم يجمعون
في قولهم بين التناقض بين اثبات الصفات ونفيها وبين اثبات
ثالثه جواهر ثلثه الهه وبين قولهم الا اله الواحد وسبب ذلك
انهم ركبوا لهم اعتقادا بعضه من نصوص الانبيا المحكمه
كقولهم اله واحد وبعضه من متشابه كلامهم كلفظ الابن
وروح القدس وبعضه من كلام الفلاسفه المشركين المعطلين
كقولهم جوهر لا تقوم به الصفات ومما يوضح ذلك انك تجد عامه
علما النصارى فضلا عن عامتهم لا يعرفون ما نسخه المسيح من
شريعه التوراه مما اقره مع اتفاقهم على ان المسيح لم ينسخها كلها
ولم يقرها كلها بل اخبرهم انه انما جا ليتممها لا ليبطلها وقد احل

بعض ما جزم فيها كالعمل في السبت ومعلوم ان المقصود بالرسل
تصديقهم فيما اخبروا وطاعتهم فيما امروا فاذا كان عامه النصارى
لا يميزون ما امرهم به مما لم يامرهم به ولا ما نهاهم عنه مما لم ينههم
عنه مع اعترافهم بانه اقر كثيرا من شريعه التوراه بل اكثرها واحل
بعضها فنسخه ورفعه وهم لا يعرفون هذا من هذا لم يكونوا عارفين
بما جا به المسيح ولا يعرفون ما امرهم الله على لسان موسى وسائر الانبيا
فانهم لا يجوز لهم العمل بكل ما في التوراه بل قد نسخ المسيح بعض ذلك
باتفاقهم واتفاق المسلمين على ذلك ولا يجوز لهم تعطيل جميع شريعه
التوراه بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح وعامتهم لا يعرفون
ما نسخه مما لم ينسخه فلا يمكنهم العمل بالتوراه والانتفاع بها في
الشرع حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ وعامتهم لا يعرفون
ذلك فلم يكونوا حينيذ على شريعه منزله من الله لا من جهه
المسيح ولا من جهه موسى فلم يعلمونها بل كان ذلك مجهولا عند
عامتهم وجمهورهم او جميعهم فكانوا محتاجين الى ان يعرفوا اما
شرعه الله مما لم يشرعه فارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بشرع امرنيه بمحاسن ما في الكتابين وعوض عما نسخه بما هو خير منه

فصل ثم قالوا انا نعجب من هاولا القوم الذين مع
ادبهم وما ياخذون به انفسهم من الفضل كيف لم يعلموا ان
الشرايع شريعتان شريعه عدل وشريعه فصل لانه لما
كان البارى عدلا وجوادا وجب ان يظهر عدله على خلقه
فارسل موسى الى بني اسرايل فوضع شريعه العدل وامرهم
بفعلها الى ان استقرت في نفوسهم ولما كان الكمال الذي هو الفضل
لا يمكن ان يضعه الا اكمل الكمال وجب ان يكون هو تقدست اسماه

وجلت الاداه

154

لعله جوادا

وجلت الاده الذي يضعه لانه ليس شي اكمل منه ولانه جعلا
وجب ان يجود باجل الموجودات وليس من الموجودات اكمل
من كلمته وكذلك وجب ان يجود بكلمته فلهذا وجب ان يتحد
بذات محسوسه يظهر منها قدرته وجوده ولما لم يكن في المخلوقات
اجل من الانسان اتحد بالطبيعه البشريه من السيده الطاهره
من مريم البتول المصطفاه على نسا العالمين وبعد هذا الكمال
ما بقي شي يوضع لان جميع ما تقدمه مقتضيه وما ياتي بعد
الكمال غير محتاج اليه لان ليس شي ياتي بعد الكمال
يكون فاضل بل دون او اخذ منه والاخذ منه فهو فضل لا
يحتاج اليه وفي هذا القول نقنع والسلام على من اتبع الهدى
وهذا مما عرفته من ان القوم الذي رايتهم وخاطبتهم في محمد
عليه السلام وما يحتجون به عن انفسهم فان يكن ما ذكروه
صحيحا فلله الحمد وان كان خلاف ذلك نحو لا نا يكتب ذلك
نقدر جعلوني سفيرا والحمد لله رب العالمين

والجواب على هذا من وجوه احدها ان يقال
الشرايع ثلثه شريعه عدل فقط وشريعه فضل فقط
وشريعه تجمع العدل والفضل مع انا لا ننكر ان يكون موسى عليه
السلام اوجب العدل وندب الى الفضل وكذلك المسيح ايضا
اوجب العدل وندب الى الفضل واما من يقول ان المسيح اوجب
الفضل وحرم على المظلوم ان يقتص من ظالمه او ان موسى لم يندب
الى الاحسان فهذا فيه غضاضه شريعه المرسلين لكن قد يقال
ان ذكر العدل في التوراه اكثر وذكر الفضل في الانجيل اكثر
والقران جمع بينهما على غايه الكمال والقران بين ان السعدا

فمن اوجب العدل وندب الى الفضل وهذا اكمل الشرايع الثلثه
وهي شريعه القران الذي جمع فيه بين العدل والفضل

لعله قنع

لعله امر

اهل الجنه وهم اولياء الله نوعان ابرار مقتصدون ومقربون سابقون
فالدرجه الاولى تحصل بالعدل وهو اداء الواجبات وترك المحرمات
والثانيه لا تحصل الا بالفضل وهو اداء الواجبات والمستحبات
وترك المحرمات والمكروهات فالشريعه الكامله تجمع العدل
والفضل لقوله تعالى وان كان ذو عسره فنظره الى ميسره
فهذا عدل واجب من خرج عنه استحق العقوبه في الدنيا
والاخره ثم قال وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون فهذا
فضل مستحب مندوب اليه من فعله اثابه الله ورفع درجته
ومن تركه لم يعاقبه وقال تعالى ومن قتل مومنا خطا
فتحرير رقبه مومنه وديه مسلمه الى اهله فهذا عدل ثم قال
الا ان يصدقوا فهذا فضل وقال تعالى والجروح قصاص
فهذا عدل ثم قال فمن تصدق به فهو كفاره له فهذا
فضل وقال تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضه فنصف ما فرضتم فهذا عدل ثم قال
الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقده النكاح وان تعفوا
اقرب للتقوى فهذا فضل وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به فهذا عدل ثم قال ولين صبرتم لهو خير
للصابرين فهذا فضل وقال تعالى وجزا سيئة سيئة
مثلها فهذا عدل ثم قال فمن عفا واصلح فاجره على الله فهذا
فضل وهو سبحانه دايما يحرم الظلم ويوجب العدل ويندب
الى الفضل كما في اخر سورة البقره لما ذكر حكم الاموال
والناس فيها اما محسن واما عادل واما ظالم فالمحسن المتصدق
والعادل المعاوض كالمبايع والظالم كالمربي فبدا بالاحسان

والصدقه



والصدقه فذكر ذلك ورغب فيه فقال مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبه انبتت سبع سنابل في كل سنبله مايه
حبه والله يضاعف لمن يشا والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفره خير
من صدقه يتبعها اذى والله غني حليم الايات ثم ذكر تحريم
الربا فقال الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل
الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاه موعظه من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد فاوليك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم لما احل البيع
ذكر المداينات وذكر البيع الحال والموجل وحفظ ذلك بالكتاب
والشهود او الرهن وختم السوره بعد ما اصول الايمان من الايمان
بالكتب والرسل وهو سبحانه بعد ان افتتحها بذكر اصناف الناس
وهم ثلثه اما مومن واما كافر واما منافق فذكر نعت المومنين ثم
ذكر نعت الكافرين ثم ذكر نعت المنافقين ثم مهد اصول الايمان
فامر بعبادة الله تعالى وذكر اياته والايه ثم قرر نبوة رسله
ثم ذكر اليوم الاخر والوعد والوعيد ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات
والارض ثم خلق ادم واسجاد الملايكه له وخروجه من الجنه وهبوطه
الى الارض ثم بعد ان عم بالدعوة جميع الخلق خص اهل الكتاب
فخاطبهم خاطب اليهود اولا بني اسرايل ثم النصارى ثم خاطب
المومنين فقرر لهم قواعد دينه فذكر اصل المله ابرهيم وبناه للبيت
ودعاه لاهل مكه وذكر الامر بملة ابرهيم ثم ذكر ما يتعلق بالبيت
من اتخاذه قبله ومن تعظيم شعاير الله التي عنده كالصفا والمروه

وحكمه

ثم ذكر التوحيد والحلال والحرام والمطاعم للناس عموما ثم للذين
امنوا خصوصا ثم ذكر ما يتعلق بالقتل من القصاص وبالموت من
الوصيه ثم ذكر شرايع الدين فذكر صيام شهر رمضان وما يكون
فيه من الاعتكاف ثم ذكر ما يتصل بشهر الصيام وهو اشهر الحج
فذكر الحج وذكر حكم القتال عموما وخصوصا في البلد الحرام وقبلها
ذكر الصلاه والصيام والحج والجهاد والصدقه ثم ذكر بعد ذلك
الحلال والحرام في الفروج فذكر احكام الوطي النسا والحيض والايلا
منهن والطلاق لهن واختلاعهن وذكر حكم الاولاد وارضاعهم
واعتداد النسا وخطبتهن في العدة وطلاقهن قبل الدخول وبعده
ثم ذكر الصلوات والمحافظه عليهن ثم قرر المعاد وما يدل عليه
من احيا الموتى في الدنيا مرة بعد مرة فتضمنت هذه السورة الواحده
جميع ما يحتاج الناس اليه في الدين واصوله وفروعه وافتتحها
بالايمان بالكتب والرسل ووسطها بالايمان بالكتب والرسل
وختمها بالايمان بالكتب والرسل فان الايمان بالكتب والرسل هو
عمود الايمان وقاعدته وجماعه وامر فيها الخلق عموما وخصوصا
وذكر فيها الايمان بالخالق واثبات ربوبيته والايمان بالمعاد والدار
الاخره والاعمال الصالحه التي امر بها وان من كان من اتباع
الرسل من المومنين واليهود والنصارى والصابيين قايما بهذه
الاصول وهو الايمان بالله واليوم الاخر والعمل الصالح فهو
السعيد في الاخره والذي له اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بخلاف من بدل منهم الكتاب او كذب كتابا فان هو
من الكفار فمن كان متبعا لشرع التوراه قبل مبعث المسيح
غير مبدل له فهو من السعدا وكذلك من كان متبعا لشرع الانجيل



قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم غير مبدل له فهو من السعدا
ومن بدل شرع التوراه او كذب بالمسيح فهو كافر كاليهود بعد
مبعث المسيح عليه السلام وكذلك من بدل شرع الانجيل او كذب
محمدا صلى الله عليه وسلم فهو كافر كالنصارى بعد مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم فقدما اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ
والتبديل سعدوا واما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع
مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتب والرسول الذي ارسل اليهم
والى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم فهم كفار ورد دعاوي
اليهود والنصارى الكاذبه مثل قول هاولا لن يدخل الجنه الا من
كان هودا او قول هاولا لن يدخل الجنه الا من كان نصارى فقال
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وبين من كفر اليهود والنصارى مما عرف به حالهم
لكن اكثر ما ذكر في هذه السورة اليهود كما ان اكثر ما ذكر
في سورة ال عمران النصارى فان هذه نزلت اول مقدمه المدينه
وكان اليهود جيرانه وال عمران تاخر نزولها الى اخر الامر لما قدم
عليه نصارى نجران وفيها فرض الحج لما طهر الله مكه من المشركين
فكان اكثر دعايه في اول الامر للمشركين لانهم جيرانه بالمدينه
ثم للنصارى لانهم كانوا ابعد عنه من ناحيه الشام واليمن والمجوس
ايضا لانهم كانوا ابعد عنه بارض العراق وخراسان وهذا هو
الترتيب المناسب يدعوا الاقرب اليه فالاقرب ثم يرسل رسله
الى الابعد وهو صلى الله عليه وسلم كان اولا مشغولا بجهاد المشركين
واليهود فلما صالح المشركين صلح الحديبيه وحارب يهود خيبر
عقيب ذلك ففتحها الله عليه وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجره

[illegible]

الذين شهدوا ملح الحديبيه تفرع لمن بعد عنه فارسل رسله الى جميع
من حواليه من الامم ارسل الى ملوك النصارى بمصر والشام والحبشه
وفكلى وارسل الى ملوك اليمن من المشركين واليهود والى ملوك العرب
وكان في العرب خلق كثير يهود وخلق كثير نصارى وخلق كثير
مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين
عربهم وعجمهم الوجه الثانى ان يقال لهم الناس لهم فى امر
الله ونهيه قولان مشهوران احدهما انه يرجع الى محض المشيه
لا يعتبر فيه ان يكون المامور به مصلحه للخلق وان اتفق ان يكون مصلحه
وان كان الواقع كونه مصلحه وهذا قول من يقول لا يفعل ولا يحكم
بسبب ولا لحكمه ولا لغرض والقول الثانى وهو قول جمهور الناس
ان الله انما ارسل الرسل ليامروا الناس بما يصلحهم وينفعهم اذا فعلوه
كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمه للعالمين وقال تعالى
فاما ياتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض
عن ذكرى فان له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمى قال
رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فان قيل بالاول لم يسال عن حكمه ارسال
الرسل وان قيل بالثانى ففى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من الحكم
والمصالح اعظم مما كان فى ارسال موسى والمسيح والذى حصل به
من صلاح العباد فى المعاش والمعاد اضعاف ما حصل بارسال موسى
والمسيح من جهه الامر والخلق فان فى شريعته من الهدى ودين الحق
اكمل مما فى الشريعتين المتقدمتين وتيسير الله من اتباع الحق له
واهتدائهم به ما لم يتيسر مثله لمن قبله فحصل فضله شريعته
من جهه فضلها فى نفسها ومن جهه كثره من قبلها وكمال قبولهم

157

لها بخلاف شريعه من قبله فان موسى صلى الله عليه وسلم بعث
الى بنى اسرايل وكان فيهم من الرد والعناد فى حياه موسى وبعد
موته ما هو معروف وقد ذكر النصارى فى كتابهم هذا من ذلك ما تقدم
ولم يكن شريعه التوراه فى الكمال مثل شريعه القران فان القران
فيه ذكر المعاد واقامه الحجج عليه وتفصيله ووصف الجنه والنار
ما لم يذكر مثله فى التوراه وفيه من ذكر قصه هود وصالح وشعيب
وغيرهم من الانبيا ما لم يذكر فى التوراه وفيه من ذكر اسما الله الحسنى
وصفاته ووصف ملايكته واصنافهم وخلق الانس والجن ما لم
يفصل مثله فى التوراه وفيه من تقرير التوحيد بانواع الادله ما لم يذكر
مثله فى التوراه وفيه من ذكر اديان اهل الارض ما لم يذكر
مثله فى التوراه وفيه من مناظره المخالفين واقامه البراهين
على اصول الدين ما لم يذكر مثله فى التوراه مع انه لم ينزل كتاب
من السما اهدى من القران والتوراه وفى شريعه القران تحليل
الطيبات وتحريم الخبايث وشريعه التوراه فيها تحريم كثير
من الطيبات عليهم حرمت عليهم عقوبه لهم وفى شريعه القران
من قبول الديه فى الدما ما لم يشرع فى التوراه وفيها من وضع الاصار
والاغلال التى فى التوراه ما يظهر به ان نعمه الله على اهل القران اكمل
واما الانجيل فليس فيه شريعه مستقله ولا فيه الكلام على التوحيد
وخلق العالم وقصص الانبيا واممهم بل احالهم على التوراه فى اكثر
الامر ولكن احل المسيح بعض ما حرم عليهم وامرهم بالاحسان والعفو
عن الظالم واحتمال الاذى والزهد فى الدنيا وضرب الامثال
لذلك فغايه ما امتاز به الانجيل عن التوراه مكارم الاخلاق
المستحسنه والزهد المستحب وهذا كله فى القران وهو فى القران

اكمل فليس في التوراه والانجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعه
والاعمال الصالحه الا وهو في القران او ما هو افضل منه وفي القران
من العلوم النافعه والاعمال الصالحه من الهدى ودين الحق ما ليس
في الكتابين لكن النصارى لم يتبعوا التوراه ولا الانجيل بل احدثوا
شريعه لم يبعث بها نبي من الانبيا كما وضعوا لقسطنطين الامانه
ووضعوا له اربعين كتابا فيها القوانين فيه بعض ما جات به
الانبيا وفيها شي كثير مخالف لشرع الانبيا وصاروا الى كثير من دين
المشركين الذين عبدوا مع الله الها اخرى وكذبوا رسله فصار في
دينهم من الشرك وتغيير دين الرسل ما غيروا به شريعه الانجيل
ولهذا التبس عند عامتهم شريعه الانجيل بغيرها فلا يعرفون ما
نسخه المسيح من شريعه التوراه ما اقره ولا ما شرعه مما احدث بعده
فالمسيح لم يامرهم بنصب الصور وتعظيمها ولا دعا من صورت
من صورت تلك التماثيل على صورته ولا امر بهذا احد من الانبيا
لا يوجد قط عن نبي انه امر بدعا الملائكه والاستشفاع بهم ولا
بدعا الموتى من الانبيا والصالحين والاستشفاع فضلا عن دعا
تماثيلهم والاستشفاع بها فان هذا من اصل الشرك الذي نهت
عليه الرسل وهذا كان اصل الشرك في بني ادم من عهد نوح قال
الله تعالى عن قوم نوح وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا قال كثير من العلما
منهم ابن عباس وغيره هولاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا
عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ذكر ذلك
المسيح وعلما النصارى والمسيح عليه السلام لم يامرهم بعبادته ولا
قال انه الله ولا بما ابتدعوه من التثليث والاتحاد فالمسيح لم يامرهم



باستحلال كل ما حرم الله من الخبائث كالخنزير وغيره فاستحلوا
الخبائث المحرمه وغيروا شريعه التوراه والانجيل والمسيح
لم يامرهم بان يصلوا الى الشرق ولم يامرهم ان يعظموا الصليب
ولم يامرهم بترك الختان ولا بالرهبانيه ولا بسائر ما ابتدعوه بعده
ولهذا لما ظهر فساد دين النصارى صار بعض الناس كابي عبد الله
الرازي يقول لم يظهر الانتفاع بدين المسيح الا في طايفه قليله
كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان الدين الذي كان عليه
جمهور النصارى ليس هو دين المسيح ويتبين هذا بالوجه الثالث
وهو ان يقال هب ان شريعه الكتابين كانت كافيه
فانما ذلك اذا كانت محفوظه معمولا بها ولم يكن الامر كذلك بل كانت
قد درس كثير من معالمها وقد اختلف العلما اهل الكتاب في المسيح
وغيره اختلافا عظيما كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضا
الى يوم القيامه وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون وقد قال تعالى
كان الناس امه واحده فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل (اي فاختلفوا)
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والوقت الذي
بعث الله فيه لم يكن قد بقي احد مظهرا لما بعث الله به الرسل قبله (محمدا صلى الله عليه وسلم)
فبعثه على حين فتره من الرسل وطموس من السبل احوج ما كان الناس
الى رسول كما في صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم
وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وكان الناس حين بعث محمد صلى الله
عليه وسلم اما اميين لا كتاب لهم يشركون بالرحمن ويعبدون الاوثان
واما اهل كتاب قد بدلوا معانيه واحكامه وحرفوا حلاله وحرامه

[illegible]

ولبسوا حقه بباطله كما هو الموجود فلو اراد الرجل ان يميز له اهل
الكتاب ما جات به الانبيا مما هم عليه مما احدثوه بعدهم لم يعرف
جمهورهم ذلك بل قد صار الجميع عندهم دينا واحدا فبعث الله تبارك
وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذي انزل عليه مصدقا
لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا فميز به الحق من الباطل والهدى
من الضلال والغي من الرشاد قال تعالى يا اهل الكتاب قد جاكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير
ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير والله على كل شي قدير الوجه
الرابع ان شريعة التوراة تغلب عليها الشدة وشريعة الانجيل
يغلب عليها اللين وشريعة القران معتدلة جامعة بين هذا وهذا
كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال في وصف
امته محمد صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله والذين معه اشدا
على الكفار رحما بينهم وقال ايضا فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالرحمة
للمومنين والذلة لهم والشدة على الكفار والعزة عليهم وكذلك كان
صفة محمد صلى الله عليه وسلم نبيهم اكمل النبيين وافضل الرسل
حيث قال انا محمد وانا احمد وانا نبي الرحمة وانا نبي الملحمة وانا نبي
التوبة وانا الضحوك القتال فوصف نفسه بانه نبي الرحمة والتوبة
وانه نبي الملحمة وانه الضحوك القتال وهذا اكمل من بعث بالشدة
والباس غالبا او باللين غالبا وقد قيل بسبب ذلك ان بني اسرايل
كانت نفوسهم قد ذلت لقهر فرعون لهم واستعباد فرعون لهم
فشرعت لهم الشدة لتقوى انفسهم ويزول عنهم ذلك الذل ولهذا
لما امروا بالجهاد نكلوا عنه وقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض



المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فان يخرجوا فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون
انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى
الله فتوكلوا ان كنتم مومنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا
فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون واما اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقال له قايلهم يوم بدر والله لا نقول لك كما
قال قوم موسى لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون بل
نقاتل امامك ووراك وعن يمينك وعن يسارك والذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ولو سرت بنا
الى برك الغماد لسرنا معك وكان الكلام قريبا من بدر والبحر
من جهة الغرب وبرك الغماد مكان من يماني مكة بينه وبين مكة
عدة ليال والكفار كانوا اذ ذاك بمكة واصحابه من ناحية
المدينة شرقي مكة فمكة جنوبهم والبحر غربهم فقول لو طلبت
ان ندخل الى بلد العدو ونذهب الى تلك الناحية لفعلناه قالوا
فلما نصر الله بني اسرايل واظهرهم ظهرت فيهم الاحداث
بعد ذلك وتجبروا وقست قلوبهم وصاروا شبها بال فرعون
فبعث الله المسيح عليه السلام باللين والصفح والعفو عن المسي
واحتمال اذاه لتلين اخلاقهم ويزول ما كانوا فيه من الجبرية
والقسوة فافرط هولا في اللين حتى تركوا الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والجهاد في سبيل الله وتركوا الحكم بين الناس بالعدل
واقامة الحدود وترهب عبادهم منفردين مع ان في ملوك
النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ما انزل الله وسفك

الدما بغير حق مما يامرهم به علماوهم وعبادهم ومما لم يامروهم به مما
شاركوا فيه اليهود فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالشريعة
الكاملة العادلة وجعل امته عدلا خيارا لا يجنحون الى هذا
الطرف ولا الى هذا الطرف بل يشتدون على اعدا الله ويلينون
لاوليا الله ويستعملون العفو والصفح فيما كان لنفوسهم ويستعملون
الانتصار والعقوبة فيما كان حقا لله وهكذا كان خلق نبيهم
كما في الصحيحين عن عايشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده خادما ولا امراة ولا دابة ولا شيا قط الا ان يجاهد
في سبيل الله ولا نيل منه شي قط فانتقم لنفسه الا ان تنتهك
محارم الله لم يقم لغضبه شي حتى ينتقم لله وفي الصحيح عن انس فاذا انتهكت محارم الله
انه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي اف قط ولا قال لشي فعلته لم فعلته ولا لشي لم افعله
لم لا فعلته وكان بعض اهله اذا عتبوني على شي يقول دعوه
فلو قدر شي لكان هذا مع قوله في الحديث الصحيح لما سرقت
امراة كانت من اشرف قريش من بني مخزوم فامر بقطع يدها
فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من
يجتري عليه الا اسامة بن زيد فكلموه فكلمه فيها فقال
يا اسامة اتشفع في حد من حدود الله انما هلك من كان قبلكم
انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم
الضعيف اقاموا عليه الحد والذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت
محمد سرقت لقطعت ففي شريعته صلى الله عليه وسلم من اللين يدها صح
والعفو والصفح ومكارم الاخلاق اعظم مما في الانجيل وفيها
من الشدة والجهاد واقامة الحدود على الكفار والمنافقين اعظم



مما في التوراة وهذا هو غاية الكمال ولهذا قال بعضهم بعث
موسى بالجلال وبعث عيسى بالجمال وبعث محمد بالكمال
الوجه الخامس ان نعم الله على عباده تتضمن نفعهم
والاحسان اليهم وذلك نوعان احدهما ان يدفع بذلك مضرتهم
ويزيل حاجتهم وفاقتهم مثل رزقهم الذي لولاهو لماتوا جوعا
ونصرهم الذي لولاهو لاهلكهم عدوهم ومثل هداهم الذي لولا
هو لضلوا ضلالا يضرهم في اخرتهم وهذا النوع من النعمة لابد
لهم منه وان فقدوه حصل لهم ضرر اما في الدنيا واما في الاخرة
واما فيهما ولهذا كان في سورة النحل وهي سورة النعم في اولها
اصول النعم وفي اثنائها كمال النعم والنوع الثاني النعم التي
يحصل بها من كمال النعم وعلو الدرجة ما لا يحصل بدونها كما انهم
في الاخرة نوعان ابرار اصحاب يمين ومقربون سابقون ومن
خرج عن هذين كان من اصحاب الجحيم واذا كانت النعمة
نوعين فالخلق كانوا محتاجين الى ارسال محمد صلى الله عليه
وسلم من هذين الوجهين وحصل بارساله هذان النوعان من
النعمة فان الناس بدونه كانوا جهالا ضالين اميين واهل
الكتاب منهم ولم يكن قد بقي من اهل الكتاب اتباع المسيح
من هو قايم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الاخرة
بل كانوا قد بدلوا وغيروا وايضا فلو قدر انهم لم يبدلوا شيا
ففي ارساله من كمال النعم وتواصلها وعلو الدرجات في السعادة
ما لم يكن حاصلا بالكتاب الاول فكان ارساله اعظم نعمة
انعم الله بها على اهل الارض من نوعي النعم ومن استقرا احوال
العالم تبين له ان الله لم ينعم على اهل الارض نعمة اعظم من انعامه

بارساله وان الذين ردوا رسالته هم ممن قال الله فيهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولا من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين وقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزي الله الشاكرين وقال

الوجه السادس

ان يقال قولهم انا نعجب من هولا القوم الى اخر الفصل قول جاهل ظالم يستحق ان يقال له بل العجب من هذا العجب هو الواجب بل هو الذي لا ينقضي منه العجب وان كل عاقل ليعجب ممن عرف دين محمد صلى الله عليه وسلم وقصده الحق ثم اتبع غيره ويعلم انه لا يفعل ذلك الا مفرط في الجهل والضلال او مفرط في الظلم واتباع الهوى وذلك ان اهل الارض نوعان اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وغير اهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند والترك وغيرهم كالمجوس من الفرس وغيرهم كالصابية من المتفلسفة وغيرهم واهل الكتاب يسلمون لنا ان من سوى اهل الكتاب انتفع بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم منفعة ظاهرة وانه دعا جميع طوايف المشركين والمجوس والصابيين الى خير مما كانوا عليه بل كانوا احوج الناس الى رسالته واما اهل الكتاب فاليهود مسلمون لنا حاجة النصارى اليه وانه دعاهم الى خير مما كانوا عليه والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود اليه وانه دعاهم الى خير مما كانوا عليه فما من طايفة من طوايف اهل الارض الا وهم مقرون بان محمدا صلى الله عليه وسلم دعا ساير

الطوايف

الطوايف غيرهم الى خير مما كانوا عليه وهذه شهادة من جميع اهل الارض بانه دعا اهل الارض الى خير مما كانوا عليه فان شهادة جميع الطوايف مقبولة على غيرهم اذ كانوا غير متهمين عليهم فانهم معادون لمحمد وامته معادون لساير الطوايف واما شهادتهم لانفسهم فغير مقبولة فانهم خصومه وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة وقد اعترف الفلاسفة بانه لم يقرع العالم ناموس اعظم افضل من ناموسه واعترفوا بانه افضل من ناموس موسى والمسيح عليهما الصلاة والسلام بل لهم من الطعن في نواميس غيره ما ليس هذا موضع ذكره بخلاف ناموس محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يطعن فيه احد منهم الا من كان خارجا عن قانون الفلسفة التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم واما من التزم منهم الكلام بعلم وعدل فهم متفقون على ان ناموس محمد صلى الله عليه وسلم افضل ناموس طرق العالم فكيف يعجب من مثل هذا الناموس

الوجه السابع

ان يقال لاهل الكتاب خصوصا فيقال لليهود انتم اذل الامم فلو قدر ان ما انتم عليه دين الله الذي لم يبدل فهو مغلوب مقهور في جميع الارض فهل تعجبون من ان يبعث الله رسولا يهدي الى الحق والى طريق مستقيم فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله حتى يصير دين الله الذي بعث به رسله وانزل به كتبه منصورا ظاهرا بالحجة والبيان والسيف والسنان ويقال للنصارى انتم لم تخلصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين بل اخذتم من اصول المشركين والمعطلين من الفلاسفة وغيرهم ما ادخلتموه في دينكم وليس لكم على الكفار حجة عليه ولا يد قهرية بل للكفار في قلوبكم

من الرعب والخوف والتعظيم ما انتم به من اضعف الامم حجه
واضيقها محجه وابعدها عن العلم والبيان واعجزها عن اقامه الحجه
والبرهان تارة تخافون من كفار الفلاسفه وغيرهم من المشركين
والمعطلين فاما ان توافقوهم على اقوالهم واما ان تخضعوا لهم سوا
وتارة تخافون من سيوف المشركين فاما ان تتركوا بعض دينكم لاجلهم
واما ان تذلوا لهم خاضعين ففيكم من ضعف سلطان الحجه وضعف
سلطان النصره ما يظهر به حاجتكم الى قيام الهدى ودين الحق
الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه فالعجب منكم كيف
تعدلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والاخره الى ما فيه شقاوتكم
في الدنيا والاخره هذا هو العجب ليس العجب ممن امن بما فيه
سعادة الدنيا والاخرة وفي خلافه شقاوة الدنيا والاخره ومثل
هذا لا بد على المسلمين فانه لم يزل ولا يزال فيهم طايفه قايمه
بالهدى ودين الحق ظاهره بالحجه والبيان واليد والسنان
الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين كما ثبت
في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال
طايفه من امتي قايمه بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم
حتى تقوم الساعه وفي لفظ لا تزال طايفه من امتي ظاهره
حتى ياتي الله بامره الوجه الثامن ان يقال لاهل الكتاب
لليهود انتم لما كنتم متبعين لموسى عليه السلام كنتم على الهدى
ودين الحق وكنتم منصورين ثم كثرت فيكم الاحداث
التي تعرفونها كما قال تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم
فاسقون قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه
الله



الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
اولئك شر مكانا واضل عن سوا السبيل وقوله تعالى وعبد
الطاغوت معطوف على لعنه الله اي من لعنه الله وغضب عليهم وعبد
هو الطاغوت ليس هو داخلا في خبر جعل حتى يلزم اشكال كما ظنه
بعض الناس واهل الكتاب معترفون بان اليهود عبدوا الاصنام
مرات وقتلوا الانبيا وقال تعالى وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جا وعد اولاهما
بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار
وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها فاذا جا وعد الاخرة ليسوا وجوهكم ولتدخلوا المسجد
كما دخلوه من قبل اول مره وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم
ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وهم
معترفون بان بيت المقدس خرب مرتين فالخراب الاول
لما جا بخت نصر وسباهم الى بابل وبقي خرابا سبعين سنه والخراب
الثاني بعد المسيح نحو سبعين سنه وقد قيل هذا تاويل قوله
لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى بن مريم
فبعد الخراب الثاني تفرقوا في الارض ولم يبق لهم ملك
وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار وبعث المسيح
عليه السلام وهم كذلك ويقال للنصارى انتم ما زلتم
مقهورين مغلوبين مبددين في الارض حتى ظهر قسطنطين واقام
دين النصرانيه بالسيف وقتل من خالفه من المشركين واليهود لكن
اظهر دينا مبدلا مغيرا ليس هو دين المسيح عليه السلام ومع هذا

العلامه

وكانت ارض العراق وفارس كفارًا المجوس وغيرهم مجوسا ومشركين
وكانوا في بعض الازمنه يقهرون النصارى على بلادهم واما ارض
المشرق والمغرب ففيهما من انواع المشركين امم وكان الشرك والكفر
ظاهرًا في ارض اليمن والحجاز والشام والعراق فلما بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم اظهر به توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ظهورًا
لم يعرف في امه من الامم ولم يحصل مثله لنبي من الانبيا واظهر به
من تصديق الكتب والرسل التوراه والانجيل والزبور وموسى وعيسى
وداود وسليمان وغيرهم من الرسل ما لم يكن ظاهرًا لا عند اهل
الكتاب ولا غيرهم فاهل الكتاب وان كانوا خيرًا من غيرهم فلم
يكونوا قايمين بما يجب من الايمان بالله ورسله ولا باليوم الاخر
ولا شرايع دينه ولا كانوا قاهرين لاكثر الكفار ولا منصورين عليهم
ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب اما اليهود ففيهم من التنقص من الانبيا في سبهم
وذكر عيوب نزههم الله عنها ما هو معروف حتى ان منهم
من يقول ان سليمان كان ساحرًا وداود كان مسيحًا لم يكن نبيًا
الى امثال ذلك مما يطول وصفه فيهم من الكفر بالانبيا من جنس ما كان
في سلفهم الخبيث واما النصارى فمع غلوهم في المسيح واتباعه
يستخفون بغيره فتاره يجعلون الحواريين مثل ابرهيم وموسى او
افضل منهم وتارة يقولون كما قالت اليهود ان سليمن لم يكن نبيا
بل سقط من النبوه وتاره يجعلون ما خاطب الله به داود وغيره
من الانبيا انما اريد به المسيح مع ان اللفظ لا يدل على ذلك بل
يتاولون كتب الله بمجرد هوى انفسهم وتاره يقولون ان الواحد
منهم



منهم اذا اطاع الله بما يزعمون انه طاعه صار مثل واحد من الانبيا
ويسوغون لمثل هاولا ان يغيروا شرايع الانبيا ويضعوا دينا
ابتدعوه ومحمد صلى الله عليه وسلم وامته اقاموا توحيد الله الذي
كان عليه ابرهيم وموسى وساير الرسل وامنوا بكل كتاب انزله
الله وكل رسول بعثه الله واقاموا دين الرحمن اقامه لم يتمها
احد من الامم فعامه اهل الارض مع محمد صلى الله عليه وسلم
اما مومن به باطنا وظاهرًا وهم اوليا الله المتقون وحزبه
المفلحون وجنده الغالبون واما مسلمون له في الظاهر تقيه وخوفا
من امته وهم المنافقون وهم اما مسالمون له بالعهد والذمه
والهدنه وهم اهل الذمه والهدنه في جميع الارض واما خايفون
من امته وحيث كان الواحد والطايفه من امته متمسكا بدينه
كان نوره ظاهرا وبرهانه باهرًا معظما منصورًا يعرف فضله على
كل من سواه وهذا امر يعرفه الناس في ارض الكفار من المشركين واهل
الكتاب بما خص الله به محمد صلى الله عليه وسلم وامته من الهدى
ودين الحق وقد اظهروا دين الرب في مشارق الارض ومغاربها
بالقول والعمل فهل يقول من عنده علم وعدل انه لا فايده في ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم وانه يستغني بما عند اهل الكتاب عن
رسالته الوجه التاسع ان يقال هم معترفون بانتفاع
المشركين به غايه الانتفاع فانه اتم توحيد الله ودينه فيهم وانه
عظم المسيح ورد على اليهود قولهم فيه واهانهم وحينيذ فهذا من
اعظم الفوايد واجل المقاصد واعظم نعم الله على عباده ثم هو مع ذلك
قال ان الله ارسله وامره بذلك فان كان كاذبا فالكذاب المفتري
على الله من شر الكفار الملاعين ومن يكون كذلك لا يحصل منه

هذا الخير العظيم الذي ما حصل مثله من احد من الانبيا فانه ازال
دين المشركين ودين المجوس وقمع اليهود وكل واحدة من هذه الثلث
لم يقدر عليه احد قبله من الانبيا والمرسلين وان كان ما دقا فهو
قد اخبر انه رسول الله الى النصارى وغيرهم من الامم واخبر عن الله
بكفر كل من لم يومن به وهذا الوجه مما يخاطب به كل صنف فيقال
لكل صنف من الامم انتم معترفون بان من سواكم اذا اتبعوا دين محمد
صلى الله عليه وسلم كان خيرا لهم مما هم عليه فاليهود معترفه بان النصارى
اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين اليهود واهل الكتاب اليهود
والنصارى معترفون بان من سواهم اذا اتبعوا محمد صلى الله عليه وسلم
كان خيرا لهم مما هم عليه فالمجوس والمشركون من العرب والسودان
والترك واصناف الخزر والصقالبه اذا اتبعوه كان خيرا لهم
مما هم عليه وساير اصناف الكفار معترفون بان اتباعه خير من غيرهم
ومن ليس من اهل الكتاب عامتهم معترفون بان دين المسلمين خير
من دين اليهود والنصارى وحينئذ فيقال من جا بهذا الدين
الذي تفضله جميع اهل الارض على غيره يمتنع ان يكون من اكفر
الناس واحقهم بغضب الله وعقابه وكل من قال انه رسول الله
فان كان صادقا كان من خير اهل الارض واحقهم برضوان الله وثوابه
وان كان كاذبا كان من شر اهل الارض واحقهم بغضب الله وعقابه
ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى وما فيه صلاح الدنيا
والاخرة اعظم مما حصل من جميع الخلق يمتنع ان يكون من اشر
الناس المستحقين لغضب الله وعقابه فوجب ان يكون من خير اهل
الارض واحقهم برضوان الله وثوابه الوجه العاشر
ان الله سبحانه وتعالى كانت سنته قبل انزال التوراه اذا كذب

نبي من الانبيا

لعله: والنصارى يعترفون بان اليهود اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين

لعله البربر



نبي من الانبيا ينتقم الله من اعدايه بعذاب من عنده كما اهلك
قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحه
وقوم شعيب بالظله وقوم لوط بالحاصب وقوم فرعون بالغرق
قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى بصاير للناس وهدى ورحمه لعلهم يتذكرون فلما انزل التوراه
امر اهل الكتاب بالجهاد فمنهم من نكل ومنهم من اطاع وصار
المقصود بالرساله لا يحصل الا بالعلم والقدره كما قال تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا فيقول هاولا ان التوراه جات بالعدل والانجيل
بالفضل فلا حاجه الى غيرهما لو قدر انه حق انما يستقيم اذا كان
الكتابان لم يبدلا بل كانا متبعين علما وعملا وكان اهلهما مع ذلك
منصورين موبدين على من خالفهم وكيف وكل منهما قد بدل
كثير مما فيه واهلهما غير منصورين على ساير الكفار بل الكفار
ظاهرون عليهم في اكثر الارض كارض اليمن والحجاز وساير
جزيره العرب وارض العراق وخراسان والغرب وارض الهند
والسند والترك وغير ذلك وكان بايدي اهل الكتاب الشام ومصر
ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك ثم ان الله
اظهر النصارى عليهم وكان ظهورهم توطيه وتمهيدا لاظهار
دين الاسلام فان الفرس المجوس لما غلبوا الروم سا ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين به وفرح بذلك مشركو العرب
وكانوا اقرب من المومنين لان اهل الكتاب اقرب الى المومنين
من المجوس والمجوس اقرب الى المشركين منهم الى اهل الكتاب
ووعد الله المومنين ان تغلب الروم بعد ذلك وانه يومئذ يفرح

يفرح المومنون بنصر الله فاضاف النصرة الى اسم الله ولم يقل بنصر الله
اياهم وذلك انه حين ظهرت الروم على فارس كان النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود وارسل النبي صلى
الله عليه وسلم اذ ذاك يدعوا ملوك النصارى بالشام ومصر الى الايمان
به فعرفوه وعرفوا انه النبي المبشر به وكان ذلك اول ظهور دينه
ثم ارسل طايفة من اصحابه الى غيرهم ثم خرج بنفسه بالمسلمين عام
تبوك الى الشام ثم فتح هذه البلاد اصحابه فكان تاييد دين الله
وظهوره واذلال المشركين والمجوس وغيرهم على يديه ويدي
امته لا على يد اليهود من الكفار والنصارى فلو قدر ان شرع اوليك
كامل لا تبديل فيه لكان مغلوبا مقهورا وكان الله قد ارسل
من يويد دينه ويظهره فكيف وهو مبدل ولو لم يبدل فدين احمد
اكمل وافضل منه فذاك مفضول مبدل وهذا فاضل لم يبدل
وذاك مغلوب مقهور وهذا مويد منصور وبعض هذا يحصل الفايدة
في ارساله فكان من اجل الفوايد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم
فكيف يقال انه لا فايده في ارساله الوجه الحادي عشر
قولهم لما كان الباري عدلا جوادا اوجب ان يظهر عدله وجوده
فيقال لهم جود الجواد غير الزام الناس بترك حقوقهم فان الجواد
هو الذي يحسن الى الناس ليس هو الذي يلزم الناس بترك حقوقهم
وهاولا يزعمون ان شريعة الانجيل الزمت الناس بترك حقوقهم
وانه لا ينصف مظلوم من ظالمه وهذا ليس عندهم حكم عدل
يحكمون به بين الناس بل الحكم عندهم حكمان حكم الكنيسة
وليس فيه انصاف المظلوم من الظالم والثاني حكم الملوك وليس
هو شرعا منزلا بل هو بحسب ارا الملوك ولهذا نجدهم يردون



الناس الى حكم شرع الاسلام في الدما والاموال ونحو ذلك حتى
في بعض بلادهم يكون الملك والعسكر كلهم نصارى وفيهم طايفة
قليلة مسلمون لهم حاكم فيردون الناس في الدما والاموال الى حكم
شرع المسلمين وذلك ان الدما والاموال وان كان يستحب للمظلوم
ان يعفوا فيها عن ظالمه فالحاكم الذي يحكم بين الناس متى حكم على
المظلوم بترك حقه كان حاكما بالظلم لا بالعدل ولو امرنا كل
ولي مقتول ان لا يقتص من القاتل وكل صاحب دين ان لا يطالب
غريمه بل يدعه على اختياره وكل مشتوم ومضروب ان لا
ينتصف من ظالمه لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم وظلم الاقويا
للضعفا وفسدت الارض قال تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل
ولا بد مع ذلك من ندب الناس الى العفو والاخذ بالفضل
وهذه شريعة الاسلام كما تقدم ما ذكرنا من الايات مثل
قوله والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وان كان
ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم وقوله وجزا
سيية سيية مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وقوله وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين وقوله
الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين وقوله ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا
وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال انس ما رفع للنبي
صلى الله عليه وسلم امر فيه القصاص الا امر فيه بالعفو وكان
يامر بالعفو ولا يلزم الناس به ولهذا لما عتقت بريرة وكان لها
ان تفسخ النكاح وطلب زوجها ان لا تفارقه شفع اليها ان لا تفارقه

فقالت اتامرني قال لا انما انا شافع فلم يوجب عليها قبول شفاعته
صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني عشر قولهم ولما كان
الكمال هو الذي هو الفضل لا يمكن ان يضعه الا اكمل فيقال
لهم العدل والفضل لا يشرعه الا الله فشريعة التوراة لم يشرعها
الا الله وشريعة الانجيل لم يشرعها الا الله عز وجل نبين ذلك ان الله
كلم موسى من الشجرة تكليما وهم غاية ما قرروا به الهية المسيح
ان زعموا ان الله كلم الناس من ناسوت المسيح كما كلم موسى من
الشجرة ومعلوم عند كل عاقل لو كان هذا حقا ان تكليمه لموسى
من الشجرة اعظم تكليم كلمه الله لعباده فكيف يقال ان شريعة
العدل لم يشرعها الله عز وجل ثم يقال لهم بل شريعة العدل
احق بان تضاف الى الله من شريعة الفضل فان الامر بالاحسان
والعفو يحسنه كل احد واما معرفة العدل والحكم بين الناس
به فلا يقدر عليه الا احاد الناس ولهذا يوجد الذي يصلح بين الناس
بالاحسان خلق كثير واما الذي يحسن ان يفصل بينهم بالعدل
فناس قليل فكيف يقال ان الذي يامر بشرع الفضل هو الله دون
الذي يامر بشرع العدل والله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب
ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا
الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز وامر المسيح عليه السلام
للمظلوم بالعفو عن الظالم ليس فيه ما يدل على انه من الواجب الذي
من تركه استحق الذم والعقاب بل هو من المرغب فيه الذي من فعله
استحق المدح والثواب وموسى عليه السلام اوجب العدل الذي

من تركه استحق الذم والعقاب وحينئذ فلا منافاة بين ايجاب
العدل وبين استحباب الفضل لكن ايجاب العدل يقترن به
الترهيب والتخويف في تركه واستحباب الفضل يقترن به الترغيب
والتشويق لفاعله فذاك فيه رهبة مع ما فيه من الرغبة وهذا
فيه رغبة بلا رهبة ولهذا قال المسيح عليه السلام وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب وانت على
كل شي شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم ولهذا قيل ان المسيح عليه السلام بعث لتكميل
التوراة فان النوافل تكون بعد الفرايض كما في صحيح البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تعالى من عادا لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب
الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها
فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولين سالني لاعطينه
ولين استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساته ولا بد له
منه والا فلو قيل ان المسيح عليه السلام اوجب على المظلوم
العفو عن الظالم بمعنى انه يستحق الوعيد والذم والعقاب
ان لم يعف عنه لزم من هذا ان يكون كل من انتصف من الظالم
ظالما مستحقا للذم والعقاب وهذا ظلم فان المظلوم الذي
انتصف فان الظالم ظلمه اولا فلما انتصف منه ظلم ظلما ثانيا
فهو ظلم للعادل المنتصف من ظالمه وما احسن كلام الله حيث

يقول فما اوتيتم من شي فمتاع الحياه الدنيا وما عند الله خير وابقى
للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلاه وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين
اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزا سيه سيه مثلها فمن عفى
واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه
فاوليك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الارض بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور وقال ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به
ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لقوي عزيز فهذا من احسن الكلام
واعدله وافضله حيث شرع العدل فقال وجزا سيه
سيه مثلها ثم ندب الى الفضل فقال فمن عفى واصلح فاجره
على الله ولما ندب الى العفو ذكر انه لا لوم على المنتصف
ليلا يظن ان العفو فرض فقال ولمن انتصر بعد ظلمه فاوليك
ما عليهم من سبيل ثم بين ان السبيل انما يكون على الظالمين فقال
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير
الحق اوليك لهم عذاب اليم ثم لما رفع عنهم السبيل ندبهم
مع ذلك الى الصبر والعفو فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور فهذا احسن شرع واحكمه يرغب في الصبر
والغفر والعفو والاصلاح بغايه الترغيب ويذكر ما فيه
من الفضايل والمحاسن وحميد العاقبه ويرفع عن المنتصف
ممن ظلمه الملام والعذل ويبين انه لا حرج عليه ولا سبيل
اذا انتصر بعد ما ظلم فهل يمكن ان ياتي شريعه بان تجعل

انه لا يحب الظالمين

167

على المنتصف سبيلا مع عدله وهي لا تجعل على الظالم سبيلا مع ظلمه
وعلم ان ما امر به المسيح من العفو لم يكن لان تاركه مستحق للذم والعقاب
بل لانه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الاجر والثواب وهذا حق
لا يناقض شرع التوراه وعلم ان شرع الانجيل لم يناقض شرع التوراه
اذ كان فرعا عليها ومكملا لها وحينيذ فزعمهم ان شرع الانجيل شرعه
الله دون شرع التوراه كلام من هو من اجهل واضلهم ولهذا كان هذا
فرعا على قولهم بالاتحاد وان المسيح هو الله فذاك الضلال مما اوجب
هذا القول المحال

## فصل

وجميع ما احتجوا به من التوراه
والانجيل وغيرهما من كلام الانبيا عليهم السلام انما يكون الحجه فيه
علمية برهانية اذا اقاموا الدليل على نبوه من احتجوا بكلامه بان يثبتوا
امكان النبوه ثم يثبتوا وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل
بها على نبوه النبي وهم لم يفعلوا شيا من ذلك بل احتجوا بذلك بنا
على انها مقدمه مسلمه يسلمها المسلمون لهم وهذا لا ينفعهم لوجوه
احدها ان فيمن ذكروه من لم يثبت عند المسلمين انه نبي كحبقوق وعاموص
الثاني ان من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود وسليمان
لم يثبت عندهم انهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام وان ترجمته بالعربية
هو ما ذكروه وان مرادهم به ما فسروه يمكن المسلمين ان يسلموا ذلك لهم
ولا يسوغ ذلك للمسلمين لا عقلا ولا نقلا الثالث ان جمهور المسلمين
لا يعلمون نبوه احد من الانبيا قبل محمد الا باخبار محمد صلى الله عليه
وسلم بنبوتهم ولا يمكنهم التصديق بنبوه احد من هولا الا بعد التصديق
بنبوه محمد فاذا طلب هولاي من المسلمين ان يسلموا بنبوه هولا دون
نبوه محمد لم يمكن المسلمين ان يسلموا ذلك لهم ولا يشرع ذلك للمسلمين لا عقلا
ولا نقلا وحينيذ اذا لم يقيموا الادله على نبوه اوليك لم يكونوا قد ذكروا

لعله الناس

لا حجة برهانية ولا حجة جدلية الرابع ان المسلمين لم يصدقوا بنبوة
موسى وعيسى الا مع اخبارهما بنبوة محمد فان سلموا انهما اخبرا بنبوة محمد
ثبتت نبوته ونبوتهما وان جحدوا ذلك جحد المسلمون نبوة من يدعون انه
موسى وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد صلى الله عليه وسلم الخامس ان المسلمين
وكل عاقل يمتنع بعد النظر التام ان يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد
صلى الله عليه وسلم اذ كان نبوته اكمل وطرق معرفتها اتم واكثر
وما من دليل يستدل به على نبوة غيره الا وهو على نبوته ادل فان جحد
نبوته يستلزم جحد نبوة غيره بطريق الاولى ومن قال ذلك فهو متناقض
كما يتناقض ساير اهل الباطل ولهذا قال تعالى في الكفار انكم لفي قول
مختلف يوفك عنه من افك

## فصل

قد ذكرنا في جواب
اول كتابهم بيان امتناع احتجاجهم بشي من كلام محمد صلى الله عليه وسلم
او غيره من الانبيا عليهم السلام على ما يخالف دين المسلمين من دينهم ونحن
نبسط هنا هنا فنقول لا ريب ان الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح لا شرعي
ولا عقلي سوا كان من الخبريات او الطلبيات فان الدليل الصحيح يستلزم
صحة المدلول عليه فلو قام على الباطل دليل صحيح لزم ان يكون حقا مع كونه
باطلا وذلك جمع بين النقيضين مثل كون الشي موجودا معدوما واهل
الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات ومعهم باطل وهو ما
بدلوه في الخبريات سوا كان المبدل هو اللفظ او معناه وما ابتدعوه
او ما نسخ من العمليات والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرايع قليل
بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل فان الذي اتفقت عليه هو
الدين الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان وهو الايمان بالله واليوم الاخر
والعمل الصالح كما قال تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين
والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا



خوف عليهم ولا هم يحزنون وعامة السور المكية كالانعام والاعراف
وال حم وال طس والذي هي من الاصول من الاصول الكلية التي اتفقت
عليها شرايع المرسلين كالامر بعبادة الله وحده لا شريك له والصدق
والعدل والاخلاص وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على
الله بلا علم وعامة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الانبيا من التوراة
والانجيل والزبور ونبوات الانبيا يوافق المنقول عن محمد صلى الله
عليه وسلم شهد هذا لهذا وهذا لهذا وذلك من دلايل نبوة اوليك
الانبيا ومن دلايل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا يذكر الله ذلك
بيانا لانعامه بمحمد ودلالة لنبوته كقوله تعالى اذ قالت الملايكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نسا العالمين يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انبا الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم
اذ يختصمون وقال تعالى لما قص قصة نوح تلك من انبا الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة
للمتقين فذكر الاله نعمته وآيته بكونه لم يكن يعلمها هو ولا
قومه ايضا كانوا يعلمونها لئلا يظن انه تعلم ذلك من قومه فان
قومه لم يكونوا يعلمون ذلك وقد علم بالنقل المتواتر ان محمدا صلى الله
عليه وسلم ولد بمكة وبها نشا بعد ان كان مسترضعا في بادية سعد
ابن بكر قريبا من الطايف شرقي مكة وهو صغير ثم حملته مرضعته
حليمة السعدية به الى امه بمكة لا يعلم شيا من ذلك ولا هناك من يتعلم
منه شي من ذلك واهل مكة يعلمون حاله وانه لم يتعلم ذلك من احد ثم
اخبرهم بالغيب الذي لا يعلمه احد الا بتعليم الله له فكان هذا من اعلام
رسالته ودلايل نبوته عليهم اولا وعلى غيرهم اخرا فانهم كانوا مشاهدين

له يعلمون انه لم يتعلم ذلك من احد وغيرهم يعلم ذلك بالاخبار المتواتره
وتعلم ان قومه المكذبين له مع حرصهم على الطعن فيه مع علمهم بحاله
لو كان قد تعلم من اهل الكتاب لقالوا هذا قد تعلمه منهم قال تعالى
قل لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله
افلا تعقلون والمقصود انه نبي علم قومه بما اخبره فيه بيان لا اله الا الله
التي هي اياته ونعمه فان ذلك يدل على انه لم يتعلم ذلك من قومه وفيه
انعام الله على الخلق بذلك وقال تعالى لما ذكر قصه يوسف ذلك من
انبا الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
وقال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب بصاير للناس وهدى ورحمه لعلهم
يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت
من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا
في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا ولكن رحمه من ربك فنفى سبحانه شهادته لهذه الامور الغايبه
وحضوره لها تنبيها للناس على انه اخبر بالغيب الذي لم يشهده ولم يعرفه
من جهه اخبار الناس فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك ولا عاشر غير
قومه وكل من عرف حاله يعلم انه لم يتعلم شيا من ذلك لا من اهل الكتاب
ولا ممن نقل عن اهل الكتاب فاذا كان محمد اخبر بمثل ما اخبرت به
الانبيا قبله في باب اسما الله وصفاته وتوحيده وملايكته واوليايه
واعدايه مع العلم بان في هذه الامور من التفاصيل الكثيره ما يمتنع
اتفاق اثنين عليه الا عن مواطاه بينهما ومحمد وموسى صلوات الله عليهما
وسلامه لم يتواطيا بل لم يروا الى محمد صلى الله عليه وسلم احدا من الرسل
قبله ولا واطوه ولكثر الكذب اما ان يتعمد صاحبه الكذب واما
ان يغلط فالكاذبان المتعمدان للكذب لا يتفقان في القصص الطويله

من بعد ما اهلكنا القرون الاولى

169

والتفاصيل العظيمه وكذلك الغالطان لا يتفق غلطهما في مثل ذلك
بل الاثنان من آحاد الناس اذا اخبر كل منهما عن حال بلد واخبر الاخر
بمثل خبره من غير مواطاه عرف صدقهما فكيف بالامور الغايبه التي لا يمكن
العلم بها الا من جهه الله تعالى فهذا من دلايل نبوه الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم واما القدر الذي يخالف ما جا به محمد صلى الله عليه
وسلم مما ينقلونه عن الانبيا فهو نوعان احدهما ما وقع فيه النسخ من
الشرع فهو هذا لا يمنعه لكن المنسوخ مثل هذا بالنسبه الى ما لم ينسخ
من الكتاب نظير المنسوخ من القران والاحاديث النبويه فانه قليل
جدا بالنسبه الى ما لم ينسخ وكذلك عامه ما امر به موسى وداود والمسيح
وغيرهم من الانبيا اذا اعتبر بما امر به محمد صلى الله عليه وسلم وجد
عامه ذلك متفقا لم ينسخ منه الا القليل والثاني الخبريات وهذه
قد ادعى بعض اهل الكتاب ان محمدا خالف بعض ما اخبرت به الانبيا
قبله وهذا باطل فان اخبار الانبيا لا يجوز ان تتناقض اذ هم كلهم
صادقون مصدوقون ومن علم ان محمدا رسول الله وان موسى رسول
الله وان المسيح رسول الله علم ان اخبارهم لا تتناقض لكن قد يخبر
هذا بما لم يخبر هذا فيكون في اخبار احدهم زيادات على اخبار غيره
لا ما يناقض خبر غيره ومما يذكره اهل الكتاب مما يناقض خبر محمد صلى الله
عليه وسلم فهو عامته مما حرفوا معناه وتاويله وقليل منه حرف لفظه
واهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متفقون على ان الكتب
المتقدمه وقع التحريف اما عمدا واما خطا في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها
وتاويلها وانما تنازع الناس هل وقع التحريف في بعض الفاظها وكل ما يدعي فيه
مدعي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ناقضه فلا بد له من ان يثبت مقدمتين
احداهما ثبوت ذلك اللفظ عن ذلك النبي والثاني ثبوت معناه وكل من

احتج بنقل عن نبي فلا بد له من هاتين المقدمتين الاسناد والمتن فلا بد
له من ثبوت اللفظ ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ واذا كان النقل ليس
بلغة النبي بل بلغة اخرى فلا بد من الترجمة الصحيحة وعامة النصارى ليس
عندهم كتب الانبيا بلغة الانبيا فان موسى والمسيح ومن بينهما من انبيا
بني اسرايل انما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية والمسيح كان عبرانيا لم
يتكلم بغير العبرانية وانما تكلم بغيرها كالسريانية واليونانية والرومية
بعض من اتبعه وجمهور النصارى لا يعرفون بالعبرانية ولا يحسنوا ان يقروا
بالعبرانية لا توراة ولا انجيلا ولا غير ذلك وانما يتكلمون بذلك الرومية
او السريانية او غيرها وان كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية بخلاف
اليهود بان العبرانية فاشية فيهم وحينيذ فمن احتج من اهل الكتاب
بشي من كلام الانبيا المنقول بالرومية والسريانية او بالعربية
فانه يحتاج مع اثبات النقل الى اثبات الترجمة وصحتها فانهم كثيرا ما
يضطربون في الترجمة وصحتها ويختلفون في معناها فهذه مقدمات
ثلاث لا بد لهم منها في كل ما يحتجون من كلام الانبيا ولو لم يدعوا
انه معارض لما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا ادعوا به تناقض
لما جا به محمد صلى الله عليه وسلم فان قدر انه ثبت عن نبي من الانبيا اخبر بشي
امتنع قطعا ان يخبر محمد بنقيضه فان فيما نقل عن محمد صلى الله عليه وسلم
ايضا ما ليس ثابت لفظه مثل بعض الاحاديث الضعيفة والموضوعة
وفيما ثبت لفظه ما ليس معناه صريحا في المناقضة بل لا يدل على
ذلك فكم ممن يفسر القران بما لا يدل عليه لفظ القران بل ولا قاله احد
احد من الصحابة بل ولا التابعين كمن يقول ان شعيبا النبي هو كان
حمو موسى وليس في القران والسنة وكلام الصحابة الا ما يدل على نقيض
ذلك وكمن يقول ان الرسل الذين ارسلوا الى العرب كانوا من اتباع المسيح



وكليس في القران والمنقول عن الصحابة الا ما يدل على نقيض ذلك واما
ما علم ان محمدا اخبر به فقد قامت الادلة القاطعة اليقينية على صدقه
وصدق ما اخبر به اعظم مما قامت على صدق غيره وصدق ما جا به فمهما
عارض ذلك علم انه كذب على الانبيا ولا يمكن احدا من الخلق ان يذكر
دليلا قطعيا على صحة ذلك النقل بل غايتهم ان يذكروا طريقا ظنيا
لا يفيدهم الا الظن والظن لا يعارض اليقين فما جا به محمد صلى الله
عليه وسلم تمكن صاحب النظر والاستدلال ان يعلمه علما يقينيا
لا يرتاب فيه وما يناقضه لا سبيل لاحد الى العلم به ولا يتصور
ان يقوم عليه منه الا الظن او التقليد وكلاهما لا يناقض العلم
فهذا اصل جامع ثم العارف يعبر عنه مع كل انسان بحسب ما يوصل
معناه الى ذلك المخاطب والمقصود هنا ان يقال كلما
يحتجون به على مخالفة ما ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن ان
يقوم لهم عليه دليل لا شرعي ولا عقلي وهذا يعلمه مجملا ونحن
نبين ذلك مفصلا فنقول ما يحتجون به اما ان يكون حجة عقلية
واما ان يكون سمعية اما العقليات فمعلوم ان الحجج العقلية الدالة
على فساد ما يقوله النصارى اظهر مما يحتجون به على صحة دينهم
ومن احتج منهم او من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شي من دينه
فلها اجوبة اخرها ان نبين ان ذلك يلزم غيره من الانبيا فانهم
جاوا بذلك او ما اعظم منه فلا يقدح احد بحجة عقلية في محمد صلى الله
عليه وسلم الا كان ذلك قدحا بطريق الاولى في غيره من الانبيا
كما بينا في الرد على الرافضة انه لا يقدح احد في الخلفا الثلاثة ابي بكر
وعمر وعثمان الا امكن ان يقدح بمثل ذلك او ما اعظم منه في علي
فيمتنع ان يكون علينا سليما من القوادح في امامته الا والثلاثة

اسلم منه مما يقدح في امانتهم ويمتنع ان يكون موسى وعيسى وداود
برا مما يقدح في نبوتهم الا ومحمد ابرا مما يقدح في نبوته وهذا كما
لو احتج محتج بما في القران من اثبات الصفات فيقال له في التوراه
وغيرها من كتب الانبيا مثل ذلك واعظم واذا احتج بانزال
المتشابهات فيقال له في الكتب المتقدمه من المتشابه اعظم
اعظم مما في القران وهل ضلت النصارى الا باتباع المتشابه من كلام
الانبيا وترك المحكم والثاني ان يبين ان تلك الحجه لا تصلح ان يعارض
بها ما جات به الانبيا كما اذا احتج بعض الناس بطعن في شي من الشرايع
بالراي بين له ان ما ثبت عن الانبيا لا يعارض براي ولا قياس الثالث
ان يبين فساد تلك الحجه العقليه ان كانت من باب الخبريات بين
فسادها كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب درء تعارض العقل
والشرع وذكرنا ان جميع ما يحتج به على خلاف نصوص الانبيا
من العقليات فانه باطل وذكرنا ما يعتمد عليه النفاه
من هذا الباب وان كانت من باب الطلبيات فهي من باب الامر والنهي
فمن كان في مذهبه انه لا يعلل احكام الله ولا يقول ان حسن الافعال
وقبحها يعلم بالعقل ولا ينزه الله عن فعل ولا عن حكم بل يجوز عليه
كل شي وانما ينفي ذلك بالخبر السمعي او العادة فهذا يجيب بهذا
الجواب ـــ لكن عامه العقلا والعقول لا تقبل هذا
واما على قول الجمهور فيبين ما في ماموراته من الحكم والمصالح وما في
منهياته من المفاسد والضرر ويبين رجحان شرايع الانبيا على
ما يعارض به بل ويبين رجحان شرايع الانبيا على سياسات
ساير الامم ويبين رجحان شريعه محمد صلى الله عليه وسلم على ساير
الشرايع وهذا مبسوط في مواضع واما اذا احتج اهل الكتاب

على مناقضه

171

على مناقضه محمد صلى الله عليه وسلم بحجه سمعيه سوا كانت من كلامه
او كلام غيره من الانبيا عليهم السلام كان الجواب من وجوه احدها
ان يقال لهم لا يمكنكم ان تصدقوا بنبوه نبي من الانبيا مع التكذيب
بمحمد صلى الله عليه وسلم والطريق الذي بها تثبت نبوه الانبيا
تثبت نبوه محمد صلى الله عليه وسلم بمثلها وباعظم منها بل نبين
بين ان التصديق بنبوته اولى من التصديق بنبوه غيره وان كلما
يستدل به على نبوه غير محمد صلى الله عليه وسلم احق بجنس ذلك
الدليل من غيره وما يعارض به نبوه نبي فالجواب ـــ عن محمد
صلى الله عليه وسلم اولى من الجواب عن غيره فهو مقدم فيما
يدل على النبوه وفيما يجاب به عن المعارضه وهذه اكمل في ذلك
فيمتنع مع العلم والعدل ان يصدق بنبوه غيره مع التكذيب بنبوته
كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين احدهما اكمل من الاخر
في ان يقر بمعرفه ذلك الفن المفضول دون الفاضل وقولنا مع العلم
والعدل لان الظالم يفضل المفضول مع علمه بانه مفضول والجاهل
قد يعرف المفضول ولا يعرف الفاضل فان كثيرا من الناس يعلمون
فضيله متبوعهم اما في العلم والعبادة ولا يعرفون اخبار غيره حتى
يوجد اقوام يعظمون بعض الاتباع ومتبوعه الذي هو افضل منه
عند السامع وغيره لا يعرفونه فهولا ليس عندهم علم ولهذا تجد
كثيرا من هولا يرجح المفضول لعدم علمه باخبار الفاضل وهذا موجود
في جميع الاصناف حتى في المداين يفضل الانسان مدينه يعرفها
على مدينه هي اكمل منها لكونه لا يعرفها والحكم بين الشيين بالتماثل
والتفاضل يستدعي معرفه كل منهما ومعرفه ما اتصف به من
الصفات التي يقع بها التماثل والتفاضل كمن يريد ان يعرف ان البخاري

اعلم من مسلم وكتابه اصح او ان سيبويه اعلم من الاخفش ونحو
ذلك وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض والكلام في شيئين احدهما في كون المفضول
يستحق تلك المنزلة دون الفاضل وهذا غاية الجهل والظلم كقول
الرافضة الذين يقولون ان عليا كان اماما عالما عادلا والثلثة
لم يكونوا كذلك وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون
ان موسى كان رسولا ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك
فان هذا في غاية الجهل والظلم بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين
للمنزلة ولكن فضل المفضول فهذا اقل جهلا وظلما ومعلوم ان
المرسلين يتفاضلون تارة في الكتب وتارة في الايات والمعجزات
الدالة على صدقهم وتارة في الشرايع وما جاوا به من العلم والعمل
وتارة في اممهم فمن عنده علم وعدل فينظر في القران وفي غيره من
الكتب كالتوراة والانجيل او في معجزات محمد صلى الله عليه وسلم
ومعجزات غيره او في شريعته وشريعة غيره او في امته وامة
غيره وجد له من التفضيل على غيره ما لا يخفى الا على مفرط في الجهل
او الظلم فكيف يمكن مع هذا ان يقال هو كاذب مفتر وغيره
هو النبي الصادق نعم كثير من اهل الكتاب لم يعرفوا من اخباره
ما يبين لهم ذلك كما ان كثيرا من الرافضة لم يعرفوا من اخبار
الثلاثة ما يبين لهم فضيلتهم على علي رضي الله عنه فهولاء في الجهل
وطلب العلم عليهم فرض خصوصا امر النبوة فان النظر في امر من
قال اني رسول الله اليكم مقدما على كل شي اذ كان التصديق
بهذا مستلزما لغاية السعادة والتكذيب به مقتضيا لغاية

الشقاوة

172

الشقاوة فبالرسول يحصل الفرق بين السعدا والاشقيا وبين الحق
والباطل والهدى والضلال والفرق بين اوليا الله واعدائه
وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار بان يعتبر
حال محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وشرعه وامته بحال
غيره وكتابه وشرعه وينظر هل هما متماثلان او متفاضلان
وايهما افضل واذا تبين ان حاله افضل كان تصديقه اولى
وامتنع ان يكون غيره صادقا وهو كاذب بل لو كانا متماثلين
وجب كونه صادقا بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره
افضل فان النبي الكذاب لا يقارب الصادق بل بينهما من التباين
ما لا يخفى الا على اعمى الناس وكذلك تسلك هذه الطريق في
جنس الانبيا عليهم السلام مطلقا واممهم بان يعرف اخبار من مضى
من الانبيا واممهم ويرى اثارهم واثارها ولهذا كما قال تعالى اولم
يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون
بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
ولدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاهم نصرنا فنجي من نشا ولا يرد
باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب
ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
شي وهدى ورحمة لقوم يومنون وقال تعالى لما ذكر فرعون
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين
وكذلك قال عن عاد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود وقال عن قوم شعيب

الابعد المدين كما بعدت ثمود واذا ذكر الانبيا عليهم السلام
قال تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين
سلام على ابرهيم سلام على موسى وهرون سلام على ال ياسين وقال
تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا ومثل هذا في القران كثير فيذكر
من حال الانبيا واتباعهم وما حصل لهم من الكرامه وما حصل
للكفار بهم من الخزي والعذاب ما يبين حسن حال هاولا وقبح حال
هاولا ومما يوضح ذلك ان من اعتبر اهل الملل من المسلمين واليهود
والنصارى وحال غيرهم في العلوم النافعه والاعمال الصالحه
تبين له ان حال اهل الملل اكمل بما لا يحصى واذا نظر ما عند غير
اهل الملل من الحكمه العلميه والعمليه كحكمه الهند واليونان
والعرب من الجاهليه والفرس وغيرهم وجد ما عندهم بعض ما عند
اهل الملل من الحكمه العلميه والعمليه فيمتنع ان يكون علما اليونان
والهند ونحوهم على حق وهدى وعلما المسلمين واليهود والنصارى
على باطل وضلال وكذلك يمتنع ان يكون تلك الامه لها علم نافع
وعمل صالح واهل الملل ليسوا كذلك ففي الجمله لا يوجد في غير
اهل الملل من علم نافع وعمل صالح من حكمه علميه وعمليه الا وذلك
في اهل الملل اكمل ولا يوجد في اهل الملل شر الا وهو في
غيرهم اكثر وهولا فلاسفه اليونان الذين قد شهدوا عند اكثر
من الناس باسم الحكمه وحكمتهم كحكمه ساير الامم نوعان
نظريه وعمليه والعمليه في الاخلاق وسياسه المنزل وسياسه
المداين وكل من تامل ما عند اليهود والنصارى بعد النسخ
والتبديل من سياسه الاخلاق والمنزل والمداين وجده خيرا
مما عند اولئك باضعاف مضاعفه فان اولئك عمده امرهم الكلام
على قوى النفس



على قوى النفس الشهويه والغضبيه وقوه العلم والعدل
مامور من جنس اداب العقلا ليس عندهم من معرفه الله وملايكته
وكتبه ورسله ومن عبادته وحده لا شريك له شي له قدر والذي
عندهم من العلوم الطبيعيه والحسابيه ليس مما ينفع بعد
الموت الا ان يستعان به على ما ينفع بعد الموت والذي عندهم
من العلم الالهي قليل جدا مع ما فيه من الخطا الكثير وكل ما عندهم
من علم نافع وعمل صالح فهو جزو مما جاث به الانبيا عليهم السلام
فيمتنع ان يكون هاولا المسمون بالحكما واتباعهم على حق في الاعتقاد
وصدق في الاقوال وخير في الاعمال كما هو غايه مطلوبهم والاسا
والانبيا واتباعهم ليسوا كذلك واعتبر ذلك بما يعرف من خاصه
هاولا وعامتهم وخاصه هولا وعامتهم وان كان بينهما من التفاوت
ما بين اهل الجنه واهل النار فالاعتبار في مثل ذلك مما جا به
التنزيل قال تعالى الله خير اما يشركون والمقصود
انه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنه يعرف الشي مما يناظره
ويعتبر به قياس الطرد وقياس العكس فيظهر لكل من تدبر
ذلك ان اهل الملل اولى بالحق والصدق والخير من غيرهم وان كان
لاوليك من الحكمه ما ناسب احوالهم وحكما وهم افضل من عوامهم
وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس فيهم خير اصلا وهذا
مما استفادوه اتباع الانبيا منهم فيكون هذا من دلايل نبوتهم
واعلام رسالتهم استدلالا بالاثر على المؤثر وبالمعلول على علته
وكذلك من تدبر حال المسلمين وحال اليهود والنصارى تبين
له رجحان حال المسلمين فيكون هذا من دلايل نبوه محمد صلى الله
عليه وسلم واعلام رسالته وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان

ان النبوة تعلم بطرق كثيره و ذكرنا طرقًا متعدده في معرفه النبي
الصادق والنبي الكذاب غير طريق المعجزات فان الناس كلما
قويت حاجتهم الى معرفه الشي يسر الله اسبابه كما يتيسر
ماكانت حاجتهم اليه في ابدانهم اشد فلما كانت حاجتهم
الى النفس والهوا اعظم منها الى الما كان يوجد لكل احد
في كل وقت ولما كانت حاجتهم الى الما اكثر من حاجتهم الى القوت
كان وجود الما اكثر وكذلك لما كانت حاجتهم الى معرفه
الخالق اعظم كانت اياته ودلايل ربوبيته وقدرته وعلمه
ومشيته وحكمته اعظم من غيرها ولما كانت حاجتهم الى معرفه
صدق الرسل بعد ذلك اعظم من حاجتهم الى غير ذلك اقام سبحانه
وتعالى من دلايل صدقهم وشواهد نبوتهم وحسن حال من اتبعهم
وسعادته ونجاته وبيان ما يحصل له من العلم النافع والعمل
الصالح وقبح حال من خالفهم وشقاوته وجهله وظلمه ما يظهر
لمن تدبر ذلك ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهذا الذي ذكرناه
من اعتبار الشي بنظايره وموافقيه واشباهه واعتباره وباضداده
ومخالفيه حتى يعرف في المتشابهين انهم اكمل وافضل وفي
المختلفين انهم اولى بالحق والهدى والعدل موجود في ساير الامور
علمها وعملها كعلم الطب والحساب والفقه وغير ذلك فيمتنع
مع العلم والعدل ان يقال جالينوس كان طبيبا وابقراط
لم يكن طبيبا او ان يقال بطليموس كان فيلسوفا وارسطو
لم يكن فيلسوفا او ان يقال الاخفش كان نحويا وسيبويه
لم يكن نحويا او ان يقال زفر والحسن بن زياد ومحمد بن الحسن
كانوا فقها وابو حنيفه لم يكن فقيها او ان المزني والبويطي وحرمله

كانوا فقها



كانوا فقها والشافعي لم يكن فقيها او ان اشهب وابن القاسم
وابن وهب كانوا فقها ومالك لم يكن فقيها وان ابا داود وابرهيم
الحربي وابا بكر الاثرم كانوا فقها واحمد بن حنبل لم يكن فقيها
او ان عليًا كان امام عدل وابا بكر وعمر لم يكونوا امامي عدل او ان
نور الدين الشهيد كان عادلا وعمر بن عبد العزيز لم يكن عادلا
او ان كوشيار كان يعلم الهيه وبطليموس لم يكن يعرف الهيه
او ان النابغه الجعدي كان شاعرًا والنابغه الذبياني لم يكن شاعرًا
او ان يقال ان القمر مستنير والشمس ليست مستنيرة او ان عطارد
نجم ثاقب وزحل ليس بنجم ثاقب او ان مسلما كان عالما بالحديث
والبخاري لم يكن كذلك او ان كتابه اصح من كتاب البخاري
ونحو ذلك مما يطول تعداده

فصل

فصل والنصارى لهم سوال مشهور
بينهم وهو ان فيهم من يقول محمد لم تبشر به النبوات بخلاف
المسيح فانه بشرت به النبوات وزعموا ان من لم تبشر به
فليس بنبي وهذا السوال يورد على وجهين احدهما انه لا يكون
نبيا حتى تبشر به والثاني ان من بشرت به افضل او اكمل
ممن لم تبشر او ان هذا طريق يعرف به نبوة المسيح اختص به
وانتم فقلتم ما من طريق تثبت به نبوه نبي الا ومحمد تثبت
نبوته بمثل تلك الطريق وافضل فاما هذا الثاني فسيجي الجواب
واما الاول فنجيبهم عنه ايضا لكن هل يجب الاجابه عنه ففيه
قولان بناعلى اصل وهو انه هل من شرط النسخ الاشعار بالنسخ
ان ينسخه للمسلمين فيه قولان احدهما انه لا بد اذا شرع حكما سيريد
فيكون ذلك تجهيلا لهم والثاني لا يشترط ذلك وايضا فمن

بعث بعد موسى هل يجب ان يكون مبشرا به فيه قولان وبكل حال
فلا ريب عند علما المسلمين ان المسيح عليه السلام بشر بمحمد صلى
الله عليه وسلم كما قال تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراه ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد وقد قال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبايث وقال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناهم في موضعين من القران احدهما في التوحيد والاخر في القبلة
فقال في الاول قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اينكم لتشهدون ان مع الله
الهه اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بري مما تشركون
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم الذين خسروا
انفسهم فهم لا يومنون وهذا في سورة الانعام وهي مكية وقال في البقرة
وهي مدنية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق
من ربهم وما الله بغافل عما يعملون الى قوله ولين اتبعت اهواهم من بعد
ما جاك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين وقال تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين وقال تعالى افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل



من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وقال تعالى اولم يكن لهم اية
ان يعلمه علما بنوا اسرايل وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وقال
تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان
سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى الذين اتيناهم
الكتاب من قبله هم مومنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق
من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اوليك يوتون اجرهم مرتين بما
صبروا ويدرون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا
كان كذلك فيقال معلوم باتفاق اهل الملل انه ليس من
شرط نبوة كل نبي ان يبشر به من قبله اذ النبوة تثبت
بدون ذلك لا سيما ونوح وابرهيم وغيرهما لم يعلم انه بشر بهما
من قبلهما وكذلك عامة الانبيا الذين قاموا في بني اسرايل
لم تتقدم بهم بشارات اذ كانوا لم يبعثوا بشرع يعم ناسخه
كداود واشعيا وغيرهما وانما قد يدعا هنا فيمن جا بنسخ
بعض شرع التوراه من قبله كما جا المسيح بنسخ بعض احكام
التوراه وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم ففي مثل هذا تنازع
المتنازعون من علما المسلمين وغيرهم هل يشترط ان يكون قد
اخبر بذلك قبل النسخ على قولين وحينيذ فالمسلمون يقولون
شريعة التوراه والانجيل لم تشرع شرعا مطلقا بل مقيدا
الى ان ياتي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مثل الحكم الموقت
بغاية لا يعلم متى يكون كقوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتي

الله بامره وقوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت
او يجعل الله لهن سبيلا ومثل هذا جايز باتفاق اهل الملل وهل
يسمى هذا نسخا فيه قولان قيل لا يسمى نسخا كالغايه المعلومه
لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من ~~الخيط~~ الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل فان
ارتفاع وجوب الصيام بمجي الليل لا يسمى نسخا باتفاق الناس وقيل
ان الغايه المجهوله كالمعلومه وقيل بل هذا يسمى نسخا ولكن هذا النسخ
جايز باتفاق اهل الملل اليهود وغيرهم وعلى هذا فثبوت نبوه المسيح ومحمد
~~صلى الله عليه وسلم~~ صلوات الله وسلامه عليهما لا تتوقف على جواز
النسخ المتنازع فيه فان ذلك انما يكون في الحكم المطلق والشرايع المتقدمه
لم تشرع مطلقا وسوا قيل ان الاشعار بالناسخ واجب او قيل انه غير
واجب فعلى القولين قد اشعر اهل الشرع الاول بانه سينسخ فان موسى
بشر بالمسيح وكذلك غيره من الانبيا وموسى والمسيح وغيرهما من الانبيا
بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم واذا كان هذا هو الواقع فنبوه المسيح
ومحمد صلى الله عليه وسلم لا تتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه وحينيذ
فنقول ـــــ العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح لا تتوقف على العلم بان
من قبلهما بشر بهما بل طرق العلم بالنبوة متعددة فاذا عرفت
نبوته بطريق من الطرق ثبتت عند من علم ذلك وان لم يعلم ان من قبله
بشر به لكن يقال اذا كان الواجب او الواقع انه لا بد من اخبار
من قبله بمجيه وان الاشعار بنسخ شرعه من قبله واجب او واقع
صار ذلك شرطا في النبوه ومن علم نبوته علم ان هذا قد وقع وان لم
ينقل الينا فاذا قال المعارض عدم اخبار من قبله به يقدح في نبوته
وانه اذا قدر انه لم تخبر به من قبله والاخبار شرط في النبوة



كان ذلك قدحا قيل الجواب هنا من طريقين احدهما ان يقال اذا علمت
نبوته بما قام عليها من اعلام النبوه فاما ان يكون تبشير من قبله به لازما
لنبوته واجبا او واقعا واما ان لا يكون لازما فان لم يكن لازما لم يجب
وقوعه وان كان لازما علم انه قد وقع وان كان ذلك لم ينقل الينا
اذ ليس كلما قالته الانبيا المتقدمون علمناه ووصل الينا وليس كلما
اخبر به المسيح ومن قبله من الانبيا وصل الينا وهذا مما يعلم بالاضطرار
ولو قدر ان هذا ليس في الكتب الموجوده لم يلزم ان المسيح ومن قبله
لم يذكروه بل يمكن انهم ذكروه وما نقل ويمكن انه كان في كتب غير
هذه ويمكن انه كان في نسخ غير هذه النسخ فازيل من بعضها ونسخت
هذه مما ازيل منه وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه فكل
هذا ممكن في العادة لا يمكن الجزم بنفيه فلو قدر انه ليس في هذه الكتب
الموجودة اليوم بايدي اهل الكتاب لم يقطع بان الانبيا لم يبشروا
به فاذا لم يمكن اليهود ان يقطعوا بان المسيح لم يبشر به الانبيا ولا
يمكن اهل الكتاب ان يقطعوا بان محمدا لم يبشر به الانبيا لم يكن
معهم علم بعدم ذلك بل غايه ما يكون عند احدهم ظن لكونه طلب ذلك
فلم يجده ودليل نبوه المسيح ومحمد قطعيه لا يمكن القدح فيها بظن فان تنبيه
الظن لا يدفع اليقين لا سيما مع الاثار الكثيره المخبره بانه كان مكتوبا
باسمه الصريح فيما هو منقول عن الانبيا كما في صحيح البخاري انه قيل لعبد الله
ابن عمرو اخبرنا ببعض صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراه فقال
انه لموصوف في التوراه ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا تجزي بالسيه السيه ولكن
تجزي بالسيه الحسنه وتعفو وتغفر ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجا

فافتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا بان يقولوا لا اله الا الله
ولفظ التوراه والانجيل والقران والزبور قد يراد به الكتب المعينه
ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القران عن الزبور وغيره كما في الحديث
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم خفف على داود القران وكان ما بين ان
تسرج دابته الى ان يركبها يقرا القران والمراد به قرانه وهو الزبور
ليس المراد به القران الذي لم ينزل الا على محمد وكذلك ما جاء في صفة
امة محمد اناجيلهم في صدورهم فسمى الكتب التي يقرونها وهي القران
اناجيل وكذلك في التوراه اني سأقيم لبني اسرائيل نبيا من اخوتهم
انزل عليه توراه مثل توراه موسى فسمى الكتاب الثاني توراه فقوله
اخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراه قد يراد به
جنس الكتب كلها وكلها تسمى توراه ويكون هذا في بعضها وقد
يراد به التوراه المعينه وعلى هذا يكون هذا في نسخه لم ينسخ منها
هذه النسخ فان النسخ الموجوده بالتوراه التي وقفنا عليها ليس فيها
هذا لكن هذا عندهم في نبوة اشعيا قال فيها عبدي الذي سرت
به نفسي انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلي ويوصيهم بالوصايا
لا يضحك ولا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون العور والاذان
الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطي احدا احمد الله حمدا
جديدا يأتي من اقصى الارض وتفرح البريه وسكانها يهللون الله
على كل شرف ويكبرونه على كل رابيه لا يضعف ولا يغلب ولا يميل
الى الهوى و ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبه الضعيفه بل
يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى
اثر سلطانه على كتفيه وهذه صفات منطبقه على محمد صلى الله عليه
وسلم وامته وهي من احدث بشارات الانبيا المتقدمه الطريق الثاني من الجواب

ان نبين ان الانبيا قبله بشروا به وهذا هو دليل مستقل على نبوته
وعلم عظيم من اعلام رسالته وهذا ايضا يدل على نبوة ذلك النبي
اذا اخبر بانبا من الغيب مع دعوى النبوه ويدل على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم لاخبار من ثبتت نبوته بنبوته هذا اذا اخذ الخبر
ممن لا نعلم نحن نبوته ولم يذكر في كتابنا واما من ثبتت نبوته بطرق
اخرى كموسى والمسيح فهذا مما تظاهر فيه الادله على المدلول
الواحد وهو ايضا يتضمن ان كلما ثبتت به نبوة غيره فانه تثبت
به نبوته وهو جواب ثان لمن يجعل ذلك شرطا لازما لنبوته ثم العلم

فصل ثم العلم بان الانبيا قبله بشروا به يعلم من وجوه
احدها ما في الكتب الموجوده اليوم بايدي اهل الكتاب من ذكره
الثاني اخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب اهل الكتاب
ممن اسلم وممن لم يسلم بما وجدوه من ذكره فيها وهذا مثل ما تواتر عن
الانصار ان جيرانهم من اهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وانه رسول
الله وانه موجود عندهم وكان هذا من اعظم ما دعا الانصار الى
الايمان به لما دعاهم الى الاسلام حتى امن الانصار به وبايعوه من غير
رهبه ولا رغبه ولهذا قيل ان المدينه فتحت بالقران لم تفتح بالسيف
كما فتح غيرها ومثل ما تواتر عن اخبار النصارى بوجوده في كتبهم
مثل اخبار هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر في قوله عن اليهود
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقال عن النصارى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وقوله
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به
انه الحق من ربنا وقال ابن اسحاق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمه او عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس
والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من
العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال معاذ بن جبل
وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا
فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن اهل شرك وتخبرونا
بانه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم اخو بني النضير
ما جانا بشي نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال ابو العالية
وغيره كانوا يعني اليهود اذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب
يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب
المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وراوا انه
من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله
فانزل الله هذه الايات فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وروى ابن اسحق
عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ثم الظفري عن رجال من قومه قالوا
ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه انا كنا نسمع من رجال يهود
كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس عندنا
وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون
قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الان نتبعه فنقتلكم معه قتل
عاد وارم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله
صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله اجبناه حين دعانا الى الله وعرفنا
ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم
نزل هؤلاء الايات التي في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله
مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا



كفروا به فلعنة الله على الكافرين قال وحدثنا صالح بن ابرهيم بن عبد
الرحمن بن عوف حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة
الانصاري قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت الانصاري
قال والله اني لغلام يفعة ابن سبع سنين او ثمان سنين اعقل كل ما سمعت
اذ سمعت يهوديا يقول على اطم يثرب فصرخ يا معشر اليهود فلما اجتمعوا
عليه قالوا ما لك ويلك قال طلع نجم احمد الذي يبعث الليلة وروى ابو زرعه
باسناد صحيح عن اسامة ابن زيد عن ابيه زيد بن حارثه قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو مردفي ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم
حار من ايام مكة حتى اذا كنا باعلا الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عمرو ما لي ارى قومك قد شنفوك قال
اما والله ان ذلك لغير نائرة كانت مني فيهم ولكن اراهم على ضلال فخرجت
ابتغي هذا الدين فاتيت على احبار يثرب فوجدتهم يعبدون الله ويشركون
به فقلت ما هذا بالدين الذي ابتغي فقال لي حبر من احبار الشام انك تسال
عن دين ما نعلم احدا يعبد الله به الا شيخ بالجزيرة فخرجت فقدمت عليه
فاخبرته بالذي خرجت له فقال ان كل من رايت في ضلاله فمن انت قلت انا من
اهل بيت الله ومن اهل الشوك والقرظ فقال انه قد خرج في بلدك نبي
وهو خارج قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه وآمن به فرجعت فلم احس
شيئا بعد قال فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره فقدمنا اليه
السفرة قال زيد ما اكل شيئا ذبح لغير الله فتفرقنا فجا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فطاف بالبيت قال زيد وانا معه وكان صنمان من نحاس يقال لهما
اساف ونايلة مستقبل الكعبة يتمسح بهما الناس اذا طافوا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسهما ولا تمسح بهما قال زيد فقلت في نفسي
وقد طفنا لامسهما حتى انظر ما يقول فمسستهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

الم ننههم فلا والذي اكرمه ما مسستها حتى انزل الله عليه الكتاب ومات زيد بن
عمرو بن نفيل قبل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة
وحده وروى البخاري حديث خروج زيد بن عمرو قريبا من هذا اللفظ وقال
ابن اسحق حدثنا صالح بن ابرهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن
سلمة بن سلامة بن وقش قال كان بين ابياتنا يهودي فخرج على نادي قومه
بني عبد الاشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب
والميزان فقال ذلك لاصحاب وثن لا يرون ان بعثا كائن بعد موت وذلك قبل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يا فلان او يكون هذا
كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون من اعمالهم
قال نعم والذي يحلف به لوددت ان حظي من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور
في داركم فتحمونه ثم تقذفوني فيه ثم تطبقون علي وان انجو من تلك النار
غدا فقيل يا فلان فما علامة ذلك قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد
واشار الى مكة واليمن بيده قالوا فمتى نراه فرمى بطرفه فرآني وانا مضطجع
بفناء باب اهلي وانا احدث القوم فقال ان يستنفد هذا الغلام عمره
يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وانه لحي بين اظهرهم
فآمنا به وصدقناه وكفر به بغيا وحسدا فقلنا له يا فلان الست الذي
قلت ما قلت واخبرتنا قال ليس به. وعن انس بن مالك ان غلاما يهوديا
كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعوده فوجد اباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا يهودي انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد في
التوراة صفتي ومخرجي قال لا قال الفتى بلى والله يا رسول الله انا نجد
في التوراة نعتك ومخرجك واني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا هذا من عند رأسه ولوا اخاكم رواه

البيهقي باسناد صحيح



البيهقي باسناد صحيح وقال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من
بني قريظة قال هل تدري عما كان اسلام اسيد وثعلبة ابني سعية واسد
بن عبيد نفر من هذيل لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك
فقلت لا قال فانه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان
فاقام عندنا والله ما رأينا رجلا لا يصلي الخمس خيرا منه فقدم علينا قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وكنا اذا قحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن
الهيبان اخرج فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا امام مخرجكم صدقة
فنقول كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير فنخرجه ثم يخرج الى ظاهر حرتنا
ونحن معه فيستسقي فوالله ما يقوم من مجلسه حتى يمر السحاب قد فعل ذلك
غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث فحضرته الوفاة واجتمعوا اليه فقال يا معشر
يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس والجوع قالوا
انت اعلم قال فانه انما اخرجني اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه هذه البلاد
مهاجره فاتبعوه ولا تسبقن اليه اذا خرج يا معشر يهود فانه يبعث
بسفك الدماء وبسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه
ثم مات فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلاثة
الفتية وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله انه الذي ذكر لكم ابن
الهيبان فقالوا ما هو به قالوا بلى والله انه لهو الذي ذكر لكم ابن الهيبان لصفته
ثم نزلوا فاسلموا وخلوا اموالهم واولادهم واهاليهم قال ابن اسحق فلما
فتح الحصن رد ذلك عليهم وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن ابي سفيان
بن حرب لما حدثه عن هرقل وقد تقدم حديثه في اول الكتاب وذكر
فيه ان هرقل لما سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

ان يكن ما تقول فيه حقا انه نبي قد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم
ولو اعلم اني اخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وزاد
البخاري في حديثه وقال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فنظر
فقال ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قال ليس يختتن الا اليهود
ولا يهمنك شانهم وابعث الى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم ثم وجد
انسانا من العرب فقال انظروا امختتن هو فنظروا فاذا هو مختتن وساله عن العرب
فقال يختتنون وقال فيه وكان برومية صاحب له كان هرقل نظيره
في العلم فارسل اليه وسار الى حمص فلم يرم حمص حتى اتاه كتاب من صاحبه
يوافق رايه على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي وكذلك النجاشي
ملك الحبشة لما هاجر الصحابة اليه لما اذاهم المشركون وخافوا ان يفتنوهم
عن دينهم وقرؤوا عليه القران قال فاخذ عودا من اصبعه فقال ما عدا
عيسى بن مريم عما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته فقال وان نخرتم اذهبوا
فانتم سيوم بارضي يعني امنون وقال هذا الان ولما ارسلوا اهدايا اليه
وطلبوا منه ان يردها ولا المسلمين وقالوا ها وكلا فارقوا دينا وخالفوا دينك
وفي الصحيح حديث ورقة بن نوفل الذي يرويه عائشة في بدء الوحي قالت
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
من النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان
يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد الى ان قالت
فاتت به خديجة ورقة بن نوفل وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب
من الانجيل ما شاء الله ان يكتب فقالت اسمع من ابن اخيك فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل الله



على موسى ليتني كنت جذعا انصرك اذ يخرجك قومك فقال او مخرجي هم قال
لم يات احد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا
ثم لم ينشب ورقة ان توفي وقال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرون رجلا او قريب من ذلك وهو بمكة من النصارى حين ظهر خبره بالحبشة
فوجدوه في المجلس فكلموه وسالوه ورجال من قريش في انديتهم فلما فرغوا من مسالتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الله عز وجل وتلا عليهم القران فلما سمعوا فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا بوا
له وامنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من امره فلما
قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم
من وراءكم من اهل دينكم لترتادوا لهم فتاتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده
حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركبا احمق منكم او كما قالوا فقالوا لهم
فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ويقال فيهم نزل قوله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به
انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين الاية وعن محمد بن عمر بن ابرهيم بن محمد
بن جبير حدثني جدتي ام عثمن بنت سعيد بن محمد بن جبير عن ابيها سعيد بن محمد بن عن ابيه
جبير بن مطعم قال سمعت ابي جبيرا يقول لما بعث الله نبيه وظهر
امره بمكة خرجت الى الشام فلما كنت ببصرى اتتني جماعة من النصارى فقالوا لي
امن الحرم انت قلت نعم قالوا افتعرف هذا الذي تنبى فيكم قلت نعم قالوا فاخذوا
بيدي فادخلوني ديرا لهم فيه تماثيل وصور فقالوا لي انظر هل ترى صورة
هذا النبي الذي بعث فيكم فنظرت فلم ار صورته قلت لا ارى صورته فادخلوني
ديرا اكبر من ذلك الدير فيه صور اكثر مما في ذلك الدير فقالوا لي انظر هل

يرى صورته وينظر فاذا انا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته واذا
انا بصفة ابي بكر وصورته وهو واحد يعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
لي انظر هل ترى صفته قلت نعم قالوا هو هذا واشاروا الى صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت اللهم نعم اشهد انه هو قالوا اتعرف هذا الذي اخذ بعقبه قلت نعم قالوا
نشهد ان هذا صاحبكم وان هذا الخليفة من بعده رواه البخاري في تاريخه وقال فيه قال
الذي اراه الصور لم يكن نبي الا كان بعده نبي الا هذا النبي ورواه ابو نعيم في دلائل النبوة
وروى موسى بن عقبة ان هشام ابن العاص ونعيم بن عبد الله ورجلا اخر قد سماه بعثوا
الى ملك الروم زمن ابي بكر قال فدخلنا على جبلة بن الايهم وهو بالغوطة فذكر الحديث
وانه انطلق بهم الى الملك وانهم وجدوا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة واذا فيها
ابواب صغار ففتح منها بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة سوداء
بيضاء وذكر صفة ادم ثم فتح بابا اخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح ثم ابراهيم
ثم اراهم حريرة فيها صورة محمد صلى الله عليه وسلم وقال هذا اخر الابواب لكني
عجلته لانظر ما عندكم ثم فتح ابوابا اخر واراهم صور بقية الانبياء موسى وهرون
وداود وسليمن وعيسى بن مريم عليهم السلام وصفة لوط وصفة اسحق وذكر ان
هذا وذكر ان هذا عندهم يد تامن عهد ادم وان دانيال صورها باعيانها ودو
مثل هذا عن المغيرة بن شعبة انه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية
ملك النصارى اخرج له صور الانبياء واخرج له صورة نبينا صلى الله عليه وسلم
فعرفها والوجه الثالث نفس اخباره بذلك في القران من تقدم واستشهاده
باهل الكتاب واخباره بانه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل على انه كان موجودا
في كتبهم فانه لا ريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر انه كان من اعقل
اهل الارض فان المكذب له لا يشكون في انه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق



ما اوجب ان يقوم مثل هذا الامر العظيم الذي لم يحصل لاحد مثله لا قبله ولا بعده
ويعلم ضرورة انه لا يفعله ولا يخبر به وهو من احرص الناس على تصديقه وجزمهم
بالطرق التي تصدق بها وابعدهم عن ان يفعل ما يعلم انه يكذب فيه فلو لم يعلم
انه مكتوب عندهم بل علم انتفاء ذلك لامتنع ان يخبر بذلك من تقدم ويستشهد
به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه واوليائه واعدائه فان هذا لا يفعله الا من
هو اقل الناس عقلا لان فيه اظهار كذبه عند من امن به منهم وعند من يكفرونه وهو ضد
مقصوده وهو بمنزلة من يريد اقامة شهود على حقه فياتي الى من يعلم انه لا يكذب ويعلم
انه ليس بشاهد ولا احضر قصته ويقول هذا يشهد لي وهذا يشهد لي بانهم كانوا
حاضرين هذه القصة فيقول اولئك لسنا نشهد له ولا حضرنا هذه القضية فهذا
لا يفعله عاقل يعلم انهم لم يكونوا حاضرين وانهم يكذبونه ولا يشهدون له الرابع
ان يقال لما قامت الاعلام على صدقه وقد اخبر انه مكتوب في الكتب المتقدمة وان
الانبياء بشروا به علم ان الامر كذلك هذا لا يذكر الا بعد ان يقام دليل منفصل على سبيل
والطريق الاول هو من اظهر الحجج على اهل الكتاب واظهر الاعلام على نبوته وقد استخرج
غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الان في ايدي اهل الكتاب من البشارات
بنبوته مواضع متعددة وصنفوا في ذلك مصنفات وهذه البشارات في هذه الكتب
من جنس البشارات بالمسيح صلى الله عليه وسلم واليهود مقرون باللفظ لكن يدعون
ان المبشر به ليس هو المسيح عيسى ابن مريم وانما هو اخر ينتظرونه وهم في الحقيقة لا
ينتظرون الا المسيح الدجال والنصارى ينتظرون ايضا مجيء المسيح عيسى بن مريم اذا نزل من
السماء كما نبسط في موضع اخر ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون انها لا تدل على نبي منتظر
كما قالوا في قوله ساقيم لبني اسرائيل من اخوتهم مثلك يا موسى انزل عليه توراة مثل
توراة موسى اجعل كلامي على فيه قال بعضهم ليس هذا اخبارا بل هذا استفهام انكار

وقد ردوا الف استفهام وليس في النص شي من ذلك فاليهود يحرفون الدلالات
المبشرة بالمسيح وذلك عند المسلمين والنصارى لا يقدح في الايمان بالمسيح بل
يبين دلالة النصوص عليه وبطلان تحريف اليهود وكذلك البشارات بمحمد صلى الله
عليه وسلم في الكتب المتقدمة لا يقدح فيها تحريف اهل الكتاب اليهود والنصارى
بل يبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبطلان تحريف اهل
الكتاب الوجه الخامس ان يقال معلوم ان ظهور دين محمد صلى الله عليه
وسلم في مشارق الارض ومغاربها اعظم حادث حدث في الارض فلم يعرف قط
دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه فان شرع موسى وان دام فلم ينتشر انتشاره ودين
~~بان شرع موسى وان دام فلم ينتشر انتشاره~~ بل كان غايته ظهوره ببعض الشام واما
شرع المسيح فقبل قسطنطين لم يكن له ملك بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها
وكانوا مستضعفين يقتل اعيانهم او عامتهم في كثير من الاوقات ولما انتشر تفرق
اهله فرقا متباينة يكفر فيها بعضهم بعضا ثم ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم ظهر
في مشارق الارض ومغاربها وفي وسط الارض المعمورة الاقليم الثالث والرابع
والخامس وظهرت امته على النصارى في افضل الارض واجلها عندهم كارض
الشام ومصر والجزيرة وغيرها ودام شرعه فله اليوم اكثر من سبعمائة سنة
ومعلوم ان هذا المدعي للنبوة سوا كان صادقا او كاذبا لا بد ان يخبر به الانبيا
فانهم اخبروا بظهور الدجال الكذاب يحذروا الناس مع ان الدجال مدته قليلة
فلو كان ما يقوله المكذب لمحمد حقا وانه كاذب ليس برسول لكانت فتنته اعظم
من فتنة الدجال من وجوه كثيرة لان الذين اتبعوه اضعاف اضعاف من تبع
الدجال فلو كان كاذبا لكان الذين افتتنوا به اضعاف اضعاف من افتتن
بالدجال وكان التحذير منه اولى من التحذير من الدجال اذ ليس في العالم من



صوابه اولى

آدم الى اليوم كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام مدة فكيف تغفل الانبيا التحذير
عن مثل هذا لو كان كاذبا واذا كان صادقا فالشان للايمان به اكمل مما يشر به
الانبيا من الاستغلاف ويخبرونه فنعلم انه لا بد ان يكون في الكتب ذكره ثم قد وجد
مواضع كثيرة في الكتب ذكره ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب تزيد على مائة موضع
استدلوا بها على انه مذكور وتواتر عن خلق كثير من اهل الكتاب انه موجود
في كتبهم وتواتر عن كثير ممن اسلم انه كان سبب اسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة
اما بانه وجد ذكره في الكتب لحال كثير ممن اسلم قديما وحديثا ومما ثبت عندهم
من اخبار اهل الكتاب كالانصار فانه كان من اعظم اسباب اسلامهم ما كانوا
يسمعونه من جيرانهم اهل الكتاب من ذكره ونعته وانتظارهم اياه وان من خيارهم
من لم يسكن ارض يثرب مع شدتها ويدع ارض الشام مع رخائها الا لانتظار هذا
النبي العربي الذي يبعث من ولد اسمعيل ولم يمكن احدا قط ان ينقل عن شي من الكتب
انه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال وعند اهل
الكتاب من ذكر اصحابه كعمر بن الخطاب وعثمن وعدلهم وسيرتهم عن المسيح
وغيره ما هو معروف عندهم فاذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب اهل الكتاب
والذين سمعوا خبره من علما اهل الكتاب انما يذكرون نعته فيها بالمدح والثنا علم
بذلك ان الانبيا المتقدمين ذكروه بالمدح والثنا ولم يذكروه بذم ولا عيب وكل
من ادعى النبوة ومدحه الانبيا واثنوا عليه لم يكن الا صادقا في دعوى النبوة
اذ ليس يمتنع ان الانبيا يثنون على من يكذب في دعوى النبوة ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي وهذا مما يبين انه لا بد ان يكون الانبيا
ذكروه واخبروا به وانه لم يذكروه الا بالثنا والمدح لا بالذم والعيب وذلك مع دعوى
النبوة لا يكون الا اذا كان صادقا في دعوى النبوة فثبت انهم بشروا بنبوته وهو

المطلوب بين ذلك ان الانبيا اخبروا اهل الكتاب بما سيكون منهم من الاحداث
وما تسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ويخربون بلادهم ويسبونهم كبخت نصر وسنحاريب
ولكن هاولا الملوك لم يدعوا انهم انبيا ولم يدعوا الى دين فلم يخبر الانبيا بالتحذير من
اتباعهم وقد حذروا من اتباع من يدعي النبوة وهو كاذب ومحمد صلى الله عليه وسلم
قد قهر اهل الكتاب وقتل منهم من قتل وسبى من سبى واخرجهم من ديارهم فلا بد ان
يذكروه ويذكروا الاحداث التي تجري عليهم في ايامه واذا كان كاذبا مدعيا للنبوة
فلا بد ان يحذروهم من اتباعه ومعلوم ان عامة اهل الكتاب ومن ينقل عنهم اما ان يقول
ليس موجودا في كتبنا او يقول انه موجود بالمدح والثنا ولا يمكن احدا ان ينقل
عن الكتب المتقدمة انه موجود فيها بالذم والتحذير ومذكورا عندهم بالذم والتحذير لعله ولو كان
لكان هذا من اعظم ما يحتجون به عليه في حياته وعلى امته بعد مماته ولكان به
من لم يسلم منهم على من اسلم فانه معلوم ان كثيرا من اهل الكتاب كان عندهم
من البغض له والعداوة وتكذيبه والحرص على ابطال امره ما اوجب ان يفتروا اشيا
لم توجد ويسندوا اليه اشيا يعرف كذبها كل من عرف امره حتى ال الامر ببعضهم
الى ان فسروا قول المسلمين الله اكبر بان اكبر صنم وان النبي امرهم بتعظيم هذا
الصنم وقال بعضهم فيه انه اوجب الزنا على المراة المطلقة ثلاثا عقوبة
لزوجها بانه لا ينكحها حتى يزني بها غيره وقال بعضهم انه تعلم من بحيرا الراهب مع علم
كل من عرف سيرته انه لم يجتمع ببحيرا وحده ولم يره الا بعض نهار مع اصحابه لما
مروا به لما قدموا الشام في تجارة وان بحيرا سالهم عنه ولم يكلمه الا كلمات يسيرة بين
فيها عن حاله لم يدرس شيئا وقد طعن بعض اهل الكتاب فيه بانه بعث بالسيف
حتى قد يقولوا انما اقام دينه بالسيف وحتى يوهموا الناس ان الذين اتبعوه انما اتبعوه
خوفا من السيف وحتى يقولوا ان الخطب انما تخطب على سيف يوم الجمعة اشارة

183

الى انه انما قام الدين بالسيف الى امثال هذه الامور التي هي من اظهر الامور كذبا
عليه يعرف ادنى الناس معرفة بحاله انها كذب وهم مع هذا يستدلون بها فلو كان
عندهم اخبار عن الانبيا توجب ذمه والتحذير من متابعته لكان اظهارهم لذلك
واحتجاجهم به اقوى وابلغ وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم
وعامتهم قديما وحديثا وكان ظهور ذلك فيهم اولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي
المسلمين فان هذا الامر من اعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره فاذا
لم يكن كذلك علم انه ليس في كتب الانبيا ما يوجب تكذيبه وقد قام الدليل
على انه لا بد من ان يذكره الانبيا ويخبروا بحاله فاذا لم يخبروا انه كاذب علم انهم
اخبروا انه نبي صادق كما شاع ذلك وظهر واستفاض من وجوه كثيرة فالكتاب
الذي بعث به مملو بشهادة الكتب له والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له
من وجوه متعددة والاخبار متواترة عمن اسلم لاجل ذلك وهذا مما يوجب القطع بانه
مذكور فيها بما يدل على صدقه في دعوى النبوة وليس فيها ما يخبر بكذبه والتحذير
منه وهذا هو المطلوب وفي الجملة امره اظهر واشهر واعجب وابهر واخرق للعادة
من كل امر ظهر في العالم من البشر ومثل هذا اذا كان كاذبا فلكذبه لوازم
كثيرة جدا تفوق الحصر متقدمة ومقارنة ومتاخرة فان من هو ادنى دعوى منه
اذا كان كاذبا لزم كذبه من اللوازم ما يبين كذبه فكيف مثل هذا فاذا انتفت لوازم
المكذوب انتفى الملزوم وصدقه لازم له امور كثيرة كلها تدل على صدقه وثبوت الملزوم
يقتضي ثبوت اللازم ماضيه ومقارنه ومتاخره ومدعي النبوة لا يخلو من الصدق
او الكذب وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات فادلة الصدق مستلزمة
له وادلة الكذب مستلزمة له والصدق له لوازم والكذب له لوازم فصدقه يعرف
تارة بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه وبانتفاء لوازم الكذب الموجب

اسنانها اسنا كذبه كما ان كذب الكذاب يعرف ما دله كذبه المستلزمه لكذبه
وما سفا لوازم الصدق المستلزمه انتفاها لانتفا صدقه والله اعلم والشي يعرف
تارة بما يدل على ثبوته وتارة بما يدل على انتفا نقيضه وهو الذي يسمى قياس الخلف فان
الشي اذا انحصر في شيين لزم من ثبوت احدهما انتفا الاخر ومن انتفا احدهما
ثبوت الاخر ومدعي النبوه اما صادق واما كاذب وكل منهما له لوازم يدل انتفاها
على انتفايه وله ملزومات يدل ثبوتها على ثبوته فدليل الشي مستلزم له كاعلام
النبوه ودلايلها واوامر الربوبيه وادله الاحكام وغير ذلك وانتفا الشي يعلم
بما يستلزم نفيه كانتفا لوازمه مثل صدق الكاذب اصل يقال لو كان صادقا
لكان متصفا بما يتصف به الصادقون ولذلك كذب الصادق يقال لو
كان كذابا لكان متصفا بما يتصف به الكذاب فانه قد عرف حال الانبيا
الصادقين والمتنبين الكذابين فانتفا لوازم الكذب دليل صدقه كما ان ثبوت
ما يستلزم الصدق دليل صدقه ولذلك الكذاب يستدل على كذبه بما
يستلزم كذبه وبانتفا لوازم صدقه وهكذا ساير الامور فصل
ومما ينبغي ان يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة ان شهادة الكتب المتقدمه لمحمد
صلى الله عليه وسلم اما شهادتها بنبوته واما شهادتها بنبوته واما شهادتها بمثل
ما اخبر به هو من الايات البينات على نبوته ونبوة من قبله وهو حجه على اهل
الكتاب وعلى غير اهل الكتاب من اصناف المشركين الملحدين كما قد ذكر الله هذا
النوع من الايات في غير موضع من كتابه كما في قوله اولم يكن لهم ايه ان يعلمه علما
بني اسرايل وقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرون الكتاب
من قبلك وقوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله
والذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم وقوله واذا سمعوا ما انزل الى



الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا
مع الشاهدين وما لنا لا نومن بالله وما جانا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا وذلك مثل قوله في التوراه ما تدرجمه بالعربيه جا الله
من طور سينا وبعضهم يقول تجلى الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن
من جبال فاران قال كثير من العلما واللفظ لابي محمد ابن قتيبه ليس بهذا
خفا على من تدبر ولا غموض لان مجي الله من طور سينا انزاله التوراه على موسى من
طور سينا كالذي هو عند اهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من
ساعير انزاله الانجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقريه تدعى ناصره
وباسمها يسمى من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك
يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القران على محمد صلى الله عليه
وسلم وجبال فاران هي جبال مكه قال وليس بين المسلمين واهل الكتاب
خلاف في ان فاران هي مكه فان ادعوا انها غير مكه وليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم قلنا
اليس في التوراه ان ابرهيم اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على
الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد
المسيح اوليس استعلن وعلن هما بمعنى واحد وهما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا
ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه وقال ابن
طغر ساعير جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح قلت وبجانب بيت لحم القريه التي ولد
فيها المسيح تسمى الى اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير وفي التوراه ان نسل العيص
كانوا سكانا بساعير وامر الله موسى ان لا يوذيهم وعلى هذا فيكون ذكر الجبال

البلاد حما جبل حرا الذي للشرق حول مكة جبل اعلاها ومنه كان نزول اول
الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل
ان بمكة اثني عشر الف جبل وذلك المكان يسمى فاران الى هذا اليوم ومنه كان
ابتدا نزول القران والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ولا يمكن احدا
ان يدعي انه بعد المسيح نزل كتاب في شي من تلك الارض ولا بعث نبي فعلم انه
ليس المراد باستعلائه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم
وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني فذكر انزال التوراة
ثم الانجيل ثم القران وهذه الكتب نور الله وهداه وقال في الاول جاء وظهر
وفي الثاني اشرق وفي الثالث استعلن وكان مجي التوراة مثل طلوع الفجر
او ما هو اظهر من ذلك ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس زاد به النور والهدى
واما نزول القران فهو بمنزلة ظهور الشمس في السما ولهذا قال واستعلن
من جبال فاران فان محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق
الارض ومغربها اعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما ظهر نور الشمس اذا
استعلت في مشارق الارض ومغاربها ولهذا سماه الله سراجا منيرا وسمى الشمس
سراجا وهاجا والخلق يحتاجون السراج المنير اعظم من حاجتهم الى السراج
الوهاج فان الوهاج يحتاجون اليه في وقت دون وقت وقد يتضررون
به بعض الاوقات واما السراج المنير فيحتاجون اليه كل وقت وفي كل مكان
ليلا ونهارا سرا وعلانية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وهذه الاماكن الثلث اقسم
الله بها في القران في قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا



وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
فاقسم بالتين والزيتون وهو الارض المقدسة التي ينبت فيها ذلك ومنها بعث المسيح
وانزل عليه فيها الانجيل واقسم بطور سينين وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وناداه
من واديه الايمن من البقعة المباركة من الشجرة واقسم بالبلد الامين وهي مكة وهو البلد
الذي اسكن ابرهيم ابنه اسمعيل وامه وهو الذي جعله الله حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم وجعله خلقا وامرا قدرا وشرعا فان ابرهيم حرمه ودعا لاهله فقال
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة
فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وقال
تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا
الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال
ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر
قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير
فاخبر الله تعالى ان ابرهيم دعا الله بان يجعل مكة بلدا امنا واستجاب الله دعا
ابرهيم وذكر ذلك في غير موضع وهو باني ابرهيم البيت كما قال تعالى واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت
التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتا والصيف فليعبدوا

امنا

سوط لعله فمه اوكار اسطه

رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف وقال تعالى وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي
رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وقال اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم افبالباطل يومنون وبنعمة الله يكفرون فقوله تعالى والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الامين اقسام منه بالامكنة الشريفة المعظمة الثلثة
التي ظهر فيها نور هداه وانزل فيها الثلثة التوراة والانجيل والقران كما ذكر
الثلثة في التوراة بقوله جا الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال
فاران ولما كان ما في التوراة خبرا عنها اخبر بها على ترتيبها الزماني فقدم الاسبق
فالاسبق واما القران فانه اقسم بها تعظيما لشانها وذلك تعظيم لقدرته سبحانه
واياته وكتبه ورسله فاقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة فختمها باعلا
الدرجات فاقسم اولا بالتين والزيتون ثم بطور سينا ثم بمكة لان اشرف الكتب الثلثة
القران ثم التوراة ثم الانجيل وكذلك الانبيا فاقسم بها على وجه التدريج كما
في قوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا فاقسم
بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة فاقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحاب الحاملات
للمطر فانها فوق الرياح ثم بالجاريات يسرا وقد قيل انها السفن ولكن الانسب
ان يكون هي الكواكب المذكورة في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فسماها
جواري كما سمى الفلك جواري في قوله ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام والكواكب
فوق السحاب ثم قال والمقسمات امرا وهي الملائكة التي هي اعلا درجة من
هذا كله ومما ذكر ابن قتيبة وغيره من علما المسلمين من بشارة اسمعيل وذريته
فاران فهكذا هو في التوراة قال فيها وغدا ابرهيم فاخذ الغلام واخذ خبزا وسقا
من ما ودفعه الى هاجر وحمله عليها وقال لها اذهبي فانطلقت هاجر فضلت في



برية سبع وبعد الما الذي كان معها وطرحت الغلام تحت شجرة وجلست مقابلته
على مقدار رمية سهم لئلا تبصر الغلام حين يموت ورفعت صوتها بالبكا وسمع الله
صوت الغلام فدعا ملك الله هاجر وقال لها ما لك يا هاجر لا تخشي فان الله قد سمع
صوت الغلام حيث هو فقومي فاحملي الغلام وشدي يدك به فاني جاعله لامة عظيمة
وفتح الله عينيها فبصرت بير ما فسقت الغلام وملت سقاها وكان الله مع الغلام
فربي وسكن في برية فاران فهذا انه في التوراة ان اسمعيل ربي وسكن في برية
فاران بعد ان كاد يموت من العطش وان الله سقاه من بير ما وقد علم بالتواتر
واتفاق الامم ان اسمعيل انما ربي بمكة وهو وابوه ابرهيم بنيا البيت فعلم ان ارض
مكة فاران وهذه البشارة في التوراة لهاجر باسمعيل وقول الله اني جاعله
لامة عظيمة ومعظمه جدا جدا وان هاجر فتح عينيها فرات بير ما قد تقدمت
الى اخر الكلام وفي موضع اخر قال عن اسمعيل انه يجعل يده فوق يدي الجميع ومعلوم
باتفاق الامم والنقل ان اسمعيل تربى بارض مكة فعلم انها فاران وانه هو وابرهيم
بنيا البيت الذي ما زال محجوجا من عهد ابرهيم تحجه العرب وغير العرب من
الانبيا وغيرهم كما حجه موسى بن عمران ويونس بن متى كما في الصحيح من رواية
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادي الازرق فقال
اي واد هذا فقالوا هذا وادي الازرق فقال كاني انظر الى موسى صلى الله
عليه وسلم هابطا من الثنية واضعا اصبعه في اذنيه له جوار الى الله عز
وجل بالتلبية مارا بهذا الوادي قال ثم سرنا حتى اتينا على ثنية فقال
اي ثنية هذه قالوا هرشى فقال كاني انظر الى يونس على ناقة حمرا عليه جبة
صوف خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادي ملبيا وفي رواية اما موسى
فرجل ادم جعد على جمل احمر مخطوم بخلبة ولما بعث الله محمدا اوجب حجه على كل

احد فجئت اليه الامم من مشارق الارض ومغاربها والبير الذي شرب منها اسمعيل
وامه هي بير زمزم وحديثها مذكور في صحيح البخاري عن ابن عباس قال
اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على
سارة ثم جا بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند
دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما فوضع
عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ما ثم قفا ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت
يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه انس ولا شي فقالت له ذلك
مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا
يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل
بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى انطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في
الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت
الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان
المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى من
احد فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد
نفسها فسمعت ايضا فقالت اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند
موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها
هكذا تغرف من الما في سقاها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال



النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او لم تغرف من الما
لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة
فان ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت
مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وشماله وذكر تمام الحديث
وكانت بير زمزم قد غمت ثم احتفرها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم
وصارت السقاية في ولده في العباس واولاده يسقون منها ويسقون ايضا
الشراب الحلو والشرب من ذلك سنة والله تعالى قال في اسمعيل انه جاعله امة
عظيمة ومعظمة جدا جدا وهذا التعظيم المؤكد جدا جدا يقتضي ان يكون ذلك تعظيما
مبالغا فيه فلو قدر ان البيت الذي بناه لا يحج اليه احد وان ذريته ليس منهم نبي
كما يقوله كثير من اهل الكتاب لم يكن هناك تعظيم مبالغا فيه جدا جدا اذ اكثر
ما في ذلك ان يكون له ذرية ومجرد كون الرجل له نسل وعقب لا يعظم به الا
اذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله وكذلك قوله اجعله امة عظيمة
ان كانت تلك الامة كافرة لم تكن عظيمة بل كان يكون ابا لامة كافرة فعلم ان
هذه الامة العظيمة كانوا مؤمنين وهم لا يحجون البيت فعلم ان حج البيت
مما يحبه الله ويامر به وليس في اهل الكتاب الا المسلمون فعلم انهم الذين
فعلوا ما يحبه الله ويرضاه وانهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت امة
اثنى الله عليها وشرفها وان اسمعيل عظمه الله جدا جدا بما جعل في ذريته من
الايمان والنبوة وهذا هو كما امتن الله على نوح وابرهيم بقوله ولقد ارسلنا
نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ولما قال في اسمعيل وذريته
معظمون عند الله ممدوحون وان اسمعيل معظم جدا جدا كما عظم الله نوحا
وابرهيم وان كان ابرهيم افضل من اسمعيل لكن المقصود ان هذا التعظيم له

وقال في الخليل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب

ولذريته انما يكون اذا كانت ذريته معظمة على دين حق وهو لا يحجون الى
هذا البيت ولا يحج اليه بعد مجيء محمد غيرهم ولهذا لما قال تعالى ولله على الناس حج
البيت وقالوا لا نحج فقال ومن كفر فان الله غني عن العالمين وانما هذا التعظيم
البالغ الذي صار به ولد اسمعيل فوق الناس لم يظهر الا بنبوة محمد فدل ذلك على
انها حق ومبشرا به فهذا نعت محمد صلى الله عليه وسلم لا نعت المسيح فهو الذي بعث
بشريعة فوق ملوك الارض وامتها حتى امتلأت الارض منه ومن امته من
مشارق الارض ومغاربها وسلطانه دائم لم يقدر احد ان يزيله كما زال ملك اليهود
وزال ملك النصارى عن خيار الارض واوسطها ومثل هذا الشأن اخبر به محمد صلى
الله عليه وسلم من كلام بارضوه من ترجمتهم وهو جاء الله من جبال فاران وامتلأت
السماء والارض من تسبيحه وتسبيح امته فهذا لا يصح سوى محمد صلى الله عليه وسلم
الذي جاء بالنبوة من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح امته فاران جم
ولم يخرج احد قط وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح امته مما يسمى فاران
سوى محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح لم يكن بارض فاران البتة وموسى انما
كلم من الطور والطور ليس من ارض فاران وان كانت البرية التي بين الطور
وارض الحجاز من فاران فلم ينزل الله فيها التوراة وبشارات التوراة قد تقدمت
بجبل ساعير وتمثل هذا كما نقل في نبوة حبقوق انه قال جاء الله من اليمن
وظهر القدس على جبال فاران وامتلأت الارض من تحميد احمد وملك بيمينه
رقاب الامم واناره الارض بنوره وحملت خيله في البحر ومن ذلك ما في
التوراة التي بايديهم في السفر الاول منها وهي خمسة اسفار في الفصل التاسع
في قصة هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال يا هاجر من اين
اقبلت والى اين تريدين فلما شرحت له الحال قال ارجعي فاني ساكثر ذريتك



وزرعك حتى لا يحصون وها انت حبلى وتلدين ابنا تسميه اسمعيل لان الله قد
سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحشي الناس ويكون يده فوق الجميع
ويد الكل به ويكون على تخوم جميع اخوته قال المستخرجون لهذا الشأن ومعلوم
ان يد بني اسمعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق ايدي بني اسحق بل كان
في بني اسحق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن
لبني اسمعيل فوقهم يد ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع اعز اهل الارض
لم يكن لاحد عليهم يد مع يوشع بعده الى زمن داود وملك سليمان الذي لم يؤت
احد مثله وسلط عليهم بعد ذلك بخت نصر فلم يكن لبني اسمعيل عليهم يد ثم بعث المسيح
وخربت بيت المقدس الخراب الثاني حيث افسدوا في الارض مرتين ومن حينئذ
زال ملكهم وقطعهم الله في الارض امما وكانوا تحت حكم الروم والفرس لم يكن
للعرب عليهم حكم الروم غيرهم لم يكن لولد اسمعيل سلطان على احد من الامم
لا اهل الكتاب ولا الاميين ولم تكن ولد اسمعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمد
صلى الله عليه وسلم الذي دعا به ابرهيم واسمعيل حيث قال ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز
الحكيم فلما بعث صار يد ولد اسمعيل فوق الجميع فلم يبق في الارض سلطان اعز من
سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الامم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس
والمشركين والصابئين فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة ويكون يده فوق
الجميع ويد الكل به وهذا امر مستمر الى اخر الدهر فان عمل هذه بشارة بملكه
وظهوره قبل الملك ملكا ملك ليس فيه دعوى نبوة وهذا لم يكن لبني اسمعيل
على الجميع وملك صدر عن دعوى نبوة فان كان مدعي النبوة كاذبا فهو اظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهذا من شر الناس

واكذبهم واظلمهم واجرأهم وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع بنو كنى بمصر
وسنحاريب ومعلوم ان الاخبار بهذا لا يليق بشأن ولا يعرج بشان وامرهم بهذا كا
لو قيل يكون جبلوتا طاغيا يقهر الناس على طاعته ويقتلهم ويسبي حريمهم ويأخذ اموالهم
بالباطل فان الاخبار بهذا لا يكون بشان ولا يسر المخبر بذلك وانما يليق بشان
نبي اذا كان ذلك بعدل وكان زعيم محمودا لا اثم فيه وذلك في مدعي النبوة لا وهو
يكون الا صادقا لا كاذبا **فصل** وقال داود في
الزبور في قوله سبحوا الله تسبيحا جديدا وليفرح بالخلق من اصطفى الله له امته
واعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون
الله باصوات مرتفعة بايديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الامم الذين
لا يعبدونه وهذه الصفات انما تنطبق على صفات محمد وامته فهم الذين
يكبرون الله باصوات مرتفعة في اذانهم للصلوات الخمس وعلى الاماكن
العالية كما قال جابر بن عبد الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلاة على ذلك رواه ابو داود
وغيره وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم يكبرون الله
باصوات عالية مرتفعة في اعيادهم عيد الفطر وعيد النحر في الصلاة والخطبة
وفي ذهابهم الى الصلاة وفي ايام منى الحجاج وسائر اهل الامصار يكبرون عقيب
الصلوات فامام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب
انه كان يكبر بمنى فيسمعه اهل المسجد فيكبرون بتكبيره فيسمعهم اهل الاسواق
فيكبرون حتى ترتج منى تكبيرا وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان الى السوق في ايام
ايام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ويكبرون على قرابينهم وهداياهم
كما كان منهم يقول عند الذبح بسم الله والله اكبر ويكبرون اذا رموا الجمار

ويكبرون على الصفا



ويكبرون على الصفا والمروة ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن وكل
هذا يجهرون به بالتكبير غير ما يسرونه قال تعالى لما ذكر
صوم رمضان الذي يعقبه عيد الفطر قال تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ولما ذكر الهدي الذي يقرب في عيد النحر
وهو يوم الحج الاكبر قال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير
فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر
كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
والنصارى يسمون عيد المسلمين عيد الله اكبر لظهور التكبير فيه وليس هذا
لاحد من الامم اهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين وانما كان موسى يجمع
بني اسرائيل بالبوق والنصارى لهم الناقوس واما التكبير لله باصوات
مرتفعة فانما هو شعار المسلمين فان الاذان شعار المسلمين ولهذا يظهر
من فسر ذلك سلسه الحجاج وفي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا اراد الاغارة ان سمع اذانا او رأى مسجدا والا اغار وكذلك
قوله بايديهم سيوف ذات شفرتين وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة
واتباعهم البلاد وقوله يسبحونه على مضاجعهم بيان لنعت المؤمنين الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويصلي احدهم قائما فان لم يستطع
فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب فلا يتركون ذكر الله في حال بل يذكرونه
حتى في هذه الحال ويصلون في البيوت على المضاجع بخلاف اهل الكتاب
والصلاة اعظم التسبيح كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وقوله

فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي الصحيحين عن جرير بن عبد
الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نظر القمر ليلة
البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم
على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرا قوله تعالى
فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى وهذا معنى قول داود سبحوا الله تسبيحا جديدا او التسابيح التي شرعها
الله جديدا كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديدا ولما اقامها جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا وقتك ووقت الانبيا قبلك فكان الانبيا
يسبحون في هذه الاوقات كما يدل التسبيح المتقدم والتسبيح الجديد كما يدل عليه
سائر الكلام ولا يمكن ان يكون ذلك للنصارى لانهم لا يكبرون الله باصوات
من نغمه ولا بايديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم الله بهم من الامم بل اخبارهم
يدل على انهم كانوا مغلوبين مع الامم لم يكونوا اخذوهم بالسيف بل النصارى
يذمون من قاتل الكفار بالسيف ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد وامته
ويعلمون ما عندهم من ان الله امر موسى بقتال الكفار وقاتلهم بنو اسرائيل
بامره وقاتلهم يوشع وداود وغيرهما من الانبيا وابرهيم الخليل قاتل لدفع الظلم
عن اصحابه

## فصل

وقال داود في مزاميره وهي الزبور
من اجل هذا بارك الله عليك الى الابد فتقلد ايها الجبار بالسيف لان البها لوجهك
والحمد الغالب عليك اركب كلمة الحق وسمت التاله فان ناموسك وشرائعك مقرونة
بهيبة يمينك وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك قال علماء المسلمين متقلد السيف من الانبيا
بعد داود سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي خرت الامم تحته وقرنت شرائعه
بالهيبة كما قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وقد اخبر داود انه



ناموسا وشرائع وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعدا الله بخلاف
المستضعف المقهور وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ونبي الملحمة وامته اشداء على
الكفار رحما بينهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين بخلاف من كان ذليلا للطغاة
من النصارى المقهورين مع الكفار او كان عزيزا على المومنين من اليهود بل كان
مستكبرا كلما جاهم رسول بما لا تهوى انفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا

## فصل

قالوا وقال داود في مزمور له ان ربنا عظيم محمود جدا
وفي قرية الهنا قدوس ومحمد قد عم الارض كلها فرحا قالوا فقد نص داود على اسم
محمد وبلده وسماها قرية الله فاخبر ان كلمته تعم الارض كلها قلت قد تقدم الحديث
الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو اخبرنا ببعض صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في التوراة فقال انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران وذكر صفته
موجودة في نبوة اشعيا والتسبيح موجود في نفس كتاب موسى وقد تقدم ان لفظ التوراة
يقصدون به جنس الكتب التي عند اهل الكتاب لا يخصون بذلك كتاب
موسى واذا كان هذا معروفا عندهم في التوراة والانجيل يراد بالتوراة جنس
الكتب التي عند اهل الكتاب يتناول ذلك كتاب موسى وزبور داود وصحف سائر
الانبيا سوى الانجيل فانه ليس عند اهل الكتاب وانما هو عند النصارى
خاصة واما سائر كتب الانبيا فالاثنان يقرانها ويويد ذلك ان الله كثيرا ما يقرن
في القران بين التوراة والانجيل وبين القران وانما ذكر الزبور مفردا كقوله
تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة
والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان وقوله ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
عليه حقا في التوراة والانجيل والقران وقوله تعالى الذين يجدونه مكتوبا عندهم

في التوراة والانجيل واهل الكتاب يجدونه مكتوبا في الكتب التي بايديهم وهو في
كثير منها اصرح مما هو في كتاب موسى خاصة فاذا اريد بالتوراة جنس الكتب
فلا ريب عند عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت امته في تلك الكتب ومعلوم ان
الله اراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب واقامة الحجة بذكره فيها
فاذا كان ذكره في غير كتاب موسى اكثر واظهر عندهم كان الاستدلال
بذلك اولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى واذا حمل لفظ التوراة في
هذا على جنس الكتب كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين
كان هذا في غاية البيان والمدح للقران والكتب المتقدمة وتصديق بعضها بعضا
وقد امرنا ان نؤمن بما اوتي النبيون مطلقا كما قال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين والزبور ذكره مفردا
في موضعين من القران في قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من
بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمن واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وقال تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا فذكره مفردا وذكر كتاب موسى بهذه
الاضافة لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال افمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن
يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقال قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم



الظالمين ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا
لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما
انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
وقال تعالى ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن واذا كان لفظ التوراة يتناول
الكتب التي عند اهل الكتابين جميعا والزبور وغيره داخل في هذا الاسم وكان ظهور
اسمه ونعته في التوراة ووجودهم ذلك مما عندهم وتكرره في غاية القوة وكان
معرفتهم لذلك كما يعرفون ابناءهم واضح بيانا ان قد ان هذه الكتب التي يعترف
بها علماؤهم لم يكتموا منها شيئا بل هي باقية كما كانت

فصل

وقالوا قال داود في مزمور لبركات الوادي وقراها ولتصر ارض قيدار مروجا
ولتسبح سكان الكهوف وتصوتوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه في
الجزائر فليس البوادي من الامم سوى امة محمد ومن قيدار سوى ابن اسمعيل جد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب

فصل

قال داود في مزمور له ويحوز من البحر ومن لدن
الانهار الى منقطع الارض ويخر اهل الجزائر بين يديه ويلحس اعداؤه التراب ويسجد
له ملوك الفرس وتدين له الامم بالطاعة والانقياد ويخلص البائس المضطهد
ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء
ويصلى عليه ويبارك في كل حين وهذه الصفات منطبقة على محمد وامته لا على
المسيح فانه حاز من البحر الرومي الى البحر الفارسي ومن لدن الانهار جيحون
وسيحون الى منقطع الارض بالمغرب كما قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وهو يصلى عليه ويبارك في كل حين في كل صلاة
من الصلوات الخمس وغيرها يقول كل من امته اللهم صل على محمد وعلى ال محمد

وبارك على محمد وعلى آل محمد فصلى عليه وبارك وفيه حوى أهل الجزائر بين يديه
أهل جزيرة العرب وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة قبرص وأهل
جزيرة الأندلس وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق منهم إلا من أسلم أو أدى الجزية
عن يد وهم صاغرون بخلاف ملوك الروم فإن منهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية فلهذا
خص ملوك فارس ودانت له الأمم التي تعرفه وتعرف أمته كانت إما مؤمنة
به أو مسالمة له مسالمة أو مهادنة مصالحة أو خائفة منهم وانقطع الصغار من الكافرين
وهذا إذا قيل في المسيح فإنه لم يمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته
تمكنوا هذا التمكن ولا جاوروا ما ذكر ولا صلى عليه ويبورك في اليوم والليلة فإن القسم
لا يعرف الهمزة

فصل وقال في نبوة أشعيا قال أشعيا
قيل لي قم نظارا فانظر ماذا ترى فقلت أرى راكبين مقبلين أحدهما
على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه سقطت أصنام بابل وأصنامها
للمنخر قالوا فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد وهو أشهر بركوب الجمل
من المسيح بركوب الحمار وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت أصنام بابل ٥

فصل ومما ينبغي أن يعرف أن الكتب المتقدمة بشرت بالمسيح
كما بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال والأمم
الثلاثة المسلمون واليهود والنصارى متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح
الدجال وحذرت منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما من
نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال حتى نوح أنذره أمته وسأقول لكم فيه قولا لم يقله
نبي لأمته إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر يقرؤه
كل مؤمن قارئ وغير قارئ والأمم الثلاثة متفقون على أن الأنبياء بشروا بمسيح
من ولد داود فالأمم الثلاثة متفقون على الإخبار بمسيح هدى ومسيح ضلالة



وهم متفقون على أن مسيح الضلالة لم يأت بعد ومتفقون على أن مسيح الهدى
سيأتي أيضا ثم المسلمون والنصارى متفقون على أن مسيح الهدى هو عيسى بن مريم
واليهود ينكرون أن يكون هو عيسى بن مريم مع إقرارهم بأنه من ولد داود
قالوا لأن المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها وزعموا أن المسيح بن مريم إنما بعث
بدين النصارى وهو دين ظاهر البطلان والنصارى يقرون بأن المسيح مسيح الهدى بعث
ويقرون بأنه سيأتي مرة ثانية لكن يزعمون أن هذا الإتيان الثاني هو يوم
القيامة ليجزي الناس بأعمالهم وهو في زعمهم هو الله والله هو الذي هو اللاهوت
يأتي في ناسوته كما زعموا أنه جاء قبل ذلك وأما المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الأنبيا
على وجهه وهو موافق لما أخبر به خاتم الرسل حيث قال في الحديث الصحيح
يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية وأخبر في الحديث الصحيح أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور
الكذاب نزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا
يديه على منكبي ملكين فإذا رآه الدجال انماع كما ينماع الملح في الماء فيدركه فيقتله بالحربة
عند باب لد الشرقي على بضعة عشر خطوة منه وهذا تفسير قوله تعالى وإن
من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي يؤمن بالمسيح قبل أن يموت حين نزوله
إلى الأرض وحينئذ لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا يبقى دين إلا دين الإسلام
وهذا أمر موجود في نعته عند أهل الكتاب ولكن النصارى ظنوا مجيئه بعد
قيام القيامة وأنه هو الله فغلطوا في ذلك كما غلطوا في مجيئه الأول حيث
ظنوا أنه هو الله واليهود أنكروا مجيئه الأول وظنوا أن الذي بشر به ليس إياه
وليس هو الذي يأتي آخرا وصاروا ينتظرون غيره وإنما هو يبعث إليهم إن لا يكذبوه
وشتاهم بما سوف يؤمن به كل من على وجه الأرض من يهودي ونصراني الأمي قبل

اومات ويظهر كذب هاؤلا الذين كذبوه ورموا امه بالفريه وقالوا انه ولد زنا وهاؤلا
الذين غلوا فيه وقالوا انه الله ولما كان المسيح عليه السلام نازلا في محمد صلى
الله عليه وسلم صار بينه وبين محمد من الاتصال ما ليس بينه وبين غير محمد وهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انا اولى الناس بابن مريم لانه
ليس بيني وبينه نبي وروي كيف تهلك امه انا في اولها وعيسى في اخرها وهذا
ما نظهر به مناسبه اقترانهما في ما رواه اشعيا قال راكب الحمار وراكب الجمل
فصل قالوا قال اشعيا النبي عليه السلام متنبيا على مكه شرفها
الله ارفعي الى ما حولك تبصري فستبهجين وتفرحين من اجل ان الله يصير اليك
ذخاير البحر ويحج اليك عساكر الامم حتى يعم بك قطر الابل الموبله ويضيق ارضك
عن القطارات التي تجمع اليك وتساق اليك كباش مدين وياتيك اهل سبا ويسير اليك
اغنام فاران ويخدمك رجال مارب يريد سدنه الكعبه وهم اولاد مارب ابن
اسمعيل قالوا فهذه الصفات كلها حصلت بمكه فحملت اليها ذخاير البحر وحج اليها
عساكر الامم وسيق اليها اغنام فاران الهدايا والاضاحي وفاران هي البريه
الواسعه التي فيها مكه وضاقت الارض عن قطارات الابل الموبله الحامله
للناس وازوادهم اليها واتا اهل سبا وهم اهل اليمن فصل
قالوا وقال اشعيا النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه جعلت اسمك يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الابد قالوا
فهل يبقى بعد ذلك لزايغ مقال او لطاعن مجال وقول اشعيا ان اسم محمد موجود
من الابد موافق لقول داود الذي حكيناه ان اسمه موجود قبل الشمس وقوله
يا قدوس الرب يعني يا من طهره الرب وخلصه من بشريته واصطفاه لنفسه
فصل قالوا وقال اشعيا وشهد لهذه الامه بالصلاح والديانه



سارفع علما لاهل الارض بعيدا فيصفر بهم من اقاصي الارض فياتون سراعا
والذي هو ما جا به النبي صلى الله عليه وسلم من التلبيه في الحج وهم الذين
جعلوا لله الكرامه ووحدوه وعبدوه وافردوه بالربوبيه وكسروا الاصنام
وعطلوا الاوثان والعلم المرفوع هو النبوه وصفير دعاوهم الى سنه وشرايعه
فيابونه سامعين مطيعين فصل قالوا وقال اشعيا
النبي والمراد مكه شرفها الله سبحانه وتعالى ابتهجي ايتها العاقر التي لم تلد وانطقي
بالتسبيح وافرحي اذ لم تحبلي فان اهلك يكونون اكثر من اهلي يعني باهله بيت
المقدس ويعني بالعاقر مكه شرفها الله لانها لم تلد قبل نبينا عليه الصلاه والسلام
ولا يجوز ان يريد بالعاقر بيت المقدس لان بيت للانبيا معدن الوحي ولم يزل
تلك البقعه ولادا فصل قالوا وقال اشعيا النبي
ونص على خاتم النبوه ولد لنا غلام يكون عجبا وشرا والشامه على كتفه اركون
السلام اله جبار وسلطانه سلطان السلام وهو ابن عالمه يجلس على كرسي داود
قالوا الاركون هو العظيم بلغه الانجيل والاراكنه المعظمون ولما ابرا المسيح
مجنونا من جنونه قال اليهود ان هذا لا يخرج الشياطين من
الادميين الا باركون الشياطين يعنون عظيمهم وقال المسيح في الانجيل
ان اركون العالم موسى الهاه الفرعون اي حاكما عليه ومتصرفا فيه وعلى نحو قول
داود للعظما من قومه انكم الهه فقد شهد اشعيا بصحه نبوه محمد صلى الله عليه
وسلم ووصفه باخص علاماته واوضحها وهي شامته فلعمري لم تكن الشامه لسليمن
ولا للمسيح وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود ويعني انه سيرث بني اسرايل
سلطانهم وملكهم ويسوسهم بايتهم فصل قالوا وقال اشعيا
في وصف امه محمد صلى الله عليه وسلم ستملي البادية والمدن من اولاد قيدار

كان يريد انما الحبس ... الاكرم من الامين ... الما علم ... انما المعنى ... [illegible]

يسبحون ومن رؤوس الجبال ينادون هم الذين يجعلون لله الكرامة ويسبحونه
في البر والبحر وقيدار هو ابن اسمعيل باتفاق الناس وربيعة ومضر من ولده
ومحمد صلى الله عليه وسلم من مضر وهذا الامتلا والتسبيح لم يحصل لهم الا ببعث
محمد صلى الله عليه وسلم وصـــــــــل قالوا وقال اشعيا والمراد
مكة ارفعي بصرك على كفي وشاهدي اولادك سراعًا ويخرج عنك من اراد ان يخذ
ويحزنك وارفعي بصرك الى ما حولك فانهم سيأتونك ويجتمعون اليك وتسمين باسمي
لي انا الحي لتلبسن الحلل وتزيني بالاكليل مثل العروس وليضيقن جرابك من
كثرة سكانك والراعين فيك وليهابك كل من سار وسلك وليكثرن اولادك حتى
يقول من رأى هاولا كلهم وانا وحدة فريدة ترون روس يحن ورائي هاولا
ومن يكفل لي بهم قالوا وذلك افصاح من اشعيا بشان الكعبة فهي التي البسها الله
الحلل الديباج الفاخر وكل يخدمها الخلفا والملوك ومكة هي التي ربا الله بها
الاولاد من حجاجها والقاطنين بها وذلك ان مكة هي التي اخرج عنها كل من اراد
ان يخيفها ويحزنها فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة لم يهنها احد من البشر قط بل اصحاب
الفيل لما قصدوها عذبهم الله العذاب المشهور ولم تزل عامرة محجوجة من
لدن ابرهيم الخليل بخلاف بيت المقدس فانه قد اخرب من بعد مرة وخلا من
السكان واستولى العدو عليه وعلى اهله ولذلك احتاج ان يهابه كل من سار بها
هو الكعبة دون بيت المقدس قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم والحجاج بن يوسف كان معظما للكعبة لم يرمها بالمنجنيق وانما
قصد ابن الزبير خاصة واما كثرة اولادها وهم الذين يحجون اليها ويستقبلونها
في صلاتهم فهم اضعاف اضعاف اولاد بيت المقدس وصـــــــــل
قالوا وقال اشعيا حاكيا عن الله تعالى اسكرجي واي احد سماه الله حبيبا



وسماه انا وداود انا عبد ان الله خصه علمهم بمزيه فقال حي ابي اسكر وتعبد
اشعيا اسكر محمد ووصف عليه وعلى قومه شكره واجلاله لبسمى قدره ومنزلته
عنده وتلك منقبة لم يؤتها غيره من الرسل وقال اشعيا انا سمعنا من اطراف الارض
صوت محمد وهذا افصاح من شعيا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرنا
اهل الكتاب نبيًا نصت الانبيا على اسمه سوى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تنبئ في نبوته ان الله جا من اليمن والقدوس من جبل فاران لقد اضات
السماء من بها محمد وامتلات الارض من حمده شعاع منظره مثل النور يحوط بلاده
بعزه تسير المنايا امامه وتصحب سباع الطير اجناده قام فمسح الارض فتضعضعت
له الجبال القديمة ثم زال زجرك في الانهار واقدام صوامك في البحار ركبت الخيول
وعلوت مراكب الانقاذ وستنزع في قسيك اغراقًا ونزعًا وترتوي السهام بامرك
يا محمد ارتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت والخرف عنك شؤبوب السيل وتغيرت
المهاوي تغيرًا ورعبًا رفعت ايديها وجلا وخوفا وسارت العساكر في بريق
سهامك وتدوخ الارض غضبا وتدوس الامم زجرا لانك ظهرت لخلاص امتك وانقاذ
تراث ابائك قالوا وهذا افصح لمحمد من رام صرف شيء حقيقة هذه عن محمد
صلى الله عليه وسلم فقد رام ستر النهار وحبس الانهار وانا يقدر على ذلك وقد
سماه باسمه مرتين واخبر بقوة امته وسير المنايا امامهم واتباع جوارح الطير
اثارهم وهذه النبوة لا تليق الا بمحمد ولا تصلح الا له ولا يرد الاهليه من حاول
صرفها عنه فقد حاول ممتنعًا وقد ذكر مجي نور الله من اليمن وهي ناحية مكة
والحجاز فان انبيا بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ومحمد صلى الله عليه وسلم
جا من ناحية اليمن وجبال فاران هي جبال مكة كما تقدم بيان ذلك وهذا
ما لا يمكن النزاع فيه واما امتلا السماء من بها احمد فانوار الايمان والقران التي

طهرت منه ومن امته وامتلا الارض من حمده وحمد امته في صلواتهم وامر
ظاهر وان امته هم الحامدون لانه لهم من حمد الله في كل صلاه وخطبه
ولابد لكل مصل في كل ركعه من ان يقول الله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
ملك يوم الدين فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا
قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال مجدني عبدي ثم يفتتحون القيام
في الصلاه بالتحميد ويختمونها بالتحميد واذا رفعوا رووسهم في الركوع يقول امامهم
سمع الله لمن حمده ويقولون جميعا ربنا ولك الحمد ويختمون صلاتهم بتحميد يجعل التحيات
له والصلوات والطيبات وانواع تحميدهم لله مما يطول وصفه ۝
فصل قالوا وقال حزقيال وهو يهدد اليهود ويصف لهم امه محمد
صلى الله عليه وسلم وان الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبيا ومنزل عليهم كتابا
ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال بني قيدار في جماعات
الشعوب معهم ملائكه على خيل بيض متسلحين محيطون بكم ويكون عاقبتكم الى النار
نعوذ بالله من النار وذلك ان رجال بني قيدار هم ربيعه ومضر ابناء عدنان وهما
جميعا من ولد اسمعيل باتفاق الناس واما قحطان فقيل هم من ولد اسمعيل
وقيل هم من ولد اسمه هود ومضر ولده الياس بن مضر والياس بن مضر وقريش
هم من ولد الياس بن مضر وهوازن مثل عقيل وكلاب وسعد بن بكر
وبنو نمير وثقيف وغيرهم هم من ولد الياس بن مضر وهاولا انتشروا في
الارض واستولوا على ارض الشام والجزيره والعراق ومصر وغيرها حتى انهم لما سكنوا ومصر
الجزيره بين الفراه ودجله فسكنت مضر في حران وما قرب منها فسميت ديار
مضر وسكنت ربيعه في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعه ۝
فصل وقال دانيال عليه السلام وذكر محمد رسول الله

195

صلى الله عليه وسلم باسمه فقال ستنزع في قسيك اغراقا وترتوي السهام بامرك
يا محمد ارتوا وهذا التصريح بغير تعريض وتصحيح لشرفيه لمن يرتضي فان نازع في ذلك
منازع فليوجدنا اخر اسمه محمد له سهام تنزع وامر مطاع لا يدفع وقال دانيال
للنبي الصالح بخت نصر عن تاويل رويا راها ثم نسيها رايت ايها الملك صنما
عظيما قائما بين يديك راسه من ذهب وساعداه من الفضه وبطنه وفخداه
من النحاس وساقاه من الحديد ورجلاه من الخزف ورايت حجرا لم يقطعه يد
انسان قد جا وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتا ثم نسفته الرياح فذهب
وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملا الارض كلها فهذا ما رايت
ايها الملك قال بخت نصر صدقت فما تاويلها قال دانيال انت الراس الذي
رايته من الذهب ويقوم بعدك ولداك اللذان رايت من الفضه وهما دونك ويقوم
بعدهما مملكه اخرى هي دونهما وهي شبه النحاس والمملكه الرابعه تكون
قويه مثل الحديد الذي يدق كل شي فاما الرجلان اللتان رايت من خزف فمملكه
ضعيفه وكلمتها متشتته واما الحجر الذي رايت قد صك ذلك الصنم العظيم
ففتته فهو نبي يقيمه الله اله السما والارض من قبيله بشريعه قويه فيدق
جميع ملوك الارض وامها حتى تمتلي منه الارض ومن امته ويدوم سلطان ذلك
النبي الى انقضا الدنيا فهذا تعبير روياك ايها الملك فهذا نعت محمد صلى الله عليه
وسلم لا نعت المسيح فهو الذي بعث بشريعه قويه ودق جميع ملوك الارض وامها
حتى امتلات منه ومن امته في مشارق الارض ومغاربها وسلطانه دايم
لم يقدر احد ان يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الارض
واوسطها فصل وقال دانيال ايضا سالت الله وتضرعت
الى الله ان يبين لي ما يكون من بني اسرائيل وهل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث

فهم الانبيا او جعل ذلك في عنرهم قال دانيال وظهر لي الملك في صورة شاب
حسن الوجه فقال السلام عليك يا دانيال ان الله تعالى يقول ان بني اسرائيل
اعصوني وتمردوا علي وعبدوا من دوني الهة اخرى وصاروا من بعد العلم الى الجهل
ومن بعد الصدق الى الكذب فسلطت عليهم بخت نصر فقتل رجالهم وسبى
ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم وكذلك فعل من بعده بهم وانا غير راض
عنهم ولا مقيلهم عثراتهم فلا يزالون في سخطي حتى ابعث مسيحي من العذرا البتول
فاختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة
حتى ابعث نبي بني اسمعيل الذي بشرت به هاجر وارسلت اليها ملكي فبشرها
فاوحي الى ذلك النبي واعلمه الاسما وازينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوى
ضميره والصدق قوله والوفا طبيعته والقصد سيرته والرشد سنته
اخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها اسري به الي
وارقيه من سما الى سما حتى يعلو فادنيه واسلم عليه واوحي اليه ثم ارده الي
عبادي بالسرور والغبطة حافظا لما استودع صادعا بما امر يدعوا الى توحيدي
باللين من القول والموعظة الحسنة لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
رؤوف بمن والاه رحيم بمن امن به خشن على من عاداه فيدعوا قومه الى
توحيدي وعبادتي ويخبرهم بما راى من اياتي فيكذبونه ويؤذونه قال الثالك
هذا الشاب قالوا ثم سرد دانيال صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا
حرفا مما املاه عليه الملك حتى وصل الى ايام امته بالنفخة وانقضا الدنيا
وسويه لدن وهي الان في ايدي النصارى واليهود يقروونها وفيها ما وصفنا
ما ذكر الله من وصف هذه الامة ونبيها والضال ملكهم بالقيامة قلت وفي
نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح والبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيها



من نصف محمد ووصف امته بالتفصيل بما يطول وصفه وقد قراها المسلمون
الرباحي
لما فتحوا العراق كما ذكر ذلك العلما منهم ابو العالية ذكر انهم لما فتحوا تستر وجدوا
قبر دانيال ميتا ووجدوا عنده مصحفا قال ابو العالية انا قرات ذلك المصحف
وفيه صفتكم ولحون كلامكم وكان اهل الناحية اذا اجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون
فكتب ابو موسى في ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر ان احفر بالنهار ثلثة عشر
قبرا وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به فصل
ما لوا وقال يوحنا الانجيلي قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من انجيله ان
الفارقليط روح الحق الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شي وقال يوحنا التلميذ
ايضا للتلاميذ ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب ان يعطيكم
فارقليطا اخر يبقى معكم الى الابد روح الحق الذي لم يطق العالم ان يقبلوه لانهم لم
يعرفوه ولست ادعكم ايتاما لاني سآتيكم عن قريب وقال يوحنا قال المسيح من يحبني
يحفظ كلمتي وابي يحبه والينا ياتي وعنده نتخذ المنزل كلمتكم بهذا لاني عندكم مقيم والفار ملط
روح القدس الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شي وهو يذكركم كلما قلت لكم استودعتكم
سلامي لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فاني منطلق وعائد اليكم لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون
بمضيي الى الاب فان ثبتم في كلامي وثبت كلامي فيكم كان لكم كلما تريدوا
وبهذا المجد وقال ايضا اذا جا الفارقليط الذي ابي ارسله روح
القدس الحق الذي من ابي هو يشهد لي قلت لكم هذا حتى اذا كان لا تؤمنوا بالله ولا تشكوا
فيه وقال ايضا ان خير لكم ان انطلق لاني ان لم اذهب لم ياتكم الفارقليط
فاذا انطلقت ارسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطية وان لي كلاما كثيرا اريد ان
اقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جا روح الحق ذاك يرشدكم الى جميع الحق لانه
ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما ياتي ويعرفكم جميع ما للاب

وقال يوحنا الحواري قال المسيح ان اركون العالم سياتي وليس لي شي وقال
متى التلميذ قال المسيح لم تقروا ان الحجر الذي ارذله البناون صار راسا للزاويه
من عند الله كان هذا وهو عجيب في اعيننا ومن اجل ذلك اقول لكم ان ملكوت الله
سيوخذ منكم ويدفع الى امه اخرى تاكل ثمرها ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ وكل
من سقط هو عليه يمحقه وقال يوحنا التلميذ في كتاب رسايل التلاميذ المسمى
بفراكسيس يا احبابي اياكم ان تومنوا لكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها
واعلموا ان كل روح لا تومن بان يسوع المسيح قد جا فكان جسدانيا فهي من عند الله وكل
روح لا تومن بان يسوع المسيح جا وكان جسدانيا فليست من عند الله بل من المسيح
الكذاب الذي سمعتم به وهو الان في العالم وقال شمعون الصفا رييس الحواريين
في كتاب فراكسيس انه قد حان ان يبتدا الحكم من بيت الله انتهى قلت وهذا اللفظ
لفظ الفارقليط في لغتهم ذكروا فيه اقوالا قيل انه الحماد وقيل انه الحامد وقيل
انه المعز وقيل انه الحمد ورجح هذا طايفة وقالوا الذي تقوم عليه البرهان في لغتهم
انه الحمد والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة يكون له فارقليطا جيدا اي حمدا
جيدا وقولهم المشهور في تخاطبهم فارقليط وفارقليطا وما زاد على الجميع اي حمد
وعنده كما نقول نحن بمروضة اكبر النصارى ومن يوحنا قال معناه المخلص يحبون
فانها كلمة سريانيه ومعناها المخلص وقالوا هو مشتق من قولنا ارق وتقال بالسريانيه
فاروق فجعل فارق زادوا ومعنا ليط كلمة تزاد كما تقال في العربيه
رجل هو وحجر هو ومدر هو وذكر هو قالوا وكذلك يزاد في السريانيه ليط
قالوا هو المعز قالوا هو في لسان اليوناني المعز وتعترض على هذين القولين
بان المسيح لم يكن لغته سريانيه ولا يونانيه بل عبرانيه وكتاب عنه بانه يتكلم
بالعبرانيه وترجم عنه بلغه اخرى كما اهلوا احد الاناجيل باليونانيه والاخر



بالرومية وواحد بلغة عبرانية واكثر النصارى على انه المخلص والمسيح نفسه يسمونه
المخلص وفي الانجيل الذي بايديهم انه قال اني لم ات لادين العالم بل لاخلص العالم
والنصارى يقولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصا وقد اختلف فيه عن النصارى
من قال هو روح نزلت على الحواريين وقد يقولون انه السن نارية نزلت من السما
على التلاميذ ففعلت الايات والعجايب وهذا القول من خبر احوال النصارى انه
لم ير احد منهم يحشر بتحقيق مجي هذا الفارقليط الموعود به ومنهم من يزعم انه المسيح
نفسه لكونه جا بعد الصلب باربعين يوما وكونه قام من قبره وهذا ضعيف
لوجوه منها ان روح القدس ما زالت تنزل على الانبيا والصالحين قبل المسيح وبعده
وقد قال تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان
يهجوا المشركين قال اللهم ايده بروح القدس وقال ان روح القدس معك ما
زلت تنافح عن نبيه واذا كان كذلك ولم يسم احد هذه الروح فارقليطا دل على
ان الفارقليط امر غير هذا وايضا فتلك هذه ما زالت يويد بها الانبيا والصالحين
وما يبشر به المسيح امر عظيم ياتي بعده اعظم من هذا وايضا فانه وصف الفارقليط
بصفات لا تناسب هذا وانما تناسب رجلا ياتي بعده نظيرا له فانه قال ان كنتم
تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطا اخر يثبت معكم
الى الابد فقوله فارقليطا اخر دل على انه ثان لاول كان قبله ولم يكن معهم في حياة
المسيح الا هو ولم ينزل عليهم روح فعلم ان الذي ياتي بعده نظير له ليس امرا معتادا
ياتي الناس وايضا فانه قال يثبت معكم الى الابد وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى
معكم الى اخر الدهر ومعلوم انه لم يرد بقا ذاته فعلم انه بقا شرعه وامره فعلم

ويفسرونه بالروح الحال على الحواريين

وهذا ما اتفق عليه اهل الكتاب ان روح القدس نزل على الانبيا والصالحين قبل المسيح وبعده وليس موصوفا بهذه الصفات

ان الفارقليط الاول لم تثبت معهم شريعته ودينه الى الابد وهذا بين ان الثاني
صاحب شرع بخلاف الاول وهذا انما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم
وايضا فانه اخبران هذا الفارقليط الذي اخبر به يشهد له ويعلمهم كل شي وانه
يذكرهم كلما قال المسيح وانه يوبخ العالم على خطيته وقال والفارقليط الذي يرسله
ابي هو يعلمكم كل شي وهو يذكركم كلما قلت لكم وقال اذا جا الفارقليط الذي ا
رسله هو يشهد لي قلت لكم هذا حتى اذا كان تومنوا به ولا تشكوا فيه وقال
ان خيرا لكم ان انطلق لاني ان لم اذهب لم ياتكم الفارقليط فاذا انطلقت ارسلته
اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيه وان لي كلاما كثيرا اريد ان اقوله ولكنكم لا
تستطيعون حمله لكن اذا جا روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس
ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما ياتي ويعرفكم جميع ما للاب فهذه
الصفات والنعوت التي نقلوها عن المسيح لا تنطبق على شي في قلب بعض الناس لا يراه
احد ولا يسمع كلامه وانما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه فيشهد للمسيح
ويعلمهم كل شي ويذكرهم كلما قال لهم المسيح ويوبخ العالم على الخطيه ويرشد الناس
الى جميع الحق وهو لا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما ياتي ويعرفهم جميع ما
للرب العالمين وهذا لا يكون ملكا لا يراه احد ولا يكون هدى وعلما في قلب
بعض الناس بل لا يكون الا انسانا عظيم القدر يخاطب الناس بما اخبر به المسيح وهذا
لا يكون الا بشرا رسولا بل يكون اعظم من المسيح فان المسيح بين انه يقدر على ما لا يقدر
عليه المسيح ويعلم ما لا يعلمه المسيح ويخبر بكل ما ياتي وبما يستحقه الرب حيث قال
ان لي كلاما كثيرا اريد ان اقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ولكن اذا جا روح
الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم
بما ياتي ويعرفكم جميع ما للاب وهذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله عليه

وسلم وذلك ان الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن
ملكوته وعما اعده في الجنة لاوليائه وفي النار لاعدائه امر لا تحتمل عقول كثير من الناس
معرفته على التفصيل ولهذا قال علي عليه السلام حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما
ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال ابن مسعود ما من رجل يحدث
قوما بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وسال رجل ابن عباس عن قوله تعالى
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن قال ما يومنك ان لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت
لكفرت اي لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت وكفرك بها تكذيبك بها فقال
لهم المسيح عليه السلام ان لي كلاما كثيرا اريد ان اقوله ولكنكم لا تستطيعون
حمله وهو الصادق المصدوق في هذا ولهذا ليس في الانجيل من صفات الله وصفات
ملكوته ومن صفات اليوم الاخر الا امور مجملة مع ان موسى كان قد مهد
الامر للمسيح ومع هذا فقد قال لهم المسيح ان لي كلاما كثيرا اريد ان اقوله ولكنكم
لا تستطيعون حمله ثم قال ولكن اذا جا روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع
الحق وقال انه يخبركم بكل ما ياتي وبجميع ما للرب يعرفكم فدل هذا على ان هذا
الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم
ارشد الناس الى جميع الحق حتى اكمل الله له الدين واتم به النعمة ولهذا كان خاتم
الانبيا فانه لم يبق شي ياتي به غيره واخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما ياتي من اشراط
الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الاعمال والجنة وانواع نعيمها والنار
وانواع عذابها ولهذا كان في القران من تفصيل امر الاخرة وذكر الجنة والنار وما
ياتي من ذلك امور كثيرة لا يوجد لا في التوراة ولا في الانجيل وذلك يصدق قول
المسيح انه يخبر بكل ما ياتي ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة كما قال بعثت انا والساعة
كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى وكان اذا ذكر الساعة علا صوته واحمرت



وكذلك القران ليس فيه من ذكر اليوم الاخر الا امور مجملة

وجهه واشتد غضبه وقال انا الذي بعرنا وقال انما مثلي ومثلكم فاخبر
من الامور التي تاتي في المستقبل بما لم يات به نبي من الانبيا كما نعته به المسيح حيث قال
انه يخبركم بكل ما ياتي ولا يوجد مثل هذا قط عن احد من الانبيا قبل محمد فضلا عن ان
يوجد عن شي نزل على قلب بعض الحواريين وايضا فقال ويعرفكم جميع ما للرب فبين
انه يعرف الناس جميع ما لله وذلك يتناول ما لله من الاسما والصفات وما له من الحقوق
وما يجب من الايمان به وبملايكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما ياتي به جامعا للكل
ما يستحقه الرب وهذا لم يات به احد غير محمد حيث يتضمن ما جا به من الكتاب
والحكمة هذا كله وايضا فالمسيح قال اذا جا الفارقليط الذي ارسله اليكم هو يشهد
لي قلت لكم هذا الان اذا كان ليومنوا به ولا يشكوا فيه وانه يشهد له وهذه صفة
نبي يبشر به المسيح ويشهد للمسيح كما قال تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرايل اني
رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد واخبر انه يوبخ العالم على الخطيه ولم يوجد احد وبخ جميع العالم على الخطيه الا محمد صلى
الله عليه وسلم فانه انذر جميع العالم من اصناف الناس ووبخهم على الخطيه من
الكفر والفسوق والعصيان لم يقتصر على مجرد الامر والنهي بل وبخهم وقرعهم وهددهم
وايضا فانه اخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا اخبار بان
كلما يتكلم به فهو وحي يسمعه ليس هو شيا تعلمه من الناس او عرفه باستنباطه
~~وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم فانه انذر جميع العالم من اصناف الناس ووبخهم~~
~~على الخطيه من الكفر والفسوق والعصيان لم يقتصر على مجرد الامر والنهي بل وبخهم و~~
~~وهددهم وايضا فانه اخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع وهذا اخبار~~
~~بان كلما يتكلم به فهو وحي يسمعه ليس هو شيا تعلمه من الناس او عرفه باستنباطه~~
وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم فان المسيح ومن قبله من الانبيا كانوا يتعلمون
من غيرهم



من غيرهم مع ما كان يوحى اليهم فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي ومحمد صلى
الله عليه وسلم لم ينطق الا بما سمعه من الوحي فهو مبلغ لما ارسل به وقد قيل له بلغ
ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فضمن
الله له العصمة اذا بلغ رسالاته فلهذا ارشد الناس الى جميع الحق والقا الى الناس
ما لم يمكن غيره من الانبيا القاه خوفا ان يقتلوه كما يذكرون عن المسيح وقد اخبر المسيح
بانه لم يذكر لهم جميع ما عنده وانهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بانه كان يخاف
منهم اذا اخبرهم بحقايق الامور ومحمد صلى الله عليه وسلم ايده الله بتاييد لم يويد به غيره
فعصمه من الناس حتى لم يخف من شي يقوله واعطاه من البيان والعلم ما لم يوته
غيره فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقايق الغيب ما ليس في كتاب غيره وايد
امته تاييدا اطاقت به حمل ما القاه اليهم فلم يكونوا كاهل التوراة الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها ولا كاهل الانجيل الذين قال لهم المسيح ان لي كلاما كثيرا اريد ان اقوله
لكم ولكن لا تستطيعون حمله ولا ريب ان امة محمد اكمل عقولا واعظم ايمانا واتم
تصديقا وجهادا ولهذا كانت علومهم واعمالهم القلبية وايمانهم اعظم وكانت العبادات
البدنية لغيرهم اعظم قال تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون
كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله قد فعلت وايضا فانه اخبر عن الفارقليط انه يشهد له وانه يعلمهم قال نعم
كل شي وانه يذكرهم كل ما قال المسيح ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة

اظهر

سمعها الناس لا يكون هذا نسيًا في قلب طائفة قبلته ولم تشهد احد للمسيح شهادة
سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه امر المسيح وشهد له بالحق
حتى سمع شهادته له عامة اهل الارض وعلموا انه صدق المسيح ونزهه عما افترته
عليه اليهود وما غلت فيه النصارى فهو الذي شهد له بالحق وهذا الجامع ... جعل
من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم ماذا دعيتي على ما قلتم هذا العود دو
الله امه محمد شهدا على الناس ليشهدوا واعلمهم بما علموه من الحق اذ كانوا وسطا عدلا
لا يشهدون بباطل فان الشاهد لا يكون بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق
او نقص عنه كشهادة اليهود والنصارى في المسيح وايضا فان معنى الفارقليط ان كان
هو الحامد او الحماد او الحمد او المعز فهذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم
فانه وامته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال وهو صاحب لوا الحمد والحمد مفتاح
خطبته ومفتاح صلاته ولما كان حمادا جوزي بوصفه فان الجزا من جنس العمل
فكان اسمه محمدا واحمد فهو على وزن مكرم ومعظم ومقدس وهو الذي يحمد حمدا كثيرا
مبالغا فيه ويستحق ذلك فلما كان حامدا لله كان محمدا وفي شعر حسان بن ثابت

وشق له من اسمه ليجله      فذو العرش محمود وهذا محمد

واما احمد فهو افعل التفضيل اي هو احمد من غيره اي احق بان يكون محمودا اكثر
من غيره فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد وقال من رجح ان معنى الفارقليط في لغتهم هو احمد
كما تقدم وان ذلك كذلك فهو مطابق لما في القرآن ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد وقالوا ولا يشك عندهم انه اسم مشتق من الحمد مثل ما نقول في لغتنا صادق
ومصدق واما من فسره بالمعز فلم يعرف قط في لغة اهل التوحيد لله والايمان
كما اعزهم محمد فهو احق باسم المعز من كل الناس انسان واما معنى المخلص فهو ايضا
ظاهر فيه فان المسيح هو المخلص الاول كما ذكر في الانجيل وهو معروف عند

اسم المعز

[illegible]



النصارى ان المسيح صلوات الله عليه سمي مخلصا فيكون المسيح هو الفارقليط
الاول وقد بشر بفارقليط اخر فانه قال وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليط
اخر يلبث معكم الى الابد فهذا شان المخلص بان يلبث معهم الى الابد والمسيح هو المخلص
الاول واما ما نزل في القلوب فلم يسمه احد مخلصا ولا فارقليطا فلا يجوز ان يفسر
كلام المسيح الا بلغته ومعانيه المعروفه التي خاطب بها ولذلك سائر الانبيا
وسائر الناطقين وقد وصف هذا المخلص الثاني بانه يلبث معهم الى الابد ومحمد هو
المخلص الذي جا شرعه باقيا الى الابد لا ينسخ وايضا فان في الانجيل انجيل يوحنا ان
المسيح قال ارخون العالم سياتي وليس لي شي وقد ذكروا ان الارخون بلغتهم
العظيم القدر والاراخنة العظما وقد كانوا يقولون اي عظيم الشياطين عن المسيح
ان ارخون الشياطين يعينه اي عظيم الشياطين وهو من افترا اليهود على المسيح فقول
المسيح عليه ارخون العالم انما يطلق على عظيم العالم وسيد العالم وكبير العالم
وقد اخبر انه سياتي فامتنع ان يكون هذا الارخون للمسيح او احدا مثله ولم يات بعد
المسيح من ساد العالم واطاعه العالم غير محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ان بشارة
المسيح به وقد سيل صلى الله عليه وسلم ما كان اول امرك قال دعوة ابي ابرهيم
وبشرى عيسى ورويا امي رات حين ولدتني انه خرج منها نور اضات له قصور الشام
وبالجملة فمعلوم باتفاق اهل الارض انه لم يات بعد المسيح من ساد العالم باطنا
وظاهرا وانقادت له القلوب والاجساد وليطيعه البشر والعلانية في محياه وبعد
مماته في جميع الاعصار وافضل الاقاليم شرقا وغربا غير محمد فان الملوك يطاعون
ظاهرا لا باطنا ولا يطاعون بعد موتهم ولا يطيعهم اهل الدين طاعة يرجون بها
ثواب الله في الدار الاخرة ويخافون عقاب الله في الدار الاخرة بخلاف الانبيا ومحمد
اظهر دين الرسل قبله وصدقهم ونوه بذكرهم وتعظيمهم فيه امر الانبيا والرسل قبل موسى

والمسيح وغيرها امم عظيمه لولا محمد لم يوسوا بهم ومن كان يعرف هاولا من اهل
الكتب كانوا مختلفين فيهم كاختلاف اهل الكتاب في المسيح وكانوا يقدحون في داود
وسليمن وغيرهما بما هو معروف عندهم وذكرهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه مثل هود
وصالح وشعيب وغيرهم ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق المسيح في اخباره بانه اركون
العالم فقال انا سيد ولد ادم ولا فخر ادم فمن دونه تحت لوائي انا خطيب الانبيا اذا
وفدوا وامام الانبيا اذا اجتمعوا وهو صاحب لوا الحمد وهو صاحب المقام المحمود الذي
الذي يغبطه به الاولون والاخرون يوم القيمه فهو سيد العالمين حقا وهذا مطابق
لقول المسيح انه اركون العالم فهو اركون الاخرين في الدنيا والاخره وهو اركون الاولين
والاخرين في الاخره وقول المسيح ان اركون العالم سياتي وليس لي شي تضمن الاصلين
اثبات الرسول واثبات التوحيد وان الامر كله لله وهو كقول سيدنا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وقول المسيح ليس لي شي تبريه له مما نسب اليه من الربوبيه
وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليس لك من الامر شي وقال تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي وقال اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله
ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال تعالى قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شا الله وايضا ففي هذا الوصف ما يبين انه اركون السلم
والسلم والسلام هو الاسلام والسلام هو سيد دين الاسلام ولا ريب ان الانبيا كلهم بعثوا بدين الاسلام
لكن لم يظهر هذا الدين واسمه واشتهر ذكره من الاسلام في الارض كما ظهر بمحمد
اركون الاسلام الذي جمع كل خير وبر كما ان ابليس اركون الشر قال تعالى
عن نوح يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت

وايضا فائدة



فاجمعوا امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم
من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فهذا نوح اول رسول بعثه الله
الى اهل الارض يذكر انه امر ان يكون من المسلمين وقال تعالى عن ابرهيم ومن يرغب عن
ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقال موسى لقومه يا قوم ان كنتم
امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقالت بلقيس رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمن لله رب العالمين وقالت السحرة لما اسلموا وارادوا فرعون قتلهم ربنا افرغ علينا
صبرا وتوفنا مسلمين وقال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
اسلموا للذين هادوا وقال واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا
امنا واشهد باننا مسلمون فان قيل فقد سمي الفارقليط روح الحق وسماه
روح القدس قيل قد قال يوحنا في كتاب اخبار الحواريين المسمى افراكسيس
يا احبائي لا كلكم ان تومنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من
غيرها واعلموا ان كل روح تومن بان يسوع المسيح قد جا وكان جسدا انما هي من عند الله
وكل روح لا تومن بان المسيح جا وكان جسدا انسانا فليست من عند الله بل
من المسيح الكذاب الذي هو الان في العالم واذا كان كذلك علم ان الروح
عندهم يتناول النبي المرسل من البشر وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد هو
روح القدس وهو روح الحق كما قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق
وقال نزل به الروح الامين على قلبك وقال من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك باذن الله وهذا الروح انما جا الى محمد والكلام الذي نزل به هو الذي
بلغه محمد وهذا قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس

فاصطفى الله جبريل من الملائكة واصطفى محمداً من البشر ولهذا اضاف القول
الذي هو القرآن الى هذا تارة والى هذا تارة كما قال تعالى انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فهذا الرسول
هنا جبريل وقال تنزيل من رب العالمين فهذا الرسول هنا محمد واضافه
الى كل منهما بلفظ الرسول ليبين انه بلغه عن مرسله لم يقل انه لقول ملك
ولا نبي بل كفر من قال انه قول البشر كما ذكر ذلك عن الوحيد وقد قال تعالى
في القرآن قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومعلوم ان الرسول
نفسه لم ينزل بل ابدل الرسول من الذكر لان الرسول جاء بالذكر ولما كان
الرسول الملكي والبشري والذكر المنزل امور متلازمة يلزم من ثبوت واحد
ثبوت الآخرين ومن الايمان بواحد الايمان بالآخرين ويلزم من كون القرآن حقا
كون جبريل ومحمد حقا وكون القرآن ومحمد حقا ولهذا جمع الله بين الايمان بالملائكة
والكتب والرسل في مثل قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فيعلم محمد ويذكره وتشهد به وهو روح
القدس وروحه والاخبار بان الملك ينطق على لسان كثير البشر او الجني ينطق على
لسان البشر كثير كما في حديث ابن عمر كنا نتحدث ان السكينة تنطق على لسان عمر
ويقال ما القى هذا على لسانك الا الشيطان ويكون مع هذا البشر ينطق بقدرته
واختياره ليس هو كالمصروع الذي يتكلم الجني على لسانه وهو لا يدري ما يقول
فلهذا يقال هذا قول الرسول البشري وهو قول الرسول الملكي ويقال
الفارقليط روح الحق وروح القدس يشهد لي وهو يعلمكم وهو يذكركم ونحو ذلك
بان الفارقليط يتضمن ذكر جبريل ومحمد جميعا وقول احدهما هو قول الآخر



ومعروف في اللغة بدل الاشتمال كقوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
قتال فيه والشهر ليس هو نفس القتال لكن لما اشتمل على القتال ابدل احدهما
من الآخر وقوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا ومن هذا النمط ابدل الرسول من
الذكر لاشتماله عليه وهنا الثاني اشتمل على الاول والرسول البشري كان الرسول
الملكي يتصل به في الباطن ينزل عليه الوحي حين ينزله وفي الصحيحين عن عائشة
ان الحارث بن هشام قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي قال احيانا يأتيني مثل
صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي
الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا والفصم الفك والفصل
من الامور اللينة كما قال فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم وبالقاف هو الكسر الذي يكون في الامور الصلبة فبين
ان الملك حين نزول الوحي عليه يتصل به ويلتبس به ثم بعد ذلك ينفصل عنه
وينفك عنه وهذا الاشتمال والانفصال ابلغ من غيره فيصح معه ان يكون ابدال
احدهما من الآخر من غيره فيقال هذا القرآن بلغه الرسول النبي بلغه جبريل
عن الله ونظائر هذا متعددة وفي جميع بشارات المسيح يذكر ان الاب وهو في لغتهم
الله هو الذي يرسل الفارقليط وفي بعضها قال انا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطا
آخر يثبت معكم الى الابد وفي بعضها والفارقليط روح الحق الذي يرسله ابي هو يعلمكم
كل شيء فقد بين ان الله يرسله وانه يطلب من الله ان يرسله واما قوله في بعض
الالفاظ فاذا انطلقت ارسلته اليكم فيكون معناه اني ارسله بدعائي وطلبي منه
ان يرسله كما يطلب الطالب من ولي الامر ان يرسل رسولا او يولي نائبا او يعطي
احدا فيقول انا ارسلت هذا ووليت هذا واعطيت هذا اي كنت سببا في ذلك ومما

ينبغي ان يعلم ان الله اذا قضى بان يكون الشي فانه يقدر له اسبابا يكون بها ومن
تلك الاسباب دعا طايفه من عباده به فيكون في ذلك من النعمه اجابه دعا
هذا وهذا وهذا ومحمد دعا به الخليل عليه السلام فقال ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمه ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم مع ان
الله قد قضى بارساله واعلن باسمه قبل ذلك كما قيل له يا رسول الله متى كنت نبيا
قال وادم بين الروح والجسد وقال اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان
ادم لمنجدل في طينته وهذا كما ان الله قضى بنصره يوم بدر ومن اسباب ذلك استغاثته
بالله وكذلك ما يقضيه من انزال الغيث يكون من اسبابه دعا عباده له
ونظاير كثيره فلا يمتنع ان يكون المسيح سال ربه بعد صعوده ان يرسل محمدا ويكون
هذا من اسباب ارساله لكن ابراهيم سال في الدنيا فذكر الله ذلك بخلاف سوال
المسيح فانه كان بعد صعوده الى السما

فصل

والقران نفسه
فيه من ايات نبوته وبراهين رسالته انواع متعدده مع اشتمال كل نوع على عدد
من الايات والبراهين مثال ذلك اخباره لقومه بالغيب الماضي الذي لا يمكن بشرا
ان يعلمه الا ان يكون نبيا او يكون ممن يلقاه عن نبي وقومه يعلمون انه لم يتعلم ذلك
من بشر لا من اهل الكتاب ولا غيرهم وهذا نوعان منه ما كان يساله عنه المشركون
واهل الكتاب لينظروا اهل هو نبي ام لا وكان قومه يرسلون الى اهل الكتاب
البعيدين عنهم مثل من كان بالمدينه وغيرها من اهل الكتاب يطلبون منهم ما يسالونه
عنه فيرسلون اليهم ليسالوه عن ذلك ويمتحنوه بذلك هل هو نبي ام لا ومنه ما
كان الله يخبره به ابتدا ويجعله علما وايه لنبوته وبرهانا لرسالته كما في ذكره هذه
القصص من الاعتبار لامور اخرى وكان كل من هذين النوعين دليلا وعبره على نبوته
من طريقين وكان دليلا وعبره على نبوته من جهه اخباره بالغيب الذي لا يعلمه الا



نبي وكانت عبره بما فيها من احوال المومنين والكافرين التي توجب اتباع سبيل المومنين
الذين اتبعوا امثاله وتجنب سبيل الكافرين الذين خالفوا امثاله وحكم الشي حكم نظيره فاذا
كان من كان مثله ومثل من اتبعه سعيدا وحال من خالف مثله ومثل من اتبعه
شقيا كان في هذا دلاله وعبره توجب اتباعه وتنهى عن مخالفته وهذا ايضا دليلا على نبوه
من قبله من الانبيا وحجه من جهه انه اخبر بمثل ما اخبروا به من غير مواطاه
بينهم وبينه ولا تشاعر لم ياخذوا عنه ولم ياخذ عنهم وكل منهما اخبر عن الله باخبار
مفصله يمتنع الاتفاق عليها عاده الا مع التواطي واذا لم يكن تواطوا ولا تشاعروا امتنع الاتفاق
ذلك من غير مواطاه علم ان كلا من المخبرين صادق قال تعالى لقد كان في يوسف
واخوته ايات للسايلين وقص قصته في السوره الى ان قال ذلك من انبا الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين
وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من ايه في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون الى قوله قل هذه
سبيلي ادعوا الى الله على بصيره انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم ولدار الاخره خير للذين اتقوا افلا تعقلون
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاهم نصرنا فنجي من نشا ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبره لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي وهدى ورحمه لقوم يومنون وقال
تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل سا تلوا عليكم منه ذكرا وقال ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا وقال تعالى لما قص قصه نوح في سوره هود وهي اطول

ما قصه في قصة نوح تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين فذكر سبحانه ان هذا الذي اوحاه اليك
من انباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك
لا من اهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الا قومه وقومه يعلمون ذلك لا
من اهل الكتاب منه ويعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون ايضا انه هو
لم يكن يعلم ذلك وانه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه
وعلى من بلغه خبر قومه ومثل ما اخبرهم عن قصة ادم وسجود الملائكة له ووسوسة
ابليس له حتى اكل من الشجرة وهبط هو وزوجه واخبرهم عن قصة نوح ومكثه فيهم
الف سنة الا خمسين عاما وهذا في التوراة الموجودة بايدي اهل الكتاب مقدار لبثه
في قومه قبل الغرق وبعده واخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه والقائه
في النار وذبح ولده ومجيء الملائكة اليه في صورة ضيفان وبشارتهم باسحق ويعقوب
وذهاب الملائكة الى لوط وما جرى للوط مع قومه واهلاك الله مدائن قوم لوط
وقصة اسرائيل مع بنيه وقصة يوسف وما جرى له بمصر وقصة موسى مع فرعون
وتكليم الله اياه من بعد ومن اياته كالعصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم
وفلق البحر وتظليل الغمام على بني اسرائيل واطعامهم المن والسلوى وانفجار الماء من
الحجر اثنتي عشرة عينا لسقيهم وعبادتهم العجل وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم
وقصة البقرة ونتق الجبل فوقهم وقصة داود وقتله جالوت وقصة الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وقصة الذي اماته
الله مائة عام ثم بعثه وغير ذلك من احوال بني اسرائيل الى ان ذكر قصة زكريا
وابنه يحيى وعيسى بن مريم واحوال المسيح واياته ودعائه لقومه والايات التي
بعث بها وتفاصيل ذلك وذكر قصة اصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وغير



ذلك من قصص الانبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة باحسن بيان واتم معرفة
مع علم قومه الذين يعرفون احواله من صغره الى ان ادعى النبوة انه لم يتعلم هذا من بشر
بل لم يجتمع هو باحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لا يهودي
ولا نصراني ولا غيرهم وكان هذا من اعظم الايات والبراهين لقومه بان هذا انما علمه
به واتاه به الله ومثل هذا الغيب لا يعلمه الا نبي او من اخذ عن نبي فاذا لم يكن هو اخذه
عن نبي تعين ان يكون نبيا ثم سائر اهل الارض يعلمون انه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق
احدها ان قومه المعادين له الذين هم من احرص الناس على القدح في نبوته
مع كمال علمهم لو علموا انه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه بذلك واظهروه فانهم مع علمهم
بحاله يمتنع ان لا يعلموا ذلك لو كان ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع ان لا يقدحوا فيه ويمتنع
ان لا يظهروا ذلك الثاني انه قد تواتر عن قومه انهم كانوا يقولون انه لم يكن يجتمع
بمن يعلمه ذلك الثالث انه لو كانت هذه القصص المسموعة قد تعلمها من اهل
الكتاب مع عداوته لهم لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ولو اظهروا ذلك
لنقل ذلك وعرف فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقله الرابع
انه حين بعث كان الناس اما مشركا واما كتابيا فلم يكن هناك احد على الدين الذي
دعا اليه وقد علم الناس بالتواتر ان المشركين من قريش وغيرهم لم يكونوا يعرفون
هذه القصص ولو قدر انهم كانوا يعرفونها فهم اول من دعاهم الى دينه فعادوه وحاربوه
فلو كان فيهم من علمه او من يعلم انه تعلم من غيره لاظهر ذلك الخامس
ان مثل هذا لو كان فلا بد ان يعرفه بعض خواص الناس وكان في اصحابه الذين امنوا
به من يعرف ذلك وكان ذلك يشيع ولو تواصوا بكتمانه كما شاع ما كتم من امر
الدول الباطنية ولكان من خواصه في الباطن يعلمون كذبه وكان علمهم بذلك ناقضا
لتصديقه في الباطن كما عرف في مثل ذلك فكيف وكان اخص اصحابه واعلمهم بحاله

اعظم محبة وموالاة بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر فان خواص اصحابه لا
يعظمونه في الباطن فاذا علم الناس ان قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة
وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق يعلمون انه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل
هذا وانه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا علم الناس ما علمه قومه ان هذا انما
اتاه به الله وكان هذا من اعلامه واياته وبراهينه وهذا مما بين الله في القران انه
من اياته وانه حين اخبر قومه بهذا مع تكذيبهم وفرط عداوتهم له لم يكن احد منهم ان
يقول له بل فينا من كان يعلم ذلك وانت كنت تعلم ذلك وقد تعلمته منا او من غيرنا
وكان اقرارهم بعدم علمه وعلمهم مع فرط عداوتهم له انه بينة لجميع الامم انه لم يكن هو ولا
هم يعلمون ذلك وهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة كانوا كلهم يعلمون
كذبه واذا اجتمعوا وتشاوروا في امره يعرفون ان هذا الكذب ظاهر عليه كما كان
بعضهم يقول انه مجنون وبعضهم يقول انه كاهن وبعضهم يقول انه ساحر وبعضهم يقول
انه يعلمه بشر وبعضهم يقول اضغاث احلام فحكى الله اقوالهم مبينا ظهور كذب
من قال ذلك وانه قول ضال حاير قد بهت حال الرسول فحار فلم يدر ما يقول
كما قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك
السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شي فقدره
تقديرا واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا
نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا
افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فقد جاوا ظلما وزورا وقالوا اساطير
الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض انه كان غفورا رحيما فاخبر عمن قال ذلك وهم يعلمون ان هذا من اظهر
الكذب فان هذه القصص المذكورة في القران لم يكن بمكة من يعرفها فضلا عن ان



يمليها كما قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وقال ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا ولهذا قال انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
فاخبر ان هذا من علم من يعلم السر اذ كان البشر لا يعلمون ذلك الا من جهة اخبار
الانبيا والبشر بمكة من يعلمها اخبرت به الانبيا لم ذكرها او من جوه فقال وقالوا ما
لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا
مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا امر بالنظر
في بعض ما ضربوه من الامثال حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهورا
لا يخفى على الناظر ولهذا قال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اذ كان ظاهرا ان
هذا ضلال عن طريق الحق ولا يستطيع الضال عن طريق الحق اليه سبيلا وقال
تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل
نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فاخبر عما
افتراه بعضهم من قوله انما يعلمه هذا القران بشر وكان بمكة مولى اعجمي لبعض قريش
قيل انه مولى لبني الحضرمي والنبي لا يحسن بلسان العجمي وذاك لا يحسن يتكلم بهذا الكلام
العربي فلما قالوا انه افترى هذا القران وانه علمه اياه بشر قال تعالى لسان الذي
يلحدون اي يضيفون اليه هذا التعليم وينسبونه اليه وعبر عنه بلفظ الالحاد لما فيه
من الميل فقال لسان هذا الشخص الذي قالوا انه يعلم القران لسان اعجمي وهم لم يمكنهم ان
يضيفوا هذا التعليم الى رجل عربي بل الى هذا الاعجمي لكونه كان يجلس احيانا الى النبي

صلى الله عليه وسلم وذلك الاعجمي لا يمكنه التكلم بهذا الكلام العربي بل هو اعجمي
ومحمد لا يعرف بالعجمية لكن غايته ان الاعجمي يعدّ بني الحضرمي ان يعرف قليلا من كلام العرب
الذي يحتاج اليه في العادة مثل الالفاظ التي يحتاج اليها في غالب الاوقات كلفظ
الخبز والماء والسما والارض ولا يعرف ان يقرا سورة واحدة من القران فبين سبحانه
ظهور كذبهم فيما افتروه ولم ينقل احد منهم ما يمكن ان يكون شبهة من تعلمه انبا الغيب
من علما اهل الكتاب ونحو ذلك كما انما قالوا ما ظهر بطلانه لكل احد ولم ينقل عن احد
منهم انه قال قولا يخفى بطلانه بل ما يظهر كذبه لكل احد فتبين انه لم يمكنهم ان يقولوا
انه تعلم اخبار الغيوب من احد وهذه القصة قصة نوح لا سيما قصته في سورة هود
كما تقدم لا يعلمها الا نبي او من تلقاها عن نبي فاذا عرف انه لم يتلقاها عن احد علم انه نبي
ولهذا قال في اخرها تلك من انبا الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والقول في سائر القصص كالقول فيها وكما قال
في سورة يوسف ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
وهم يمكرون وقال في سورة ال عمران لما ذكر قصة زكريا ومريم ذلك من انبا
الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت
لديهم اذ يختصمون وقال في قصة موسى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت
ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا بلغ هذا
ولكن رحمة من ربك الاية والانسان انما يعلم بالمشاهدة او خبر فنبه بقوله وما كنت
لديهم على انه انما علمت ذلك باخبارنا وايحائنا اليك واعلامنا لك بذلك اذ كان
معلوما عند كل من عرفه انه لم يسمع ذلك من بشر وانه لم يكن هو ولا قومه يعلمون
ذلك وقد قال تعالى قل لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من



قبله افلا تعقلون بين بذلك ان تلاوته عليهم هذا الكتاب وادراهم اي اعلامهم به
هو بمشيئة الله وقدرته لا من تلقاء نفسه كما قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقانا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شا الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به الاية فبين انه لبث فيهم عمرا من قبله وهو لا يتلو شيا من ذلك ولا يعلمه
ولا يعلمهم به فليس الامر من جهته ولكن من جهة الله الذي لو شا ما تلاه عليهم ولا
ادراهم به وتلاوته عليهم وادراؤهم به هو من الاعلام بالغيوب الذي لا يعلمها
الا نبي وبين ان ذلك من الارسال الذي يحبه ويرضاه لا من التكوين الذي يقدره
وهو لا يحبه ولا يرضاه كارسال الشياطين ولهذا كان يعرض عليه ان يصير ملكا
عليهم وان يعطوه حتى يكون من اغناهم وان يزوجوه ما شا من نسائهم فيقول لو وضعتم
الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان ادع هذا الامر لم استطع ان ادعه وهذه
الثلاث هي مطلوب النفوس من الدنيا السلطان والمال والنسا فعرض عن
فضول الدنيا التي هي غاية الاماني طالبها وبين انه لا يقدر على ان يدع ما امر به من
تبليغ الرسالة قال تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري
علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا فبين سبحانه انهم كادوا
يمنعون بكل طريق فان الانسان انما يتم عمله بارادته وقدرته فمع الارادة الجازمة
والقدرة التامة يجب وجود المقدور واذا تعذر احدهما امتنع فطلبوا تغيير ارادته
لتركن اليهم فيغير ما اوحى اليه فعصمه الله وثبته ثم طلبوا التحجير بان يستفزوه ويخرجوه

حتى يعجز عن تبليغ رسالة ربه ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة أشد من عقوبة
من الرسل فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة أخرج نبيها منها ثم أهلكها لا يهلكها وهو
بين أظهرهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون هذا بعد قوله وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب
أليم يوم بدر وغيره فقوله إن كادوا ليفتنونك إشارة إلى همهم في بعض إرادته وقوله
وإن كادوا ليستفزونك من الأرض إشارة إلى سعيهم في تهجيره وقال تعالى وما
كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بين سبحانه
من حاله ما يعلمه العامة والخاصة وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متواتر
عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس أنه كان أميا لا يقرأ كتابا
ولا يحفظ كتابا من الكتب لا المنزلة ولا غيرها ولا يقرأ شيئا مكتوبا لا كتابا منزلا ولا
غيره ولا يكتب بيمينه كتابا ولا ينسخ شيئا من كتب الناس لا المنزلة ولا غيرها
ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقينا وحفظا وإما أن يأخذ من كتابه وهو
لم يكن يقرأ شيئا من الكتب عن حفظه ولا يقرأ مكتوبا والذي يأخذ من كتاب غيره إما
أن يقرأه وإما أن ينسخه وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ وقال تعالى وإنه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين
وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل إلى قوله وما تنزلت به
الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله
إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي



يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون
فقال تعالى إنه لفي زبر الأولين وقال أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل
يعلمون ذكر إرسال محمد ونزول الوحي عليه كما قال تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والإنجيل وقال الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا
وقال الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة
لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته وعرشه
وملائكته وخلقه السماوات والأرض وغير ذلك بمثل ما أخبرت به الرسل قبله
وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وبالعدل والصدق والصلاة والزكاة
ونهى عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت به الرسل قبله والسور المكية
نزلت بالأصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل التي لا بد منها وهي الإسلام
العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا غيره وأما السور
المدنية ففيها هذا وفيها ما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج
فإن دين الأنبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون
عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب

بما لديهم فرحون وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل
حزب بما لديهم فرحون واما الشرعة والمنهاج فمذكور عن اهل التوراة والانجيل
والقران لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا
اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الى قوله
لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه واما القبلة فلم يجعل ما ابتدعه اهل الكتاب
من القبلة فكذلك قال ولكل وجهة هو موليها ولم يقل جعلنا لكل وجهة كما قال في
النسك والشرعة والمنهاج وقال تعالى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى فانه اذا اتاهم بيان ما في الصحف الاولى مع علمهم بانه الصحف
لم يعاشر احدا من اهل الاولى ولا استفاد منهم علما كان هذا من اعظم الايات من الله
وكما ان اخباره عن امور الغيب يدل على نبوته فانه يدل على ان النبوة اعلام من الله ليس
ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة كابن سينا وامثاله انه فيض فاض عليه من النفس
الفلكية او العقل الفعال ويقولون ان النفس او العقل هو اللوح وان من اتصلت
به علم ما علمته الانبياء ويقولون النبوة مكتسبة لان هذه صفتها ويقولون ان
سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية وزعموا انها اللوح المحفوظ
وان تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الارض فيكون عالما بما يحدث
في الارض لان العلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب فان هذا مبني على مقدمات
باطلة قد بسط الكلام على بطلانها في موضع اخر منها اثبات العقل الفعال
ومنها دعواهم انه لا سبب للحوادث الا حركة الفلك ومنها ان المحرك له هو النفس



ومنها اتصال نفوسنا بتلك النفس والمقصود هنا ان هذا لو كان حقا لكان العبد عالما
بالمستقبل الذي يكون الحركة الخاصة سببا له اما ما تقدم من سنين او الوقت من السنين
فليس شيء من حركات الفلك حين بعث الرسول كان سببا له وانما تكون الحركة سببا
للمستقبل لا للماضي حينئذ ولا يكون تحريك النفس للفلك سببا للعلم بهذه الامور
ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ بل القران المجيد في لوح محفوظ وهو في ام الكتاب
وهو في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون واخبر سبحانه انه نزل به الروح
الامين وقال في اية اخرى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال في موضع
اخر قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله وقال انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد
راه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون
ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وقال تعالى الله يصطفي من
الملائكة رسلا ومن الناس وذكر انه قول رسول اصطفاه من الملائكة نزل به على
رسول اصطفاه من البشر فقال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه
لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وبرا كلا من الرسولين
عما نسبه به من للملك ان يكون شيطانا ومن للبشر ان يكون شاعرا او كاهنا
ومن برهان ذلك قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما
يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فبين انه ما يصلح لهم التنزل به بل هم ممنوعون
عن ذلك وهم ممنوعون عن ذلك لا يريدونه لمنافاته لمقصودهم وانهم لو ارادوا

لعجزوا عن ذلك فلم يستطيعوه اذ كانوا معزولين عن ان يسمعوا من الملا الاعلا
وهم انما يقدروا على ان ينزلوا ما سمعوه لا ما لم يسمعوه وذلك ان الفاعل للفعل انما
يفعله اذا كان مريدًا له قادرا عليه فبين بقوله وما ينبغي لهم انهم لا يريدون تنزيله وبقوله
وما يستطيعون انهم عاجزون عن تنزيله اما كونهم لا يريدون فلانه لا ينبغي لهم
وينبغي مطاوع بغي يبغي اي طلب واراد فالذي لا ينبغي للفاعل هو الذي لا يطلبه
ولا يريده اما لكونه ممتنعا من ذلك او لكونه ممنوعا منه والشيطان انما
يريد الكذب والفجور لا يريد الصدق والصلاح وما جاءت به الرسل مناقض لمراد
الشياطين غاية المناقضة فلم يحدث في الارض امر اعظم مناقضة لمراد الشياطين
من ارسال محمد ونزول القران عليه فيمتنع ان يفعل الشياطين ما لا يريدون الا
نقيضه وهم ايضا ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك ولا يتاتى منهم كما
ان الساحر لا ينبغي له ان يكون نبيا والمعروف بالكذب والفجور لا ينبغي له مع ذلك
ان يكون نبيا ولا ان يكون حاكما ولا شاهدا ولا مفتيا اذ الكذب والفجور يناقض مقصود
الحكم والشهادة والفتيا كذلك ما في طبع الشيطان من ارادة الكذب والفجور
يناقض ان ينزل بهذا الكلام الذي هو في غاية الصدق والعدل لم يشتمل
على كذبة واحدة ولا ظلم لاحد ثم قال وما يستطيعون فانهم عن سمع هذا
الكلام معزولون بما حرست به السما من الشهب كما قال عن الجن وانا لمسنا
السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وان السما حرست حرسا
لم تعهده الناس قبل ذلك وراى الناس ذلك بابصارهم وكانوا قد عاينوا ما
اخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمى بها لطرد الشياطين فعزلوا بذلك عن
سمع الملا الاعلا وكان معاينة الكفار من العرب لشديد العام الذي [illegible]

بو العاده

به العاده المعروفه من رمي الشهب دليلا على سبب خارق للعاده ولم يحدث
اذ ذاك في الارض امر لم تجر به العاده الا ادعاه للرساله فلم يعرف قبله من نزل
عليه الكلام كنزوله عليه اذ كان موسى عليه السلام انما انزلت عليه التوراه
مكتوبه لم تنزل منجمه متفرقه يتلقاه اليه حفظا حتى يحتاج السما الى حراستها عن
استراق سمعها والزبور تابع لشرع التوراه وكذلك الانجيل فرع على التوراه لم ينزل
كتاب مستقل الا التوراه والقران كما قال تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين وهذا القرن سبحانه بين التوراه والقران
كثيرا كما في قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الى قوله
وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وقال افمن كان على بينه
من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال سعيد بن جبير وغيره والاحزاب
هي الملل كلها قال وهذا تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار وقرا هذه
الايه ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقالت الجن انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى وقال النجاشي لما سمع القران ان هذا والذي جاء به موسى
ليخرج من مشكاه واحده وايضا فكان معروفا عندهم اخبار الكهان عن الشياطين
التي تسترق السمع فلما راوا ان السما قد حرست حرسا شديدا خلاف العاده
علموا ان الشياطين منعوا استراق السمع وعلمت الجن ذلك كما تقدم وقالت
الجن انا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وقد تواترت الاخبار بانه

حين المبعث كثر الرمي بالشهب أمر خارق للعادة حتى خاف بعض الناس أن يكون
ذلك لخراب العالم حتى نظروا أهل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم التي بالشهب
فلما رأوا أنه بالشهب علموا أنه لأمر حدث وأرسلت الجن تبتغي سبب ذلك حتى سمعوا
القرآن أنه كان لأجل ذلك وهذا من أعلام النبوة ودلائلها وقبل زمان
البعث وبعده كان الرمي خفيفا لم تملأ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن
وقال تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون
السمع وأكثرهم كاذبون والأفاك الكذاب والأثيم الفاجر كما قال لنسفعا بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة وقال في الحديث المتفق على صحته عليكم بالصدق فإن الصدق
يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن
الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله
كذابا فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه وهو المناسب
لها في الكذب والفجور فأما الصادق البار فلا يحصل به مقصود الشياطين
فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر وإنما يطلب الكذب والفجور ومحمد صلى الله
عليه وسلم ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين لم يجربوا عليه كذبة
واحدة ولما جاءه الروح بالوحي لم يخبر بخبر واحد كذب لا عمدا ولا خطأ ومن تنزلت
عليه الشياطين لا بد أن يخبر بالكذب فإن الشياطين يلقون السمع ولا
يلقون ما سمعوا على وجهه بل يكذبون فيه كثيرا إذ كان أكثر الشياطين
الذين يتنزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم والشياطين وإن كان كلهم كاذبا
فليس كل من ألقى السمع يكذب فيما يلقيه بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من
السمع ويسترقه ولكن أكثرهم يكذبون والذي يصدق منهم من يكذب مرات الذي



تنزل عليه الشياطين أفاك أثيم فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه الملك
والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم معروف بين يعرف بأدنى معرفة كال
الإنس ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الأمور الغائبة
بين سبحانه أن هذا يكون وإن صدق في بعض الأخبار كاذبا فاجرا والذي يأتيه
بالكذب فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر وهذا مما بين أن النبي لا يكون إلا بارا
معصوما أن يصر على ذنب فصل وقد ذكرنا أن قومه المعادين
له غاية العداوة ما زالوا معترفين بصدقه صلى الله عليه وسلم وأنهم لم يجربوا
عليه كذبا بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة وأنه ليس بساحر
وكانوا في أول الأمر يرسلون إلى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب يسألونهم
عنه لأن مكة لم يكن بها ذلك ففي الصحيح عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب
حدثه قال انطلقت إلى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى هرقل قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه
عظيم بصرى إلى هرقل فقال هرقل هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي
يزعم أنه نبي قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا
بين يديه فقال أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي قال أبو سفيان
فقلت أنا فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي فدعا بترجمانه فقال
قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبني فكذبوه قال
فقال وايم الله لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت عليه ثم قال لترجمانه سله كيف
حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان في آبائه من ملك قلت لا
قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا وذكر باقي الحديث

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود حديث سعد بن معاذ لما قال لامية انهم
قاتلوك يعني النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفزع منه لذلك وقال لامراته
ذلك فقالت والله ما يكذب محمد وقال هو في رواية اخرى والله ما يكذب محمد
وعزم ان لا يخرج خوفا من هذا وقال والله لا اخرج من مكة واراد التخلف عن بدر
حتى قال له ابو جهل انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد اهل الوادي
تخلفوا معك فقال اما اذ غلبتني فلاشترين اجود بعير بمكة وذكرته امراته بقول
سعد فقال ما اريد ان اكون معهم الا يسيرا وكذلك ما ذكره اهل المغازي ان
ابي بن خلف لما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اقتله ثم طعنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخدشه وجعل اصحابه يحجزونه ويقولون انما هو خدش
وليس بشيء فقال والله لو كان بمضر لقتلهم اليس قد قال لاقتلنك وعن مجاهد قال
قال مولاي السائب بن يزيد ثبت فيمن بنا البيت وان قريشا اختلفوا في الحجر
حين ارادوا ان يضعوه حتى كادوا ان يقع بينهم قتال بالسيوف فقالوا اجعلوا بينكم
اول رجل من الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونه في
الجاهلية الامين فقالوا اما محمد قد رضينا بك وعن عقيل بن ابي طالب قال جاءت
قريش الى ابي طالب فقالوا له ان ابن اخيك ما يشانا في نادينا وفي مسجدنا
يؤذينا وان رايت ان تكفه عنا فافعل قال فقال لي يا عقيل التمس ابن عمك
قال فاخرجته من كنس من اكناس شعب ابي طالب فاقبل يمشي حتى اتى
الى ابي طالب فقال له يا ابن اخي والله ما علمت ان كنت لي لمطيعا قد جاءني
قومك يزعمون انك تاتيهم في كعبتهم وناديهم فتسمعهم ما يؤذيهم فان رايت ان تكف
عنهم فحلق ببصره الى السماء فقال والله ما انا باقدر على ان ادع ما بعثت
به من ان يشعل احدكم من هذه الشمس شعلة من النار فقال ابو طالب انه



والله ما كذب قط فارجعوا راشدين رواه البخاري في تاريخه وابو زرعة
في الدلائل ورواه ابن اسحق قريبا من هذا اللفظ وقال فاخرجه من حفش وهو
بيت صغير وقال فيه فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد بدا لعمه
وانه خاذله ومسلمه وضعف عن القيام معه فقال يا عم لو وضعت الشمس في يميني
والقمر في يساري ما تركت هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك في طلبه وفي
الصحيحين عن عبد الله بن الصامت قال قال ابو ذر خرجنا من قومنا غفار
وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت انا واخي انيس وامنا فنزلنا على خال لنا فاكرمنا
واحسن الينا فحسدنا قومه فقالوا انك اذا خرجت عن اهلك خالف اليهم انيس
فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له فقلت له اما ما مضى من معروفك فقد
كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي
وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر انيس عن صرمتنا وعن مثلها فاتينا الكاهن
فخير انيسا واتى بصرمتنا ومثلها معها قال وقد صليت يا ابن اخي قبل ان القى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين قلت لمن قال لله قلت فاين توجه
قال اتوجه حيث يوجهني ربي اصلي عشاء حتى اذا كان من اخر الليل القيت كاني
خفاء حتى تعلوني الشمس فقال انيس ان لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق انيس
حتى اتى مكة فراث علي ثم جاء فقلت ما صنعت قال لقيت رجلا بمكة على دينك
يزعم ان الله ارسله قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
وكان انيس احد الشعراء قال انيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت
قوله على اقراء الشعر فما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر والله انه لصادق
وانهم لكاذبون قال قلت فاكفني حتى اذهب فانظر قال فاتيت مكة فتضعفت
رجلا منهم فقلت اين هذا الذي تدعونه الصابئ فاشار الي فقال الصابئ فمال علي اهل

الوادي بكل ملاءة وعظم حتى حررت مغشيا علي وذكر الحديث وصفه اسلامه
رضي الله عنه بلفظ مسلم وفي حديث البخاري عن ابن عباس ان ابا ذر ارسل اخاه
وقال اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه ياتيه الخبر من السما فاسمع من
قوله ثم ائتني فانطلق الاخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع الى ابي ذر فقال
رايته يامر بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما اردت
فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد وذكر تمام الحديث وعن جابر
بن عبد الله قال قال الملا وابو جهل لقد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما
بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة
والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما فما يخفى علي ان كان
كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فلم يجبه قال فبم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا
لك الرياسة فكنت راسنا ما بقيت وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة
تختار من اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به انت
وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون الى قوله فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف ورجع الى
اهله فلم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال ابو جهل يا معشر قريش
والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته
فانطلقوا بنا اليه فاتاه ابو جهل فقال يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت
الى محمد واعجبك امره فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن



طعام محمد فغضب واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا وقال لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا
ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا
سحر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم
ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه
ابو بكر احمد بن مردويه في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل عن الاجلح عن الذيال
بن حرملة عنه ورواه يحيى بن معين عن محمد بن فضيل ورواه ابو يعلى الموصلي في مسنده
ورواه عبد بن حميد عن شيخ ابي يعلى بن اسلمه وفي بعض الطرق ان كنت تزعم ان
هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع
ورواه ابن اسحق قال حدثني يزيد بن زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال
حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا حليما وذكر الحديث الى ان قال لما جلس اليهم
قالوا ما وراك يا ابا الوليد قال ورائي اني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط
والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي خلوا
بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا فان
تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم
وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي لكم
فاصنعوا ما بدا لكم ثم ذكر شعر ابي طالب يمدح عتبة فيما قال وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال قدم ضماد مكة وهو رجل من ازد شنوءة وكان يرقي من هذه
الريح فسمع سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رايت هذا
الرجل لعل الله ان يشفيه على يدي قال فلقيت محمدا فقلت اني ارقي من هذه الريح
وان الله يشفي على يدي من شاء فهلم فقال محمد ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله

فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله اما بعد قال فقال اعد علي كلماتك هاولا فاعادهن
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال والله لقد سمعت
قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعرا فما سمعت مثل كلماتك هاولا ولقد بلغن
ناموس السحر قال فقال هات يدك ابايعك على الاسلام قال فبايعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال وعلى قومك فقال وعلى قومي الحديث وعن ابن عباس
ان الوليد بن المغيرة جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه القران فكانه
رق له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا
قال ولم قال ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتعرض لما قبله قال قد علمت قريش
اني من اكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر لها وانك كاره له
قال وما ذا اقول فوالله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا
بقصيدته مني والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا والله ان لقوله الذي
يقول حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما
يعلا وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر
فيه فلما فكر قال هذا سحر يوثر ياثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا
رواه عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن عكرمة عنه وفي رواية اخرى ان الوليد بن
المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال ان وفود
العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رايا واحدا
ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد بعضكم قول بعض فقالوا فانت يا ابا عبد
شمس فقل واقم لنا رايا نقوم به فقال بل انتم فقولوا وانا اسمع فقالوا نقول كاهن
فقال ما هو بكاهن لقد رايت الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا نقول



مجنون فقال ما هو بمجنون لقد راينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا
وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال لما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه
وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال فما هو بساحر
قد راينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده فقالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال
والله ان لقوله لحلاوة وان اصله لعذق وان فرعه لجناة فما انتم بقائلين من هذا
شيا الا عرف انه باطل وان اقرب القول ان تقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين
ابيه وبين المرء وبين اخيه وبين المرء وعشيرته وزوجته وبين المرء وعشيرته
فتفرقوا عنه فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم احد الا حذروه
اياه وذكروا له امره فانزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وذلك من قوله ذرني
ومن خلقت وحيدا الى قوله سأصليه سقر وانزل في النفر الذين كانوا معه
الذين جعلوا القران عضين اي اصنافا وروى ابن اسحق عن شيخ من اهل مصر عن
عكرمة عن ابن عباس قال فقام النضر بن الحرث فقال يا معشر قريش والله لقد
نزل بكم امر ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاكم بما جاكم به قلتم ساحر لا والله ما هو
بساحر قد راينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد
راينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد روينا الشعر
وسمعنا اصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون
لقد راينا المجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شانكم فانه
والله لقد نزل بكم امر عظيم وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش وممن يوذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة قال وحدثني
الزهري قال حدثت ان ابا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة

ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته واخذ
كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى
اذا اصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا
تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت
الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر
تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال اول مرة ثم انصرفوا فلما كانت
الليلة الثالثة فعلوا كذلك ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا ان لا يعودوا فلما اصبح
الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم اتى ابا سفيان في بيته فقال اخبرني يا ابا حنظلة
عن رايك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت اشيا اعرفها واعرف
ما يراد بها فقال الاخنس وانا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى اتى ابا جهل
فدخل عليه بيته فقال يا ابا الحكم ما رايك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت
تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا
ثم اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي ياتيه الوحي من السما فمتى
ندرك هذه والله لا نومن به ولا نصدقه ابدا وكذلك روي عن المغيرة بن شعبة
ان ابا جهل قال له مثل ذلك وقال اني لاعلم ان ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا
فينا الندوة فقلنا نعم فينا الحجابة فقلنا نعم فينا السقاية فقلنا نعم وذكر نحوه وقد
كانوا يرسلون الى اهل الكتاب ليسالوهم عن امره صلى الله عليه وسلم
قال محمد بن اسحق حدثني شيخ من اهل مصر قدم منذ بضع واربعين سنة عن
عكرمة مولى ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبة بن ابي
معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته واخبروهم
بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبيا



فخرجا حتى قدما المدينة فسالوا احبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصفوا لهم امره وبعض قوله وقالا انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن
صاحبنا هذا قال فقالت لهم احبار يهود سلوه عن ثلاث نامركم بهن فان اخبركم
بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية
ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه
عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نباه وسلوه عن الروح
ما هو فان اخبركم بذلك فانه نبي فاتبعوه وان هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا
في امره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر
قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن امور
فاخبروهم بها فجاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا فسالوه
عما امروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم وجاءه
جبريل من الله بسورة الكهف فيها خبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل
الطواف وقول الله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من
العلم الا قليلا قال ابن اسحق بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افتتح السورة فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني محمدا انك رسولي
في تحقيق ما سالوا عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما اي انزله قيما اي معتدلا
لا اختلاف فيه وذكر تفسير السورة الى قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي وما قدروا من قدرتي وفيما صنعت من امر
الخلائق وما وضعت على العباد من حججي ما هو اعظم من ذلك قال مجاهد
ليس بالعجب ان اياتنا ما هو اعجب من ذلك وفي تفسير العوفي عن ابن عباس
الذي اتيتك من العلم والسنة والكتاب افضل من شان اصحاب الكهف والرقيم

على ما ذكره السلف فان قصة اصحاب الكهف هي من ايات الله فان مكثهم
نياما لا يموتون ثلاث مائة سنة اية دالة على قدرة الله ومشيئته وانه يخلق
ما يشاء ليس كما تقوله اهل الالحاد وهي اية على معاد الابدان كما قال تعالى
وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها
وكان الناس قد تنازعوا في ان وعد الله حق زمانهم هل تعاد الارواح
دون الابدان ام الارواح والابدان فجعل الله امرهم اية لمعاد الابدان واخبار
النبي صلى الله عليه وسلم بقصتهم من غير ان يعلمه بشر اية على نبوته فكانت
قصتهم اية على اصول الايمان الثلثة الايمان بالله واليوم الاخر والايمان برسله
ومع هذا فليست من ايات الله بعجب بل من ايات الله ما هو اعجب من ذلك
وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن هذه الايات التي كانوا يسالونه عنها ليعلموا
هل هو نبي صادق ام كاذب فقال تعالى ويسالونك عن ذي القرنين لقد كان في
يوسف واخوته ايات للسائلين الى قوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما
كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون الى قوله وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
الى قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا
افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي
الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى لما ذكر قصة اهل الكهف التي سالوه عنها
ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا اي يسالونك عن ذا ويسالونك



عن هذا والقران مملوء من اخبار عن الغيب الماضي الذي لا يعلمه احد من البشر
الا من جهة الانبيا الذين اخبرهم الله بذلك ليس هو الذي يزعمه ملاحدة
المتفلسفة فان هذه الامور المعينة المفصلة لا يوجد خبرها قط الا عن
نبي كموسى ومحمد وليس لاحد ممن يدعي المكاشفات لا من اولياء الله ولا من غير اولياء الله
خبر بشي من ذلك ولهذا كان هذا من اعلام الانبياء خصائصهم التي لا يشركهم
فيها غيرهم واهل الملل متفقون على ما دل عليه العقل الصريح ان هذا لا يعلمه
الا نبي فاذا كان محمد قد اخبر من ذلك بما اخبر به موسى وعيسى من الانبيا
واخبر بما يعلمونه مما لا يعلمه احد الا بالتعلم منهم وقد عرف ان محمدا لم يتعلم هذا من
بشر كان هذا اية وبرهانا قاطعا على نبوته لمن علم بان محمدا لم يتعلم هذا من
بشر يحصل في نبوته اما قومه المباشرون له الخبيرون بحاله وكانوا يعلمون انه
لم يتعلم هذا من بشر فقامت عليهم الحجة بذلك واما من لم يعرف حاله الا بالسماع
فيعلم ذلك بطرق منها تواتر اخباره وكيف كان من حين ولد الى ان مات كما
هي مستفيضة مشهورة متواترة يعلمها من له خبرة بذلك اعظم مما يعلم به حال
موسى وعيسى فان محمدا اظهر امرا واشرف اخبارا وتواتر احواله اعظم
من جميع بني ادم فانه بقي ما دون هذا من احواله يخفى على الناس فكيف مثل
هذا ومنها انه اخبر في القران بما لا يوجد عند اهل الكتاب مثل قصة هود
وصالح وشعيب وبعض التفاصيل في قصة ابرهيم وموسى وعيسى مثل تكليم المسيح
في المهد ومثل نزول المائدة فان هذا لا يعرفه اهل الكتاب ومثل ايمان امراة
فرعون وغير ذلك فيمتنع ان يقال ان هذا تعلمه من اهل الكتاب وقومه لم
يكونوا يعلمون ذلك بل ديارهم وغيرهم اثار المكذبين الذين عاقبهم الله لما كذبوا
الرسل كقوم عاد وثمود وغيرهم فيستدل الناس بالاثار الموجودة على صدق

الرسل وعقوبة الله لمن يكذبهم ويستدل قومه وعيش على صدقه فيما اخبر به
من هذه الامور التي لم يعلمها من اهل الكتاب يصدقون اهل الكتاب له فيما وافقهم
فيه مع علمهم انه لم يتعلم ذلك منهم ويكون هذا مما دل على انه لم يتعلم من اهل الكتاب
شيا كما قد نطقه بعضهم وذلك من الوجهين كما تقدم ومنها ان اكثر قومه كانوا
من اعظم الناس عداوة له وحرصا على تكذيبه والطعن فيه وتحليلها به يقدحون
فيه فلو كان قد تعلم هذه الاخبار من بشر لكانوا يعلمون ذلك ويقدحون به فيه
ويظهرونه ولكان هذا مما يظهر اعظم مما ظهر غيره فلما لم يقع ذلك دل على انهم
لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه مع علمهم بحاله وحرصهم في
القدح به ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور فلما كان داعيهم تاما
ولم يقدحوا علم ان ذلك لعجزهم وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله دليل على انهم علموا
انه لم يتعلمه من بشر ومنها ان يقال مثل هذا الوقع لكان من اعظم ما يوفر الهمم
والدواعي على نقله لو كان المتبعون له المؤمنون به اذا اطلعوا على ذلك فلابد
ان يشيعوه ويعلنوه فكيف المخالفون له المكذبون له فان القوم المتفقين على الدين
سواطو كما لا يجتمعون على تعمد الكذب فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك بل يجتهد
الملوك والروسا في احفاء ما يظهرونه من امر ملكهم الذي يتوا عليه ويحلفون اولياهم
على كتمان ذلك ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك ثم يظهر ذلك كما فعل
القرامطة الباطنية من اهل البحرين وبني عبيد الله بن ميمون القداح وكما قد عرف
للناس ان النصيرية لهم خطاب يسرونه الى اولياهم وان لم يعلم اكثر الناس ما
في ذلك الخطاب الذي يسرونه لا سيما والذين امنوا به واتبعوه اولا من المهاجرين
كانوا مومنين به باطنا وظاهرا هجروا لاجله الاوطان والاهل والمال
وصبروا على انواع المكاره والاذى وطايفة كبيرة ذهبت الى الحبشة مهاجرين



مدتها لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه وطايفة كانوا بمكة يعذبون
هذا يقتل وهذا يخرج به الى بطحا مكة في الحر ويوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر وهذا
يمنع رزقه ويترك جايعا عريانا ثم انهم هجروا احب البلاد اليهم وافضلها عندهم
مكة ام القرى الى المدينة كانوا فيها محتاجين الى اهلها وتركوا اموالهم بمكة كما قال
تعالى للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من
الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اوليك هم الصادقون وقال تعالى
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سياتهم ولادخلنهم جنات تجري
من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب وقوله يخرجون
الرسول واياكم وجميع المهاجرين والانصار امنوا به طوعا واختيارا قبل ان يومر
احد بقتال فانه مكث بمكة بضع عشرة سنة لا يقاتل احدا ولم يومر بقتال بل كان لا
يكره احدا على الدين كما قال تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
وكانوا خلقا كثيرا ويعلمون ان الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصا قد جا بدين لا يوافقه عليه
احد وطلب منهم ان يومنوا به ويتبعوه ويفارقوا دين ابايهم ويصبروا على عداوة
الناس لهم واذاهم والهجر والاجلة ما تحب النفوس فيه من الاهل والمال
والوطن وهو مع ذلك لم يعط احدا منهم مالا ولا كان له مال يعطيهم اياه ولا
ولى احدا ولاية ولم يكن عنده ولاية يوليهم اياها ولا اكره احدا ولا ابرز صه في
جلده فضلا عن سوط او عصا او سيف وهو مع ذلك يقول عما اخبرهم به من
الغيب ان الله اخبرني به لم يخبرني به بشر فلو كانوا مع ذلك يعلمون انه يعلمه
من بشر لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض ويشيع في جبلة بني ادم وفطرهم ان يعلموا
انه كاذب وانه قد تعلم هذا من بشر وليس فيهم من يخبر بذلك مع انهم كانوا

كثيرين لا يمكن تواطيهم على الكذب والكتمان بل ولا داعي لهم يدعوهم الى ذلك ولمنع
ان لا يعلموا ذلك وهم بطانته المطلعون على احواله وهم يسمعون كلام اعدايه
المطلعين على حاله والقران كان ينزل شيا فشيا لم ينزل جملة بل كانوا يسالونه
عن الشي بعد الشي من الغيب بين الذين امنوا به وما طوي ولطلعوا على اسرار وهو
لا يعلم شيا من كان بمكة ذلك تمرين خبرهم به وهم مطلعون على امره خبرا بعد خبر
وسوالا بعد سوال وهذا كان بمكة وليس بها احد من علما اهل الكتاب لا اليهود
ولا النصارى لم هاجر الى المدينة وبها خلق كثير من اليهود قينقاع والنضير وقريظة
ولعلهم كانوا بقدر نصف اهلها او اقل او اكثر وهم ايضا يسالونه عن الغيوب
التي لا يعلمها الا نبي فيخبرهم بها ويتلوا عليهم ما يسالونه عنه المشركون من الغيب وما
اخبرهم به ويتلوا عليهم هذا الغيب الذي اوحاه اليه ويبين ان الله اعلمه ذلك
لم يعلمه اياه بشر فامن به طايفة من اهل الكتاب وكفرت به طايفة اخرى
والطايفتان ليس فيهم من يقول ان هذا تعلمه منا او من اخواننا او نظرايانا ولا انه
قراه في كتبنا مع انه لو كان قد تعلم ذلك منهم لكان يسوخه منهم وشيوخهم اذا
علموا انه كاذب تعلمه منهم يمتنع ان يصدقوه باطنا وظاهرا بل تصديقهم الكتاب
الاول وعلمهم بكذب من ادعا نزول كتاب ثان وقد يعلم منهم يدعوهم الى
ان يبينوا امره ويظهروا كذبه ويقولوا للناس تعلم منا ونحن اخبرناه بذلك لا سيما
مع ما فعله باليهود من القتل والحصار والجلا والسبي وغير ذلك وهذا لو وقع
لكان من اعظم ما توفرت الهمم والدواعي على نقله نقله الموافق والمخالف فلما لم ينقل
ذلك احد ولم ينقله احد مع ما ظهر من الاخبار المتواترة التي علمها الخاص
والعام بان هذا انما انباني الله لم يخبرني به بشر كان هذا دليلا قاطعا بينا على
ان هذه الاخبار الغيبية التي لا يعلمها الا نبي اعلمه الله بها او من يعلمها من نبي



كما انباه الله به ولم يعلمه ذلك بشر وهذا من الغيب الذي قال الله فيه في السورة
التي فيها استماع الجن للقران وانذار قومهم به حيث قال قل اوحي الي انه استمع نفر من
الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا
وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا الى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد
ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان
له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شي عددا فقوله
تعالى فلا يظهر على غيبه بين انه غيب يضاف الله يختص به لا يعلمه احد الا من
جهته بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم فان هذا قد يعلمه بعضهم
من بعض ثم ما سالوا عنه اهل الكتاب في المدينة وهي غير المسايل التي كان
يسال عنها وهو بمكة كما كان مشركوا قريش يرسلون الى اليهود بالمدينة يسالونهم
عن محمد ويرسلون اليهود اليهم بمسايل يمتحنونه بها سوته وذلك مثلما في صحيح البخاري
عن انس قال جا عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه
المدينة فقال اني سايلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما
اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى امه والى ابيه قال اخبرني جبريل انفا
قال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملايكة اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت

واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد الى ابيه واذا سبق ماء
المراة ماء الرجل نزع الولد الى امه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك
رسول الله قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان
تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل
عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا قال
ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه
قال فهذا ما كنت اخاف واحذر وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان قال كنت قائما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فقال السلام
عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني قال قلت الا تقول
يا رسول الله قال انما نسميه باسمه الذي سماه به اهله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اسمي الذي سماني به اهلي محمد فقال اليهودي جئت اسالك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعك شيء ان حدثتك قال اسمع باذني
فنكت بعود معه فقال له سل فقال اليهودي اين الناس يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلمة دون الجسر
قال فمن اول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين
يدخلون قال زيادة كبد النون قال وما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي
كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال
صدقت قال وجئت اسالك عن شيء لا يعلمه احد من اهل الارض الا نبي او رجل
او رجلان قال ينفعك ان حدثتك قال اسمع باذني قال جئت اسالك عن الولد قال
ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المراة اذكرا



باذن الله واذا علا مني المراة مني الرجل انثا باذن الله فقال اليهودي صدقت وانك
لنبي ثم انصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سالني هذا الذي سالني عنه
وما اعلم شيئا منه حتى اتاني به الله تعالى وروى ابو داود الطيالسي حدثنا عبد
الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال حضرت عصابة من اليهود يوما
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله حدثنا عن خلال نسالك عنها لا يعلمها
الا نبي فقال سلوني عم شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما اخذ يعقوب على بنيه
ان انا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقا لتتابعني على الاسلام قالوا لك ذلك
قال فسلوني عم شئتم قالوا اخبرنا عن اربع خلال اخبرنا عن الطعام الذي
حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة واخبرنا عن ماء الرجل كيف
يكون الذكر منه حتى يكون ذكرا وكيف يكون الانثى حتى يكون انثى واخبرنا
كيف هذا النبي في النوم ومن وليك من الملائكة قال فعليكم عهد الله وميثاقه
لئن انا حدثتكم لتتابعوني فاعطوه ما شاء من عهد وميثاق قال انشدكم بالله
الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا
شديدا طال سقمه فيه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن احب الشراب
اليه واحب الطعام اليه وكان احب الشراب اليه البان الابل واحب الطعام
اليه لحوم الابل قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اشهد عليهم قال فانشدكم بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على
موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ ابيض وان ماء المراة رقيق اصفر فايهما
علا كان الولد والشبه له باذن الله قالوا اللهم نعم فقال اللهم اشهد قال
انشدكم بالله الذي لا اله الا هو وانزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا
النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قالوا اللهم اشهد قالوا انت الان حدثنا

من ولتك من الملايكة نعندها نجامعك او نفارقك قال ولي جبريل عليه السلام
ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان غيره لاتبعناك
وصدقناك قال فما منعكم ان تصدقوه قالوا انه عدونا من الملايكة فانزل الله عز
وجل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا الى قوله
فان الله عدو للكافرين ففي هذه الاحاديث ان علما اليهود كعبد الله بن سلام
وغيره كانوا يسالونه عن مسايل يقولون فيها لا يعلمها الا نبي اي ومن تعلمها من الانبيا
فان السايلين كانوا يعلمونها كما جا ايضا لا يعلمها الا نبي او رجل او رجلان
وكانوا يمتحنونه بهذه المسايل ليتبين هل يعلمها واذا كان يعلمها تعلمه الا
نبي كان نبيا ومعلوم ان مقصودهم بذلك انهم اذا علموا انه لم يتعلم هذه المسايل
من اهل الكتاب ومن تعلم منهم والا فمعلوم ان هذه المسايل كان يعلمها بعض
الناس لكن تعلمها هاولا من الانبيا وهذا يبين ان هاولا السايلين له من اهل
الكتاب كانوا يعلمون ان احدا من البشر لم يعلمه ما عند اهل الكتاب من
العلم اذ لو جوزوا ذلك عليه لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي ام لا
فانهم اذا جوزوا ان يكون يعلم ما لا يعلمه الا نبي من اهل الكتاب كان من جنسهم
فلم يكن في علمه بها واجابتهم عنها دليل على نبوته فلا بد ان يكون هاولا السايلون
يقطعون بانه لم يتعلم من اهل الكتاب وهذا كان بالمدينة بعد ان اقام بمكة
بضع عشرة سنة وانتشر امره وكذبه قومه وحرصوا على ابطال دعوته
بكل طريق يقدرون عليه فلو كان بمكة او بالمدينة احد من اهل الكتاب هاولا
يتعلم منه او لقي احدا من اهل الكتاب في طريق فتعلم منه لكان ذلك يقدح في مقصود
السايلين فتبين انه كان معلوما عند اهل الكتاب انه لم يتعلم شيا من الغيب
من البشر لا سيما ولو كان قد تعلمه من اهل الكتاب وبعد كذبهم وحاربهم لاظهروا ذلك

والشايع



والشايع في اهل الكتاب وكان اذا اجابهم قالوا هذا تعلمته من فلان وفلان منا
او هذا علمك بعض اهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون الى قومه من قريش للسايل
عن مسايل ويقولون ان اخبركم بهن فهو نبي مرسل والا فهو متقول ويقولون
سلوه عن مسايل لا يعلمها الا نبي فهذا من اهل المدينة ومن قريش قومه فتبين
ان قومه المشركين واهل الكتاب كانوا متفقين على انه لم يتعلم شيا من ذلك
من البشر اذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ولم يجز ان يقولوا لا يعلمها
الا نبي فانهم كانوا جميعا يعلمون ان من اهل الكتاب لمن يعلم هذه المسايل وبذلك
يعرف هل يجيب فيها بما قالته الانبيا او بخلاف ذلك ويعلمون ان من كان
يعلمها من اهل الكتاب ومن تعلم منهم لا يدل جوابه عنها على نبوته كما لو اجاب عن تلك
المسايل بعض اهل الكتاب وكما لو سال في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين
عن تلك المسايل او غيرها من انبا الغيب التي لا يعلمها الا نبي فان ذلك لا يدل على
نبوته لانه قد تعلم ذلك من الانبيا فدل على ان مرادهم بقولهم لا يعلمها الا نبي اي
لا يعلمها ابتدا دون ان يتعلم من البشر الا نبي ويدل على ان المشركين واهل الكتاب
كانوا جميعا متفقين على انه لم يتعلم من بشر مع انتشار اخباره ومع اطلاع قومه
على اسراره ومع ظهور ذلك لو وجد ومع انهم لو جوزوا التجويز ان يكون قد
تعلمها من بشر في الباطن لم يجز ان يستدل بها على نبوته فدل على انهم كانوا قاطعين
بانه لم يتعلم ذلك من بشر لا في الباطن ولا في الظاهر وهذا طريق مستقل يدل على
انه لم يتعلم ذلك من بشر سوى الطرق المذكورة هناك

بلغ

فصل ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى
جميع الثقلين جنهم وانسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الانبيا لا نبي بعده كان من نعمة
الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه ان يكون ايات نبوته وبراهين رسالته

معلومة لكل الخلق الذين بعث اليهم وقد يكون عندها ولا من الآيات والبراهين
على نبوته ما ليس عندها ولا وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والافقية
ما يبين به ان القرآن حق كما قال تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به
من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه
الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اخبر سبحانه انه سيري عباده الآيات
في انفسهم وفي الآفاق حتى يتبين لهم ان القرآن حق فان الضمير عايد اليه اذ هو الذي
تقدم ذكره كما قال قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو
في شقاق بعيد والضمير في عايد الى معلوم بقول ارايتم ان كان القرآن من عند
الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد فانه على هذا التقدير يكون
في شقاق بعيد قد شاق الله ورسوله ولا احد اضل ممن هو في مثل هذا
الشقاق حيث كان في شق والله ورسوله في شق كما قال تعالى قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم بين ان من تولى عن ذلك لم يكن متبعا
للحق قاصدا له فان هذا الذي يلتمس لا يتولى عنه من اهل الكتاب من قصد
الحق وانما يتولى عنه من قصده المشاقة والمعاداة لهوى نفسه وهذا امكفيك
الله امره والقرآن ان كان من عند الله ثم كفر به من كفر ولا احد اضل ممن هو
في مثل حاله اذ هو في شقاق بعيد وان قدر انه لم يعلم انه حق فهو ضال والشقاق
قد يكون مع العناد وقد يكون مع الجهل فان الآيات اذا ظهرت فاعرض عن النظر
الموجب للعلم كان مشاقا ولهذا قال عقب ذلك سنريهم آياتنا في الآفاق وفي

انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فاخبر انه سيري عباده من الآيات الافقية والنفسية
ما يبين انه حق ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فان شهادته وحده
كافية بدون ما ينظر من الآيات كما قال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب وشهادته للقرآن ولمحمد تكون باقواله التي انزلها قبل ذلك على
انبيائه كما قال تعالى عن اهل الكتاب ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
وتكون بافعاله وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين الدالة على صدق رسله فانه
صدقهم بها فيما اخبروا به عنه وشهد لهم بها بانهم صادقون والقرآن نفسه هو
قول الله وفيه شهادة الله بما اخبر به الرسول وانزاله على محمد واتيان محمد به
هو آية وبرهان وذلك من فعل الله اذ كان البشر لا يقدرون على مثله لا يقدر
عليه احد من الانبياء ولا الاولياء ولا السحرة ولا غيرهم كما قال تعالى قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ومحمد صلى الله عليه وسلم اخبر بهذا في اول الامر اذ كانت هذه
الآية في سورة سبحان وهي مكية صدرها بذكر الاسرا الذي كان بمكة باتفاق
الناس وقد اخبر خبرا وكده بالقسم عن جميع الثقلين انسهم وجنهم انهم اذا
اجتمعوا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله بل يعجزون عن ذلك
وهذا فيه آيات لنبوته منها اقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الانس والجن
الى يوم القيامة بانهم لا يفعلون هذا بل يعجزون عنه هذا لا يقدم عليه
من يطلب من الناس ان يصدقوه الا وهو واثق بان الامر كذلك اذ لو كان
عنده شك في ذلك لجوز ان يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده
وهذا لا يقدم عليه عاقل مع اتفاق الامم المؤمن بمحمد والكافر به على كمال
عقله ومعرفته وخبرته اذ ساس العالم سياسة لم يسسهم احد مثلها جعله

هذا في القران المتلو المحفوظ الى يوم القيمة الذي يقرا به في الصلوات ويسمعه
العام والخاص والولي والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر والا لو
كان شاكا في ذلك لخاف ان يظهر كذبه عند خلق كثير بل عند اكثر من اتبعه
ومن عاداه وهذا لا يفعله من يقصد ان يصدقه الناس فمن يقصد ان يصدقه
الناس لا يقول مثل هذا ويظهر هذا الاظهار ويشيعه هذه الاشاعة
ويخلده هذا التخليد الا وهو جازم عند نفسه بصدقه ولا يتصور ان يشر الجزم
بهذا الخبر الا ان يعلم ان هذا مما يعجز عنه الخلق اذ علم العالم بعجز جميع الانس
والجن الى يوم القيمة هو من اعظم دلايل كونه معجزا وكونه اية على نبوته فهذا
من دلايل نبوته في اول الامر عند من سمع هذا الكلام وعلم انه من القران
الذي امر بابلاغه الى جميع الخلق وهو وحده كاف في العلم بان القران معجز دع
ما سوى ذلك من الدلايل الكثيرة على انه معجز مثل عجز جميع الامم عن معارضته
مع كمال الرغبة والحرص على معارضته وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم
عدم القدرة فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة وانتفت المعارضة
علم عجز جميع الامم عن معارضته وهذا برهان ثان يعلم به صدق هذا الخبر
وصدق هذا الخبر اية لنبوته غير العلم بان القران معجز فان ذلك اية مستقلة
لنبوته وهي اية ظاهرة باقية الى اخر الدهر معلومة لكل احد وهي من اعظم الايات
فان كونه معجزا يعلم بادلة متعددة والاعجاز فيه وجوه متعددة فتنوعت دلايل
اعجازه وتنوعت وجوه اعجازه وكل وجه من الوجوه هو دال على اعجازه وهذه
جمل لبسطها تفصيل طويل ولهذا قال تعالى وقالوا لولا انزل عليه اية من
انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يومنون فهو كاف في الدعوة والبيان



وهو كاف في الحجة والبرهان فصل والايات والبراهين
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي اكثر واعظم من ايات
غيره من الانبيا ويسميها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلايل النبوة
واعلام النبوة وهذه الالفاظ اذا سميت بها ايات الانبيا كانت ادل على المقصود
من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة
وانما فيه لفظ الاية والبينة والبرهان كما قال تعالى في قصة موسى فذانك
برهانان من ربك في العصا واليد وقال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس قد جاكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا وقال في مطالبة
اهل الدعاوي الكاذبة بالبرهان وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقال امن
يبدو الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السما والارض اله مع الله قل هاتوا برها نكم
ان كنتم صادقين وقال ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما
حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقال ويوم يناديهم فيقول
اين شركاي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون واما لفظ الايات
فكثير في القران كقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاتهم اية قالوا لن نومن
حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات وقال وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير
سو اية اخرى وقول فرعون لموسى فات باية ان كنت من الصادقين وقال
قوم صالح له فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب

يوم معلوم وقال هذه ناقة الله لكم اية وقال المسيح قد جئتكم باية من ربكم
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في
ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين وقال في حق محمد وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
وقال اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
وقال ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان
يروا كل اية لا يومنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا
اساطير الاولين وقال تعالى وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه قل انما الايات
عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك
لرحمة وذكرى لقوم يومنون وقال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين
لهم انه الحق وقال قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يويد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار وقال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وقال
تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يومنون وقال لما ذكر قصص الانبياء في سورة الشعراء قال في اخر كل قصة ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقال
لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين الى ان قال في اخرها ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون الى قوله
وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال وعدكم



الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية
للمومنين وقال وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين واما
لفظ المعجز فانما يدل على انه اعجز غيره كما قال تعالى وما هم بمعجزين وقال وما انتم
بمعجزين في الارض ولا في السماء ومن لا يثبت فعلا الا لله يقول المعجز هو الله وانما
يسمى غيره معجزا مجازا وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك اية ودليلا الا اذا
فسر المراد به وذكر شرائطه ولهذا كان كثير من اهل الكلام لا يسمي معجزا
الا ما كان للانبياء فقط وما كان للاولياء ان اثبتوا لهم خرق عادة سموها كرامة والسلف
كاحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات
اذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الانبياء بذلك بخلاف ما كان اية وبرهانا
على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات ايات لكونها
تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون
ثبوت المدلول وكذلك ما كان اية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة
النبي يمتنع ان يكون لغير النبي وبسط هذا له موضع اخر والمقصود هنا ان
دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة كما قد تكلمنا على ذلك
في غير هذا الكتاب وبينا ان من يخص دلائل النبوة بنوع فقد غلط بل هي
انواع كثيرة لكن الايات نوعان منها ما مضى وصار معلوما بالخبر كمعجزات
موسى وعيسى ومنها ما هو باق الى اليوم كالقران الذي هو من اعلام نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وكالعلم والايمان الذي في اتباعه فانه من اعلام نبوته
وشريعته التي اتى بها فانها ايضا من اعلام نبوته وكالايات التي يظهرها الله
وقتا بعد وقت من كرامات الصالحين من امته ووقوع ما اخبر به بوقوعه
كقوله لا تقوم حتى تقاتلوا الترك وقوله لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض

الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين
وستمايه وشاهد الناس اعناق الابل ببصرى وظهور دينه وملته بالحجه والبرهان
واليد والسنان ومثل المثلات والعقوبات التي يحلها باعدايه وغير ذلك وكبعثه
الموجود في كتب الانبيا قبله وغير ذلك والقران كلام الله وفيه الدعوه والحجه
فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح انه قال ما من نبي من الانبيا الا
وقد اوتي من الايات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه
الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمه والقران يظهر كونه اية وبرهانا
له من وجوه جملة وتفصيلا اما الجملة فانه قد علمت الخاصه والعامه من عامه
الامم علما متواترا انه هو الذي اتى بهذا القران وتواترت بذلك الاخبار اعظم من
تواترها بخبر كل احد من الانبيا والملوك والفلاسفه وغيرهم والقران نفسه فيه
تحدي الامم بالمعارضه والتحدي هو ان يحدوهم اي يدعوهم فيبعثهم الى ان يعارضوه
فيقال فيه حداني على هذا الامر اي بعثني عليه ومنه سمي حادي العيس لانه بحداه
يبعثها على السير وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوه ولكن اصله
الاول قال تعالى في سورة الطور ام يقولون تقوله بل لا يومنون فلياتوا بحديث
مثله ان كانوا صادقين فهنا قال فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
في انه تقوله فانه اذا كان محمد قادر على ان يتقوله كما يقدر الانسان على ان
يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه
فامكن الناس ان ياتوا بمثله ثم انه تحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى ام يقولون
افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين ثم تحداهم بسوره واحده منه فقال تعالى وما
كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه



[illegible]

وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا
بسوره مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فطلب منهم ان ياتوا
بعشر سور مثله مفتريات هم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسوره واحده
هم ومن استطاعوا فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انه لا اله الا الله وهذا اصل دعوته قال
وهو الشهاده بانه لا اله الا الله والشهاده بان محمدا رسول الله وقال تعالى فان
لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وقال تعالى كما قال لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكه يشهدون اي هو يعلم انه منزل لا يعلم انه مفترى
كما قال وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله اي ما كان لان يفترى يقول
ما كان ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله بل نفى احتمال فعله واخبر بان مثل هذا
لا يقع بل يمتنع وقوعه فيكون المعنى ما يمكن ولا يحتمل ولا يجوز ان يفترى هذا القران
من دون الله فان الذي يفتريه من دون الله مخلوق والمخلوق لا يقدر على ذلك
وهذا التحدي كان بمكه فان هذه السور مكيه سورة يونس وهود والطور
ثم اعاد التحدي في المدينه بعد الهجره فقال في البقره وهي سوره مدنيه وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسوره من مثله وادعوا شهداكم من
دون الله ان كنتم صادقين ثم قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجاره فذكر امرين احدهما قوله فان لم تفعلوا فاتقوا النار يقول اذا
لم تفعلوا فقد علمتم انه حق فخافوا الله ان تكذبوه فيحيق بكم العذاب الذي وعده
المكذبين وهذا دعا الى سبيل ربه بالموعظه الحسنه بعد ان دعاهم بالحكمه وهو
جدالهم بالتي هي احسن والثاني قوله ولن تفعلوا ولن لنفي المستقبل فثبت
الخبر انهم فيما يستقبل من الزمان لا ياتون بسوره من مثله كما اخبر قبل ذلك وامر
ان يقول في سورة سبحان وهي سوره مكيه افتتحها بذكر الاسرا وهو كان بمكه بنص

القران والخبر المتواتر وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكه ما بين ذلك بقوله قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا فعم بالخبر جميع الخلق معجزا لهم قاطعا بانهم اذا اجتمعوا كلهم لا
ياتون بمثل هذا القران ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك وهذا التحدي والدعا
هو لجميع الخلق وهذا قد سمعه كل من سمع القران وعرفه الخاص والعام وعلم
مع ذلك انهم لم يعارضوه ولا اتوا بسورة مثله ومن حين بعث والى اليوم الامر
على ذلك مع ما علم من ان الخلق كلهم كانوا كفارا قبل ان بعث ولما بعث انما اتبعه قليل
وكان الكفار من احرص الناس على ابطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن تارة
يذهبون الى اهل الكتاب فيسالونهم عن امور من الغيب حتى يسالوه عنها كما
سالوه عن قصة يوسف واهل الكهف وذي القرنين كما تقدم وتارة يجتمعون في
مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه وصاروا يضربون له الامثال فيشبهونه بمن ليس
مثله لمجرد شبه ما مع ظهور الفرق فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر
وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر الى امثال ذلك من الاقوال التي يعلمون
هم وكل عاقل سمعها انها افترا عليه فاذا كان قد تحداهم بالمعارضه مرة بعد
مرة وهي تبطل دعوته فمعلوم انهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها فانه مع
وجود هذا الداعي التام المؤكد اذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور
ثم هكذا القول في سائر اهل الارض فهذا القدر يوجب علما بينا لكل احد
بعجز جميع اهل الارض عن ان ياتوا بمثل هذا القران بحيلته وبغير حيلته وهذا
ابلغ من الايات التي يكرر جنسها كاحيا الموتى فان هذا لم يات احد بنظيره وكون القران التي
انه معجز ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط او نظمه واسلوبه فقط ولا
من جهة اخباره بالغيب فقط ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته

فقط ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط بل هو اية بينة معجزة من وجوه
متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على
المعنى ومن جهة معانيه التي امر بها ومعانيه التي اخبر بها عن الله تعالى واسمايه
وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التي اخبر بها عن الغيب الماضي
وعن الغيب المستقبل ومن جهة ما اخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من
الدلايل اليقينيه والاقيسة العقليه التي هي الامثال المضروبه كما قال تعالى
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا وقال
ولقد صرفنا في القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شي جدلا وقال
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي
عوج لعلهم يتقون وكل ما ذكره الناس من الوجوه في اعجاز القران هو حجة على
اعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ومن اضعف الاقوال
قول من يقول من اهل الكلام انه معجز بصرف الدواعي عن تمام الموجب لها
او بسلب القدرة اللازمة او بسلب القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما مثل قوله
لزكريا ايتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا وهو ان الله صرف قلوب الامم عن
معارضته مع قيام المقتضي التام فان هذا يقال على سبيل التقدير والتنزل وهو
انه اذا قدر ان هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله فامتناعهم جميعهم
عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة الى المعارضة من ابلغ الايات الخارقة
للعادات بمنزلة من يقول اني اخذ اموال جميع اهل هذا البلد العظيم واضربهم
جميعهم واجوعهم وهم قادرون على ان يشكوا الى الله او الى ولي الامر وليس فيهم مع
ذلك من يشتكي فهذا من ابلغ العجايب الخارقة للعادة ولو قدر ان واحدا صنف كتابا
يقدر امثاله على تصنيف مثله او قال شعرا يقدر امثاله على ان يقولوا مثله وتحداهم

كلهم فقال عارضوني وان لم تعارضوني فانتم تعلمون اني صادق وانكم الى النار ودماكم لي حلال
امتنع في العادة ان لا يعارضه احد فاذا لم يعارض كان هذا من ابلغ العجايب
الخارقة للعادة والذي جا بالقران قال للخلق كلهم انا رسول الله اليكم جميعكم ومن
امن بي دخل الجنة ومن لم يومن بي دخل النار وقد ابيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم
وغنيمة اموالهم ووجب عليهم كلهم طاعتي ومن لم يطعني كان من اشقى الخلق ومن
اياتي هذا القران فانه لا يقدر احد على ان ياتي بمثله وانا اخبركم ان احدا لا ياتي بمثله
فيقال لا يخلو اما ان يكون الناس قادرين على المعارضة او عاجزين فان
كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها ان تريد معارضته
مع هذا التحدي العظيم او سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه فان سلب القدرة
المعتادة ان يقول رجل معجزتي انكم كلكم لا تقدرون احد منكم على الكلام ولا على
الاكل والشرب فان المنع من المعتاد كاحداث غير المعتاد فهذا من ابلغ الخوارق
وان كانوا عاجزين ثبت انه خارق للعادة فثبت كونه خارقا على تقدير النقيضين
النفي والاثبات فثبت انه من العجايب الناقضة للعادة في نفس الامر فهذا غاية
التنزل والا فالصواب المقطوع به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون
على ذلك ولا يقدر محمد نفسه من تلقا نفسه على ان يبدل سورة من القران بل يظهر
الفرق بين القران وبين سائر كلامه لكل من له ادنى تدبر كما قد اخبر الله به
في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا وايضا فالناس يجدون دواعيهم الى المعارضة حاصلة لكنهم
يحسون من انفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه وقد انتدب
غير واحد لمعارضته لكن جا بكلام فضح به نفسه وظهر به تحقيق ما اخبر به القران
من عجز الخلق عن الاتيان بمثله مثل قران مسيلمة الكذاب كقوله يا ضفدع بنت ضفدعين

في التعليم

نقي كم تنقين لا الما تكدرين ولا الشارب تمنعين راسك في الما وذنبك في
الطين ولذلك ايضا نعرف انه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه
فلا يجدون انفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه كما وجد زكريا عجزه عن الكلام
بعد قدرته عليه وايضا فلا نزاع بين العقلا المومنين بمحمد والمكذبين له انه كان
قصده ان يصدقه الناس لا يكذبوه وكان مع ذلك من اعقل الناس واخبرهم واعرفهم
بما يقال مقصوده سوا قيل انه صادق او كاذب فان من دعى الناس الى مثل هذا
الامر العظيم ولم يزل اصحابه الى ان طوعا وكرها وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا
الانتشار هو من عظما الرجال على اي حال كان فاقدامه مع هذا القصد في اول
الامر وهو بمكة واتباعه قليل على ان يقول خبرا يقطع به انه لو اجتمع الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله لا في ذلك العصر ولا في سائر الاعصار
المتاخرة لا يكون الا مع جزمه بذلك وتيقنه له والا مع الشك والظن لا يقول
ذلك من يخاف ان يظهر كذبه فيفتضح ويرجع الناس عن تصديقه واذا كان جازما
بذلك متيقنا لم يكن ذلك الا عن اعلام الله له بذلك وليس في العلوم المعتادة
ان يعلم الانسان ان جميع الخلق لا يقدرون ان ياتوا بمثل كلامه الا اذا علم العالم
انه خارج عن قدرة البشر والعلم بهذا يستلزم كونه معجزا فانا نعلم ذلك وان لم يكن
علمنا بذلك خارقا للعادة ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم والا كان العلم جهلا فثبت
انه على كل تقدير يستلزم كونه خارقا للعادة ولهذا التفصيل فيقال نفس
نظم القران واسلوبه عجيب بديع ليس من جنس اساليب الكلام المعروفة ولم ياتِ
احد بنظير هذا الاسلوب ~~وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر~~
ونفس فصاحة القران وبلاغته هذا عجيب خارقا للعادة ليس له نظير في كلام
جميع الخلق ونفس ما اخبر به القران في باب توحيد الله واسمايه وصفاته امر

وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر

عجيب خارق للعادة لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر لا نبي ولا غير نبي وكذلك ما
اخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم وغير ذلك ونفس ما امر
به القرآن من الدين والشرائع كذلك ونفس ما اخبر به من الامثال وبينه من الدلائل
هو ايضا كذلك ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الالهية والخلقية والسياسية
وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الالهية التوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء وجد
بين ذلك وبين القرآن من التفاوت اعظم مما بين لفظه ونظمه وسائر الفاظ العرب
ونظمهم فالاعجاز في معناه اعظم واكثر من الاعجاز في لفظه وجميع عقلاء الامم
عاجزون عن الاتيان بمثل معانيه اعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه وما في
التوراة والانجيل لو قدر انه مثل القرآن لا يقدح في المقصود فان تلك كتب الله ايضا
ولا يمتنع ان ياتي نبي بنظير ما اتى به نبي كما اتى المسيح باحياء الموتى وقد وقع احياء الموتى على
يد غيره فكيف وليس ما في التوراة والانجيل مماثلا لمعاني القرآن لا في الحقيقة
ولا في الكيفية ولا الكمية بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب
وهذه الامور من ظهرت له من اهل العلم والمعرفة ظهر له اعجازه من هذا الوجه
ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالامر الظاهر الذي يظهر له ولامثاله كعجز جميع الخلق
عن الاتيان بمثله مع تحدي النبي واخباره بعجزهم فان هذا امر ظاهر لكل احد
ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية فيها الظاهر البين لكل احد كالحوادث
المشهودة مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وانزال المطر وغير ذلك وفيها
ما يختص به من عرفه مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك
فان الخلق كلهم محتاجون الى الاقرار بالخالق والاقرار برسله وما اشتدت
الحاجة اليه في الدين والدنيا فان الله يجود به على عباده جودا اعم مما تيسر
فلما كانت حاجتهم الى النفس اكثر من حاجتهم الى الماء وحاجتهم الى الماء اكثر من حاجتهم الى



الاكل كان سبحانه قد جاد بما هو اجود جودا عاما في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان
اليه ثم الماء دونه ولكنه يوجد اكثر مما يوجد القوت وايسر لان الحاجة اليه اشد وكذلك
دلائل الربوبية حاجة الخلق اليها في دينهم اشد الحاجات ثم دلائل النبوة فلهذا
يسرها الله وسهلها اكثر مما لا يحتاج اليه العامة مثل تماثل الاجسام واختلافها
وبقاء الاعراض او فناؤها وثبوت الجوهر الفرد او انتفائه ونحو ذلك من المسائل الدقيقة
ومسائل الحج وشبهها ونحو ذلك مما تكلم فيه بعض العلماء

صلى الله عليه وسلم

فصل وسيرة الرسول واخلاقه واقواله وافعاله من اياته
وشريعته من اياته وامته من اياته وعلم امته ودينهم من اياته وكرامات صالحي
امته من اياته وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد والى ان بعث ومن حين
بعث الى ان مات وتدبر نسبه وبلده واصله وفصله فانه كان من اشرف اهل
الارض نسبا من صميم سلالة ابراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب
فلم يات نبي بعد ابراهيم الا من ذريته وجعل له ابنين اسمعيل واسحق وذكر في التوراة
هذا وهذا وبشر في التوراة بما يكون من ولد اسمعيل ولم يكن في ولد اسمعيل من
ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره ودعا ابراهيم لذريته بان يبعث فيهم رسولا منهم ثم اسمعيل
من قريش صفوة بني ابراهيم ثم من بني هاشم صفوة قريش ومن مكة ام القرى قريش
وبلد البيت الذي بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم مذكورا
في كتب الانبياء باحسن وصف وكان من اكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفا
بالصدق والبر والعدل ومكارم الاخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف
مذموم مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن امن به وممن كفر بعد
النبوة لا يعرف له شيء يعاب به لا في اقواله ولا في افعاله ولا في اخلاقه ولا جرب
عليه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة وكان خلقه وصورته من احسن الصور واتمها واجمعها
للمحاسن الدالة على كماله وكان اميا من قوم اميين لا يعرف لا هو ولا هم

ما يعرفه اهل الكتاب التوراة والانجيل ولم يقرا شيا من علوم الناس ولا جالس اهلها
ولم يدع نبوة الى ان اكمل الله له اربعين سنة فاتا بامر هو اعجب الامور واعظمها
وبكلام لم يسمع الاولون والاخرون بنظيره واخبر بامر لم يكن في بلده وقومه
من يعرف مثله ثم اتبعه اتباع الانبيا وهم ضعفا الناس وكذبه اهل الرياسة وعادوه
وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالانبيا
واتباعهم والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا
جهات يوليهم اياها ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع اعدايه وقد
اذوا اتباعه بانواع الاذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط
قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة وكانت مكة يحجها العرب من عهد ابرهيم فيجتمع في الموسم
قبايل العرب فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب
المكذب وجفا الجافي واعراض المعرض الى ان اجتمع باهل يثرب وكانوا جيران اليهود
وقد سمعوا اخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا انه النبي المنتظر الذي يخبرهم به اليهود
وكانوا قد سمعوا من اخباره ما عرفوا به مكانته فان امره كان قد انتشر وظهر في
بضع عشرة سنة فامنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة اصحابه الى بلدهم وعلى الجهاد
معه فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة وبها المهاجرون والانصار ليس فيهم من امن
برغبة دنيوية ولا برهبة الا قليلا من الانصار اسلموا في الظاهر ثم حسن
اسلام بعضهم ثم اذن له في الجهاد ثم امر به ولم يزل قايما بامر الله على اكمل طريقة
واتمها من الصدق والعدل والوفا لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لاحد ولا غدر باحد
بل كان اصدق الناس واعدلهم واوفاهم بالعهد مع اختلاف الاحوال عليه
من حرب وسلم وامن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور
العدو عليه تارة وهو على ذلك لازم لاكمل الطرق واتمها حتى ظهرت الدعوة في



جميع ارض العرب التي كانت مملوة من عبادة الاوثان ومن اخبار الكهان وطاعة
المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدما المحرمة وقطيعة الارحام لا يعرفون اخرة
ولا معادا فصاروا اعلم اهل الارض وادينهم واعدلهم وافضلهم حتى ان النصارى لما
راوهم حين قدموا الشام قالوا ما كان الذين صحبوا المسيح بافضل من هولا وهذه
اثار علمهم وعملهم في الارض واثار غيرهم يعرف العقلا فرق ما بين الامرين وهو صلى الله
عليه وسلم مع ظهور امره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الانفس والاموال مات ولم
يخلف درهما ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا الا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة
عند يهودي على ثلثين وسقا من شعير ابتاعها لاهله وكان بيده عقار ينفق منه على
اهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فحكم بانه لا يورث ولا ياخذ ورثته شيا من
ذلك وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجايب الايات وفنون الكرامات
ما يطول وصفه ويخبرهم بما كان وما يكون ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ويشرع الشريعة شيا بعد شي حتى اكمل الله دينه
الذي بعث به وجات شريعته اكمل شريعة لم يبق معروف تعرف العقول انه معروف
الا امر به ولا منكر تعرف العقول انه منكر الا نهى عنه لم يامر بشي فقيل ليته لم يامر به
ولا نهى عن شي فقيل ليته لم ينه عنه واحل الطيبات لم يحرم شيا منها كما حرم في شرع
غيره وحرم الخبايث لم يحل منها شيا كما استحله غيره وجمع محاسن ما عليه الامم فلا
يذكر في التوراة والانجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن الملايكة وعن اليوم الاخر
الا وقد جا به على اكمل وجه واخبر باشيا ليست في الكتب فليس في الكتب ايجاب
لعدل وقضا بفصل وندب الى الفضايل وترغيب في الحسنات الا وقد جا به
وبما هو احسن منه واذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الامم
ظهر فضلها ورجحانها وكذلك في الحدود والاحكام وساير الشرايع وامته اكمل الامم

في كل فضيلة وإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم وإن قيس دينهم وعباداتهم
وطاعتهم لله بغيرهم وصبرهم على المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا
وإذا قيس سخاهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم وهذه
الفضايل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب
جاء هو بتكميل شريعته التوراة فكانت فضايل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة
وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين
وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا لما غيروا دين المسيح في دين المسيح
أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم
يكونوا قبله يقرؤون كتابا بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل
والزبور إلا من جهته فهو أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند
الله ونهاهم أن يفرقوا بين الرسل فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به قولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا
وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته
على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وأمته لا يستحلون أن يتخذوا شيئا من الدين
من غير ما جاء به ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولا يشرعون



الدين ما لم يأذن به الله لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به وما
حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه أمسكوا
عنه وما عرفوا أنه باطل كذبوه ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة
الهند والفرس أو اليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع وهذا
هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون
وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق وعليه جماعة المسلمين
وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة وهو مذهب أهل
السنة والجماعة الظاهرون إلى قيام الساعة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم
الساعة وقد تنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل
عموما ودين محمد خصوصا ومن خالف في هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما ليسوا
كالنصارى الذين ابتدعوا دينا قام به أكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم ودان
به جمهورهم وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء والله سبحانه
أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا
والآخرة وإنما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علما وعملا ولما بعث الله محمدا
بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه
أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذوه عن نبيهم مع ما يظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم
في جميع الفضايل العلمية والعملية ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم هو من الأصل
المعلم وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علما ودينا وهذه الأمور توجب العلم الضروري
بأنه كان صادقا في قوله إني رسول الله إليكم جميعا لم يكن كاذبا مفتريا فإن هذا
القول لا يقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم إن كان صادقا أو هو

من شر الناس واخبثهم ان كان كاذبا وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر
والخبث والجهل فتعين انه متصف بغاية الكمال في العلم والدين وهذا يستلزم انه
كان صادقا في قوله اني رسول الله لان الذي لم يكن صادقا اما ان يكون متعمدا للكذب
او مخطيا والاول يوجب انه كان ظالما غاويا والثاني يقتضي انه كان جاهلا
ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه ينافي تعمد الكذب فالعلم بصفاته يستلزم
العلم بانه لم يكن متعمدا للكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم واذا انتفى هذا وذاك
تعين انه كان صادقا عالما بانه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الامرين بقوله
تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى وقال تعالى عن الملك الذي جاء به انه لقول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم قال عنه وما صاحبكم بمجنون ولقد راه
بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم او بخيل كالذي لا يعلم الا بجعل او لمن
يكرمه وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين وقال
تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين الى قوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك
اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون بين سبحانه ان الشيطان انما ينزل على من يناسبه
ليحصل به غرضه فان الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور لا يقصد الصدق
والعدل فلا يقترن الا بمن فيه كذب اما عمدا واما خطا وفجور ايضا فان الخطا في
الدين هو من الشيطان ايضا كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسالة اقول فيها
براي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطا فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريان
منه فالرسول بري من تنزل الشيطان عليه في العمد والخطا بخلاف غير الرسول
فانه قد يخطي ويكون خطاه من الشيطان وان كان خطاؤه مغفورا له فاذا لم يعرف

له خبر اخبر به



اخبر به كان فيه مخطيا ولا امرا امر به كان فيه فاجرا علم ان الشيطان لم ينزل عليه
وانما نزل عليه ملك كريم ولهذا قال في الاية الاخرى عن النبي انه لقول رسول
كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
تنزيل من رب العالمين فصل وقد نقل الناس صفاته
الظاهرة الدالة على كماله ونقلوا اخلاقه من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده
وغير ذلك ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا
بالقصير وعنه قال كان بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة الى شحمة اذنيه عليه حلة حمرا
ما رايت قط شيئا احسن منه وفي البخاري وسئل البراء اكان وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي الصحيحين من حديث
كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى
كانه فلقة قمر وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضخم الراس والقدمين لم ار قبله ولا بعده مثله وكان بسط الكفين ضخم اليدين
وسئل عن شعره فقال كان شعرا رجلا ليس بالجعد ولا بالسبط بين اذنيه وعاتقه
وفي الصحيحين عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس العقبين وفسرها سماك بن حرب
فقال واسع الفم طويل شق العين قليل لحم العقب وفي الصحيحين عن انس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالابيض
الامهق ولا بالادم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط وفي الصحيحين عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهر اللون كان عرقه اللولو اذا مشى تكفا ما
مسست ديباجة ولا حريرا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا

[illegible]

شممت مسكا ولا عنبرا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
الدارمي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا
تكلم رئي النور يخرج من ثناياه وروى عن ابن عمر قال ما رايت احدا انجد ولا اجود
ولا اشجع ولا اضوأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس قال دخل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت
تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي
تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو اطيب من الطيب وروى الدارمي
عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلك طريقا فيتبعه
احد الا عرف انه قد سلكه من طيب عرقه وفي حديث ام معبد المشهور لما مر بها
النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة هو وابو بكر ومولاه ودليلهم وجاء زوجها فقال
صفيه لي يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة حلو المنطق فصل لا نزر ولا
هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن وروى عن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع
بنت مسعود بن عفراء صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا بني لو رايته
رايت الشمس طالعة وفي الصحيحين عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس وكان اجود الناس وكان اشجع الناس ولقد فزع اهل المدينة
ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا وقد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لابي طلحة عري في
عنقه السيف وهو يقول لم تراعوا وقال وجدناه بحرا وكان الفرس قبل ذلك بطيئا
فعاد لا يجارى وفي الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجود الناس بالخير وكان اجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه
القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة وفي



الصحيحين عن البراء بن عازب قال كنا اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي
به يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي بن ابي طالب قال لما كان يوم بدر اتقينا
المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس باسا وما كان احد اقرب
الى العدو منه وذكره البيهقي باسناد صحيح وفي الصحيحين عن انس قال خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي افا قط ولا قال لي لشيء لم فعلته لم فعلت
كذا وفي رواية في الصحيحين ايضا قال خدمته في السفر والحضر والله ما قال لي لشيء صنعته
لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم صنعته لم تصنع هذا هكذا وكان احسن الناس خلقا
وفي الصحيحين عن جابر قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال
لا وفي الصحيحين عن انس قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
شيئا الا اعطاه قال فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال
يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها
وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو وذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن فاحشا ولا متفحشا وروى البخاري عن انس قال
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا كان يقول
لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه وفي صحيح مسلم عن عائشة انها قالت ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان
كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده شيئا قط لا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل
منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله وروى

مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان خلقه القرآن وروى أبو داود الطيالسي عن شعبة نا أبو إسحق عن أبي عبد الله
الجدلي قال سمعت عائشة وسألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح أو يغفر شك أبو داود ورواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وفي
الصحيحين عن علقمة قال سألت عائشة كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهل كان يخص شيئا من الأيام قالت لا كان عمله ديمة وأيكم يستطيع ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام
وقد سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست تقرأ القرآن
قال بلى قالت فإن خلق نبي الله القرآن وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت لأتمم صالح الأخلاق وفي الصحيحين عن المغيرة بن
شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول
الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وروى أبو الشيخ الأصبهاني من حديث بهز بن حكيم
عن أبيه عن جده أن أخاه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جيراني على ما أخذوا فأعرض
عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الناس يزعمون أنك تنهى عن الغي
وتستخلي به فقال لئن كنت أفعل ذلك إنه لعلي وما هو عليهم خلوا له جيرانه
وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك قال ما كان شخص
أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا
لما يعلمون من كراهته لذلك رواه عن عبد الرحمن بن مهدي نا حماد بن سلمة

[هامش: احمد وابو داود والترمذي]

231

[هامش: فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده]

عن حميد عنه وروى عنه أبو نعيم وأبو الشيخ وعنهما عن ابن عباس أن الله أرسل
إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ملكا من الملائكة معه جبريل فقال الملك إن الله
يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا وبين أن تكون ملكا نبيا قال فالتفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كالمستشير فأشار جبريل بيده أن تواضع فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا بل أكون عبدا نبيا رواه النسائي والبخاري في تاريخه
وفي صحيح مسلم عن أنس قال كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أشهد أن لا إله إلا الله فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أنقذه بي من النار وعن أبي حازم أن النبي صلى
الله عليه وسلم كلم رجلا فأرعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون
عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد رواه ابن الجوزي
من طرق بعضها متصلا عن ابن مسعود قال ابن الجوزي وروي متصلا والصواب
إرساله كما تقدم وفي الصحيح عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء قالت يا رسول الله إن لي
إليك حاجة قال يا أم فلان خذي في أي الطرق شئت قومي فيه حتى أقوم معك فخلا
معها يناجيها حتى قضت حاجتها رواه مسلم وعن أنس قال كانت الأمة من إماء
أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدور به في حوائجها حتى
تفرغ ثم يرجع رواه البخاري في الأدب وروى عن ابن أبي أوفى قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمر مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته وعنه قال كان [هامش: يمشي]
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر
الخطبة ولا يستنكف أن يمشي مع العبد ولا مع الأرملة حتى يفرغ من حاجتهم ورواه
الدارمي والحاكم في صحيحه ورواه أبو داود الطيالسي عن أنس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك ولقد رأيته

يوم خيبر على حمار خطامه ليف وروى مسلم في صحيحه عن انس قال ما رايت ارحم بالعيال
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البخاري عنه قال مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صبيان فسلم عليهم وروى ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجلس على الارض وياكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك
وعن قدامة بن عبد الله قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بغلة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك رواهما ابو الشيخ وعن عائشة قالت
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مستجمعا ضاحكا حتى ارى منه
لهواته انما كان يتبسم وكان اذا راى غيما او ريحا عرف في وجهه فقلت يا رسول الله
الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرف في
وجهك الكراهية قال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم
بالريح وقد اتى العذاب قوما وتلا قوله تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا اخرجاه في الصحيحين وفي الصحيحين ايضا عن انس قال
كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه
اعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله
الذي عندك قال فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر له
بعطاء وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون
في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفي رواية اخرى صحيحة قال كان طويل الصمت
قليل الضحك وكان اصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من امورهم فيضحكون
ويتبسم وفي صحيح البخاري عن عائشة وسالها الاسود ما كان رسول الله صلى



الله عليه وسلم يصنع في اهله فقالت كان يكون في مهنة اهله يعني خدمة اهله
فاذا حضرت الصلاة خرج ومن رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة قال
سال رجل عائشة هل كان يعمل في بيته فقالت كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في
بيته كما يعمل احدكم في بيته وروى الطيالسي بسنده الى الاعور قال سمعت انسا يقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك
ولقد رايته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف وروى مسلم في صحيحه عن انس قال ما
رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه البخاري قال
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان فسلم عليهم وفي صحيح مسلم عن عائشة
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام من خبز بر تباعا حتى مضى لسبيله
وعنها قالت كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم يمر بنا الهلال والهلال والهلال ما يوقد
بنار لطعام الا انه التمر والماء الا انه حولنا اهل دور من الانصار فيبعث اهل كل دار
بغزيرة شاتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك اللبن اخرجاه في الصحيحين وفي صحيح البخاري قال انس ما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينه قط وفي
صحيح البخاري عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق فقيل له على ما كانوا ياكلون قال على السفر وفي صحيح مسلم عن عمر
بن الخطاب انه خطب وذكر ما فتح على الناس فقال لقد رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلتوي يومه من الجوع ما يجد من الدقل ما يملا بطنه وفي صحيح البخاري
عن انس انه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير واهالة سنخة ولقد رهن
درعه عند يهودي واخذ لاهله شعيرا ولقد سمعته يقول ما امسى عند آل محمد
صاع بر ولا صاع حب وانهم يومئذ تسعة ابيات وفيه عن عائشة قالت كان فراش

رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم حشوه ليف وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما ذكر اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزانته فاذا هو مضطجع على حصير فادنى اليه
ازاره وجلس واذا الحصير قد اثر بجنبه وقلبت عيني في بيته فلم اجد شيئا يرد البصر
غير قبضة من شعير وقبضة من قرظ نحو الصاعين واذا افيق معلق فابتدرت عيناي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ابن الخطاب فقلت يا رسول الله خزانته
وما لي لا ابكي وانت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه وهذه خزانتك وهذه الاعاجم
كسرى وقيصر في الثمار والانهار فقال اوفي شك انت يا ابن الخطاب اولئك
قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا وفي رواية اوما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا
الاخرة قال بلى قال فاحمد الله عز وجل قال فقلت استغفر الله وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا
وروى الطيالسي باسناد صحيح عن ابن مسعود قال اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم
على حصير فاثر الحصير بجلده فجعلت امسحه عنه واقول بابي وامي انت يا رسول
الله الا اذنتنا فنبسط لك شيئا يقيك منه تنام عليه فقال ما لي وللدنيا انما
انا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس
ان عمر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وفي الترمذي عن انس بن مالك
قال حج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة وفي صحيح الحاكم عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خشنا واكل خشنا لبس الصوف واحتذى المخصوف
قيل للحسن ما الخشن قال غليظ الشعير ما كان يسيغه الا بجرعة ماء ٥
فصل ومما يبين فضل امته على جميع الامم وذلك
مسلم لكونه رسولا صادقا كما تقدم وهو اية وبرهان على نبوته فان كل ملزوم

ورواه البخاري [illegible] عن انس [illegible]
[illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]



فانه دليل على لازمه ان الامم نوعان نوع لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود
والنصارى ونوع لا كتاب لهم كالهند واليونان والترك والعرب قبل مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم وما من امة الا ولا بد لها من علم وعمل بحسبها تقوم به مصالح
دنياهم وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل انسان بل لكل
حي كما هدى الحيوان لجلب ما ينفعه بالاكل والشرب ودفع ما يضره باللباس والكن
وقد خلق الله فيه حبا لهذا وبغضا لهذا قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي
خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
وقال في اول ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال تعالى الم
نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ثم الامم متفاضلون في معرفة الخالق
تعالى وفي الاقرار بالمعاد بعد الموت اما للارواح فقط واما للابدان فقط واما
لمجموعهما كما هو قول سلف الامة المسلمين وائمتهم وعامتهم اهل السنة والجماعة
ومتفاضلون فيما يحمدونه ويستحسنونه من الافعال والصفات وما يذمونه
ويستقبحونه من ذلك لكن عامة بني ادم على ان العدل خير من الظلم والصدق خير
من الكذب والعلم خير من الجهل وان المحسن الى الناس خير من الذي لا يحسن اليهم
واما المعاد اما للارواح او للابدان وان الناس بعد الموت يكونون سعداء او
اشقياء فيقر به كثير من الامم غير اهل الكتاب وان كان على وجه قاصر كحكماء الهند
واليونان والمجوس وغيرهم وذلك ان اهل الارض في المعاد على اربعة اقوال
احدها وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان
وائمة المسلمين المشهورين وغيرهم من اهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية
والنظار وهو اثبات معاد الارواح والابدان جميعا وان الانسان اذا مات

كانت روحه منعمة او معذبة ثم تعاد روحه الى بدنه عند القيامة الكبرى وهذا
مذكور في كثير من السور امر القيامتين القيامة الصغرى بالموت والقيامة
الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد ارواحهم الى ابدانهم كما ذكر الله
العالمين في سورة الواقعة حيث قال في اولها اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها
كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء
منبثا وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة
ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون ثم ذكر سبحانه حال
الاصناف الثلاثة في القيامة الكبرى وقال في اخر السورة فلولا اذا بلغت
الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير
مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة
نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وكذلك في سورة القيامة لا اقسم بيوم
القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على
ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسال ايان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف
القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ
المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر فذكر القيامة الكبرى ثم قال في اخر
السورة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق
بالساق الى ربك يومئذ المساق وبسط هذا موضع اخر فان ذكر ما ينال الروح
عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية ولما وصف القيامة
الكبرى في الكتاب والسنة فكثير جدا لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا
ويدعى بين يدي الساعة فلذلك وصف القيامة بما لم يصفه غيره كما ذكر النبي



في صفته فقال انه يخبركم بكل ما هو آت ويعرفكم جميع ما للرب والقول الثاني قول
من يثبت معاد الابدان فقط كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة
المبتدعين من هذه الامة وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين
او جمهور المسلمين وذلك غلط فانه لم يقل ذلك احد من ائمة المسلمين ولا هو قول
جمهور نظارهم بل هو قول طائفة من متكلمي المبتدعة الذين ذمهم السلف والائمة
والقول الثالث ان المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط وان الابدان لا تعاد
وهذا لم يقله احد من اهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلاء
كلهم متفقون على اعادة الابدان وعلى القيامة الكبرى ولكن من تفلسف من هؤلاء
فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على ان المعاد للروح وحده
فانه يزعم ان الانبيا خاطبوا الجمهور بمعاد الابدان وان لم يكن له حقيقة كما خاطبوهم
باثبات الصفات لله وليس له حقيقة وان الانبياء اظهروا الحقائق للخلق وانه
لا يستفاد من اخبارهم معرفة شي من صفات الله ولا معرفة شي من امر المعاد
وحقيقة قولهم ان الانبيا ذكروا ذلك للمصلحة وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين
للانبياء من المسلمين واليهود والنصارى وان كان هؤلاء كثير موجودين فيمن
يتظاهر بانه من اهل الملل ليظهروا دينا وهو في الباطن على هذا الراي وهؤلاء
القائلون بمعاد الارواح فقط منهم من يقول بان الارواح تتناسخ اما في ابدان الادميين
او ابدان الحيوان مطلقا او في موضع الاجسام النامية ومنهم من يقول بالتناسخ للانفس
الشقية فقط وكثير من محققيهم ينكر التناسخ والقول الرابع انكار المعادين
جميعا كما هو قول اهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك وغيرهم
والمتفلسفة اتباع ارسطو كالفارابي وجماعة لهم في معاد الارواح ثلثة اقوال
قيل بالمعاد للنفس العالمة والجاهلة وقيل بالمعاد للعالمة دون الجاهلة

وقبل يا نكار الاسس والعار الى نفسه فنقال الاقوال المليه وتبسط الكلام على
هذه الامور له موضع اخر اذ المقصود هنا ان كلما عند اهل الكتاب بل وسائر اهل
الارض من علم نافع وعمل صالح فهو عند المسلمين وعند المسلمين ما ليس عند
غيرهم في جميع المطالب التي ينال بها السعادة والنجاه وعقلا هذه الامه
تامر بالعدل ومكارم الاخلاق وتنهى عن الظلم والفواحش ولهم علوم الاهيه
وعبادات يحبونهم ويعظمون اهل العلم والدين منهم ونحوهم مع انها لا انضافهم
تشط من ذلك ونعلم عند الاعتبار ان الامم الذين هم كتاب كاليهود والنصارى
اكمل من الامم الذين لا كتاب لهم في القضايا بل العلميه والعمليه فان علم ما اخذه الناس
~~عن الانبيا نعلم بالعقل والاعتبار منهم والهند واليونان والفرس في ذلك اكمل~~
~~من كفار الترك والبربر~~ او بالمنام والالهام واخبار الجن ونحو ذلك من طرق الامم
وكل طريق صحيح من الطرق العقليه وغيرها شارك اهل الكتاب فيه من لا كتاب
له ويمتاز اهل الكتاب بعلوم واعمال احدوها عن الانبيا ليس في قوم من ليس
من ان يعلمها وهذا ظاهر في الاخلاق والسياسات المنزليه والمدنيه فان جنس
اهل الكتاب ولو كان منسوخا مبدلا احسن حالا ممن لا كتاب له واما في العبادات
والايمان بالله واليوم الاخر فرجحانهم بينه ظاهر واما علوم واعمال يكون ضررها
راجحا كالسحر والطلسمات مما يتوسل به من الشرك الى استخدام الشياطين وبحو
ذلك فهذا وان كان غير اهل الكتاب اقوم به فانما ذاك لاستغنا اهل الكتاب
بما هو انفع لهم في الدنيا والاخره ولهذا لما ذكر الله سبحانه في قصه سليمان برااه عن
ذلك وكانت الشياطين انما كان سحرالجن بهذه الاسما والعزايم فصدقهم فريقان
فريق قدحوا في سليمان بل كفروه من اهل الكتاب وقالوا لم يفعل ذلك فهو كان نبي
وفريق قالوا انما كان يعتدي بسليمن ونفعل كما يفعل وهم اهل العزايم والطلاسم التي

والهند والروم والفرس ... الكلدانيين

والالهامية

فان السحر كفر ... 

235

يستخدمون بها الجن ويقولون ان سليمن كان يستخدمهم بها حتى يقولوا ان هذه الاسما
كانت مكتوبة على تاجه وهذا صون خاتمه وهذا الكلام اصف ابن برخيا الى
امثال ذلك مما يضيفونه اليه وهو كذب على سليمن وقد ذكر ذلك علما المسلمين
في تفسير قوله تعالى ولما جاهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله ورا ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل
على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبيس
ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو
كانوا يعلمون فلم يبين سبحانه من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله واتبع ما تتلو الشياطين
على عهد سليمن وبين سبحانه ان سليمن لم يكفر ولكن الشياطين كفروا وانهم يعلمون الناس
السحر وما انزل على الملكين ببابل وان الملكين ما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفروا واخبر سبحانه انهم لا يضرون به احدا الا باذن الله وانهم يتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم ثم قال ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق اي نصيب
اي هم يعلمون ان صاحبه لا نصيب له في الاخرة وانما يطلبون انهم يعصون به
لعراضهم الدنيويه لما لهم في ذلك من الهوى وذلك ضادهم لا مانع كما قال في الشرك
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه ثم قال تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند
الله خير لو كانوا يعلمون فبين سبحانه بالايمان والتقوى يحصل من ثواب الله
ما هو خير لهم من هذا فانهم انما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم وهذا خير لهم وهذا
كقوله اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير

هروت وماروت

لكن فإن ما تطلبه النفوس فيه لها لذة يجعل خيرا بذلك الاعتبار لكن إذا كان
اللذة
الإثم زائدا على النفوس كان شره أعظم من خيره والشرائع جاءت بتحصيل المصالح
وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها تأمر بما يترجح مصلحته وإن كان فيه مفسدة
مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجح مفسدته وإن كان فيه مصلحة مرجوحة
بأحسنها
كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر تعالى أن يأخذوا ما أنزل الينا ربنا
بالأحسن إما واجب وإما مستحب قال تعالى فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا
بأحسنها وقال واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم فأمر باتباع
الأحسن والأخذ به وقال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله فاقتضى أن غيرهم لم يهدوه وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن
وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن
إن الشيطان ينزغ بينهم وقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة مع قوله تعالى في موضع
آخر ويدرءون بالحسنة السيئة وقال تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن وقال ولا
تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي
هي أحسن في موضعين وقد يقال هذا نظير قوله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله وذروا
البيع ذلكم خير لكم وقوله تعالى آلله خير أما تشركون وقوله تعالى تالله إن كنا
لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وقوله والله خير وأبقى وقوله والآخرة
خير وأبقى وقوله فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك خير وأحسن تأويلا وقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وقوله
تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا
واتخذ الله إبراهيم خليلا وقوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وقوله ولو أنهم
فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ونظائر هذا أكثر مما ذكرنا فيه



أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه وإن كان الأول واجبا والثاني محرما
وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على مفسدة مرجوحة والمنهي عنه يشتمل على
مرجوحة
مصلحة راجحة فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن وفي هذا شر وسيء
لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا فقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم
من ربكم هو أمر بالأحسن من فعل المأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الأمر
بالواجب والمستحب فإن كلاهما أحسن من المحرم والمكروه لكن يكون الأمر أمر إيجاب
وأمر استحباب كما أمر بالإحسان في قوله تعالى وأحسنوا إن الله يحب المحسنين
والإحسان منه واجب ومنه مستحب فصل وإذا كان جنس
أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ممن لا كتاب له فمعلوم
أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل من طائفتي أهل الكتاب اليهود والنصارى
وأعدل وقد جمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل وليس عند أهل الكتاب
فضيلة علمية وعملية إلا وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل منهم فيها فأما العلوم
فهم أحذق في جميع العلوم من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست نبوية ولا أخروية
كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك هم فيها أحذق من الأمتين ومصنفاتهم فيها
أكمل من مصنفات الأمتين بل أحسن علما بها من الأولين الذين كانت هي
غاية علمهم وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منسوب إلى نفاق وإلحاد
حذاق المسلمين
ولا قدر له عندهم لكن حصل له بما تعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه
على الحذق في تلك العلوم فصار أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من أولئك المتقدمين
وأما العلوم الإلهية والمعارف الربانية وما أخبرت به الأنبياء من الغيب
كالعرش والملائكة والجن والجنة والنار وتفاصيل المعاد فكل من نظر في
كلام المسلمين فيها وكلام علماء اليهود والنصارى وجد كلام المسلمين فيها أكمل

وانه ومعلوم ان علما اهل الكتاب والملل بعد ذلك اتم من علم غيرهم ولهذا العباده والزهد
والاخلاق والسياسه المنزليه والمدنيه فالكلام فيها مبني على اصل وهو معرفه
المقصود بها وما به يحصل المقصود فيقول للناس في مقصود العبادات مذاهب
منهم من يقول المقصود بها تهذيب اخلاق النفوس وتعديلها لتستعد بذلك للعلم
وليست هي مقصوده في نفسها ويجعلونها من قسم الاخلاق وهذا قول متفلسفه اليونان
وقول من اتبعهم من الملاحده والاسماعيليه وغيرهم من المتفلسفه الاسلاميين كالفارابي
وابن سينا وغيرهما ومن سلك طريقهم من متكلم ومتصوف ومتفقه كما يوجد مثل ذلك
في كتب ابي حامد والسهروردي المقتول وابن عربي وابن سبعين لكن ابو حامد — وابن رشد الحفيد
يختلف كلامه تاره يوافقهم وتاره يخالفهم وهذا القدر فعله ابن سينا وامثاله ممن رام
الجمع بين ما جاءت به الانبيا وبين فلسفه المشائين ارسطو وامثاله ولهذا تكلموا في الايات
من خوارق العادات وجعلوا لها ثلثه اسباب القوى الفلكيه والقوى النفسانيه والقوى
الطبيعيه اذ كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم وجعلوا
ما للانبيا من المعجزات والكرامات وما للسحره من العجايب هو من قوى النفس
لكن الفرق بينهما ان ذلك قصده الخير وهذا قصده الشر وهذا المذهب من
افسد مذاهب العقلا كما قد بسط الكلام عليه في موضع اخر فانه مبني على
انكار الملايكه وانكار الجن وعلى ان الله لا يعلم الجزئيات ولا يخلق بمشيته وقدرته
ولا يقدر على تغيير العالم ثم ان هاولا لا يعرفون من المعجزات الا ما يجري على هذا
الاصل ولهذا يمكن ان يقال فيه هذا مثل نزول المطر وسخر السباع وامراض
العدو وقتله ونحو ذلك واما قلب العصا حيه واحيا الموتى واخراج الناقه
من الهضبه وانشقاق القمر وامثال ذلك فلا يقرون به وقد علم بطرق متعدده
ما يكون من الخوارق بسبب افعال الجن وبسبب افعال الملايكه واحوال الجن معلومه



عند عامه الامم مسلمهم وكافرهم لا يجحد ذلك الا من هو من اجهل الناس وكذلك
من فسرها بقوى النفس وهذا غير اخبار الله عنهم فيما انزله من الكتب واما الملايكه
فامرهم اجل وهم رسل الله في تدبير العالم كما قال تعالى فالمدبرات امرا فالمقسمات
امرا وقد ذكر الله في كتبه من اخبارهم واصنافهم ما يطول وصفه واثارهم موجوده
في العالم يعرف ذلك بالاعتبار كما قد بسط في موضعه اذ المقصود هنا ذكر
مذاهب الناس في العبادات وهاولا غايه ما عندهم في العبادات والاخلاق
والحكمه العمليه انهم راوا النفس فيها شهوه وغضب من جهه القوه العمليه ولها نظر
من جهه القوه العلميه فقالوا كمال الشهوه في العفه وكمال الغضب في الحلم والشجاعه
وكمال القوه النظريه في العلم والتوسط في جميع ذلك بين الافراط والتفريط هو
العدل وما ذكروه من العلم متعلق بالله لم يثبتوا خاصه النفس التي هي محبه
الله وتوحيده بل ولا عرفوا ذلك كما لم يكن عندهم من العلم بالله الا قليل مع كثير من
الباطل كما بسط الكلام عليهم في موضعه ومحبه الله وتوحيده هو الغايه التي فيها
صلاح النفس وهو عباده الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها الا
في ذلك وبدون ذلك تكون فاسده لا صلاح لها كما قد بسط الكلام على ذلك
في موضع اخر ولهذا كان هذا هو دين الاسلام الذي بعثت به الرسل
قال الله تعالى ولقد بعثنا في كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال تعالى واسال
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهه يعبدون وقال
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه
امتكم امه واحده وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم

فرعون وقال لما ذكر قصص الانبيا ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون
وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا
تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب
بما لديهم فرحون وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالغاية
الحميدة التي بها يحصل كمال بني ادم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة
قول القايل لا اله الا الله وبهذا بعث الله جميع الرسل وانزل جميع الكتب
ولا تصلح النفس وتزكوا وتكمل الا بهذا كما قال تعالى فويل للمشركين الذين لا
يوتون الزكاة اي لا يوتون ما تزكوا به نفوسهم من التوحيد والايمان وكل من لم
يحصل له هذا الاخلاص لم يكن من اهل النجاة والسعادة كما قال تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا في موضعين من كتابه وهذا
اول الكلمات العشر التي انزلها الله على موسى حيث قال انا الله

فعبادة الله وحده لا شريك له وان يكون الله احب الى العبد من كل ما سواه هو
اعظم وصية وكلها جا بها المرسلون كموسى والمسيح ومحمد صلوات الله عليهم
اجمعين وضد هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى قال تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله وقد بسط
الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان النفس ليس لها نجاة ولا سعادة له



ولا كمال الا بان يكون الله معبودها ومحبوبها الذي لا احب اليها منه وهذا
كثير في الكتب الالهية الامر بعبادة الله وحده ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل
بكمال الحب فلا بد ان يكون ذليلا لله كامل الذل مع الحب فمن احب شيا ولم يذل له لم يعبده
الحب والذل لا يصلح الا لله وحده فهو الله المستحق للعبادة التي لا يستحقها الا هو وذلك
يتضمن كمال الحب والذل والاجلال والاكرام والتوكل والعبادة فالنفوس محتاجة
الى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها من حيث هو ربها وخالقها
فمن امن بالله رب كل شي وخالقه ولم يعبد الله وحده بحيث يكون الله احب اليه
من كل ما سواه واخشى عنده من كل ما سواه واعظم عنده من كل ما سواه وارجى
عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث
يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجوا الله ويدعوه مثل ما
يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه
ونكاحه وكان حكيما شجاعا فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ليس فيها من
الاعمال ما تسعد به النفوس وتنجوا من العذاب كما ان ما ذكروه من الحكمة النظرية به
ليس فيها الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وليس عندهم
من العلم ما تهتدي به النفوس ولا من الاخلاق وما هو دين حق ولهذا لم يكونوا
داخلين في اهل السعادة في الاخرة المذكورين في قوله ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذه الفضايل الاربع التي
ذكرها المتفلسفة لانها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها والمتفلسفة لم يجدوا
ما تحتاج اليه تحديد مقدار ما يحصل به النجاة والسعادة ولكن الانبيا صلوات الله عليهم
وقد قال سبحانه قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي

انما يحصل كمال الحب والذل [illegible] ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده وكذا

بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
فهذه الانواع الاربعة هي التي حرمها تحريما مطلقا لم يبح منها شيئا لاحد من الخلق ولا
في حال من الاحوال بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير وغير ذلك فانه يحرم في
حال ويباح في حال واما الاربعة فهي محرمة مطلقا فالفواحش متعلقة
بالشهوة والبغي بغير الحق متعلق بالغضب والشرك بالله فساد اصل العدل فان
الشرك لظلم عظيم والقول على الله بلا علم فساد في العلم فقد حرم سبحانه هذه الاربعة
وهي فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم وقوله ان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا يتضمن تحريم اصل العلم في حق الله وذلك يستلزم ايجاب العدل في حق الله
وهو عبادته وحده لا شريك له فان النفس لها القوتان العلمية والعملية وعمل الانسان
عمل اختياري والعمل الاختياري انما يكون بارادة العبد وكل انسان له ارادة وعمل بارادته
فان الانسان حساس يتحرك بالارادة لا بد لها من مراد وكل مراد فاما ان يراد لنفسه
واما ان يراد لغيره والمراد لغيره لا بد ان ينتهي الى مراد لنفسه فالقوة العملية
تستلزم ان يكون للانسان مراد وذلك المراد لنفسه هو علة فاعلة للعلة
الفاعلة ولهذا اهل العامة تقول قيمة كل امرئ ما يحسنه والعارفون يقولون قيمة
كل امرئ ما يطلب وفي بعض الكتب المتقدمة اني لا انظر الى كلام الحكيم وانما انظر
الى همته وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس وانما جعلوا كمالها العملي في تعديل
الشهوة والغضب والشهوة هي جلب ما ينفع البدن ويبقي النوع والغضب دفع ما يضر
البدن ولم يتعرضوا المراد المحبوب الذي يحبه لذاته مع انهم انما نظروا فيما يعود الى البدن
وجعلوا ذلك اصلاحا للبدن الذي هو آلة للنفس وجعلوا كمال النفس في مجرد
العلم وقد بسطنا غلطهم في هذا الاصل من وجوه في غير هذا الموضع وبينا ان النفس
لها كمال في العمل والارادة كما ان لها كمالا في العلم وان العلم المجرد ليس كمالا

لها ولا اصلا



لها ولا صلاحا ولو كان كمالا ~~في العلم وان العلم المجرد ليس كمالا لها ولا صلاحا~~
وان كان كمالا لم يكن ما عندهم من العلم هو كمال النفس ومما غلط الجهمية الذين
قالوا الايمان هو مجرد العلم وان الصواب قول السلف والائمة ان الايمان قول
وعمل اصله قول القلب وعمل القلب المتضمن علم القلب وارادته واذا كان لا بد
للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح الا به ولا تكمل الا به وذلك هو الهها فليس
لها اله يكون به صلاحها الا الله ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وليس ذلك للانسان فقط بل وللملائكة والجن فانهم كلهم احياء عقلاء ناطقون
لهم علم وعمل اختياري ولا صلاح لهم الا بان يكون الله هو المحبوب لذاته وهو معبودهم
ولا يجوز ان يكون معبودا محبوبا لنفسه الا الله فلو كان في السموات والارض
اله الا الله لفسدتا ولهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له
وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها
في العلم والعمل ما يعرفونه من السعادة بصلاح عمل السعيد وغاية ذلك ان ارسطو
معلمهم الاول هو واتباعه انما اثبتوا العلة الاولى بالحركة الفلكية فقالوا
الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقوامه بحركته الاختيارية وفساده بعدمها
وقوام حركته بالتحرك لاجله فان الفاعل بالاختيار انما قوامه بعلته الغائية
التي يتحرك لاجلها وغايته التي يتحرك لاجلها هو العلة الاولى فانه يتحرك للتشبه
بها فجعلوا قوام العالم كله بالعلة الاولى من حيث هو متشبه بها لان المتحرك بالاختيار
لا بد له من مراد ومعلوم ان الحركة الارادية تطلب مرادا محبوبا لنفسها ويستلزم
ذلك اعظم من استلزامها متشبها به فان كل متحرك بالارادة لا بد له من مراد
محبوب لنفسه فان الارادة لا بد لها من مراد والمراد يكون اما مرادا لنفسه
واما لغيره والمراد لغيره انما اريد لاجل ذلك الغير فلا بد ان يكون ذلك الغير

مرادًا لنفسه او منتهى الى مراد لنفسه والا لزم التسلسل في العلل الغائية وذلك
باطل كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية بصريح العقل واتفاق العقلاء وبسط
هذا له موضع اذا كان الفاعل بالاختيار يستلزم مرادًا لنفسه محبوبا فلا بد ان يكون
لما تحرك في السموات بارادته سواء كان هولاء الملائكة او ما يسمونه هم نفسا من محبوب
مراد لذاته يكون هو الاله المعبود لتلك الحركات وكذلك نفس الانسان حركتها
بالارادة من لوازم ذاتها فلا بد لها من محبوب مراد لذاته وهو الاله وهذا
المحبوب المراد لذاته هو الله تعالى ويمتنع ان يكون غيره كما قد بسط هذا في
موضع اخر وبين انه يمتنع ان يكون موجودا بغيره بل هو واجب الوجود بنفسه
فيمتنع ان يكون مراد العدم بل هو مراد لنفسه ويمتنع ان يكون للعالم ربان
قادران يمتنع ان يكون للعالم الهان معبودان فان كون احدهما قادرا
ناقض كونه الاخر قادرا لامتناع اجتماع القادرين على مقدور واحد وامتناع
كون احدهما قادرا على الفعل حين يكون الاخر قادرا عليه وامتناع ارتفاع
قدرة احدهما بقدرة الاخر مع التكافي لذلك يمتنع ان يكون الهان معبودان
محبوبان لذاتهما لان كون احدهما هو المعبود لذاته ناقضه ان يكون غيره معبودا
لذاته فان ذلك يستلزم ان يكون بعض المحبة والعمل لهذا وبعض ذلك لهذا الحب
وذلك ناقض كون الحب والعمل كله لهذا فان الشركة نقص في الحب فلا يكون
حركة المتحرك بارادته ولا يكون احدهما معبودا معمولا له الا اذا لم يكن
الاخر كذلك فان العمل لهذا ناقض ان يكون له شريك فضلا عن ان يكون لغيره
وكل من احب شيئين فانما يحبهما لثالث غيرهما والا يمتنع ان يكون كل منهما محبوبا
لذاته اذ المحبوب لذاته هو الذي يريده النفس ويطلبه ويطمئن اليه كلا
سعي هما مراد غيره وهذا ناقض ان يكون له شريك والقول الثاني قول من يقول



ان الله عوض الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت فان الانعام
بالثواب لا يحسن بدون التكليف لما فيه من الاخلال والتعظيم الذي لا يستحقه الا
مكلف كما تقول ذلك القدرية من المسلمين وغيرهم وهاولا قد يجعلون الواجبات
الشرعية لطفا في الواجبات العقلية وقد يقولون ان الغاية المقصودة التي بها يحصل
الثواب هو العمل والعلم ذريعة اليه حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله تعالى
يقولوا انما وجب لانها لطف في اداء الواجبات العقلية العملية والقول الثالث
قول من يقول بل الله امر بذلك لا لحكمة مطلوبة ولا لسبب بل لمحض المشيئة
وهذا قول المجبرة القايلين بالقدرية كالجهم وخلق كثير من المتكلمين والفقها
والصوفية وغيرهم والقول الرابع قول سلف الامة وائمتها وهو ان نفس
معرفة الله تعالى ومحبته مقصودة لذاتها وان الله سبحانه محبوب مستحق للعبادة
لذاته لا اله الا هو ولا يجوز ان يكون غيره محبوبا معبودا لذاته وانه سبحانه يحب
عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم ويفرح بتوبة التائب ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب
عليهم ويذمهم وان في ذلك من الحكم البالغة لذلك من الاسباب ما يطول وصفه
في هذا كلمة عن غيرهم في العلوم النافعة والاعمال الصالحة واذا عرف مذاهب
الناس في مقاصد العبادات فهم ايضا مختلفون في صفاتها فمن الناس من يظن ان
كلما كان اشق على النفس واشد امانة لشهواتها فهو افضل وهذا مذهب كثير
من المشركين الهند وغيرهم وكثير من اهل الكتاب اليهود والنصارى وكثير من متعبدة
المسلمين والثاني قول من يقول ان افضلها ما كان ادعى الى تحصيل الواجبات
العقلية والثالث قول من يقول فضل بعضها على بعض لا علة له بل يرجع الى محض المشيئة
والرابع وهو الصواب ان افضلها ما كان لله اطوع وللعبد انفع فما كان صاحبه
الى الله اقرب وكان صاحبه اطوع لله به من غيره فهو افضل وعلى كل قول فعبادات

والاشعري

المسلمين اكمل من عبادات غيرهم اما على الاول فاولئك يقولون كلما كانت الاعمال
اشق على النفس فهي افضل لمن فعلها ولانه يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك
كما يفعل ذلك من يفعل من المشركين الهند وغيرهم ومن النصارى ومبتدعة هذه الامة
ولكن ينال لهم الجهاد اعظم مشقة من هذا كله فانه بذل النفس وتعريضها للموت وفيه غاية
الزهد للنفس لترك الدنيا كلها وفيه جهاد النفس في الباطن وجهاد العدو في الظاهر
ومعلوم ان المسلمين اعظم جهادا من اليهود والنصارى واما على قول من يجعل العبادات
الشرعية لطفا في الواجبات العقلية فلا ريب ان عبادات المسلمين كصلاتهم وصيامهم وحجهم ادعى
الى العدل الذي هو جامع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم التي ابتدعوها فانها
متضمنة للظلم المنافي للعدل واما على قول نفاة التعليل ورد ذلك الى المشيئة الله
فيكون الامر في ذلك راجعا الى محض مشيئة الله وتعبد للخلق وحينئذ فمن يكون عبادته
تابعة لامر الله الذي جاءت به الرسل يكون متعبدا بما امر الله به بخلاف من يكون عبادته
مما ابتدعها كالبراهمة من غير ان ياتيهم بها رسول الله من عند الله واما على القول الرابع
فانا نعلم ان الله امر بما يتضمن طاعة الله وهذا انما يكون بما يتبع كثيرا من عباداتهم الكاتم
واما انفع العبادات بما هذا يعرف بثمراتها وسلبها وفوائدها ومن ذلك اثارها
في صلاح القلوب فليتدبر الانسان عقول المسلمين واخلاقهم وعدلهم وعدل من نظر
لهم الفرق بينهم وبين غيرهم فالصلاة فيها من الكمال والاعتدال كالطهارة
والاصطفاف والركوع والسجود واستقبال بيت ابرهيم الذي هو امام الخلائق
والامساك فيها عن الكلام وما فيها من الخشوع وتلاوة القران واستماعه الذي يظهر
الفرق بينه وبين غيره من الكتب لكل من تدبر ووصف الى امثال ذلك من الامور
التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم واما حكم المسلمين في
الحدود والحقوق فلا يخفى على عاقل فضله حتى ان النصارى في طائفة من بلادهم يسمر

لم صفات عباداتهم

لهم من يعصي بينهم بشرع المسلمين اذ لم يكن لهم شرع يحكم به بين الناس وليس في الانجيل
حكم وانما فيه الامر بالزهد ومكارم الاخلاق وهو مما يامر به المسلمون ايضا وقد ذكرنا
في كون المسلمين معتدلين متوسطين بين اليهود والنصارى في التوحيد والنبوات والحلال و
والحرام وغير ذلك ما يبين انهم افضل من الامتين مع ان دلائل هذا الذي حاولوا فيما
المقصود التنبيه على ذلك وحسبه بفضل الامة ليسلم بفضل متبوعها ن

فصل ومما يبين امر محمد صلى الله عليه وسلم ان من دعا الى مثل ما دعا
اليه لا يخلو من ثلثة اقسام اما ان يكون نبيا صادقا فامر رسولا من الله كما اخبر عن نفسه
بمنزلة نوح وابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبيا الذين ذكرهم
الله في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه
والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا واما ان يكون ملكا مسلطا عادلا واضع
ناموس سياسيا ويا لو ما عدليا ينتفع به الخلق ويحكم به الحق على السيرة العادلة
مبلغ علمه كما كان للامم من يضع لهم النواميس مثل واضعي النواميس من اليونان
والهند والفرس وغيرهم وان كان واضع الناموس مختصا بقوة قدسية ينال
بها العلم بسهولة وقوة نفسية يتصرف بها تصرفات خارجة عن العادة ويكون له
قوة تخيلية يتمثل له في نفسه اشكالا نورانية واصواتا يسمعها في داخل نفسه
اشكالا نورانية واصواتا يسمعها في داخل نفسه فان هذه الخواص الثلاثة هي التي
تقول ابن سينا وامثاله من المتفلسفة انها خواص النبي ومن قامت به كان نبيا والنبوة

مكتسبة عندهم ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ولم يصل بها الى قريب
من درجة الصديقين اتباع الانبيا كالخلفا الراشدين وحواري عيسى واصحاب
موسى جعلناها من هذا القسم اذ صاحب هذا قد يكون عنده عدل وسياسة
بحسب ما معه من العلم والعدل فهذا القسم الثاني واما ان يكون رجلا
كاذبا فاجرا افاكا اثيما يتعمد الكذب والظلم او يتكلم بلا علم فيخطي خطا ان يتكلم بلا علم
ومن يظن الكذب صدقا والباطل حقا والضلال هدى والغي رشدا او الظلم عدلا
والفساد صلاحا فكل من دعا الخلق الى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والايجاب
بان يصدقوه بما اخبر ويطيعوه فيما امر واوجبه باطنا وظاهرا او غير ان يخير
احدا على اتباعه وتصديقه وطاعته ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه في
لا في الباطن ولا في الظاهر لم يخرج عن هذه الاقسام الثلثة وذلك لانه اما ان
يكون قصده الاثم والعدوان او قصده البر والعدل فان كان قصده الاول
فهو ظالم فاجر ومثل هذا لا يكون الا كاذبا عمدا او خطا وان كان قصده البر والعدل
فلا يخلو مع ذلك اما ان يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما
بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض عالما بان ما يامر به عدل لا يجوز ان يامر
ان نقيضه بوجه من الوجوه واما ان لا يكون جازما بذلك فان كان جازما
بذلك كان هذا هو النبي المعصوم الذي لا يخبر الا بحق ولا يامر الا بعدل وتمت
كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم بخلاف القسم الذي
يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورايه فان هذا قد يامر باشيا يجوز ان يكون
المصلحة والعدل والصدق في خلافها ويخبر باشيا باجتهاده يجوز ان يكون الامر
فيها بخلاف ذلك ولا بد ان يغلط في بعض ما يخبر به وما يامرهم به من العمليات من العمليات
فانه لا معصوم الا الانبيا وهذا لما اتفق الائمة بكل ما نقوله لبشر الا ان يكون

نبيا فان الايمان واجب بكل ما يجب ما ياتي به النبي قال تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال
تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم
الاخر والملائكة والكتاب والنبيين الاية واذا كان الامر كذلك فمعلوم بالتواتر
ان محمدا ذكر انه رسول كابرهيم وموسى وعيسى بل اخبر انه سيد ولد ادم وان
ادم فمن دونه تحت لوائه يوم القيمة وانه لما اسري به وعرج به الى ربه علا على الانبيا
كلهم على ابرهيم وموسى وهرون ويحيى وعيسى وغيرهم واخبر انه لا نبي بعده
وان امته هم الاخرون في الخلق السابقون يوم القيمة وان الله انزل اليه احسن
الحديث وانه مهيمن على ما بين يديه من الكتب مع تصديقه له وحينئذ فان كان عالما لعله لما
بصدق نفسه فهو نبي رسول ومن قال هذا القول وهو يعلم انه كاذب فهو من
اظلم الناس واجرمهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شي وان كان يظن صدق نفسه وليس كذلك فهو مخطي غالط ملبوس
عليه واذا كان كذلك فلا بد ان يخطي فيما يخبر به من الغيوب ويظلم فيما يامر به
من العدل ولا يتصور استمراره على هذا بل لا بد ان يتبين له ولغيره انه صادق
او كاذب فان من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق
يكون من اجهل الناس واظلمهم وابعدهم عن التمييز بين الحق والباطل والصدق
والكذب والخير والشر فان هذا انما يشتبه عليه النبي صلى الله عليه
وسلم الصادق بالمتنبي الكذاب وهذا من اجهل الناس اذا اشتبه عليه حال غيره
فكيف من اشتبه عليه حال نفسه ولم يعلم ما يقوله اصدق هو ام كذب
ومن كان جاهلا مع هذه الدعوى العظيمة التي لم يدع بشر مثلها مع كثرة ما

يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ويامر به وينهى عنه من الامور الكلية
والسنن العامة والشرائع والمعايش فلابد ان يكون فيها من الضلال والغي
ما يشين لاكثر الخلق فاذا كانت اخباره عن الماضي والمستقبل يصدق بعضها
بعضا والذي يامر به هو الطريق الاقوم والكتاب الذي جاء به متشابه مثاني
يشبه بعضه بعضا في الصدق قال تعالى افلا يتدبرون القران ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فانه لو كان من عند غير الله لوجب ان يكون
فيه تناقض لامتناع قدرة البشر على ان يخبر بهذه الاخبار وما فيها من الغيوب
ويامر بهذه الاوامر مع سلامة ذلك من التناقض وهذا لا يوجد لبشر غير نبي
سلم من ذلك واذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد علم بالاضطرار من سيرته انه
كان يتحرى الصدق والعدل وانه ما جربت عليه كذبة قط وعلم انه كان جازما
بما يخبر به من عظم الاخبار واكثرها وهو وحده قام يدعوا الناس الى ما جاء به ومن كان
طالب الملك والرياسة ولو كان عادلا ان يستعين بمن يعينه كاقاربه واصدقائه
ونحوهم وان يبذل للنفوس من العاجل ما يرغبها به كالمال والرياسة ويرهب من
خالفه ومحمد صلى الله عليه وسلم دعا الناس وحده وهو بمكة فامن به المهاجرون
ثم امن به الانصار بالمدينة ثم امن به اهل البحرين ولم يعط احدا منهم درهما ولا كان
معه ما يحبهم به لا سيف ولا غيره بل مكث بمكة بضع عشرة سنة هو والمؤمنون
به مستضعفين لم يكن له مال يبذله لهم ولا سيف يحميهم به وكان اعظم من امن به
ابو بكر الصديق مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه ومحبتهم له وعلو قدره فيهم
انفق ماله كله في سبيل الله حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك
قال تركت لهم الله ورسوله ولم يعطه النبي صلى الله عليه وسلم درهما واحدا اخذه
به ثم تولى الامر بعده وترك ما كان معه للمسلمين واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله

معه

ومات وهو فقير من فقراء المسلمين وتولى بعده عمر بن الخطاب ففتح اعظم ممالك العالم مملكة
فارس والروم وقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر واميره الكبير ابو عبيدة ازهد
الخلق في الاموال واعبدهم للخالق وارحمهم للمخلوق وابعدهم عن هوى النفس ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن
الجراح وامير على فارس سعد بن ابي وقاص الذي كان مستجاب الدعوة وكان من ازهد
الناس وكان اخر من بقي من اهل الشورى والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل
في قصره بالعقيق لا يزاحم احدا فقال له ابنه عمر تركت الناس يتنازعون الملك
وجلست هاهنا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب
العبد التقي الخفي فصل ومن ايات محمد صلى الله عليه وسلم
ودلايل نبوته التي في القران قصة الفيل قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل
فجعلهم كعصف ماكول وقد تواترت قصة اصحاب الفيل وان اهل الحبشة
النصارى ساروا بجيش عظيم معهم فيل ليهدموا الكعبة لما اهان بعض العرب كنيستهم
التي باليمن فقصدوا اهانة الكعبة وتعظيم كنيستهم فارسل الله عليهم طيرا اهلكتهم
وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان جيران البيت مشركين يعبدون
الاوثان ودين النصارى خير من دينهم فعلم بذلك ان هذه الاية لم تكن لاجل جيران
البيت حينئذ بل كانت لاجل البيت ولاجل النبي صلى الله عليه وسلم الذي ولد
في ذلك العام عند البيت او لمجموعهما واي ذلك كان فهو من دلائل نبوته فانه اذا
قيل انما كانت اية للبيت وحفظا له ودفعا عنه لانه بيت الله الذي بناه ابراهيم الخليل
فقد علم انه ليس من اهل الملل من يحج الى هذا البيت ويصلي اليه الا امة محمد صلى
الله عليه وسلم ومحمد هو الذي فرض حجه والصلاة اليه فاذا كان هذا البيت عند الله خيرا

الكرامات

من الكنائس التي للنصارى حتى ان الله اهلك النصارى اهل الكنائس لما ارادوا
تعظيم الكنائس واهانة البيت فعلم ان دين اهل هذا البيت خير من دين النصارى
والمشركون لم يسلموا خيرا من النصارى فتعين ان امة محمد صلى الله عليه وسلم خير من
النصارى وذلك يستلزم ان نبيهم صادق والا لو كانوا متبعين لنبي كاذب لكانوا شرا من
النصارى بل هم شرار الخلق كاتباع مسيلمة الكذاب والاسود العنسي
وغيرهما وقال في القران الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل
كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات في تفرقة فوج بعد فوج
ترميهم بحجارة من سجيل اي من طين مستحجر فجعلهم كعصف ماكول كالتبن الذي اكل
وقوله الم تر استفهام في معنى التقرير وهذا يقتضي ان هذا مما قد علمه الناس بيان التقرير
ورواه وقد قررهم على ذلك لما فيه من الدلالة والبيان والانعام على الخلق
ومن اياته الظاهرة التي في القران ما ذكره من ان السما ملئت حرسا شديدا وشهبا
بخلاف ما كانت العادة جارية به قال تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر
من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا
الى قوله وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا وقال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم
وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون وهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقراه
على الناس وهم يرونه ولم ينكر احد ولا ارتاب به مؤمن ولا احتج به عليه كافر
فدل ان الناس علموا صدق ما اخبر به من ان السما ملئت حرسا شديدا
وشهبا وانهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع ومعلوم
ان هذا امر يراه الناس بابصارهم فان امتلا السما بالشهب امر يراه الناس



كلهم فلو لم يكن كذلك لكان الناس يكذبون بهذا مؤمنهم وكافرهم فان الجماعة العظيمة
الذين لم يتواطؤا يمتنع اتفاقهم على الكذب وعلى التصديق بما يعلمون انه كذب وعلى
كتمان ما يعلمونه وعلى ترك الانكار لما يعلمون انه كذب وقد سمع القران الذين سمعوه
ادركوا مبعثه وشاهدوا احوال السما فلو لم يكن هذا كان موجودا مع ان عامتهم كانوا
مكذبين له ولما امنوا كانوا طوائف متباينين يمتنع اتفاقهم على كذب او كتمان او سكوت
فلما لم ينكر ذلك احد بل ظاهرت الاخبار بمثل ما اخبر به القران من الرمي العظيم
بالشهب الذي لم يعهد مثله حتى صاروا يشكون هل ذلك من الكواكب التي في الفلك
او في غيرها وقالوا ان كان في كواكب الافلاك فهو خراب العالم فلما راوا ثباتها
علموا انه لامر حادث وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم
فقالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي
حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين
خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا
نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر
فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا
الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك
بربنا احدا فانزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي
انه استمع نفر من الجن وفي لفظ البخاري بنخلة قريبا من مكة وهو الصواب وقد
ظن بعض الناس ان الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك كما قال والصواب انه
كان يرمى بها كما هو الان احيانا كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس ورواه الصا

احمد في مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو في نفر من الانصار اذ رمي
بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية قالوا كنا نقول
حين رأيناها يرمى بها مات ملك وولد مولود فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس
ذاك كذلك ولكن الله اذا قضى في خلقه امرا سمعه اهل العرش فيسبحون فيسبح
من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السما
الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم فيقولون
الا تسالون من فوقكم لم سبحوا فيسالونهم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا
الامر الذي كان فيهبط به الخبر من سما الى سما حتى ينتهي الى سما الدنيا فيتحدثون
به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ثم ياتون به الى الكهان من
اهل الارض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون فيحدث الكهان فكانوا يحدثوننا بالشي
فيكون حقا قال تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه ويزيد
فيها اكثر من مائة كذبة وروى البخاري في صحيحه عن عائشة انها سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السما
فيسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة
من عند انفسهم وفي صحيح البخاري ايضا عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي
الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها
على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل
ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا الكلمة
التي سمعت من السما فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما ورواه محمد بن اسحق عن



الزهري وقال في اخره ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت
الكهنة فلا كهانة ورواه معمر عن الزهري وقال قلت للزهري اوكان يرمى بها في
الجاهلية قال نعم قلت يقول الله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت
واشتد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطبري عن داود بن عاصم
ابن علي عن عاصم عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان للجن مقاعد
في السما يسمعون الوحي وكان الوحي اذا اوحي سمعت كهيئة الحديدة رمي بها على
الصفوان فاذا سمعت الملايكة صلصلة الوحي خر لجباههم من في السما من الملايكة
فاذا نزل عليهم اصحاب الوحي قالوا ماذا قال ربكم قال فينادون قال ربكم الحق
وهو العلي الكبير قال فاذا نزل الى السما الدنيا قالوا يكون في الارض كذا وكذا
موتا وكذا وكذا حياة وكذا وكذا جدوبة وكذا وكذا خصبا وما يريد ان يصنع وما يريد
ان يبتدي تبارك وتعالى فنزلت الجن فاوحوا الى اوليايهم من الانس مما يكون في
الارض فبينما هم كذلك اذ بعث الله النبي عليه السلام فزجرت الشياطين ورموهم
بالكواكب فجعل لا يصعد احد الا احترق ~~الا~~ وفزع اهل الارض لما راوا في الكواكب
ولم يكن قبل ذلك فقالوا هلك من في السما وكان اهل الطايف اول من فزع فينطلق
الرجل الى ابله فينحر كل يوم بعيرا لالهتهم فينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة فينطلق
صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة فقال لهم رجل ويحكم لا تهلكوا اموالكم فان معالمكم
من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شي فاقلعوا وقد اسرعوا في اموالهم
وقال ابليس حدث في الارض حدث فاتي من كل الارض بتربة فجعل لا يوتى بتربة ارض الا شمها
فلما اتي بتربة تهامة قال ها هنا حدث الحدث فصرف الله اليه نفرا من الجن وهو
يقرا القران فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا حتى ختم الاية فولوا الى قومهم منذرين ورواه
ابو زرعة عن موسى بن اسمعيل عن حماد بن سلمة عن عطا بنحوه ورواه البيهقي من طرق

عن حماد بن سلمة عن عطا الضا فقد سمع انه لما كان في زمن المبعث ملئت السما حرسا
شديدا وشهبا كما هي الان يرمى بها احيانا وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع اي يسترق
احدهم ما يسمعه كما يسمع المستمع الى الحديث عنه مختفيا يسمعه عنه فقال وكانت
الشياطين تسترق اي تستمع ما تقوله الملائكة فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
صار احدهم اذا استمع وجد الشهاب قد ارصد له فلم يستطع ان يقعد ويستمع كما كان
قبل ذلك

فصل

وقد ذكرنا بعض اياته التي في القران لكن من
اهل الكتاب من يقول لا اصدق الا بما في القران كما في التوراة والانجيل من ايات
موسى والمسيح اذ كان نقل القران عنه متواترا لا يستريب منه احد فنبهنا على
بعض ما في القران مع ان اياته التي ليست في القران كثيرة جدا وليس من شرط
المنقول المتواتر ان يكون في القران بل تواتر عنه من شريعته ما ليس في القران
وهو من الحكمة التي انزلها الله عليه كذلك تواتر عنه من دلايل نبوته ما ليس في
القران وهو من براهينه واياته وقد قال تعالى في غير موضع وانزلنا عليك الكتاب
والحكمة فالحكمة نزلت عليه وهي منقولة في غير القران وقد تواتر عنه كون الصلوات
خمسا والفجر ركعتان والمغرب ثلثا والباقي اربع اربع والرباعية في السفر ركعتان
وتواتر عنه سجود السهو كذلك تواتر عنه انواع من المعجزات والاخبار المتواترة
في اصناف اياته وبراهينه كثيرة جدا لا يمكن احصاها وهي مشتملة على جنسي العلم
والقدرة على انواع من الاخبار بالغيوب المستقبلة مفصلة كانما راها بعينه
لم يات منها خبر الا كما اخبر به وهذا امر لم يكن قط لاحد الا لنبي اما الكاهن والمنجم ونحو
هما فيكذبون كثيرا كما يصدقون ويخبرون بمجمل غير مفصل واما اهل الولاية
والصلاح فاعظمهم كشفا يخبر من ذلك بامور قليلة لا تبلغ عشر معشار ما اخبر به
النبي ولا يخبرون بها مفصلة كخبره وعلى انواع من القدرة والتصرف الخارق



للعادة والايات اما من باب العلم والخبر والمكاشفة واما من باب القدرة والتاثير
والتصرف وفي القران من الاخبار بالمستقبلات شي كثير كقوله تعالى الم غلبت الروم
في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد
فغلبت الروم فارس في بضع سنين وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى وكقوله تعالى
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وكان كما اخبر
روى الدارمي عن ابي بن كعب قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
المدينة واوتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون الا في الاسلام السلاح
ولا يصبحون الا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت امنين مطمئنين لا نخاف الا الله عز
وجل فنزلت وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات الى اخر الاية وكان كذلك
استخلف الله المؤمنين في الارض ومكن لهم دينهم في مشارق الارض ومغاربها
وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا وكان كما اخبر ووعد وقال تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وكان كما اخبر وقال تعالى وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين فاخبر انهم لن
يفعلوا وكان كما اخبر واخبر انه قال للمسيح وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين
كفروا الى يوم القيمة وكان كما اخبر وانزل قبل ذلك سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا وكان كما اخبر
وقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به
فاغرينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة وكانوا كما اخبر وقالت

معلوله

اليهود يد الله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشا
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة
والبغضا الى يوم القيمه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وكان كما اخبر
وقال لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباوا بغضب من الله
وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا
بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وقال ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا
الادبار وقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وكان كذلك فلم يقاتلوهم بعد
نزول الاية الا انتصر عليهم المسلمون وما زال الاسلام في عزو وظهور حتى ظهر
على اهل المشرق والمغرب وقال ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وقال خطابا لليهود قل ان
كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حياة
ومن الذين اشركوا وقال قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فاخبر عن اليهود انهم لن يتمنوا
الموت ابدا وكان كما اخبر فلا يتمنى اليهود الموت ابدا وهذا دليل من وجهين
من جهة اخباره بانه لا يكون ابدا ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن
تمني الموت مع ان ذلك مقدور لهم وهذا من اعجب الامور الخارقة للعادة وهم
مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لاظهار تكذيبه باظهار تمني الموت
وقال في سورة المدثر ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا



وبنين شهودا الى قوله ساصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر وقال
عن ابي لهب تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا
ذات لهب وكان كما اخبر به مات الوليد كافرا ومات ابو لهب كافرا وقال
في سورة الفتح وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس
عنكم ولتكون اية للمؤمنين وقال لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين
روسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقال
قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما
وهذا كله وقع كما اخبر فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ودخلوا المسجد الحرام
امنين ودعيت الاعراب الى قتال الروم والفرس تقاتلونهم او يسلمون فلا بد من
القتال او الاسلام ليس هناك هدنة بلا قتال كما كان يكون قبل نزول الاية
وقال تعالى اذا جا نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فدخل الناس في دين الله افواجا
بعد الفتح فلما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله
الاسلام وقال تعالى عن المنافقين الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ولذلك
كان وذكر اهل التفسير والمغازي والسير ان هذه الاية نزلت في المنافقين
لعبد الله بن ابي وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وغيرهم كانوا يقولون
لبني النضير وهم اليهود حلفاؤهم لان اخرجتم لنخرجن معكم الاية فاخبر الله عنهم
انهم لن يفعلوا ذلك ولذلك كان وضرب الله مثلا بالشيطان اذ قال للانسان

اكبر فلما تعرف قال اني برئ منك اني اخاف الله رب العالمين كذلك المنافقون
وسوء النظر وصل وامانه صلى الله عليه وسلم قد استوعبت
جميع انواع الايات الخبرية فالخبار عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بامور
باهرة لا يوجد مثلها لاحد من البشر فضلا عن غير البشر ففي القران من اخبار
عن الغيوب شي كثير كما تقدم بعضه ذلك وكذلك في الاحاديث الصحيحة ما اخبر
بوقوعه وكان كما اخبر ففي الصحيحين عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا
حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون
منه الشي قد نسيته فاراه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا
راه عرفه وفي صحيح مسلم عن ابي زيد عمرو بن اخطب قال صلى بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفجر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى بنا ثم
صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا
حتى غربت الشمس قال واخبرنا بما كان وما هو كائن فاحفظنا اعلمنا وفي صحيح
البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
رجل فشكى اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل
رايت الحيرة قلت لم ارها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة
ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قال قلت فيما بيني
وبين نفسي فاين دعار طي الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز
كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج
ملء كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين
الله احدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له الم ابعث



اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول
بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة
قال عدي فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف
الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه قلت وهذا الذي اخبر به من
خروج الرجل بملء كفه من ذهب او فضة فلا يجد من يقبله ظهر كما اخبر في زمن عمر بن
عبد العزيز وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قال فاتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل
المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند اكمة فانهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه
وسلم قاعد قال فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه قال ثم قلت لعله نجي
معهم فاتيتهم فقمت بينهم وبينه قال فحفظت منه اربع كلمات اعدهن في يدي
قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون
الدجال فيفتحه الله وروى البخاري عن عوف بن مالك قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح
بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال ثم يعطى الرجل
مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنة
تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فياتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر
الفا قلت ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب ثم بعد ذلك وقع
الطاعون العظيم بالشام طاعون عمواس في خلافة عمر ايضا ومات فيه معاذ بن جبل
وابو عبيدة بن الجراح وخلق كثير وكان ذلك اول طاعون وقع في الاسلام وكان

ما اخبر به حتى احدهم طاعون كعقاص الغنم ثم استفاضة المال في خلافة عثمان بن
عفان حتى كان احدهم يعطى مائة دينار فيسخطها وكثر المال حتى كانت الفرس
تشترى بوزنها وفي الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة
فقلنا الا تدعو الله لنا الا تستنصر لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان
قبلكم ليوخذ الرجل فيحفر له الحفرة ويوضع المنشار على راسه فيشق باثنين ما يصرفه
عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعا الى حضرموت
لا يخشى الا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون وفي صحيح البخاري عن ابي
هريرة قال لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف
الانف كان وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر
ملت رها ولا الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وامر هذه الطوائف معروف وحدثهم في اكثر من عشر الالف سنة كبار وصغار من
المسلمين فيل قتالها ولا الذين ظهروا من ناحية المشرق الذي هذه صفتهم الى كل
من راهم بعينه ان صفتهم لم تخش مثل هذه الصفة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء
لها اعناق الابل ببصرى وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة
وراها الناس وراوا اعناق الابل قد اضاءت ببصرى وكان يعرق الحجر والحديد
اللهم وفي الصحيحين عن ابي سعيد وام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم
لا يكون قيصر بعده ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال اذا

وسلم انه قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده
والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن عصابة من المسلمين او قال
المومنين كنز ال كسرى الذي في الابيض والابيض قصر كان لكسرى وفي صحيح البخاري
وغيره عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن الحسن ان ابني هذا سيد
وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فوقع هذا كما اخبر به بعد موت
الرسول بنحو ثلثين سنة وهو سنة اربعين من الهجرة لما اصلح الله بالحسن بين
الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين بصفين عسكر علي وعسكر معوية وفي
الصحيحين عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني رايت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل واري الناس يتكففون منها
بايديهم فمنهم المستكثر والمستقل ثم اذا سبب واصل من الارض الى السما فاراك
اخذت به فعلوت ثم اخذ به رجل بعدك فعلا ثم اخذ به رجل اخر فعلا ثم اخذ
به رجل اخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال ابو بكر يا رسول الله بابي انت وامي لتدعني
فلاعبرها فقال اعبر فقال ابو بكر اما الظلة فظلة الاسلام واما الذي ينطف
من السمن والعسل فهو القران والمستقل واما السبب الواصل من السما الى
الارض فالحق الذي انت عليه فاخذت به فيعليك الله ثم ياخذ به رجل من بعدك
فيعلو به ثم ياخذ به رجل اخر فيعلو ثم ياخذ به رجل اخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به
فاخبرني يا رسول الله اصبت ام اخطات فقال اصبت بعضا واخطات بعضا
قال فوالله يا رسول الله لتخبرني بالذي اخطات قال لا تقسم وفي الصحيحين
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم على قليب
عليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين

رايتني

ومن نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا
من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن وفي رواية فاستحالت الدلو
غربا في يد عمر قال الشافعي رؤيا الانبيا وحي وقوله في نزعه ضعف قصر مدته
وعجلة موته وشغله بالحرب مع اهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في
طول مدته وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ان امراة سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيا فامرها ان ترجع اليه فقالت ان جيت فلم اجدك يا
رسول الله ارايت قال الي كانها تعني الموت قال ان لم تجديني فاتي ابا بكر وروى ابو
داود الطيالسي عن ابي ثعلبة الخشني وعن ابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكاينا خلافة
ورحمة وكاينا ملكا عضوضا وكاينا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون
الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله عز وجل
وروى ابو داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت كان
دلوا دلي من السما فجا ابو بكر رضي الله عنه فاخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا
ثم جا عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جا عثمان فاخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح
عليه منه شي وفي السنن عن سفينه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون
خلافة النبوة ثلثين سنة ثم تصير ملكا وكان هذا العام تمام الثلثين سنة من موته
ودخل في ذلك خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وفي الصحيحين عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها وفي صحيح مسلم ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وان
امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سالت
ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم



فيستبيح بيضتهم وان ربي قال لي يا محمد اذا قضيت قضا فانه لا يرد واني اعطيتك
لامتك اني لا اهلكهم بسنة عامة ولا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم
ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وهذا اخبر به في اول
الامر واصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة وكان كما اخبر فان ملك امته انتشر
في الشرق والغرب ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في الشرق والغرب
اذ كانت امته اعدل الامم فانتشرت دعوته في الاقاليم التي هي وسط المعمور من
الارض كالثالث والرابع والخامس وقد تقدم قوله هلك كسرى فلا يكون كسرى
بعده وذاك كسرى بن هرمز اخر الاكاسرة المملكين ثم ولي بعده ولاة مستضعفون
وكان اخرهم يزدجرد واليه الاشارة باللفظ الاخر اذا هلك كسرى فلا كسرى
بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في
سبيل الله وهذا اخبر به وملك كسرى وقيصر اعز ملك في الارض وصدق
الله خبره في خلافة عمر وعثمان فهلك كسرى وهو اخر الاكاسرة في خلافة
عثمان بارض فارس ولم يبق بعده كسرى ولم يبق للمجوس والفرس ملك وهلك
قيصر الذي بارض الشام وغيرها ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ولا مصر
ولا الجزيرة من النصارى وهو الذي يدعى قيصر قال الشافعي كانت قريش تنتاب
الشام انتيابا كثيرا وكان كثير من معاشها منه وتاتي العراق فقيل لما دخلت في
الاسلام ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم خوفها من انقطاع معاشها بالتجارة
من الشام والعراق اذا فارقت الكفر ودخلت في الاسلام وخلاف ملك الشام
والعراق لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا هلك
كسرى فلا كسرى بعده فلم يبق بارض العراق كسرى يثبت له امر بعده وقال اذا
هلك قيصر فلا قيصر بعده فلم يكن بارض الشام قيصر فاجابهم على ما قالوا وكان

كما قال هلك كسرى فلا كسرى بعده وقيصر اذا هلك فلا قيصر بعده وقد قال في كسرى
(قطع الله الاكاسرة عن العراق وفارس وقيصر عن الشام وقال في كسرى)
مزق الله ملكه فلم يبق للاكاسرة ملك وقال في قيصر ثبت ملكه فثبت ملكهم ببلاد
الروم ونحي عن الشام وكل هذا يصدق بعضه بعضا وفي الصحيحين عن [illegible] زهير قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفتح اليمن فياتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم
ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح العراق فياتي قوم فيتحملون باهليهم
ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وفي رواية فيخرج من المدينة فاخبر
صلى الله عليه وسلم بفتح اليمن والشام والعراق قبل ان يكون واخبر انه يخرج من المدينة
اقوام يتحملون باهليهم ومن اطاعهم الى هذه الامصار يطلبون الريف وسعة الرزق قال
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وفي صحيح مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ستفتح مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا وفي رواية
فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما فاذا رايتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج
منها فمر ابو ذر بعد فتح مصر بهما بابني شرحبيل بن حسنة وهما يتنازعان في موضع
لبنة فخرج منها وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول حين اجلي الاحزاب عنه الان نغزوهم ولا يغزونا ولذلك كان وفي صحيح مسلم
عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فتحت عليكم فارس
والروم اي قوم انتم قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما امرنا الله قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم او غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون
ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض وفي صحيح البخاري
عن ابي هريرة ان الله لما انزل الله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين واخرين منهم لما
يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الاخرين فقال

صوابه سفين بن زهير

ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح الشام فياتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم



لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وفي لفظ لو كان الايمان وفي
لفظ العلم وكان كما اخبر فانه حصل في التابعين ومن بعدهم من ابناء فارس
مثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد
بن جبر واضعاف هؤلاء ممن نالوا ذلك ولما انزل قوله تعالى فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين سئل عنهم فقال هم قوم هذا
واشار الى ابي موسى الاشعري وقال اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وفي الصحيحين
عنه انه قال اتاكم اهل اليمن هم ارق قلوبا والين افئدة الايمان يمان والفقه يمان
والحكمة يمانية فلما ارتد من ارتد عن الاسلام اتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه فقاتل
الصديق بهم اهل الردة وغلب بهم ابو بكر وعمر كسرى وقيصر وقال لعثمان ان الله
مقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه وفي الصحيحين عن ابي موسى قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حايط من حوايط المدينة وهو متكي
يركز بعود في الماء والطين اذا استفتح رجل فقال له افتح وبشره بالجنة فاذا
هو ابو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل اخر فقال له افتح وبشره
بالجنة فذهب فاذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل اخر فقال
له افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فذهبت فاذا هو عثمان ففتحت له وبشرته
بالجنة وقلت له الذي قال فقال اللهم صبرا او الله المستعان وفي الصحيحين عن حذيفة
حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمر ان بينك
وبينها بابا مغلقا يوشك ذلك الباب ان يكسر وسال مسروق عن الباب
فقال عمر وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ستكون الفتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي
من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجا فليعذ به ورواه ابو بكرة وقال فيه

فاذا وقعت فمن كان له ابل فليلحق بابله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له
ارض فليلحق بارضه قال فقال رجل يا رسول الله ارايت ان لم يكن له ابل ولا غنم ولا ارض
قال يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع النجاء اللهم هل بلغت اللهم
هل بلغت فقال رجل يا رسول الله ارايت ان اكرهت حتى ينطلق بي الى احد الصفين
او احد الفئتين فضربني رجل بسيفه او يجي سهم فيقتلني قال يبوء باثمه واثمك ويكون من
اصحاب النار وفي صحيح ابي حاتم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من
شر قد اقترب او فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من
الساعي ويل للساعي فيها من الله يوم القيمه وفي الصحيحين عنه انه قال اني لا ارى
الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر وفي الصحيحين من غير وجه انه لما قال له ذو
الخويصرة يا محمد اعدل فانك لم تعدل فقال ويحك قد خبت وخسرت ان لم اعدل
فقال بعض اصحابه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه يخرج من ضئضئ هذا اقوام يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم
وقراءته مع قراءتهم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم
من الرمية ايتهم ان فيهم رجل مخدج اليد على عضده مثل البضعة من اللحم تدردر
عليها شعرات وفي رواية في الصحيحين يمرقون على حين فرقة من المسلمين
تقتلهم ادنى الطائفتين الى الحق فما ولا ظهروا بعد موته بضع وعشرين سنه في اواخر
خلافة علي لما افترق المسلمون وكانت الفتنه بين عسكر علي وعسكر معويه
وسلم على ابن ابي طالب واصحابه هم ادنى الطائفتين الى الحق والطائفه
الاخرى فيهم عمار بن ياسر وهي الطائفه الباغيه وهذا علي قد اخبرهم بهذا الحديث
وبعد انهم يطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه حتى قام على نفسه فعثر عليه تحت جدار
مقتولا فسجد شكرا لله وفي الصحيح عنه انه قال ستكون بعدي امراء يوخرون



الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة وها ولا
تظهروا تعلمه وكانوا يوخرون الظهر الى وقت العصر ويوخرون العصر الى اصفرار
الشمس وفي الصحيحين عنه انه قال انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى
تلقوني على الحوض وليقوا بعده من استاثر عليهم ولم يعطهم حقهم وفي الصحيحين عنه انه
قال ستكون بعدي امراء يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم قالوا فما تامرنا يا رسول
الله قال ادوا اليهم حقهم واسالوا الله حقكم وفي الصحيحين عنه انه سار فاطمه
فقال لها وهو في مرضه الذي توفي فيه اني اقبض في مرضي هذا ثم اخبرها انها
اول اهله لحوقا به وفي روايه واخبرها انها سيده نسا المومنين وفي الصحيحين
عن عايشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحاقا بي
اطولكن يدا قالت فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا وكانت اطولنا يدا زينب لانها
كانت تعمل بيدها وتصدق وفي صحيح البخاري وعنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اول جيش يغزوا القسطنطينيه مغفور لهم وفي صحيح
البخاري عن ام حرام ايضا قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اول جيش من امتي يغزوا البحر قد اوجبوا قالت قلت يا رسول الله انا
فيهم قال انت فيهم قالت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اول جيش من امتي يغزون
مدينة قيصر مغفور لهم فقلت يا رسول الله انا فيهم قال لا فغزاها المسلمون
في خلافة معويه وكان يزيد اميرهم وكان في العسكر ابو ايوب الانصاري
الذي نزل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته لما قدم المدينه مهاجرا ومات
ودفن تحت سورها وذكروا انهم كانوا اذا اجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون
ثم غزاها المسلمون مرة ثانيه في خلافة عبد الملك غزاها ابنه مسلمه وحصرها
علو سسر وبنوا فيها مسجدا وفي الصحيحين عن انس قال كان النبي صلى الله عليه

وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت ام حرام تحت عبادة بن الصامت
فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمته وجعلت تفلي راسه فنام
ثم استيقظ وهو يضحك فقالت ما يضحكك فقال عرض علي ناس من امتي يركبون
ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة ~~ومثل الملوك على الاسرة~~ او مثل الملوك على
الاسرة فقالت ام حرام ادع الله يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع راسه فنام ثم
استيقظ وهو يضحك فقالت ما يضحكك فقال عرض علي ناس من امتي كما قال في
الاولى فقالت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاولين قال انس
فركبت البحر زمان معويه ابن ابي سفيان فصرعت عن دابتها لما خرجت من البحر فماتت
وهذا كان في خلافة عثمن ومعوية نايبه وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا
في البحر واول ما غزوا البحر في عثمان وفتحوا جزيرة قبرص وجاءوا بسبيها الى
دمشق وكان ابو الدردا حيا بدمشق فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك يا ابا الدردا
هذا يوم قد اعز الله فيه الاسلام فقال انما ابكي اني رايت هذه الامه كانت قاهره
ظاهره فاضاعت امر الله فيه فصارها الله الى ما ترون ما اهون العباد
على الله اذا اضاعوا امره وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحده سالته ان لا يسلط على امتي عدوا
من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها وسالته ان لا يهلكهم بسنة عامه فاعطانيها وسالته
ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وثبت عنه في الصحيحين انه قال لا تزال طايفة من امتي
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وهذا خبر
اخبر به حين كانت امته اقل الامم فانتشرت الامه في مشارق الارض ومغاربها
وكان كما اخبر به فان هذه الامه ولله الحمد والمنه لم يزل فيها طايفه ظاهره
بالعلم والدين والسيف لم يصبها ما اصاب من قبلها من بني اسرايل وغيرهم

حيث كانوا مقهورين مع الاعدا بل ان غلبت طايفة في قطر من الارض كانت في القطر الاخر
امه ظاهره منصوره ولم يسلط على مجموعها عدوا من غيرهم ولكن وقع بينهم اختلاف
وفتن وفي صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس
ونسا كاسيات عاريات مميلات مايلات روسهن كاسنمة البخت المايله لا يدخلن
الجنه ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيره كذا وكذا وهولا ظهروا بعده بمده
طويله وظهر النسوة بعد ذلك بمدة كبيرة وعلى روسهن عمايم كاسنمة البخاتي يسمون
الكمامه سنام الجمل وفي صحيح مسلم عن اسما بنت ابي بكر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال يكون في ثقيف كذاب ومبير وظهر الكذاب من ثقيف وهو المختار
بن ابي عبيد الثقفي الذي اظهر التشيع والانتصار للحسين وقتل عبيد الله بن زياد امير
من قتله الحسين ثم اظهر انه يوحى اليه وانه ينزل عليه حتى قيل لابن عمر وابن عباس
عنه قيل لاحدهما انه يوحى اليه وللاخر انه ينزل عليه فقال احدهما وان
الشياطين ليوحون الى اوليايهم وقال الاخر هل انبيكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم واما المبير فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي وكان منحرفا
سفاكا للدما يعمر حول سلطان عبد الملك بن مروان الذي استنابه وفي الصحيحين
عن ابي هريره انه قال لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ايكم يبسط
ثوبه فياخذ من حديثي فيجمعه الى صدره فانه لن ينسى شيا سمعه فبسطت برده
على فرغ من حديثه ثم جمعتها الى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيا سمعته منه
وفي الصحيحين عن جابر بن سمره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال الاسلام عزيزا الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش وفي لفظ اثني عشر اميرا وفي
روايه لابي داود الطيالسي كلهم تجتمع عليهم الامه وفي روايه فقالوا ثم يكون ماذا قال

العدد وفي الأخرى بيان

يكون الهرج قال أبو بكر البيهقي وفي الرواية الأولى بيان أن المراد بالعدد
تقدير وقوع الهرج وهو القتل بعدهم وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة
إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظمى وإنما يزيد على
العدد المذكور إذا ترك الصفة المذكورة فيه أو عد معهم من كان بعد الهرج وفي
الصحيحين عن جابر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لكم من
أنماط قلت يا رسول الله وأنى يكون لي أنماط قال فأنا أقول اليوم لامرأتي نحي عني أنماطك
فتقول ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها ستكون لكم أنماط
وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم
أريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما فكرهتهما فأذن لي فنفختهما فطارا
فأولتهما كذابين يخرجان بعدي قال عبد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز
باليمن والآخر مسيلمة وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وهو مستقبل المشرق ها إن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا
من حيث يطلع قرن الشيطان وفي بعض طرق البخاري قام خطيبا فأشار
نحو مسكن عائشة فقال وذكر الكذاب والمشرق عن حديث فيه البحرين ومنها خرج
مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وهو أول حادث حدث بعده واتبعه خلائق
وقاتلهم خليفته الصديق وروى أبو حاتم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن بين يدي الساعة كذابين منهم صاحب
اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسي ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال
وهو أعظمهم فتنة وصاحب اليمامة هو مسيلمة وقال أصحابي قال لهم قريب من
ثلاثين كذابا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول

قال



قال القتل القتل وفي
صحيح ابن حبان عن أبي ذر
قال ركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم

الله وحتى يفيض المال ويظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا وما الهرج يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حمارا وأردفني خلفه ثم قال يا أبا ذر أرأيت إن أصاب
الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع
فقال الله ورسوله أعلم قال تعفف قال يا أبا ذر أرأيت إذا أصاب الناس موت
شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف تصنع قال الله ورسوله أعلم قال اصبر يا أبا ذر
أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع
قال الله ورسوله أعلم قال اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك فقال أرأيت إن
لم أترك قال فأت من أنت منه فكن فيهم قال فآخذ سلاحي قال إذا تشاركهم فيه
ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمك
وإثمه وفيه عن ابن مسعود قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من أدم
فيها أربعون رجلا فقال إنكم مفتوحون ومنصورون فمن أدرك ذلك
الزمان منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ومن كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار وأما الفتوح التي فتحت عليهم والنصر التي نصروا فقد
أخبر به في أوائل بعثته كما تقدم ذكره ووقع ما أخبر به وروى أبو حاتم في صحيحه
عن ابن عباس قال مرض أبو طالب فأتته قريش وأتاه النبي صلى الله عليه وسلم
يعوده وعند رأسه مقعد رجل فقام أبو جهل فقعد فيه فشكوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب فقالوا إن ابن أخيك يقع في آلهتنا قال ما شأن
قومك يشكونك يا ابن أخي قال يا عم إنما أردتهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب
وتؤدي إليهم بها العجم الجزية فقال وما هي قال لا إله إلا الله فقاموا فقالوا أجعل
الآلهة إلها واحدا قال ونزلت ص والقرآن ذي الذكر إلى قوله إن هذا لشيء
عجاب وفي صحيح ابن حبان عن إسمعيل ابن الأقيش قال لما أملت عائشة قريب

بلغ

بعض مياه بني عامر طرقتهم ليلا فسمعت نباح الكلاب فقالت اي ماء هذا قالوا ماء
الحوأب قالت ما اظنني الا راجعة قالوا مهلا يرحمك الله تقدمين فيراك المسلمون
فيصلح الله بك قالت ما اظنني الا راجعة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب ومنه ايضا عن ابن ابي طالب قال
قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز وانا اريد العراق لا تات العراق
فانك ان اتيتهم اصابك ذباب السيف قال علي وايم الله لقد قالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو الاسود فقلت في نفسي ما رايت كاليوم رجلا
محاربا يحدث الناس بمثل هذا وهذا وامثاله مما اخبر به من المستقبلات
يوقع بعده كما اخبر وراى الناس ذلك واما ما اخبر به مما لم يقع الى الان فكثير
وقد اخبر باشياء من المغيبات ووقعت في زمانه ووجدت كما اخبر كما في الصحيحين
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فكان
كذلك وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من اهل النار فلما حضرنا
القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل
الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال
النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبيناهم على ذلك
اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جراحا شديدا فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح
فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله
ورسوله وان الله يؤيد هذا الدين ثم امر بلالا فنادى في الناس انه لا يدخل
الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ورواه سهل بن



سعد وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا مرثد الغنوي والزبير بن العوام والمقداد وكلنا فارس فقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ فان بها امراة من المشركين معها كتاب من حاطب الى المشركين
قال فادركناها تسير على بعير لها حيث قلنا لها اين الكتاب فقالت ما معي كتاب
قال فانخناها فالتمسنا الكتاب في رحلها فلم نره قال قلنا ما كذب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب او لنجردنك قال فلما رات اني اهويت الى
حجزتها وهي محتجزة بكساء فاخرجت الكتاب من عقاصها فاخذنا الكتاب فاتينا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم
ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن بلتعة الى ناس
من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال
لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكان من كان معك
من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ يدا
يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر
بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر
دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله
قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وكان في الكتاب اخبار
المشركين بان النبي صلى الله عليه وسلم يريد يغزوهم فاعلم الله بذلك نبيه وفي الصحيحين
عن ابي هريرة قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس النجاشي في اليوم الذي
مات فيه فخرج الى المصلى وكبر اربع تكبيرات وفي رواية عن جابر قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى على اصحمة النجاشي وفي لفظ من رواية ابي هريرة قال
لما مات اليوم عبد الله صالح اصحمة فامنا وصلى عليه وفي رواية عمران بن حصين

[illegible]

قال انا حاكم قد مات فصلوا عليه يعني النجاشي وروى موسى بن عقبة عن ابن
شهاب ورواها عروة بن الزبير ومحمد بن اسحق بمعناه قال ثم ان المشركين اشتدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية فلما راى ابو طالب عمل القوم جمع بني عبد
المطلب وامرهم ان يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ويمنعوه ممن اراد
قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله ايمانا ويقينا
فلما عرفت قريش ان القوم قد منعوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا على
ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا امرهم ان لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا
يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا في مكرهم
صحيفة وعهود ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم ابدا صلحا ولا تاخذهم بهم رافة
حتى يسلموه للقتل فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد
وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا الا بادروهم اليه
فاشتروه يريدون بذلك ان يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم
زاد ابن اسحق في روايته قال كان يسمع صوت صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب
من الجوع وعدوا على من اسلم فاوثقوهم واذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة
وزلزلوا زلزالا شديدا قال موسى بن عقبة في تمام حديثه وكان ابو طالب
اذا اخذ الناس مضاجعهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على
فراشه حتى يرى ذلك من اراد مكرا به واغتياله فاذا نوم الناس امر احد بنيه
او اخوته او بني عمه فاضطجع على فرش رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي بعض فرشهم فينام عليه فلما كان راس
ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي ورجال سواهم من قريش
قد ولدتهم نساء بني هاشم وراوا انهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمعوا



امرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله عز
وجل على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم الارضة فلحست
كل ما كان فيها من عهد وميثاق ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك
اسما لله عز وجل فيها الا لحسته وبقي ما فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم فاطلع
الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي طالب فقال ابو طالب لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد
المطلب حتى اتى المسجد وهو حافل من قريش فلما راوهم عامدين لجماعتهم انكروا ذلك
وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتكلم ابو طالب فقال قد حدثت امور بينكم لم نذكرها لكم فاتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم
عليها فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية ان ينظروا في صحيفتهم قبل
ان ياتوا بها فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون ان الرسول مدفوعا اليهم فوضعوها
بينهم وقالوا قد ان لكم ان تقبلوا وترجعوا الى امر يجمع قومكم فانما قطع بيننا وبينكم
رجل واحد جعلتموه خطر الهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم فقال ابو طالب
انما اتيتكم لاعطيكم امرا فيه نصف ان ابن اخي اخبرني ولم يكذبني ان الله عز وجل
بري من هذه الصحيفة التي في ايديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم
ايانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذي قال ابن اخي كما قال
فافيقوا فوالله لا نسلمه ابدا حتى يموت من عندنا اخرنا وان كان الذي قال باطلا
دفعناه اليكم فقتلتموه او استحييتموه قالوا قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة
فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد اخبر خبرها فلما راتها ان كان
قريش كالذي قال ابو طالب قالوا والله ان هذا الا سحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا
الشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمسلمين وعلى رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه فقال اولئك النفر من بني
عبد المطلب ان اولى بالسحر والكذب غيرنا فكيف ترون فانا نعلم ان الذي اجتمعتم
عليه من قطيعتنا اقرب الى الجبت والسحر من امرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر
لم تفسد صحيفتكم وهي في ايديكم طمس الله ما كان فيها من اسم وما كان فيها من بغي
تركه افنحن السحرة ام انتم فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال
من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم ابو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن ابي
امية بن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو
من بني عامر بن لؤي في رجال من اشرافهم ووجوههم نحن برآء مما في هذه الصحيفة
فقال ابو جهل هذا امر قد قضي بليل وانشأ ابو طالب يقول في ذلك
الشعر في شان صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد
ويمدح النجاشي قال موسى بن عقبة فلما افسد الله صحيفة مكرهم خرج النبي صلى
الله عليه وسلم فعاشوا وخالطوا الناس وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود
قال انطلق سعد بن معاذ معتمرا فنزل على امية بن خلف ابي صفوان وكان امية
بن خلف اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ فقال امية لسعد انتظر
لي ساعة خلوة لعلي ان اطوف بالبيت قال انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل
الناس انطلقت فطفت قال فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما ابو جهل فقال
يا ابا صفوان من هذا معك فقال هذا سعد فقال له ابو جهل الا اراك تطوف
بالبيت آمنا وقد آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما والله لولا انك
مع ابي صفوان ما رجعت الى اهلك سالما فقال له سعد وقد رفع صوته عليه
لئن منعتني من هذا لامنعنك ما هو اشد عليك منه طريقك على المدينة قال
فقال له امية لا ترفع صوتك على ابي الحكم سيد اهل الوادي فقال سعد دعنا عنك



يا امية فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قاتلك قال
بمكة قال لا ادري ففزع لذلك امية الى اهله فزعا شديدا فقال والله ما يكذب
محمد فلما رجع امية الى اهله قال يا ام صفوان الم تري ما قال لي سعد قالت وما قال
لك قال زعم ان محمدا اخبرهم انه قاتلي فقلت له بمكة فقال لا ادري وقال والله ما
يكذب محمد فقال امية والله لا اخرج من مكة فلما كان يوم بدر استنفر ابو جهل فقال
يا ابا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد اهل الوادي يتخلفوا معك
فلم يزل ابو جهل حتى قال ادركني فوالله لاشترين اجود بعير بمكة قال يا ام صفوان
جهزيني فقالت يا ابا صفوان قد نسيت ما قال اخوك اليثربي قال لا وما
اريد ان اجوز معهم الا قريبا قال فلما خرج امية جعل لا ينزل منزلا الا عقل بعيره
فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر وعن كعب بن مالك قال كان ابي بن خلف اخو بني
جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
انا اقتله ان شاء الله عز وجل فاقبل ابي مقنعا في الحديد وهو يقول لا نجوت ان نجا
محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير
من بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي بن خلف من فرجة
بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بحربته فوقع ابي عن فرسه ولم يخرج من
طعنته دم فاتاه اصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اجزعك
انما هو خدش فذكرهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقتل ابيا ثم
قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعون
فمات الى النار ورواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب
وذكر الواقدي باسناده قال نا وهذا لفظه وذكر موسى بن عقبة في مغازيه

بنفسه فقتل مصعب بن عمير وابصر [illegible]

[illegible]

وابن اسحق وغيره ان عمير بن وهب الجمحي لما رجع فل المشركين الى مكة وقد قتل الله
من قتل منهم اقبل عمير حتى جلس الى صفوان ابن امية في الحجر فقال صفوان قبح الله
العيش بعد قتلى بدر قال اجل والله ما في العيش خير بعدهم ولولا دين علي لا
اجد له قضاء وعيال لا ادع لهم شيئا لرحلت الى محمد فقتلته ان ملأت عيني منه فان
لي عنده علة اعتل بها اقول قدمت على ابني هذا الاسير ففرح صفوان
بقوله وقال له علي دينك وعيالك اسوة عيالي في النفقة فحمله صفوان
وجهزه وامر بسيف عمير فصقل وسم فاقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد
وعقل راحلته واخذ السيف فعمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر عمر بن الخطاب
اليه وهو في نفر من الانصار يتحدثون فقال عمر عندكم الكلب هذا عدو الله
الذي حرش بيننا يوم بدر وحزرنا للقوم ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اقدمك قال اسيري عندكم تفادونا في اسرانا فانكم العشيرة والاهل قال
فما بال السيف في عنقك قال عمير قبحها الله من سيوف فهل اغنت عنا شيئا
انما نسيته في عنقي حتى نزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصدقني ما اقدمك ما قدمت الا في اسيري قال فما ذا اشترطت لصفوان بن
امية في الحجر ففزع عمير وقال ما ذا اشترطت له قال تحملت له بقتلي على ان
يعول بنيك ويقضي دينك والله حائل بينك وبين ذلك فقال عمير اشهد
انك رسول الله وان لا اله الا الله كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء وهذا
الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه احد غيري وغيره واخبرك
الله به وذكر بقية الحديث وفي صحيح البخاري عن انس قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال



لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والا كنتم مني قريبا فامنوه فبينما هو يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ اومؤا الى
رجل منهم فطعنه فانفذه فقال فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه
فقتلوهم الا رجل اعرج صعد الجبل واخر معه فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه
وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم فكنا نقرأ ان بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا
فرضي عنا وارضانا ثم نسخ فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية
الذين عصوا الله ورسوله وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة قال عنه عامر بن الطفيل
لقد رأيته بعدما قتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض وفي
الصحيحين من حديث ابي حميد الساعدي قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوا فخرصناها وخرصها رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشرة اوسق وقال احصيها حتى نرجع اليك ان شاء الله فانطلقنا حتى
قدمنا تبوك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فقام
رجل فحملته الريح حتى القته بجبلي طي وروى الامام احمد عن ابن عباس قال كان
الذي اسر العباس بن عبد المطلب ابو اليسر عمرو وهو كعب بن عمرو احد بني سلمة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اسرته يا ابا اليسر فقال
لقد اعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل هيئته كذا وكذا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وقال للعباس يا عباس افد نفسك وابن
اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن جحدم احد بني الحارث
بن فهر قال فابى وقال اني كنت مسلما قبل ذلك وانما استكرهوني قال الله اعلم بشأنك
ان يكن ما تدعي حقا فالله يجزيك بذلك واما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد

منه

نفسك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدا خدمة عشرين او نيفا وعشرين
فقال يا رسول الله احسبها من هداي قال لا ذلك شي اعطانا الله منك فقال
فانه ليس لي مال قال فاين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند ام الفضل
وليس معك احد غيرك فقلت ان اصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا
ولعبد الله كذا قال والذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد من الناس غيري
وغيرها واني اعلم انك رسول الله وفي صحيح البخاري لما ارسل النبي صلى الله عليه
وسلم الجيش الى غزوة موتة وامر عليهم زيد بن حارثة وقال ان قتل فجعفر
فان قتل فعبد الله بن رواحة وروى البخاري عن انس بن مالك قال نعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل ان ياتيهم
خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها
عبد الله بن رواحة فاصيب وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان
قال ثم اخذها خالد بن الوليد سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم

فصل واياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة كمعراجه
والفعل والتاثير وحراسة السما بالشهب الحراسة التامة لما بعث
الى السما انواع الاول منها ما هو في العالم العلوي كانشقاق احدها
فقد ذكر انشقاق القمر وبين ان الله فعله واخبر به لحكم عظيمة
كونه من ايات النبوة لما ساله المشركون اية فاراهم انشقاق القمر والثاني
انه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل على ما اخبرت
به الانبيا من انشقاق السموات ولهذا قال تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا
اهواهم وكل امر مستقر ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر حكمة

بالغه

بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شي نكر خشعا ابصارهم
يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر
وجعل الاية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه اقرب الى الارض من
الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون اجزا سائر الفلك اذ هو الجسم المستنير
الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورا لا يتمارى فيه وانه نفسه اذا قبل الانشقاق
فقبول محله اولى بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا هذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس
ما فيها من ايات النبوة ودلايلها والاعتبار بما فيها وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره
فعلم ان انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة وفي صحيح مسلم ان عمر
بن الخطاب سال ابا واقد الليثي ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاضحى والفطر فقال كان يقرا فيهما بق والقران المجيد واقتربت الساعة
وانشق القمر ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة انه لو لم يكن انشق لاسرع المومنون
به الى تكذيبه فضلا عن اعدايه الكفار والمنافقين ومعلوم انه كان من احرص
الناس على تصديق الخلق له واتباعهم اياه فلو لم يكن انشق لما كان يخبر به ويقراه على جميع
الناس ويستدل به ويجعله اية له وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال ان اهل مكة
سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين وعنه قال
ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فانشق القمر فرقتين
ورواه الترمذي وزاد فيه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول
ذاهب وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعن ابن مسعود ايضا
قال رايت القمر منشقا شقتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة على احد

منشقين

اي فلقتين فلقه على السويدا فقال كفار قريش اهل مكه هذا سحر سحركم ابن ابي كبشه انظروا
السفار فان كانوا راوا مثل ما رايتم فقد صدق وان لم يكونوا راوا مثل ما رايتم فهو
سحر سحركم به قال فسئل السفار وقدموا من كل وجه فقالوا راينا رواه البخاري ومسلم
وروى البخاري عن ابن عباس انه قال انشق القمر فقال قد كان ذلك على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشق القمر فلقتين فلقه من دون الجبل وفلقه من خلف الجبل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر ونحن
بمكه حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد فقال
رجل ان كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم رواه الترمذي وكذلك صعوده ليله
المعراج الى ما فوق السموات وهذا مما تواترت به الاحاديث واخبر به القران باسراه
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وفي موضع اخر بصعوده
الى السموات فقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير فاخبر هنا باسراه ليلا
واخبر انه فعل ذلك ليريه اياته ثم برهانه عموم الناس كما قال في السوره الاخرى افتمارونه
على ما يرى ولقد راه نزله اخرى عند سدره المنتهى عندها جنه الماوى اذ يغشى
ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى وفي الصحيح عن ابن عباس في
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنه للناس قال هي رؤيا عين اريها
النبي صلى الله عليه وسلم ليله اسري به وكان في اخباره بالمسرى لنريه من اياتنا
بيان انه راى من اياته ما لم يره الناس وقد بين ذلك في السوره الاخرى وانه
راى جبريل عند سدره المنتهى عندها جنه الماوى اذ يغشى السدره ما يغشى وانه
راى بالبصر ايات ربه الكبرى وذكر في تلك السوره المسرى لانه امكنه ان
يقيم عليه برهانا فانه لما اخبرهم به وكذبه من كذبه وتعجبوا من ذلك سالوه



عن نعته وصفته فنعته لهم لم يخرم من النعت شيا واخبرهم خبر عيرهم التي كانت في
الطريق وظهر لهم صدقه وكان صدقه في هذا انه على صدقه فيما غاب عنهم وكان قطع
المسافه البعيده في الزمن اليسير لاجل ما اراه من الايات التي يختص برؤيتها الانبيا
وبهذا يتميز عن من يقطع المسافه كرامه لولي او بتسخير الجن كما في قصه بلقيس حيث قال
عفريت انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فان قطع الجسم الثقيل للمسافه البعيده انما كان
لما اوتيه سليمان من الملك كما كانت الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل
بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد وهذا تسخير ملكي وقطع محمد صلى الله عليه
وسلم كان لما اراه الله من الايات التي ميزه بها على سائر النبيين وكان ذلك فتنه اي
محنه وابتلا للناس ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه واحاديث المعراج وصعوده الى ما فوق
السموات وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ ورؤيته لما راه من الايات والجنه
والنار والملائكه والانبيا في السموات والبيت المعمور وسدره المنتهى وغير ذلك معروف
متواتر في الاحاديث وهذا النوع لم يكن لغيره من الانبيا مثله يظهر به تحقيق قوله
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس فالدرجات التي رفعها محمد ليله
المعراج وسيرفعها في الاخره في المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون الذي
ليس لغيره مثله وفي الصحيحين من حديث انس بن مالك عن مالك بن صعصعه وابي ذر ومن
رواه ابن عباس وابي حبه الانصاري وغيرهم فروى انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابه ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقه التي تربط
بها الانبيا قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء

من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه جبريل
وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا
فاذا انا بابني الخالة عيسى ويحيى زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
صلى الله عليه وسلم قال وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف
عليه السلام اذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بادريس صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قيل قد بعث الله اليه
ففتح لنا فاذا انا بابرهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا

هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين
صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على امتك
قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد
بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني
خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال فان امتك لا يطيقون ذلك فارجع
الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه
السلام حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت سيئة واحدة قال
فنزلت حتى انتهيت الى موسى عليه السلام فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى
استحييت منه وفي رواية قال فاتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري
ثم غسل بماء زمزم ثم انزلت طست من ذهب مملوة حكمة وايمانا فحشي بها صدري
وفي رواية فشق من النحر الى مراق البطن وقال عن البيت المعمور فقلت ما هذا
فقال هذا البيت بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك يقدسون
الله ويسبحونه لا يعودون اليه وفي حديث ابي ذر فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء الدنيا فلما جاء السماء الدنيا قال جبريل
لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال نعم
معي محمد صلى الله عليه وسلم فلما علونا السماء فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره

اسودة قال فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى قال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه عن
يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل
النار قال الزهري واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري
يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال لما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في السما
السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به
من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال
فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيا من امته المقحمات وعنه في قوله عز
وجل فكان قاب قوسين او ادنى قال راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل
في صورته له ستمائة جناح وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس
فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي
فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط قال
فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني عن شي الا انباتهم به وصعود الادمي ببدنه
الى السما قد ثبت في امر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فانه صعد الى السما
وسوف ينزل الى الارض وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين فانهم يقولون
ان المسيح صعد الى السما ببدنه وروحه كما يقوله المسلمون ويقولون انه سوف

262

ينزل الى الارض ايضا كما يقوله المسلمون وكما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم
في الاحاديث الصحيحة لكن بعض النصارى يقولون انه صعد بعد ان صلب وانه قام
من القبر وبعض اليهود يقولون انه لم يصلب ولكن صعد الى السما بلا صلب والمسلمون
ومن وافقهم من النصارى يقولون انه ينزل الى الارض قبل القيامة وان نزوله من
اشراط الساعة كما دل على ذلك الكتاب والسنة وكثير من النصارى يقولون ان
نزوله هو يوم القيمة وانه هو الله الذي يحاسب الخلق ولذلك ادريس صعد الى
السما ومن انكر صعود بدن الى السما من المتفلسفة فعمدته شيان احدهما
ان الجسم الثقيل لا يصعد وهذا في غاية الضعف فان صعود الاجسام الثقيلة الى
الهوى مما تواتر به الاخبار في امور متعددة مثل عرش بلقيس الذي حمل من اليمن
الى الشام في لحظة لما قال سليمان يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين
قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي
امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر ومن
شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر
اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكره
لما كان يحمل البساط في الهوى وهو جالس عليه باصحابه ومثل حمل قرى قوم
لوط ثم القاها في الهوى ومثل المسرى الى البيت المقدس الذي ظهر صدق الرسول
بخبره ورجال كثير في زماننا وغير زماننا يحملون من مكان الى مكان في الهوي
وهذا مما تواتر عندنا وعند من يعرف ذلك وايضا فمعلوم ان النار والهوى الخفيف
يتحرك حركة قسرية فيهبط والتراب والما الثقيل يتحرك حركة قسرية فيصعد
وهذا مما يعترف به العامة والسنة الباسة ظن بعض المتفلسفة كارسطو

وسمعه ان الاقتدال لا يقبل الاستحاق وحجتهم على ذلك في غاية الضعف
فانهم قالوا لو كانت تقبل الانشقاق لكان المحدد للانشقاق المتحرك فيها تحرك حركة
مستقيمة والحركة المستقيمة تحتاج الى خلا خارج العالم ولا خلا هناك وهذه الحجة
فاسدة من وجوه منها انها انما تدل على ذلك في الفلك الاعلى لا فيما دونه كفلك
القمر وغيره وهذا انما احاطهم به الرازي وغيره ومنها ان وجود اجسام خارج الفلك
كوجود الفلك في حيز يحتاج الى الخلا وقوله يبقى الخلا خارجه كقوله يبقى الخلا
عن حيزه فان كان الخلا عدما محضا فهو منتف عن الجانبين وان قيل انه امر
وجودي لزم ان يحتاج اليه في الموضعين وحينئذ فيبطل القول بنفسه وبهذا
يظهر جوابهم عن انكارهم انشقاق القمر فان عمدتهم فيه ان الفلك لا يقبل الانشقاق
وقد عرف فساد ذلك عقلا وسمعا وتواتر عن الانبيا انهم اخبروا بانشقاق السموات
وانصاح الرد على هذا ولا النوع الثالث ايات الحركات استسقايه صلى الله
عليه وسلم واستصحايه وطاعة السحاب له ونزول المطر بدعايه ففي الصحيحين
عن انس بن ملك ان رجلا دخل المسجد في يوم جمعة من باب كان نحو دار القضا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قايما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله
ما نرى في السما من سحاب ولا من قزعة وان السما مثل الزجاجة وما بيننا وبين
سلع من دار ولا بيت فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه حتى ثار السحاب امثال الجبال
ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته وفي رواية اخرى وطلعت
من ورايه سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت ثم امطرت قال
فلا والله ما راينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله قايما فقال يا رسول



الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام
والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فما يشير بيده الى ناحية الا تفرجت
حتى رايت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية الا
اخبر بجود ومن هذا الباب نصر الله بالريح التي قال الله فيها يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان
الله بما تعملون بصيرا قال مجاهد يعني ريح الصبا ارسلت على الاحزاب
يوم الخندق حتى كفات قدورهم على افواهها ونزعت فساطيطهم وجنودا لم
تروها يعني الملايكة وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفي المغازي والسير قصة الاحزاب
وكيف ارسلت عليهم الريح والملايكة وانهزموا بغير قتال معروف والنوع الرابع
تصرفه في الحيوان الانس والجن والبهايم فروي عن عبد الله بن جعفر قال
اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاسر الي حديثا لا احدث به
احدا من الناس وكان احب ما استتر به هدف او حايش نخل فدخل حايط
رجل من الانصار فاذا جمل فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه
فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح راسه وذفراه فسكن فقال من هذا الجمل
لجا فتى من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك
تجيعه وتدييه رواه مسلم بعضه وبعضه على شرطه رواه ابو داود وغيره
وروى احمد الدارمي وغيرهما عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سفر حتى اذا دفعنا الى حايط من حيطان بني النجار اذا فيه جمل لا يدخل

اى انطاحد الا شد عليه فدلوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجا حتى اتى الحايط
فدعى البعير فجا واضعا مشفره الى الارض حتى برك بين يديه فقال فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هاتوا خطامه فخطمه ودفعه الى صاحبه قال ثم
التفت الى الناس فقال انه ليس شي بين السما والارض الا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس وروى الطبراني عن جابر قال خرجنا في غزوة ذات
الرقاع حتى اذا كنا بحرة واقم عرضت امراة بدوية بابن لها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان فقال
ادنيه مني فادنته فقال افتحي فمه فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اخسا عدو الله وانا رسول الله ثلث مرات ثم قال شانك بابنك ليس عليه
باس فلن يعود اليه شي مما كان يصيبه وذكر قصة السحر الى ان قال ونزلنا
واديا من اودية بني محارب فعرض له رجل من بني محارب يقال له غورث بن
الحارث والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد اعطني سيفك هذا
فسله فناوله ونظر اليه ساعة ثم اقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد من يمنعك مني فارتعدت يده حتى سقط السيف من يده فتناوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال يا غورث من يمنعك مني قال لا احد قال ثم
اقبلنا راجعين فجا رجل من اصحابه بعش طير يحمله وفيه فراخ وابواه يتبعانه
ويقعان على يد الرجل فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم على من كان معه فقال
اتعجبون بفعل هذا الطير بفراخهما زاد في رواية فربكم ارحم بكم من هذا
الطير بفراخه ثم اقبلنا راجعين حتى اذا كنا بحرة واقم عرضت المراة التي جات
بابنها برطب ولبن وشاة فاهدته له فقال ما فعل ابنك هل اصابه شي مما كان
يصيبه قالت لا والذي بعثك بالحق ما اصابه شي مما كان يصيبه وقبل

هديتها ثم اقبلنا راجعين حتى اذا كنا بمهبط من الحرة اقبل جمل يرقل فقال اتدرون ما قال
هذا الجمل قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا جمل جاءني يستعديني على سيده يزعم انه
يحرث عليه منذ سنتين حتى اذا اجربه واعجفه وكبر سنه اراد نحره اذهب
معه يا جابر الى صاحبه فاتني به فقلت ما اعرف صاحبه يا رسول الله قال
انه سيدلك عليه قال فخرج بين يدي معنقا حتى وقف بي في مجلس بني خطمة
فقلت اين رب هذا الجمل قالوا فلان بن فلان فجيته فقلت اجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج معي حتى جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان جملك هذا يستعديني عليك يزعم انك حرثت عليه زمانا حتى اجربته
واعجفته وكبر سنه ثم اردت نحره قال والذي بعثك بالحق ان ذلك كذلك فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعنيه قال نعم يا رسول الله فابتاعه منه
ثم سيبه في الشجر حتى نصب سنامه فكان اذا اعتل على بعض المهاجرين والانصار
من نواضحهم شي اعطاه اياه فمكث بذلك زمانا وهذا الحديث له شواهد اخرجها
اهل الصحيح منها قصة الشجرتين وقصة الذي شهر السيف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقصة الطير رواها ابو داود الطيالسي وقصة الصبي
ذكرها غير واحد وروى الامام احمد في مسنده عن يعلى بن مرة الثقفي قال
ثلاثة اشيا رايتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما نحن نسير معه اذ مررنا
ببعير يسنى عليه فلما راه البعير جرجر ووضع جرانه بالارض فوقف عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فجا فقال بعنيه فقال
بل نهبه لك وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا
من امره فانه شكى الي كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه وفي رواية انهم
ارادوا نحره ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق

الى هاتين السمرتين فقل لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما ان
تجتمعا فانطلقت فقلت لهما ذلك فانتزعت كل واحدة منهما من اصلها فنزلت كل
واحدة الى صاحبتها فالتقيا جميعا فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته
من ورائهما ثم قال ارجع فعادت كل واحدة منهما مكانها بامره واتته امراة بصبي
لها به لمم فقالت يا رسول الله ان ابني هذا به لمم منذ سبع سنين ياخذه في كل يوم
مرتين فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في فيه وقال اخرج عدو الله انا رسول الله
ثم فلما رجعنا جاءت ام الغلام بكبشين وشي من اقط قالت والذي بعثك بالحق
ما رابنا منه ريبا بعدك فاخذ احد الكبشين والاقط ورد الكبش الاخر وروى
ابو داود الطيالسي عن ابن مسعود رضي الله عنه وروى هذه القصة ابو يعلى
الموصلي عن اسامة بن زيد رضي الله عنه ورواه الحاكم في صحيحه قال سافرت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت منه عجبا وذكر الحديث وفيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لها اما انا اخرج الشيطان من ابنها اذا رجعنا
فاعلمينا ما صنع ورواه الدارمي ايضا وروى الدارمي عن ابن عباس ان امراة جاءت
بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون
وانه ياخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدره ودعا فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وقال جابر سار رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدخل غيظة فاخرج منها بيضة حمرة فجاءت الحمرة
ترف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال ايكم فجع هذه فقال
رجل من القوم انا اخذت بيضها فقال رده رحمة لها وروى الحاكم في صحيحه عن سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركبنا البحر في سفينة فانكسرت السفينة
فركبت لوحا من الواحها فطرحني في اجمة فيها اسد فلم يرعني الا به فقلت يا ابا الحارث

وروى ابو داود الطيالسي عن ابن مسعود ... رجل

265

انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاطا راسه وغمز بمنكبه شقي فما زال
يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق فلما وضعني على الطريق همهم فظننت
انه يودعني وروى الامام احمد في مسنده عن عايشة قالت كان لال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحش اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
ولعب واقبل وادبر فاذا احس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض
فلم يترمرم كراهية ان يوذيه ورواه ابو نعيم وروى عنها احمد ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والانصار فجاء بعير فسجد له فقال
اصحابه يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن احق ان نسجد لك فقال لو
كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها ولو امرها ان تنقل
من جبل اصفر الى جبل اسود ومن جبل اسود الى جبل ابيض كان ينبغي ان تفعله
رواه احمد عن عفان وابن ماجه عن ابي ابن شيبة عن عفان قال حدثنا حماد بن سلمة ثنا
علي بن زيد ثنا سعيد عن عايشة وقصة هذا الجمل رواها جماعة وروى الامام احمد
في مسنده عن ابي سعيد الخدري قال عدا الذيب على شاة فاخذها فطلبه الراعي
فانتزعها منه واقعى الذيب على ذنبه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله
الي فقال يا عجبا ذيب مقع على ذنبه يكلمني كلام الانس فقال الذيب الا اخبرك
باعجب من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق قال
فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنودي الصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع
الانس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث اهله

نعله ورواه الترمذي وحسنه وصححه قال البيهقي اسناده صحيح وله شاهد
من وجه اخر ورواه احمد عن ابي هريرة قال وكان الراعي يهوديا فاسلم وقال النبي اعجب اخر؟
من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم وفي الصحيحين
عن انس قال كان بالمدينة فزع فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة
وكان يقطف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا وكان بعد ذلك لا يجارى وفي
الصحيحين عن سلمة بن الاكوع وسهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم في
غزوة خيبر انه ارسل الى علي وهو ارمد العين فقال لاعطين الراية رجلا يحبه
الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فبصق في عينيه فبرا كان لم
يكن به وجع قط واعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا
مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم
بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك
من حمر النعم وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن ابيه قتادة بن النعمان انه اصيبت عينه يوم
بدر فسالت على وجنته فارادوا ان يقطعوها فسالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لا ودعا فغمز حدقته براحته فكان لا يدري اي عينيه اصيبت وكانت
احسن عينيه واحدهما وفي رواية فرفع حدقته حتى وضعها موضعها ثم غمزها
براحته وقال اللهم اكسبه جمالا فمات وما يدري من لقيه اي عينيه اصيب
رواه عنه اهل المغازي واخبر ولده بحضرة عمر بن عبد العزيز وهو خليفة واقر من حضر وانشد
ولم ينكروه انا ابن الذي سالت على الخد عينه وردت بكف المصطفى ايما رد فلو
لانه كان معروفا عند التابعين لقربه وهم انما تلقوا هذا عن الصحابة وفي صحيح
البخاري عن البراء بن عازب قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي رافع
اليهودي رجالا من الانصار وامر عليهم عبد الله بن عتيك وكان ابو رافع يؤذي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن له بارض الحجاز فلما دنوا
منه وقد غربت الشمس وراح الناس قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني
منطلق ومتلطف للبواب لعلي ادخل قال واقبل حتى دنا من الباب
وذكر قصة قتله الى ان قال ثم وضعت السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعلمت
اني قد قتلته فجعلت افتح الابواب بابا فبابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي
وانا ارى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها
بعمامتي ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت لا ابرح حتى اعلم اقتلته ام لا فلما
صاح الديك قام الناعي على السور فقال انعى ابا رافع قال فانطلقت الى اصحابي
فقلت النجاء النجاء فقد قتل الله ابا رافع قال فانتهينا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فحدثناه فقال ابسط رجلك فبسطها فمسحها فكانما لم اشتكها قط وفي البخاري
عن يزيد بن ابي عبيد قال رايت في ساق سلمة بن الاكوع اثر ضربة فقلت يا ابا مسلم
ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتني يوم خيبر فقال الناس اصيب سلمة
قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت
منها حتى الساعة وفي الترمذي وغيره عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله تعالى ان يعافيني قال ان شئت صبرت
فهو خير لك وان شئت دعوت قال فادعه قال فامره ان يتوضا فيحسن الوضوء
ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة
يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه فتقضيها لي اللهم فشفعه في وفي رواية
قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لي قائد وقد شق علي وفي ذكر
الحديث فقال عثمان والله ما تفرقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل وكانه
لم يكن به ضر قط قال الترمذي حديث صحيح النوع الثالث ما كان

في الاسفار والخشب ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال كان المسجد مسقوفا
على جذوع النخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما
صنع المنبر وكان عليه سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت وفي رواية فصاحت النخلة صياح الصبي
وفي الصحيح عن جابر ان امراة من الانصار قالت يا رسول الله الا اجعل لك
شيئا تقعد عليه فان لي غلاما نجارا قال ان شئت فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة
قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع له فصاحت النخلة التي كان يخطب
عليها حتى كادت ان تنشق فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها اليه فجعلت تئن
انين الصبي يسكت حتى استقرت وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال سرنا الذي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان
بالمنصف مما بينهما لام بينهما حتى جمع بينهما فقال التئما علي باذن الله تعالى فالتامتا
عليه فخرجت احضر مخافة ان يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد
فجلست احدث نفسي فحانت مني لفتة فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا
واذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق وذكر الحديث وعن ابن
عباس قال جاء رجل من بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اري الخاتم الذي بين كتفيك فاني من اطب الناس فقال الا اريك اية



ادع
قال بلى فنظر الى نخلة فقال ذلك العذق فجاءه ينقز حتى قام بين يديه فقال
له ارجع فرجع وفي رواية الترمذي جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بم اعرف انك نبي قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول
الله قال نعم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط
الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي وروى الدارمي عن
عبد الله بن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما
دنى منه قال له النبي صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى اهلي قال هل لك في
خير قال ما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال
ومن يشهد على ما تقول قال هذه السلمة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا
فشهدت ثلاثا انه كما قال ثم رجعت الى منبتها ورجع الاعرابي الى قومه فقال ان يتبعوني
اتيتك بهم والا رجعت فكنت معك ورواه الدارمي ايضا قال فجاءت النخلة
تنقز بين يديه قال لها ارجعي فعادت الى مكانها وفي الصحيحين عن معن بن
عبد الرحمن قال سمعت ابي يقول سالت مسروقا من اذن النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا القران فقال حدثني ابوك يعني ابن مسعود انه قال اذنته
بهم شجرة وفي السنن عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا
في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول
الله رواه الحاكم في صحيحه وروى الامام احمد عن انس بن مالك قال جاء جبريل الى
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض
اهل مكة فقال له ما لك قال فعل بي هؤلاء وفعلوا قال له جبريل اتحب ان اريك
اية فقال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت

يمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فقال لها ارجعي فرجعت
حتى عادت الى مكانها فقال النبي صلى الله عليه وسلم حسبي ورواه ابو يعلى
الموصلي بسنده

فصل والنوع الرابع الماء والطعام

الذي كان يكثر ببركته فوق العادة وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر اما الماء
ففي الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بماء فاتي بقدح رحراح فجعل
القوم يتوضؤون فحزرت ما بين السبعين الى الثمانين وفي رواية عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم خرج في بعض مخارجه ومعه اناس من اصحابه فانطلقوا يسيرون
فحضرت الصلاة فلم يجدوا ما يتوضؤون به فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح فيه
ماء يسير فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم مد اصابعه الاربع على القدح
ثم قال قوموا فتوضؤوا وكانوا سبعين او نحوه وفيهما عن انس ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه بالزوراء والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمه دعا
بقدح فيه ماء فوضع فيه كفه فجعل ينبع من بين اصابعه فتوضأ جميع اصحابه وفي
عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس
الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في ذلك
الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرايت الماء ينبع من تحت اصابعه فتوضأ
الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم وفي الصحيحين عن جابر قال لقد رايتني مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل
في اناء فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فادخل يده فيه وفرج بين اصابعه وقال حي على
الوضوء والبركة من الله فلقد رايت الماء يتفجر من بين اصابعه فتوضأ الناس
وشربوا فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت انه بركة قلت لجابر
كم كنتم يومئذ قال الفا واربعمائة وفي صحيح البخاري عن جابر ايضا قال



عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش
الناس نحوه قال ما لكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك فوضع
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنتم
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وفي البخاري عن البراء بن عازب قال
تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها
قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء
فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن
وركابنا وهذا الف واربعمائة او الترمذي ذلك وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع
قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة مائة او
اكثر من ذلك وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جبا الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا وعن ابن عباس
قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب بلال الماء ثم جاء فقال لا والله
ما وجدت الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل من شن فاتاه بشن فبسط
كفه فيها فانبعثت تحت يده عين قال وكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ وعن جابر
بن عبد الله قال غزونا او سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن يومئذ بضع
عشر ومائتان فحضرت الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في القوم
من طهور فجاء رجل يسعى باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح فركب الناس
ذلك القدح وقالوا تمسحوا تمسحوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكم
حين سمعهم يقولون ذلك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الماء والقدح

والمغرب والعشاء جميعا حتى اذا كان يوم اخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر
والعصر جميعا

فقال بسم الله ثم قال اسبغوا الطهور والذي ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون
الماء تخرج من بين اصابعه فلم يرفعها حتى توضؤوا اجمعون رواهما الدارمي في مسنده
وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الايات بركة وانتم
تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة
من ماء فجاؤوا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة
من الله فلقد رايت الماء ينبع من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح
الطعام وهو يؤكل وروى مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر
جميعا ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعا ثم قال انكم ستاتون
غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من
مائها شيئا حتى اتي فجئناها وقد سبقنا اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسالهما
فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما النبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا بايديهم من العين
قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه
ثم اعاده فيها فجرت العين بماء منهمر او قال غزير فاستقى الناس ثم قال يوشك يا معاذ
ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي صحيح مسلم حديث جابر
الذي رواه عبادة بن الوليد وقد تقدم اوله في قصة الشجرتين واجتماعهما وافتراقهما
ووضع الغصن على القبر وقال في اخره فاتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا جابر ناد بوضوء فقال الا وضوء الا وضوء قال قلت يا رسول الله ما وجدت
في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء
في اشجاب له فقال لي انطلق الى فلان فانظر هل في اشجابه من شيء قال فانطلقت اليه

فنظرت

فنظرت فيها فلم اجد فيها الا قطرة في عزلاء شجب لو اني افرغه لشربه يابسه
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لم اجد فيها الا
قطرة في عزلاء شجب لو اني افرغه لشربه يابسه قال اذهب فاتني به فاتيته به
فاخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا ادري ما هو ويغمزه بيديه ثم اعطانيه فقال يا جابر
ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فاتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين
اصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله
فصببت عليه وقلت بسم الله فرايت الماء يفور من بين اصابعه صلى الله عليه
وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلات فقال يا جابر ناد من كانت له
حاجة بماء قال فاتى الناس فاستقوا حتى رووا قال فقلت هل بقي احد له
حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وفي الصحيحين بدء
عن عمران بن حصين قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له
فادلجنا ليلتنا حتى اذا كان وجه الصبح عرسنا فغلبتنا اعيننا حتى بزغت
الشمس وكان اول من استيقظ منا ابو بكر الصديق وكنا لا نوقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يكون هو الذي يستيقظ لانا لا
ندري ما يحدث له في نومه ثم استيقظ عمر فجعل يكبر حتى استيقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه وراى الشمس قد بزغت قال ارتحلوا
فسار بنا حتى ابيضت الشمس نزل ثم فصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم
لم يصل معنا فلما انصرف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك
ان تصلي معنا قال اصابتني جنابة ولا ماء قال له عليك بالصعيد فانه يكفيك
فتيمم بالصعيد فصلى ثم عجلني في ركب بين يديه نطلب الماء وقد عطشنا عطشا

شديدا فبينما نحن نسير اذ نحن بامراة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها
اين الماء فقالت ايهاه ايهاه لا ماء لكم فقلت كم بين اهلك وبين الماء قالت مسيرة يوم
وليلة فقلنا انطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وما رسول الله فلم
نملكها من امرها شيئا حتى انطلقنا بها واستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالها فاخبرته مثل الذي اخبرتنا واخبرته انها مؤتمة لها صبيان ايتام فامر
براويتها فانيخت فمج في العزلاوين العلياوين ثم بعث براويتها فشربنا ونحن اربعون رجلا
عطاش حتى روينا وملانا كل قربة معنا واداوة وغسلنا صاحبنا
غير انا لم نسق بعيرا وهي تكاد تنضرج من الماء يعني المزادتين ثم قال هاتوا ما عندكم
فجمعنا لها من كسر وتمر وصر لها صرة وقال اذهبي فاطعمي عيالك واعلمي انا لم
نرزا من مائك شيئا فلما اتت اهلها قالت لقيت اسحر البشر او انه لنبي كما زعم كان من
امره ذيت وذيت فهدى الله عز وجل ذلك القوم بتلك المراة فاسلمت واسلموا
وفي الصحيحين عن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الماء غدا ان شاء الله فانطلق الناس لا
يلوي احد وذكر حديث النوم في الوادي فقال ثم دعا بالميضاة كانت معي فيها شيء من — علي احد
ماء فتوضا منها وضوءا دون وضوء وبقي فيها شيء من ماء ثم قال لابي قتادة احفظ
علينا ميضاتك فسيكون لها نبا ثم قال اصبح الناس فقدوا نبيهم فقال
ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم لم يكن ليخلفكم وقال
الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ايديكم فان يطيعوا ابا بكر
وعمر يرشدوا قال فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم
يقولون يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال لا هلك عليكم ثم قال اطلقوا لي غمري
قال ودعا بالميضاة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وابو قتادة



يسقيهم فلم يعد ان راى الناس ماء في الميضاة تكابوا عليها فقال رسول الله — الملا كلكم
صلى الله عليه وسلم احسنوا سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه — ثم صب
وسلم فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله قال ان ساقي
القوم اخرهم شربا فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتى
الناس الماء جامين رواء قال عبد الله بن رباح اني لاحدث هذا الحديث في مسجد
الجامع اذ قال لي عمران بن حصين انظر كيف تحدث فاني احد الركب تلك الليلة
فقلت انت اعلم فقال ممن انت قلت من الانصار قال انتم اعلم بحديثكم قال
عمران لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت ان احدا حفظه كما حفظته وفي مسند
الامام احمد ورواه ابو يعلى الموصلي عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتينا على ركي ذمة قال فنزلت فيه ستة انا سادسهم او سبعة
انا سابعهم قال فادليت الى دلو ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شفة
الركي فجعلنا فيها نصفها او قريب ثلثيها فرفعت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فكدت باناء اجد شيئا اجعله في حلقي فما وجدت قال فغمس رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده فيها وقال ما شاء الله ان يقول فاعيدت الينا
الدلو بما فيها قال فرايت احدنا اخرج بثوب مخافة الغرق قال ثم ساحت
وفي الحديث الذي رواه الامام احمد والترمذي وابو داود وابن ماجه طرفا منه
عن زياد بن الحارث الصدائي قال في اخره ثم قلنا يا نبي الله ان لنا بئرا اذا
كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها واذا كان الصيف قل ماؤها
فتفرقنا على مياه حولنا وقد اسلمنا وكل من حولنا عدو فادع الله في بئرنا
ان يسعنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نتفرق فدعا بسبع حصيات فعركهن في يده

ودعا فيهن ثم قال اذهبوا بهذه الحصيات فاذا اتيتم البير فالقوا واحدة
واحدة واذكروا اسم الله عز وجل قال الصدائي ففعلنا ما قال لنا فما
استطعنا بعد ان ننظر الى قعرها وروى الامام احمد عن ابن عباس قال اصبح احمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وليس في العسكر ما فاتاه رجل قال
فقال يا رسول الله ليس في العسكر ما قال هل عندك شي قال نعم قال فاتني
به قال فاتاه باناء فيه شي من ما قليل فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصابعه في فم الاناء وفتح اصابعه قال فانفجرت من بين اصابعه عيون وامر
بلالا فقال ناد في الناس الوضوء المبارك ٥ فصل
واما تكثير الطعام ففي الصحيحين عن جابر قال لما حفر الخندق رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم خمصا فانكفات الى امراتي فقلت لها هل عندك شي
فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت لي جرابا
فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال فذبحتها وطحنت ففرغت الى فراغي
فقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تفضحني
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه قال فجيت فساررته فقلت
يا رسول الله انا ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير عندنا فتعال انت
ونفر معك فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا اهل الخندق
ان جابرا صنع لكم سورا فحي هلا بكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجي فجيت وجا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقدم الناس حتى جيت امراتي فقالت بك وبك قال قد فعلت الذي قلت
لها فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك وقال
ادع لي خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فاقسم بالله

تنزلوها



لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو
وفي رواية قال جابر انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فقال انا نازل
فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثا لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه
وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت
فقلت لامراتي رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ما في ذلك صبر
قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم
في البرمة ثم جيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة
بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لي فقم انت يا رسول الله ورجل
ورجلان قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قال قل لها لا تنزع البرمة
ولا الخبز من التنور حتى اتي فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما
دخل على امراته قال ويحك جا النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار
ومن معهم الى ان قال فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا
واهدي فان الناس اصابتهم مجاعة وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال
قال ابو طلحة لام سليم قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا
اعرف فيه الجوع فهل عندك من شي فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير
ثم اخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه فذهبت
ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهبت به فوجدته جالسا في
المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلك ابو طلحة فقلت نعم فقال بالطعام فقلت نعم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمن معه قال فانطلق وانطلقت بينهم حتى جيت ابا طلحة فاخبرته

قوموا

فقالت ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم قال فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخلا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز وعصرت
عليه ام سليم عكة لها فادمته ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء
الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال
ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم حتى
اكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا او ثمانون وفي طريق البخاري
ثمانون وقال في رواية ثم اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة وام سليم وانس
وفضل فضلة فاهديناها لجيراننا وفي صحيح مسلم عن سلمة قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر فامرنا ان نجمع ما في ازوادنا يعني من التمر
فبسط نطعا نثرنا عليه ازوادنا قال فتمطيت وتطاولت فحزرته كربضة
شاة ونحن اربع عشرة مائة قال فاكلنا ثم تطاولت فنظرته فحزرته كربضة الشاة
وفي الصحيحين عن ابي هريرة وابي سعيد وسلمة بن الاكوع واللفظ لمسلم عن ابي هريرة
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير قال فنفدت ازواد
القوم حتى هم بنحر بعض حمائلهم قال فقال عمر يا رسول الله لو جمعت ما بقي من
ازواد القوم فدعوت الله عليها قال ففعل فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره وذو
النواة بنواه قيل وما كانوا يصنعون بالنوى قال يمصونه ويشربون عليه الماء قال
فدعا عليها حتى ملا القوم ازودتهم قال فقال عند ذلك اشهد ان لا اله الا
الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما الا دخل الجنة وفي لفظ
آخر لما كان يوم غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة فقالوا يا رسول الله



لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افعلوا قال فجاء عمر فقال يا رسول الله ان فعلت قل الظهر وفي روايتهما
بقاؤهم بعد ابلهم ولكن ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع لهم بالبركة لعل الله ان
يجعل في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه
ثم دعا بفضل ازوادهم قال فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكف
تمر ويجي الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شي يسير قال
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم قال
فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه قال فاكلوا حتى
شبعوا وفضلت فضلة الحديث وروى البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فاصابنا جهد حتى هممنا
ان ننحر بعض ظهرنا فامرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا مزاودنا فبسطنا
له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع قال فتطاولت لاحزره كم هو فحزرته كربضة العنز
ونحن اربع عشرة مائة قال فاكلنا حتى شبعنا جميعا ثم حشونا جربنا فقال
نبي الله هل من وضوء قال فجاء رجل باداوة له فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا
كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا هل
من طهور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الوضوء وفي صحيح مسلم
عن جابر ان ام مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فياتيها
بنوها فيسالون الادم وليس عندهم شي فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى
الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا قال فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عصرتيها فقالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما
وروى مسلم في صحيحه عن جابر ايضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم

لستطعه فاطمه سطروسق سعير فما زال الرجل ياكل منه وامراته وضيفهما
حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم وفي
الصحيح عن انس ابن مالك قال تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب فدخل
باهله قال فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور من حجارة فقالت يا انس
اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا امي اليك وهي
تقريك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يا رسول الله قال فذهبت بها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي تقريك السلام وتقول ان
هذا لك منا قليل فقال ضعه ثم قال اذهب فادع فلانا وفلانا وفلانا ومن
لقيت وسمى رجالا قال فدعوت من سمى ومن لقيت قال الجعد وهو الراوي
عن انس عددكم كانوا قال كانوا زها ثلاثماية وقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه قال فاكلوا حتى
شبعوا قال فخرجت طايفه ودخلت طايفه حتى اكلوا كلهم فقال لي يا انس ارفع
فرفعت فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت قال وجلس طوايف منهم
يتحدثون وذكر نزول اية الحجاب وروى البخاري عن انس ايضا ان ام سليم عمدت
الى مد من شعير جشته وجعلت منه خطيفه وعصرت عكه عندها ثم بعثتني
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في اصحابه فدعوته قال ومن معي
فجيت فقلت انه يقول ومن معي فخرج اليه ابو طلحه فقال يا رسول الله انما
هو شي صنعته ام سليم فدخل فجي به وقال ادخل عشرة حتى عد اربعين ثم اكل
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فجعلت انظر هل نقص منها شي وعن سمره بن جندب
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتداول قصعه من غدوة الى الليل
يقوم عشرة ويقعد عشرة فقلنا فما كانت تمد قال فمن اي شي تعجب ما كانت تمد

يا انس هات التور ما لهم فدخلوا حتى امتلات الصفه والحجره فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم



الا من هاهنا واشار بيده الى السما رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن
صحيح ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه وفي البخاري عن ابي هريرة انه كان يقول
والله الذي لا اله الا هو ان كنت لاعتمد على الارض من الجوع وان كنت لاشد
الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر
ابو بكر فسالته عن اية من كتاب الله ما سالته الا ليستتبعني فلم يفعل ثم مر عمر
فسالته عن اية من كتاب الله ما سالته الا ليستتبعني فمر فلم يفعل ثم مر بي ابو
القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين راني وعرف ما في وجهي وما في نفسي
ثم قال ابا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فاتبعته فدخل
فاستاذن فاذن لي فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال من اين هذا اللبن قالوا
اهداه لك فلان او فلانه قال ابا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق اهل
الصفه فادعهم لي قال واهل الصفه اضياف الاسلام لا ياوون الى اهل ولا
الى مال اذا اتته صدقه بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيا واذا اتته هديه
ارسل اليهم واصاب منها واشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن
في اهل الصفه كنت احق ان اصيب من هذا اللبن شربه اتقوى بها فاذا جاوا
امرني فكنت انا اعطيهم وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعه الله و
رسوله بد فاتيتهم فدعوتهم فاقبلوا واستاذنوا فاذن لهم واخذوا مجالسهم من البيت
فقال يا ابا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت
اعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فاعطيه الاخر فيشرب حتى
يروى ثم يرد على القدح فاعطيه الاخر فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى
انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فاخذ القدح فوضعه على
يده فنظر الي فتبسم قال ابا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت انا وانت قلت

صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب
فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا
قال فارني فاعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ٥ وفي الصحيح عن عبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع احد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من
طعام او نحوه فعجن ثم جاء رجل مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ابيعا ام عطية او قال هبة قال بل بيع فاشترى منه شاة فصنعت وامر النبي صلى
الله عليه وسلم بسواد البطن ان يشوى وايم الله ما في الثلثين والمائة
الا من قد حز له النبي صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا
اعطاه وان كان غائبا خبا له فجعل منها قصعتين فاكلوا اجمعون وشبعنا ففضلت
القصعتان فحملناها على البعير او كما قال فصل
واما تكثير الثمار ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ان اباه استشهد وترك
دينا وترك ست بنات فلما حضر جداد النخل قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت قد علمت ان والدي قد استشهد يوم احد وترك دينا كثيرا واني احب ان على
يراك الغرماء قال اذهب فبيدر كل تمر ناحية ففعلت ثم دعوته فلما نظروا اليه
كانهم اغروا بي تلك الساعة فلما راى ما يصنعون اطاف حول اعظمها بيدرا
ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال ادع لي اصحابك فما زال يكيل لهم حتى ادى الله
عن والدي امانته وانا ارضى ان يؤدي الله عن والدي امانته ولا ارجع الى اخواتي
بتمرة فسلم الله البيادر كلها حتى اني لانظر الى البيدر الذي كان عليه النبي صلى الله
عليه وسلم كانها لم تنقص تمرة واحدة وفي رواية ان اباه ترك عليه ثلثين وسقا لرجل
من اليهود فاستنظره جابر فابى ان ينظره فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم



ليشفع اليه فجاء وكلم اليهودي لياخذ ثمر نخله بالذي له فابى فدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم النخل فمشى فيها ثم قال لجابر جد له فاوف له فجده بعد ما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلثين وسقا وفضل له سبعة عشر وسقا فجاء جابر ليخبره بالذي
كان فوجده يصلي العصر فلما انصرف اخبره بالفضل فقال اخبر بذلك ابن الخطاب
فذهب جابر الى عمر فاخبره فقال له عمر لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله
للامام احمد عليه وسلم ليباركن فيها وروى الترمذي وغيرهما حديث مزود ابي هريرة قال احمد
ثنا يونس ثنا حماد بن زيد عن المهاجر عن ابي العالية عن ابي هريرة قال اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بتمرات فقلت ادع الله فيهن بالبركة قال فصفهن بين يديه قال
ثم دعا فقال لي اجعلهن في مزودك فادخل يدك ولا تنثره قال فحملت منه كذا
وكذا وسقا في سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لا يفارق حقوي فلما قتل عثمان انقطع من
حقوي فسقط رواه الترمذي عن عمران بن موسى القزاز عن حماد بنحوه وقال
حديث حسن غريب من هذا الوجه ورواه الحافظ عبد الغني وغيره من طرق اخرى
عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
فاصابهم عوز من الطعام فقال يا ابا هريرة عندك شيء قال قلت شيء من التمر في مزود لي
قال جئ به فجئت بالمزود فقال هات نطعا فجئت بالنطع فبسطها فادخل يده فقبض
على التمر فقال به هكذا فجمعه فقال ادع فلانا واصحابه فاكلوا وشبعوا وخرجوا
ثم قال ادع فلانا واصحابه فاكلوا وشبعوا وخرجوا قال ثم فضل تمر فقال لي اقعد
فقعدت فاكل واكلت قال وفضل تمر فاخذه فادخله في المزود فقال يا ابا هريرة اذا
اردت شيئا فادخل يدك ولا تكفأ فيكفأ عليك قال فما كنت اريد تمرا الا ادخلت
يدي فاخذت منه خمسين وسقا في سبيل الله عز وجل وكان معلقا خلف ظهري
فوقع زمان عثمان رضي الله عنه ورواه من طريق يزيد بن ابي منصور عن ابيه عن ابي هريرة قال اصبت

شيء ... على التمر ... عشرة ... بسم الله فجعل يضع ... حتى اتى ...

سلث لموت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وخويدمه وسل عثمان والمزود
وما المزود كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شي يا ابا هريرة فقلت نعم شي من تمر في مزود قال فاتني به
فادخل يده فاخرج منه قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم ادخل يده فاخرج
منه قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فما زال يصنع ذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
ثم قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض ولا تكفه قال ابو هريرة فقبضت على اكثر مما
جئت به ثم قال ابو هريرة الا احدثكم عن ما اكلت منه اكلت حياة رسول الله صلى
الله عليه وسلم واطعمت وحياة ابي بكر واطعمت وحياة عمر واطعمت وحياة عثمان
واطعمت فلما قتل عثمان انتهب بيتي وذهب المزود وروى الامام احمد في مسنده
ويعلى عن عبيد بن اسمعيل عن قيس عن دكين بن سعيد المزني قال اتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعين واربعمائة نسأله الطعام فقال لعمر اذهب فاطعمهم
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي الا اصع من تمر ما اراه يغنيهم قال
قال فاطعمهم قال سمع وطاعة قال فاخرج عمر المفتاح من حجزته ففتح الباب فاذا شبه
الفصيل الرابض من تمر فقال لنا خذوا فاخذ كل رجل واحد منا ما احب ثم التفت وكنت
من اخر القوم وكانا لم نرزا تمرة ورواه ابو داود عن عبد الرحيم بن مطرف عن عيسى بن
يونس عن اسمعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم عن دكين قال ابو عبد الله الحاكم
واسناده على شرط الصحيح

فصل واما النوع الخامس

تاثيره في الاحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له ففي صحيح البخاري عن انس قال صعد النبي
صلى الله عليه وسلم احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فقال اسكن
وضربه برجله فليس عليك الا نبي وصديق وشهيدان وفي الصحيح عن جابر بن سمرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث

اظنه الطيالسي

275

اني لاعرفه الان وفي الترمذي عن علي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا
في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
ورواه الحاكم في صحيحه وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حنينا فلما واجهنا العدو تقدمت فاعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو
فارميه بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت الى القوم فاذا هم قد طلعوا من ثنية اخرى
فالتقوا هم واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فولى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وارجع منهزما وعلي بردتان متزرا باحداهما مرتديا بالاخرى فاستطلق ازاري فجمعتهما
جميعا ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما وهو على بغلته الشهباء
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد راى ابن الاكوع فزعا فلما غشوا النبي
صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من الارض واستقبل به وجوههم فقال
شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين
فهزمهم الله وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء
اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا اخذ
بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها وابو سفيان اخذ بركاب ارادة ان لا تسرع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب الشجرة فوالله
لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا
والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث
بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها

فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج

الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى وجوه الكفار ثم قال انهزموا
ورب الكعبة قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى فوالله ما هو
الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا حتى هزمهم الله وقد قال
الله عز يوم بدر وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وروى ابن اسحق عن جماعة
منهم عروة والزهري وعاصم بن عمرو وغيرهم قالوا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في العريش هو وابو بكر ما معهما غيرهما وقد تدانى القوم بعضهم من
بعض فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من نصر
ويقول اللهم انك ان تهلك هذه العصابة لا تعبد وابو بكر يقول بعض مناشدتك
ربك يا رسول الله فان الله سينجز لك ما وعدك من نصره وخفق رسول الله صلى
الله عليه وسلم خفقة ثم انتبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا ابا بكر
اتاك نصر الله عز وجل هذا جبريل اخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه
النقع يقول الغبار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعبا اصحابه وهياهم
وقال لا يحملن رجل منكم بقتال حتى نؤذنه فاذا اكثبكم القوم يقول قربوا
منكم فانضحوهم عنكم بالنبل ثم تزاحم الناس فلما تدانا بعضهم من بعض خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من حصا ثم استقبل بها قريشا ثم نفح بها
وجوههم وقال شاهت الوجوه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا
عليهم يا معشر المسلمين فحمل المسلمون وهزم الله قريشا وقتل
من قتل منهم واسر من اسر منهم وفي حديث ابن ابي طلحة عن ابن عباس فقال
له جبريل خذ قبضة من تراب ورمى بها وجوههم فما في المشركين من احد الا
واصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين ٥



صلى الله عليه وسلم

فصل والنوع السادس من اياته تاييد الله له بملائكته فقال
الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين
الاية وقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة
منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من
في الخندق
الملائكة مسومين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم
جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا وقال
تعالى وحنين فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها
في الهجرة
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين وقال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود
لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا وقال تعالى في بدر
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا
الرعب وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما كان
يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه
ثلثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة
ثم مد يديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم اتني ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه
مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ
رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فامده الله بالملائكة قال ابو زميل فحدثني
ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين

امامه اذ سمع ضربة سوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر
الى المشرك امامه فخر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد خطم انفه وشق وجهه
كضربة بالسوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ
سبعين واسروا سبعين وذكر البخاري في هذا الحديث خروج
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال ابن اسحاق
حدثني عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن بعض بني ساعدة قال سمعت ابا اسيد مالك
بن ربيعة بعد ما اصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الان ومعي بصري لاخبرتكم
بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك ولا اتمارى فلما نزلت الملائكة وراها
ابليس واوحى الله اليهم اني معكم فثبتوا الذين امنوا ان الملائكة ياتي الرجل في صورة
الرجل يعرفه ويقول له ابشروا فانهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم فلما راى
ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال اني برئ منكم اني ارى ما لا ترون وهو في صورة
سراقة واقبل ابو جهل يحضض اصحابه ويقول لا يهولنكم خذلان سراقة اياكم فانه على موعد
من محمد واصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا واصحابه في الحبال
فلا تقتلوهم وخذوهم اخذا وفي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص قال رايت يوم احد عن يمين
النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد القتال ما رايتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعني جبرائيل
وميكائيل عليهما السلام وفي الصحيحين عن عائشة قالت اصيب سعد يوم الخندق
رماه رجل من قريش ابن العرقة رماه في الاكحل فضرب عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيمة في المسجد يعوده من قريب فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الخندق ووضع السلاح فاغتسل فاتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض عن راسه من



الغبار فقال وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاين فاشار الى بني قريظة فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم الى سعد
قال اني احكم فيهم ان تقتل المقاتلة وان تسبى الذرية والنساء وتقسم اموالهم وفي بعض طرق
البخاري فاتاه جبريل وقد عصب راسه الغبار وروى البخاري عن انس قال كاني
انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل صلوات الله عليه حين سار
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وفي المغازي من طريق عيسى ان الصحابة راوا
جبريل في صورة دحية الكلبي وانه معتم بعمامة ارخى طرفها بين كتفيه وقال النبي صلى
الله عليه وسلم بعثه الله الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويلقي الرعب في قلوبهم وروى
البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس
فرسه عليه اداة الحرب وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك
وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال
فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب
فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال
ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك
ربك لتامرني بامرك ما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك
به شيئا النوع السابع في كفاية الله له اعداه وعصمته له من الناس وهذا فيه انه
لسوره من وجوه منها ان ذلك تصديق لقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون فهذا اخبار الله

وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم ... ان الله ...

المشركين

فانه يكفيه المستهزئين واخبر انه يكفيه اهل الكتاب بقوله تعالى قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل
ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
فاخبر انه يكفيه هاولا الشاقين له من اهل الكتاب واخبر انه يعصمه من جميع الناس
بقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والله يعصمك من الناس فهذا خبر عام بان الله يعصمه من جميع الناس فكل من هذه
الاخبار الثلثة العامة قد وقع كما اخبر وفي هذا عدة ايات منها انه نفاه اعداه بانواع
محنة خارجة عن العادة المعروفة ومنها انه نصره مع كثرة اعداه وقوتهم وعلمهم وانه كان
وحده جاهر بمعاداتهم وسب اباهم وشتم الهتهم وتسفيه احلامهم والطعن في دينهم وهذا
من الامور الخارقة للعادة والمستهزئون كانوا من اعظم سادات قريش وعظما العرب
وكان اهل مكة اهل الحرم اعز الناس واشرفهم تعظمهم جميع الامم اما العرب وكانوا
يدينون لهم واما غيرهم من الامم وكانوا يعظمونهم لاجل البيت ... حج لاهل
الفيل ما جرى كما كانت الامم تعظم بني اسرائيل لما ظهر فيهم من الايات ما ظهر
وهاولاء بنو اسمعيل ابن خليل الله وكلاهما ممن وعد الله ابرهيم في التوراة فيهم
بما وعد من انعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم وكان اهل مكة
معظمين لانهم جيران البيت ولانهم اشرف بني اسمعيل فان الله اصطفى كنانة من
ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشم من قريش واصطفى
محمد من بني هاشم وكان قد عاداه اشراف هاولا كما عادى المسيح اشراف بني اسرائيل
وبدل هولا وهاولا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار وهاولا ارسله رسوله المسيح
من عاداه منهم ولم يعصم نبيهم ولا افضل دينهم وكذلك كفى الله محمدا من عاداه منهم



ولم يعصم انشاهم ولا افضل دينهم فان الله اما سب بالايات والمعزي لا بالبلد والنسب
وقال تعالى وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف
تعلمون وقال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر
لهم وقال وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاهم رسول منهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون وقد سمى اهل العلم بعض من كفاه الله اياه من المستهزئين
وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف
هذا الامر العظيم الذي اكرم الله نبيه به وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال ابو جهل
هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم قال واللات والعزى لئن رايته يفعل ذلك
لاطان على رقبته فما فجاهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال
ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو دنا مني لاختطفته الملايكة عضوا عضوا وانزل الله تعالى ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم
بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه
سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب وفي الصحيحين من حديث البراء
بن عازب حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر الى المدينة قال فتبعنا سراقة
بن مالك بن جعشم ونحن في جلد من الارض فقلت يا رسول الله اتينا فقال لا تحزن ان
الله معنا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها فقال
اني قد علمت انكما دعوتما علي فادعوا لي والله لكما ان اغر عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع
لا يلقى احدا الا قال قد كفيتم ما هاهنا فلا يلقى احدا الا رده وفي لفظ فساخت فرسه
في الارض الى بطنه ووثب عنه وقال يا محمد قد علمت هذا عملك فادع الله ان يخلصني

ما امانته ولكن علي من وراي وفي الصحيحين عن ابن شهاب من رواية سراقة نفسه قال
جانا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم دية كل واحد
منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس قومي بني مدلج اذ اقبل رجل منهم حتى
قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه اني رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه
قال سراقه فعرفت انهم هم فقلت ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا ثم لبثت
ساعة ثم قمت فدخلت بيتي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي
واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى
اتيت فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام
بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات
ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج
يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع الى السما مثل الدخان فاستقسمت
بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في
نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر تمام الحديث وفي الصحيحين عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزاة قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القائلة في واد كثير
العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من
اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رجلا اتاني وانا نائم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على راسي
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني قلت الله فشام السيف فها هو ذا
جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه فانصرف
حين عفى عنه فقال لا اكون في قوم هم حرب لك وفي صحيح الحاكم عن عبد الرحمن ابن

لابي بكر الصديق



لابي بكر الصديق قال كان فلان يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تكلم النبي
صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج حتى مات وفي الصحيحين عن انس
بن مالك قال كان رجل نصراني فاسلم وقرا البقرة وال عمران وكان يكتب للنبي صلى
الله عليه وسلم فعاد نصرانيا فكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله اية فاماته الله فاصبح وقد لفظته الارض
فقالوا هذا فعل محمد واصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا
له فاعمقوا ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول فحفروا
له واعمقوا فلفظته الثالثة فعلموا انه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذا
وروى الامام احمد من حديث ابن اسحق قال حدثني يحيى بن عروة عن ابيه عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما اكثر ما رايت قريشا اصابت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع
اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا
مثل ما صبرنا عليه من امر هذا الرجل قط قد سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب
ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا قال
فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى
استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما ان مر بهم غمزوه ببعض ما يقول قال فعرفت
ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى
مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال تسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد
بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طائر
واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفاه باحسن ما يجد من القول
حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولا

اختلج بوجهه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا
معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون
تركتموه فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل
واحد فاحاطوا به يقولون له انت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب
الهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول
ذلك قال فلقد رايت رجلا منهم اخذ بمجمع ردائه وقام ابو بكر دونه يقول وهو
يبكي اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه وذكر البخاري بعد حديث
عروة عن عبد الله بن عمرو قال وقال عبدة عن هشام عن ابيه قيل لعمرو بن العاص
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين قال
المستهزئون الوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب
ابو زمعة من بني اسد بن عبد العزى والحرث بن عيطل السهمي والعاص بن وايل
فاومى جبريل الى اكحل الوليد بن المغيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما
صنعت قال كفيته واومى الى الاسود بن المطلب الى عينيه فقال له ما صنعت قال
كفيته واومى الى راس الاسود بن عبد يغوث فقال له ما صنعت قال كفيته واومى
الى الحرث السهمي الى بطنه فقال له ما صنعت قال كفيته واومى الى اخمص العاص بن
وايل فقال ما صنعت قال كفيته واما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش
نبلا فاصاب اكحله فقطعها واما الاسود بن المطلب فعمي فمنهم من يقول عمي هكذا
ومنهم من يقول نزل تحت سمرة فجعل يقول يا بني الا تدفعون عني ويقولون ما
نرى شيئا فجعل يقول هلكت ها هو ذا اطعن بالشوك في عيني فجعلوا يقولون
ما نرى شيئا فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه واما الاسود فخرج في راسه
قروح فمات منها واما الحرث بن عيطل فاخذه الماء الاصفر في بطنه حتى خرج



خرؤه من فيه فمات واما العاص ابن وايل فركب الى الطايف على حمار فربض به على شبرقة
يعني شوكة فدخلت في اخمص قدمه فمات وقيل دخلت في راسه شوكة فمات ورواه
ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا يونس بن حبيب ثنا ابو داود ثنا ابو عوانة ثنا ابو بشر عن سعيد
وروى باسناده عن الربيع بن انس قال اراد صاحب اليمن ان يوتي النبي صلى الله
عليه وسلم فاتاه الوليد فزعم ان محمدا ساحر واتاه العاص ابن وايل فاخبره ان محمدا انما يعلم
اساطير الاولين واتاه اخر فزعم انه كاهن واخر زعم انه شاعر واخر قال انه مجنون
فاهلكهم الله كل منهم اصابه عذاب سوى عذاب صاحبه وذكر تفصيل عذابهم
وروى مثله عن عكرمة وقال محمد بن اسحق ثنا يزيد بن رومان عن عروة وغيره من العلما
ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جانبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه
بورقة خضراء فعمي ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى
فمات منها ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى جرح باسفل كعبه كان اصابه لما مر برجل
يريش نبله فخدش رجله وليس بشي فانتقض فمات ومر به العاص بن وايل فاشار
الى اخمص قدمه وذكر مثل ما تقدم من رواية ابن عباس ورواه ابو زرعة من طرق شتى
عن جماعة من التابعين ومن المشهور عن اصحاب السير وغيرهم دعوته على عتيبة بن
ابي لهب وكان ابو لهب لما عادى النبي صلى الله عليه وسلم امر ابنيه ان يطلقا ابنتي النبي
صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم قبل الدخول وقال عتيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم تسلط عليه
بالاذى وشق قميصه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلا فطاف بهم
الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل اخي هو والله اكلي كما دعا محمد علي قتلني

وهو بمكة وانا بالشام فعدا عليه الاسد من بين القوم واخذ براسه فذبحه وفي رواية
هشام بن عروة عن ابيه قال لما طاف الاسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم فناموا وجعلوا
عتبة في وسطهم فاقبل الاسد يتخطاهم حتى اخذ براس عتبة ففدغه وفي الصحيحين
عن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت
وابو جهل واصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل ايكم
يقوم الى سلا جزور بني فلان فياخذه فيضعه في كتفي محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم
فاخذه فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه قال فاستضحكوا
وجعل بعضهم يميل على بعض وانا قائم انظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع راسه حتى
انطلق انسان فاخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته ثم اقبلت عليهم تشتمهم
فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان اذا دعا
دعا ثلاثا واذا سال سال ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا
صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابي جهل ابن هشام
وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي
معيط وذكر السابع ولم احفظه فوالذي بعث محمدا بالحق لقد رايت الذين سمى صرعى
يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر وعنه قال استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم القبلة ودعا على ستة نفر فذكرهم وفي رواية غير ان امية ابن خلف
كان رجلا ضخما فتقطعت اوصاله فلم يلق في البير وقال غيرتهم الشمس وكان
يوما حارا ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله
ممن يسبه ويذمه ويؤذيه بانواع من العقوبات وفي ذلك من القصص الكثير
ما ليس هذا الموضع موضع بسطه وقد راينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه



من انتقام الله ممن يؤذيه بانواع من العقوبات العجيبة التي تبين حماية الله لعرضه
وتاييده ونصره وتعظيمه لقدره ورفعه لذكره وما من طائفة من الناس الا
وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لاولي الالباب ومن المعروف المشهور المجرب
عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون اهل الكتاب انه يتعسر عليهم
فتح الحصن ويطول الحصار الى ان يسب العدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو فانه يكون ذلك قريبا كما
قد جربه المسلمون غير مرة تحقيقا لقوله تعالى ان شانئك هو الابتر ولما مزق كسرى
كتابه مزق الله ملك الاكاسرة كل ممزق ولما اكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم
النوع الثامن في اجابة دعوته واجابة الدعاء منه ما يكون اجابته معتادة لكثير
من عباد الله كالاستسقاء والعافية ونحو ذلك ومنه ما يكون المدعو به من خوارق
العادات كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة والطعام النخل في العام
مرتين مع ان العادة في مثله مرة ورد البصر الذي عمي ثم آتى وما يعلم من ادعيته ومعلوم ونحو ذلك
ان من عوده الله اجابة دعائه لا يكون الا مع صلاحه ودينه ومن ادعى النبوة لا
يكون الا من ابر الناس ان كان صادقا او من افجرهم ان كان كاذبا واذا عوده الله
اجابة دعائه لم يكن فاجرا بل برا واذا لم يكن مع دعوى النبوة الا برا تعين ان يكون
نبيا صادقا فان هذا يمتنع ان يتعمد الكذب ويمتنع ان يكون ضالا يظن انه نبي وان
الذي ياتيه ملك ويكون ضالا في ذلك والذي ياتيه الشيطان فان هذا حال
من هو جاهل بحال نفسه وحال من ياتيه ومثل هذا لا يكون اضل منه ولا اجهل
منه لان الله تعالى جعل بين الملائكة والشياطين وبين الانبياء الصادقين والمتشبهين
بهم من الكذابين من الفرق ما لا يحصيه عقل بل جعل بين الابرار والفجار من الفروق من الفروق
اعظم مما بين الليل والنهار ولان ما ياتي به الانبياء من الاخبار والاوامر يخالف

من كل وجه لما يأتي به الشيطان ومن استقرأ احوال الرسل واتباعهم وحال
الكهان والسحرة تبين له ما يحقق ذلك والشيطان الذي يقول لمن يلبس عليه انت نبي صادق
والله ارسلني اليك يكون من اعظم الناس كذبا والكذب يستلزم الفجور فلابد ان يأمر بما
يلبس به عليك اثما ويخبر بما يلبس صدقا بل كذبا كما هو الواقع ممن يضله الشياطين من جهلة
العباد وممن يرى انه نبي او انه المهدي او خاتم الاولياء وكل هولاء لابد ان يأمرهم الشياطين
باثم ولابد ان يكذب في بعض ما يخبر به كما قال تعالى قل هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم وحينئذ فمثل هذا لا يكون مع دعوى النبوة من الابرار
الذين عودهم الله اجابة دعائهم اجابة خارجة عن العادات بل لا يكون مع دعوى
النبوة الا من الافاكين الفجار واذا كان صادقا في دعوى النبوة علمنا انه صادق
بل انه نبي والانبياء معصومون من الاقرار على خطائهم فيما يبلغونه عن الله ما يقال الناس
وحينئذ فكل ما يبلغه عن الله فهو حق وهو المطلوب ومن كان يأتيه صادق وكاذب
مثل ابن صياد ومثل كثير من العباد الذين لهم الهام من الملك ووسواس من الشيطان
فانه يبني ويقول انا ارسلني الله فلابد ان يبين له كذبه ولو في بعض الوجوه مثل ان
يخبره بكذب فان مثل هذا الشيطان الذي قال له انه نبي لابد ان يكذب فيما يخبره
به ومثل اخبار الصادق الذي يأتيه بما يخالف ذلك كخلاف الاخبار بامور حربه
او اخبار بانه نبي صادق مع انه ليس كذلك فهلا كان عظيما ويعتقد على
الصادق جميع ما يأتيه به لان يستلزم ان يصدق ذلك الكاذب في كل ما يخبره به
او يعتقد انه نبي وحينئذ فلا يكون عنده كاذبا ولا يعرف انه كاذب فلا يكون مثل
ابن صياد ونحوه ممن يعرف انه يأتيه صادق وكاذب بل اصل من هو ولا يظن ان كل
ما يأتيه فهو صادق ولهذا كل من كان يأتيه اخبار ملكية واخبار شيطانية كاذب
فلابد ان يعرف انه يأتيه كاذب لانه يتبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب

فتنبه لهذا الفرق الخفي الشيطان

لما قال فهذا الفرق في ذلك ان السلطان الكاذب بين الكذب من الصادق

صادق

كما هو الواقع ولهذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيرا ولذلك العباد
الذين لهم خطابات ومكاشفات شيطانية وبعضها ملكية يتبين لهم الكذب فيما يأتيهم به
الشيطان كما هو الواقع فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني الا ولابد ان يخبره بكذب
يظهر له انه كذب وحينئذ فاذا صدق هذا الكاذب في اخباره بالنبوة كان مصدقا
للكاذب ولان الصادق الذي يأتيه مخبرا له بالصدق باضحاله لابد ان يبين له
ذلك فلا يصر على اعتقاد ان من يأتيه صادق وهو في نفس الامر كاذب ولا يعلم
انه كاذب الا من هو افاك اثيم والله تعالى يقول هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم واما نزول الشيطان مرة او مرتين فقد يكون على من ليس
بافاك اثيم فان من لم يكن مدعيا للنبوة لم يكن من هذا الباب وان كان مدعيا للنبوة
فيمتنع ان يعرف الصادق الذي يأتيه على ذلك بل لابد ان يبين له هذا ان جوز ذلك
فان الناس تنازعوا هل يجوز ان يلقي الشيطان على لسان النبي ما ينسخه الله ويحكمه
ام لا يجوز ذلك وعلى كل حال يمتنع ان يقر على خطأ والمقصود هنا ذكر بعض ادعية
النبي صلى الله عليه وسلم التي شوهدت اجابتها وقد تقدم ذكر بعض دعائه على الملا
من قريش وقتلوا يوم بدر والقوا في القليب ومثل دعائه على عتيبة بن ابي لهب ومثل
دعائه على الذي كذب عليه بان جعله الله ومثل دعائه لما قل الزاد وجمعوا على
نطع فملاه الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم في غزوة تبوك ومثل دعائه
في غزوة الخندق وهنا الطعام وهو صاع من شعير لالف نفر وكذلك دعاؤه
لما حبس الجريشة تكثرها وهاحتى لقى الركب وهم الف وخمسمائه وردها نهم
وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره فابصر ودعاؤه في الاستسقا فارسل به الله
السما قد امطرت ودعاؤه في الاستصحا واشارته الى السحاب فتقطع من ساعته
ودعوته على سراقة بن جعشم لما تبعه في الهجرة فغاصت فرسه في الارض ودعاؤه يوم بدر

فتنبه لها على كمال الحكمة

ادعيته بئلء

ويوم حنين وقال الله له يوم بدر اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف
من الملائكة مردفين وامثال ذلك وفي الصحيحين عن جابر قال لما نزل قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت
ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هاتان اهون
او ايسر وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني
واحدة سالته ان لا يهلك امتي بسنة عامة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من
غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها فلن يزال الهرج الى يوم
القيامة وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الاكوع قال جعل عمي يرتجز ويقول والله لولا الله
ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن من فضلك ما استغنينا فثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قالوا عامر
قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه
الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا امتعتنا بعامر
قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول قد علمت خيبر اني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت
خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس
عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله وكانت فيها نفسه
قال سلمة فخرجت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل
عامر قتل نفسه قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله
بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك
قال كذب من قال ذلك له اجره مرتين وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال قالت
ام سليم يا رسول الله خادمك انس ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك



له فيما اعطيته وروى البخاري قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ام سليم فاتته
بتمر وسمن فقال اعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه ثم قام الى ناحية البيت فصلى
غير المكتوبة فدعا لام سليم واهل بيتها فقالت ام سليم يا رسول الله ان لي خويصة
فقال ما هي قالت خادمك انس قال فما ترك خير آخرة ولا دنيا الا دعا به اللهم ارزقه
مالا وولدا وبارك له فيه فاني لمن اكثر الانصار مالا وحدثتني ابنتي امينة انه دفن لصلبي الى
مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة وفي رواية لمسلم دعا لي بثلاث دعوات
قد رايت منها اثنتين وانا ارجو الثالثة في الآخرة وفي الترمذي وحسنه عن ابي خلدة
قال قلت لابي العالية سمع انس من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خدمه
عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة
مرتين وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال كنت ادعو
امي الى الاسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي قلت يا رسول الله
اني كنت ادعو امي الى الاسلام فتابى علي فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع
الله ان يهدي ام ابي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ام
ابي هريرة فخرجت مستبشرا بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جئت فصرت
الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت امي خشف قدمي فقالت مكانك يا ابا هريرة وسمعت
خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت
يا ابا هريرة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاتيته وانا ابكي من الفرح قلت
يا رسول الله ابشر قد استجاب الله دعوتك وهدى ام ابي هريرة فحمد الله وقال
خيرا قلت يا رسول الله ادع الله ان يحببني وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هذا يعني ابا هريرة وامه الى عبادك

الموضنين وحبب اليهما المومنين فما خلق من مومن يسمع بي ولا يراني الا احبني وفي
الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم راى على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة
فقال له ما هذا قال يا رسول الله اني تزوجت امراة قال لكم سقت اليها قال وزن نواة
من ذهب قال بارك الله لك اولم ولو بشاة وفي الصحيحين انه لما قدم اخا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري فعرض عليه سعد ان يناصفه
اهله وماله فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك دلني على
السوق فظهرت بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ من مال عبد الرحمن
ما قاله الزهري انه تصدق باربعمائة الف دينار وحمل على خمسمائة فرس في
سبيل الله وخمسمائة بعير في سبيل الله قال وكان عامة ماله من التجارة وقال
محمد بن سيرين اقتسم نساء عبد الرحمن بن عوف ثمنهن وكان لهن مائة وعشرون الفا وقال
الزهري اوصى عبد الرحمن لمن شهد بدرا فوجدوا مائة لكل رجل منهم اربعمائة دينار
وقال عبد الله بن جعفر حدثتني ام بكر بنت المسور ان عبد الرحمن باع ارضا باربعين
الف دينار فقسمها في فقراء بني زهرة وفي المهاجرين وامهات المومنين وقال محمد بن
عمرو عن ابي سلمة ان عبد الرحمن اوصى لامهات المومنين بحديقة بيعت باربعمائة الف
وفي الترمذي وصححه ورواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او
بابي جهل بن هشام وكان عمر بن الخطاب احبهما الى الله فاسلم عمر وروي ان الدعوة
كانت في يوم الاربعاء فاسلم يوم الخميس واعز الله به الاسلام قال عبد الله بن
مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر رواه البخاري وظهر من عز الاسلام في ايام عمر ما ظهر
شرقا وغربا وفتح الشام والعراق ومصر وكسر عساكر كسرى وقيصر
به اجابة الدعوة وفي الصحيحين عن ابن عباس وضع للنبي صلى الله عليه وسلم



لما اتى الخلاء وضوءا فقال من وضع هذا فقيل ابن عباس فقال اللهم فقهه في
الدين وعلمه التاويل وفي رواية قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره
وقال اللهم علمه الكتاب وفي رواية الحكمة وظهرت اجابة دعوته حتى كان يسمى البحر
وقال فيه ابن مسعود لو ادرك ابن عباس اسناننا ما عاشره منا احد وكان عمر يقدمه
ويدخله مع كبراء الصحابة وعلم ابن عباس مشهور في الامة وفي الصحيحين عن جابر
قال كنت اسير على جمل لي قد اعيا واردت ان اسيبه قال فلحقني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضربه ودعا له فسار سيرا لم يسر مثله وفي رواية فقال لي ما لبعيرك قلت
عليل قال فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره فدعا له فما زال بين
يدي الابل قدامها فقال كيف ترى بعيرك قلت بخير قد اصابته بركتك قال افتبيعنيه
وذكر الحديث وفي الترمذي وغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد
اذا دعاك وفي لفظ اللهم اجب دعوته وسدد رميته فكان سعد لا يدعو الا استجيب ولا
يدعوا الا اجيب وروى الحاكم في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال مرضت فعادني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا
فارفعني وان كان بلاء فصبرني فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم فقمت فما عاد لي
لي ذلك الوجع بعد وفي الصحيحين عن ام خالد قالت اتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون نكسو هذه الخميصة فسكت
القوم فقال ائتوني بام خالد فاتي بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالبسنيها فقال ابلي
واخلقي مرتين فجعل ينظر الى علم الخميصة ويشير بيده الي ويقول يا ام خالد هذا سنا
والسنا بلسان الحبشة الحسن فبقيت حتى ذكر وعن ابي زيد عمرو بن اخطب الانصاري
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادن مني فمسح بيده على راسي ولحيتي ثم قال
اللهم جمله وادم جماله قال الراوي عنه فبلغ بضعا وثمانين سنة وما في لحيته بياض الا نزر

بشر ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات رواه الامام احمد وقال
البيهقي اسناده صحيح ورواه الترمذي وقال مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على راسه ودعا له قال فعوق انه عاش مائة وعشرين سنة وليس في راسه الا
شعرات بيض وقال حدثني وقال البخاري في تاريخه يعقوب بن اسحق بن حنظلة
بن حنيفة بن حذيم قال قال حذيم يا رسول الله انى رجل ذو بنين وهذا اصغر بنى
فسمت عليه قال يتعالى يا غلام فاخذ بيدي ومسح راسي وقال بارك الله فيك او بورك فيه
ورايت حنظلة يؤتى بالانسان الوارم فيمسح بيده ويقول بسم الله فيذهب الورم
وفي رواية والشاة والبعير ويذكر عن ابى سفيان واسمه مدلوك انه ذهب الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ومسح راسه
بيده ودعا له بالبركة فكان مقدم راسه موضع يد النبي صلى الله عليه وسلم اسود
وسائره ابيض ذكره ايضا البخاري في تاريخه وروى احمد باسناد عن ابي العلاء قال
كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه الذي مات فيه فمر رجل في مؤخر الدار فرايته في وجه
قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح وجهه قال وكنت قل ما رايته الا
ورايته كان على وجهه الدهان وفي صحيح البخاري ان عبد الله بن هشام كان يخرج الى
السوق فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان اشركنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد دعا لك بالبركة فيشركهم فربما اصاب الراحلة كما هي فيبعث بها الى المنزل وفي مسند
الامام احمد عن عروة بن ابي الجعد قال عرض للنبي صلى الله عليه وسلم جلب فاعطاني دينارا
وقال اي عروة ائت الجلب فاشتر لنا شاة فاتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه
شاتين بدينار فجئت اسوقهما فلقيني رجل فساومني فابيعه شاة بدينار فجئت بالدينار فابيعه
وجئت بالشاة فقلت يا رسول الله هذا ديناركم وهذه شاتكم قال وصنعت كيف
فحدثته الحديث فقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فلقد رايتني اقف بكناسة الكوفة

فاربح اربعين الفا قبل ان اصل الى اهلي رواه الامام احمد وفي لفظ فكان لو
اشترى التراب لربح فيه رواه البخاري عن اهل الدار عنه وفي صحيح مسلم عن سلمة بن دار
الاكوع ان رجلا اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له كل بيمينك
قال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر قال فما رفعها الى فيه
وروى مالك في موطاه عن زيد بن اسلم عن جابر بن عبد الله السلمي قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني انمار قال جابر فبينا انا نازل تحت شجرة اذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هلم يا رسول الله الى الظل قال فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فقمت الى غرارة لنا فالتمست فيها فوجدت
جرو قثاء فكسرته ثم قربته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من اين لكم هذا فقلنا
خرجنا به من المدينة قال وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعى ظهرنا قال فجهزته ثم ادبر
يذهب الى الظهر وعليه ثوبان له قد خلقا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليه
اما له ثوبان غير هذين فقلت بلى يا رسول الله ثوبان في العيبة كسوته اياهما قال
ادعه فليلبسهما ثم ولى يذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما له ضرب الله
عنقه اليس هذا خيرا له فسمعه الرجل فقال يا رسول الله في سبيل الله فقال في
سبيل الله فقتل الرجل في سبيل الله ورواه ابو زرعة عن سعيد بن سليمان عن الليث عن بلغ
هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عطاء عن جابر ووصل في الطرق
التي بينها ان هذه الاخبار بعد العلم وهذه الاخبار منها ما هو في القران ومنها ما هو
متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع
ونحو ذلك فان كلا من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الامة جيلا
بعد جيل وخلفا عن سلف فما من طبقة من طبقات الامة الا وهذه الايات منقولة مشهورة
مستفيضة فيها نقلها الكثير بنقل كثير من القران وقد نقلها وسمعها من الامة الكثير

شمع ونقل انه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو وممن سمع ونقل نصب الزكاة وفرايضها
بل مواقيت الصلاة واعدادها انما شاع نقلها للعلم اللازم بها واما هذه الايات
فنقلها المرتين نقل مواقيت الصلاة من جهة الاخبار المعينة وذلك ان ايات الرسول
كان كثيرا منها يكون يشهده من الخلق العظيم فيشاهدون تلك الايات كما شاهدوا اهل
الحديبية وهم الف وخمسمائة نبع الماء من بين اصابعه وطهور الماء الكثير من بير الحديبية
لما نزحوها ولم يتركوا منها قطرة فكثر حتى روي العسكر وكما شاهد العسكر في غزوة
ذات الرقاع الماء الكثير لما صبه جابر في الجفنة واستلات وملوا منها جميع العسكر
وكما شاهد الجيش في رجوعهم من غزوة خيبر المزادتين مع المراة وقد ملوا كل وعاء معهم
وشربوا وهي ملا كما هي وكما شاهد اهل خيبر وهم الف وخمسمائة الطعام الذي
كان في بعض الشاة فاشبع الجيش كلهم وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلثين الف
في غزوة تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر حتى كفاهم وشاهدوا الطعام الذي
جمعوه على نطع فاخذوا منه حتى كفاهم وكما شاهد اهل الخندق وهم اكثر من الف
كثرة الطعام في بيت جابر بعد ان كان صاعا من شعير وعناقا فاكلوا كلهم بعد
الجوع حتى شبعوا وفضلت فضلة وكما شاهد الثمانون نفسا كثرة الطعام لما
اكلوا في بيت ابي طلحة وكما شاهد الثلثمائة كثرة الماء لما توضوا من قدح والماء ينبع
من بين اصابعه حتى كفاهم للوضوء ولذلك وليمة زينب كانوا ثلثمائة فاكلوا
من طعام في تور حجارة وهو ما يظن انس انه ازيد مما كان وكانوا يتداولون
قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة كما في حديث سمرة بن جندب
واهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن وكفاهم وفضل وكانوا ينقلون ذلك بينهم
وهو مشهور ينقله بعض من شاهده الى من غاب عنه وكان استفاضة اياته
وشهرتها وتواترها في الامة اعظم من تواتر سجود السهو في الصلاة فان هذا انما

جواز ان اثبات القران والكثير

286

كان مرات قليلة ولم يحضره الا المصلون خلفه لتلك الصلاة ولذلك تعلم نصب
الزكاة وفرايضها فان هذا انما سمعه منه طايفة قليلة ونقلوه ولذلك حكمه بالشفعة
فيما لا يقسم وقضاه بان دية الخطا على العاقلة وقضاه بان الولد للفراش وللعاهر
الحجر ونهيه عن نكاح الشغار وتحريمه لطلاق الحايض وطلاق الموطوءة قبل ان يتبين
حملها وان المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار وتوقيت الجلد السدس ونهيه ان تنكح
المراة على عمتها وخالتها وقوله فيما سقت السما العشر وفيما سقي بالدوالي والنواضح
نصف العشر وامثال ذلك انما سمعها طايفة من الامة هم اقل بكثير ممن شاهدوا
اياته ثم ان الامة متفقة على نقل ذلك وهذه الاحكام متواترة عنه معلومة بالاضطرار
من دينه فاذا كان مثل هذه الامور تواتر في الامة واتفقت على نقله فكيف بما كان اشهر
واظهر عند من عاينوه فان علم الذين راوه به اظهر من علمهم بهذه الاحكام وقد نقلوا
ذلك الى من غاب عنهم فانه قطعا يجب ان يكون تواتر هذه الايات في الامة اعظم
واظهر ولهذا لا يكاد يوجد مسلم الا وقد عرف كثيرا من هذه الايات وسمعها ونقلها
للاعيان بخلاف كثير من الاحكام المتواترة عنه المتفق على نقلها عند العلماء فان
كثيرا من الناس لا يعرفها ولا يسمعها واذا قال القايل هذه مما تتوفر الهمم والدواعي
على نقلها فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعي على نقلها ولو كانت كذلك لتواترت قلنا
فكان كذلك هو ولله الحمد توفرت الهمم والدواعي على نقل اكثر ايات الانبيا قبله
واكثر مما توفرت الهمم والدواعي على نقل الاخبار العجيبة من سير الملوك والخلفا
فانه من تدبر نقل هذه الايات وجد شهرتها في كل زمان وظهور الاخبار بها اعظم
شهرة مما نقل من اخبار الانبيا وسير الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر الهمم
والدواعي على نقلها فان مثل هذا لا يجب في كونه متواترا ان يتواتر عند كل احد من الناس
فان الكثير مما تواتر عند كل امة من احوال متقدميها قد لا يسمعه كثير من الامم من غيرهم

نقلها اكثر مما تتوفر الهمم والدواعي

فضلا عن تواتره عندهم حتى ان كثيرا من الامم الذين لا يعرفون الانبيا قد لا يكونوا
قد سمعوا باسما الانبيا ولا باخبارهم فضلا عن تواترها عندهم واكثر اتباع الانبيا
لم تتواتر عندهم من اخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم حتى ان اكثر المسلمين
لم يسمعوا باسما خلفا بني امية وبني العباس واسما وزرايهم ونوابهم وقوادهم وبالحروب
التي جرت بينهم ولا يعرفون الوقايع العظيمة من الحروب التي كانت بين المسلمين
واعدايهم مثل يوم اجنادين ويوم مرج الصفر ويوم نخلة مثل يوم الجرم ويوم مرج
راهط وفتنة ابن المهلب وفتنة ابن الاشعث والزامع الحجاج وحرب مصعب بن ويوم القادسية
الزبير مع المختار بن ابي عبيد وفتنة المنصور مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن حسن
بالمدينة ومع اخيه محمد ابن ابرهيم بالبصرة ومثل حرب ابي عبيد ويوم اليرموك
ولا يعرفون ان المسلمين فتحوا قبرص ولا غزوا القسطنطينية مرتين مرة مع معوية
ومرة في زمن بني مروان وكذلك الفتن التي كانت بين المسلمين بل اكثر العامة لم
يسمعوا بابي مسلم صاحب الدعوة وبعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس وما جرى
لهما من الحروب مع عساكر مروان اخر خلفا بني امية ولم يسمعوا ايضا بدخول
عبد الرحمن بن هشام الى الاندلس وما جرى له فيها ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد
الامين والمامون مع ان هذه الامور هي متواترة عند اهل العلم بالسير واخبار
الناس والتواريخ وظهور هذه الايات التي هي دلايل النبوة واعلامها واشتهارها
بين الامة عامتها وخاصتها في كل زمان اعظم من ظهور هذه الاخبار المتواترة
فهي احق ان تجعل متواترة من هذه ونقل هذه الايات من الخاصة اهل العلم
وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير وكتب الاصول والفقه التي تذكر
فيها هذه الاخبار اصح نقلا باتفاق اهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة
فان تلك كثير من اخبارها منقطع الاسناد بل كثير من الفقها والمتكلمين او اكثرهم



لا يعرفون عدد مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها اعداوه
وهي وقايع مشهورة كل منها متواتر تواترا ظاهرا عند اهل العلم مثل يوم بدر ويوم
احد ويوم الخندق وغزوة بني المصطلق وغزوة خيبر وفتح مكة ويوم حنين وحصار
الطايف فكثير من اهل العلم فضلا عن العامة وان كانوا سمعوا بهذه الاسما وبعضها
فلا يعرفون ايها كان قبل الاخر ولا يعرفون في اي سنة كانت تلك الغزاة بل ولا
يعرفون من كان العدو فيها ولا كيف كانت بل اكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين
بل يقولون ما يلهم يوم بدر وحنين ويظنون ان ذلك يوم احد وانها غزاة واحدة ولا
يعرفون انهما غزاتان بينهما نحو ست سنين كانت بدر في السنة الثانية من الهجرة وكانت
حنين في السنة الثامنة بعد فتح مكة وان بدر مكان بين مكة والمدينة شامي مكة
ويماني المدينة وحنين واد قريب من الطايف شرقي مكة وانما قرن بينهما في الاسم لان
الله انزل فيها الملايكة وامد بها نبيه والمومنين حتى غلبوا عدوهم مع قوة العدو
في بدر ومع هزيمة اكثر المسلمين اولا بحنين وامتن الله بذلك في كتابه في قوله ولقد
نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وفي قوله ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل
الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها حتى بعض اكابر ايمة
الفتيا قال لصاحبه لما انكر عليه طلب علم السير تسكت والا سالتك قدام المشهور
الناس ايهما كانت قبل بدر او احد فاني اعلم انك لا تعلم مع انه من المتواتر الذي لا
يستريب فيه من له معرفة بالاخبار ان احدا كانت بعد بدر وفي بدر انتصر المسلمون
على الكفار ويوم احد استظهر الكفار بل وكثير من علما المسلمين الاكابر لا يعلمون
ما هو متواتر عند اهل الكتاب بل وعند غيرهم من علما المسلمين مثل خراب بيت
المقدس مرتين ومجي بخت نصر الى بيت المقدس والله سبحانه قد ذكر في القران

المرتين فقال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن
علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد
الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
وكانت الاولى بعد سليمان وكانت الثانية بعد زكريا بيحيى والمسيح لما قتلوا يحيى بن زكريا بخت
الذي يسميه اهل الكتاب بوخذ نصر الهمداني وكثير من المذكورين بالعلم يظن ان بخت
نصر الذي قدم الشام لما قتل يحيى بن زكريا وهذا عند اهل العلم من اهل الكتاب
وعند من له خبرة من علماء المسلمين باطل والمتواتر ان بخت نصر هو الذي تقدم في
المرة الاولى وكذلك كون شعيب النبي كان حمو موسى عليه السلام كما تقوله طائفة
من الجهال والمتواتر عند اهل الكتاب وعند المسلمين من الصحابة والتابعين
وغيرهم خلاف ذلك وعند النصارى من اخبارهم واخبار علمائهم وملوكهم المتواتر
ما لا يعرفه اهل الاسلام بل عند كل طائفة من المسلمين من اخبار شيوخهم وامرائهم وبلادهم
المتواتر ما لم يسمع من غيرهم وليس هذا بمنزلة من ادعى خبرا لم يكن يعرف في الدين
شاهدوا تلك القضية كما لو ادعى مدع ان النبي صلى الله عليه وسلم حج بعد الهجرة
اكثر من حجة وانه كان يصوم شهر رمضان بمكة وانه كان بمكة اذان او انه كان في
عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات او انه كان يؤذن للعيدين او كان يخطب
للعيدين قبل الصلاة او انه كان يصلي بالمدينة اكثر من عيد او انه كان يصلي في السفر
اربعا او انه صلى بمنى صلاة يوم النحر او انه نص على علي بن ابي طالب او غيره بالخلافة
نصا ظاهرا مشهورا او انه عزل ابا بكر عن الامارة في الحجة وولى عليا او انه صلى
في مرض موته غير ابي بكر ونحو ذلك من الاخبار التي يعرف انها كذب باطل لتواتر نقيضها

ولانها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره مع انه لم ينزل
ذكر في النص المتقدم وكذلك ما ينقله كثير من اهل الجهل مثل ما يجعلونه من معجزات
الرسول او غيره ولا يوجد منقولا عند اهل العلم باحواله بل يكذبون بامثاله مثل نقل
كثير من العامة ان الغمام كان يظله دائما وهذا لا يوجد في شيء من كتب المسلمين المعروفة
عند علمائهم ولا نقله عالم من علمائهم بل هو كذب عندهم وان كان كثير من الناس
ينقله وانما نقل ان الغمامة اظلته لما كان صغيرا فقدم مع عمه الى الشام تاجرا ورآه
بحيرا الراهب مع هذا وهذا لا يجزم بصحته وكذلك ما ينقله بعضهم من انه كان
اذا وطئ اثر قدمه في الحجر وفي الرمل لم يكن يؤثر وهذا لم ينقله اهل العلم باحواله
ولا واحد منهم بل هو كذب عليه وكذلك ما ينقله طائفة من الناس من نوع
القتل بحروب او المغازي الكتب التي يذكرها صاحب الكتاب الذي سماه تنقلات الانوار
ويقال له البكري فهذه لما كان اكثرها لا يوجد في كتب المسلمين المعروفة ولا
نقلها علماؤهم بل قد تواتر ما يخالفها كانت كذبا ظاهرا عند اهل العلم باحواله
وان كان كثيرا من الناس الجهال باحواله قد يصدق بها ومثلما ينقله طائفة انه كان
في غزوة خيبر نصب علي بن ابي طالب يده ليمر الجيش عليها وان البغلة مرت عليها
فقال قطع الله نسلك فانقطع نسلها فهذا ليس في شيء من كتب اهل العلم باحواله
ولا نقل ذلك واحد منهم وانما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب او جاهل ولهذا
كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين ويعلمون انه تواتر نقيضه
وانه لم يكن في غزوة خيبر بغلة واحدة ولم يكن بالمدينة ولا بمكة بغلة الا البغلة التي
اهداها له المقوقس النصراني ملك مصر والاسكندرية وانما اهداها له بعد
فتح خيبر لما كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك الطوائف يدعوهم الى
الاسلام وهو انما ارسل الى ملوك الطوائف بعد الحديبية وخيبر لما رجع من خيبر

ويعلمون ان البغله لم تزل مقطوعه النسل لم يكن لها نسل قط وكذلك ما نقله
بعض الكذابين من ان طايفه من اهل البيت سبوا فاركبوا جمالا لا اقتاب لها اسنامان
وانها البخاتي فهذا مما اتفق اهل المعرفه بالاخبار على انه كذب لم يسب المسلمون
قط في وقت من بعض الاوقات احدا من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لا في
خلافه بني امية ولا في خلافه بني العباس وان الجمال البخاتي ما زالت هكذا لم يتجدد لها
السنام في الاسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ما حدث النسا
يعلمهن على رووسهن كاسنمه البخت وكذلك ما نقل طايفه من اهل العلم من
ان الشمس ردت لما فاتت عليا صلاه العصر لكون النبي صلى الله عليه وسلم نام
في حجره وجعل بعضهم هذا من المعجزات وليس هذا الحديث في شي من كتب المسلمين
التي يعتمد على ما فيها من المنقولات لا الصحاح ولا المسانيد ولا المغازي والسير
ولا غير ذلك بل بين اهل العلم بالحديث ان هذا كذب وليس اسناده واحد صحيح متصل
بل غايته ان يروي عمن لا يعرف صدقه ولم يرو الا مع توفر الهمم والدواعي
على نقله فعلموا انه كذب وهذا باب واسع يبين ان علما المسلمين يميزون المنقولات
الصدق والكذب فيردون الكذب وان كان فيه من فضايل بينهم واعلاقه
وفضايل الصحابه وامته ما هو عظيم ويقبلون الصدق وان كان فيه شبهه اشكال
وقد يحتج به المنازعون لهم وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول اهل العلم يكتبون ما
لهم وما عليهم واهل الاهوا لا يكتبون الا ما لهم ومن ذلك مغازي حمزه الشايعه
بين كثير من جهال الترك وغيرهم لا يوجد في شي من كتب العلم بل قد تواتر عند
اهل العلم ان حمزه لم يشهد غزوه من الغزوات بعد بدر غزوه احد وقتل يوم احد شهيدا
قتله وحشي بن حرب وهذا متواتر عند اهل العلم ومما كان من هذه الابواب
في الصحاح بل وكثيرا مما لم يخرجه البخاري ومسلم فهذه غايتها ما يقطع اهل

289

العلم بالحديث بصحتها ويتيقنون ذلك وهذا عندهم مستفيض متواتر وان كان بعض
ذلك لا يتواتر ويستفيض عند غيرهم فان الاخبار قد تتواتر وتستفيض عند قوم
دون قوم بحسب عنايتهم بها وطلبهم لها وعلمهم بمن اخبر بها وصفاتهم ومقاديرهم ولما
دل من الدلايل على صدقهم واهل العلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وسيرته
واسباب نزول القران ومعانيه وغير ذلك هم بهذا من العلم وعندهم من اليقين ما لا
يحصل مثله لغيرهم كما ان اصحاب مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابي حنيفه وداود
وغيرهم عند كل طايفه من اقوال متبوعهم ونصوصه واخباره ما يقطعون به وغيرهم وان كان
لا يعلم ذلك واهل الهيئه عندهم من كلام بطليموس والرصد الممتحن للمامون وابن ... وابي
الحسين الصوفي ما يعلمونه هم وغيرهم لا يعلم ذلك بحسبهم هاولا وهاولا بل كثير من
مذاهب اهل الطب والحساب وتجارب الاطبا وارصاد اهل الحساب هو عندهم لا يعلم
ذلك وعند اهل الكتاب كاليهود من اخبار هلال وشماي وغيرهما من شيوخهم ما لا
يعلمه غيرهم وعند النصارى من اخبار الحواريين ومن اخبار قسطنطين والمجمع الاول
بنيقيه والمجمع الثاني والثالث والرابع والخامس وغير ذلك من مجامعهم واخبارهم ما يقطع
علماوهم وان كان غيرهم لا يعلمون ذلك واهل العلم بايام الاسلام يعلمون من سيره
ابي بكر وعمر وعثمان ومغازيهم كوقعه اجنادين ومرج الصفر وغيرهما في خلافه
ابي بكر وكوقعه اليرموك وخبر ابي عبيده وهزيمه الفرس وفتح مصر وغير ذلك
مما كان في زمن عمر بن الخطاب ما يقطعون به وان غيرهم لا يعرفون ذلك وكذلك كان
ما كان بعدها ولا من سير الملوك وحوادث الوجود بل اهل العلم بالرجال يعلمون
من حال احاد الصحابه والتابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عمر وابن عباس وابي سعيد
وابي هريره وعبد الله بن مسعود وانس بن مالك وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسعيد
بن المسيب والحسن البصري وعلقمه والاسود وغيرهما ما لا يعلمه غيرهم من اهل العلم

بالنحو يعلمون من حال سيبويه والاخفش والمبرد والزجاج والفرا والكسائي
ما لا نعلمه نحن والقرا يعلمون من قراءة ابي عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي وابن عامر
ويعقوب بن اسحق والاعمش وخلف بن هشام وابي جعفر ما لا نعلمه نحن فاذا كان
احاد اهل العلم من اهل الفقه او الطب او الحساب او النحو او القران بل احاد الملوك
تعلم الخاصة من امورهم ما لا نعلمه نحن ويقطعون بذلك فكيف من هو عند اتباعه
اعلا قدرا من كل عالم وارفع منزلة من كل ملك وهم ارغب الخلق في معرفة احواله
واعظم تحريا للصدق فيها ولرد الكذب منها حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة في اخبار
جميع من روى شيئا من اخباره وذكروا فيها احوال نقلة حديثه وما يتصل بذلك من
جرح وتعديل ودققوا في ذلك وبالغوا مبالغة لا توجد مثلها لاحد من الامم ولا لاحد
من هذه الامة الا لاهل الحديث فهذا يعطي انهم اعلم بحال نبيهم من كل احد بحال
متبوعهم وكذبه فاذا كان اولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه
لا يكون الا صدقا فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق اولى ان لا يكون ما
جزموا بصدقه الا صدقا وعامة اخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق
بها وجزموا بذلك وانما تنازعوا في احاديث قليلة منها وعامة ما ذكرناه من ايات النبي صلى
الله عليه وسلم التي في الصحاح هي من موارد اجماعهم المستفيضة عندهم التي يجزمون
بصدقها ليست من موارد نزاعهم فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء ويعلم خبره اهله
من كان خبيرا بهم فهذه طريقان في تصديق هذه الايات التواتر العام والتواتر الخاص
الطريق الثالث التواتر المعنوي وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف فان
الناس قد يسمعون اخبارا متفرقة بحكايات يشترك مجموعها في امر واحد كما سمعوا اخبارا
متفرقة بشجاعة عنترة وخالد بن الوليد واشباههما وبسخا حاتم ومعن بن زائدة
واشباههما وبحلم الاحنف بن قيس ومعوية بن ابي سفيان واشباههما وبشعر امرئ



القيس والنابغة ولبيد واشباههما من المتقدمين وبشعر الفرزدق وجرير وعمر
بن ابي ربيعة واشباههم من المولدين وبشعر ابي نواس والمتنبي وابي تمام واشباههم من المحدثين
بل وسمعوا اقوالا وفتاوى متفرقة تتضمن فقه مالك والثوري والليث بن سعد وابي
حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم من العلماء واخبارا متفرقة
تتضمن العدل وحسن السيرة من عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما من ولاة
الامور وسمعوا اخبارا متفرقة تتضمن الزهد عن مثل الحسن البصري والفضيل بن
عياض ومالك بن دينار وابرهيم بن ادهم وغيرهم من الزهاد وسمعوا اخبارا متفرقة
تتضمن معرفة ابقراط وجالينوس ونحوهما بالطب فيحصل لمجموع الاخبار علم ضروري
بان الشخص موصوف بذلك النعت وان كان كل من الاخبار لو تجرد لم يحصل به العلم
وان كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر ومن هذا الباب العلم القطعي
بالانساب والموت ونحو ذلك مما يحصل به استفاضة موجبة للعلم القطعي كعلم الناس
بان خديجة وعائشة ونحوهما من امهات المومنين وان فاطمة وزينب من بنات النبي صلى الله
عليه وسلم وان عائشة بنت ابي بكر وان ابا بكر وعمر وعثمان تولوا الخلافة بعده وان ابا بكر
وعمر دفنا في حجرته واذا عرف هذا فهذه الاحاديث واضعاف اضعافها بل اضعاف
اضعاف ما ينقل عن الواحد منها ولا ونقلها اجل واكثر وافضل من نقلة اخبارهما ولا ريب
كلها تتضمن ان محمد بن عبد الله كان يجري على يديه من الايات الخارقة للعادة والعجائب
العظيمة مما لا يعرف نظيره عن احد من الناس وعلم المسلمين بهذا اعظم من علم اهل الكتاب
بما ينقلونه من ايات موسى وعيسى وغيرهما فان نقلة ايات محمد صلى الله عليه وسلم
غير القران اضعاف اضعاف نقلة التوراة والانجيل فضلا عن غيرهما من اخبار الانبيا
فان التوراة لم تكن جميعها محفوظة لعموم بني اسرائيل كما يحفظ القران عامة المسلمين وعند
خراب البيت المقدس قل من يحفظها جدا حتى تنازع الناس في تواتر نقلها وكذلك الانجيل

سار
ونقلتها

ينقله بكثير اقل من نقله ايات محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان النصارى هاولا
كانوا صالحين وكان لهم ايات كما يذكرونه من ايات الحواريين فاصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وتابعوهم صالحون ولهم من الايات اعظم مما للحواريين وغيرهم من الامم ومنهم من كان
يحمل العسكر على الما ومن يشرب السموم القاتله ومن يحيي الله الموتى بدعوته ومن يكثر الطعام
والشراب وكتب كرامات الاوليا فيها من ذلك اعظم مما عند اهل الكتاب وهم ينقلون اخبار
الانبيا والصالحين من كتب عندهم مثل كتاب اخبار الحواريين وكتاب سير الملوك ونحو
ذلك وما يذكرون من حجه في صحه نقلها الاوجه المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم واصحابه والتابعين
اظهر واقوى الطريق الرابع ان نقال هذه الايات التي ذكرنا بعضها كانت تكون بحضرة
من الخلق الكثير كتكثير الطعام يوم الخندق وكانوا اهل الخندق وكانوا الوفا ولذلك نبع الما من بين
اصابعه وفيضان البير بالما يوم الحديبيه وكانوا ابو سيا الفا وخمس ماية وكلهم صالحون
من اهل الجنه لا يعرف فيهم من تعمد كذبه واحده على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
تكثير الما والطعام في غزوه خيبر كانوا الفا وخمسماية وفي تبوك كانوا الوفا مولفه وكان
بعض من حضر هذه المشاهد نقل هذه الايات قدام اخرين ممن حضرها ونقلها
لاقوام فيذهب اولئك فيخبرون بها اولئك ويصدق بعضهم بعضا على هذا امثل
ما حل هذا من غير تواطي وتشاعروا في احواله ان يعين ولا انكر عليه روايتها وكذلك
نعلم بموجب العاده الفطريه التي جبل الله عليها عباده وبموجب ما كان عليه سلف الامه
من اعتقاد الصدق وتحريه واعتقادهم ان ذلك واجب ومن شده توقيهم الكذب على
نبيهم وتعظيم ذلك اذ قد تواتر عندهم انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من
النار فنحن نعلم انهم لم يكونوا يقرون من يعلمون انه يكذب عليه ومن اخبر عنه بما
كانوا لمشاهدين له وكذب عليه وقد علموا انه كذب عليه فلما اتفقوا على الاقرار على ذلك
وعلى تناقله بينهم من غير انكار احد منهم لذلك علم قطعا ان القوم كانوا متفقين على نقل ذلك

فانه كان اهل الخندق

عنه

انهم



كما هم متفقون على نقل القران والشريعه المتواتره وان كان جمهورهم ليس متنصبا لتلقين
القران بل هذا يلقنه وهذا يستمعه من هذا الملقن ولا ينكر بعضهم على بعض القراه وهذا
يعلم هذا الصلاه ان الظهر في الحضر اربع ركعات والمغرب ثلاثا والفجر ركعتين وهذا الفر
هذا لما كان بعضهم يقر بعضا على نقل ذلك علم اتفاقهم على نقل ذلك وهذا غايه التواتر وكذلك
ما نقلوه من شرايعه ومن اياته وبراهينه يبين ذلك ان ما انكره بعضهم رده على الاخر ولم يوافقه
وان كانوا متاخرين عن زمن الصحابه فكيف بالمتقدمين كما نعلم هل كان يجهر بالبسمله ام
لا يجهر بها وهل كان يداوم على القنوت في الفجر ام كان يقنت احيانا للنوازل ام قنت ثم ترك
فهذا من اهون الامور واليسرها اذ كلهم متفقون على صحه صلاه من قنت وعلى صحه صلاه
من لم يقنت ومن جهر ومن خافت ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول تنازعوا في الحكم فعلم
بذلك ان ما كان مشهورا في الامه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن احد منكرا له كانت
الامه متفقه على نقله كنقلهم القران والشرايع الظاهره المشهوره وان نقل ذلك اعظم من
نقل سائر اخبار الانبيا والعلما والملوك والزهاد ولذلك حجه فانهم كلهم متفقون على ما تواتر
عنه من انه لم يحج بعد الهجره الا حجه واحده وهي التي تسمى حجه الوداع وانما عاش بعدها
نحو من ثلثه اشهر وانه لما حج امر اصحابه كلهم الا من ساق الهدي منهم اذا طاف بالبيت وبين
الصفا والمروه ان يحل من عمرته وانه لم يعتمر هو ولا احد من اصحابه الذين حجوا معه
بعد الحج الا عايشه وحدها وانه هو نفسه لم يحل من حجته ولا احد ممن ساق الهدي
معه وانما اشتبه على بعضهم بعض الفاظه او بعض الامور التي تخفى على اكثر الناس وقال
الصحابه ينقلون تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرادهم بالتمتع انه قرن بين
العمره والحج فظن بعض الناس انهم ارادوا انه اخر الاحرام بالحج الى ان قضى العمره وذكر وقال
بعض الصحابه انه افرد الحج فظن بعض الناس انه حج واعتمر بعد الحج وهذا لم ينقله احد
من العلما بل اتفقوا على انه لم يعتمر بعد الحج وروى بعض الصحابه انه قرن فظن بعض الناس

فلما

انه حج واعتمر بعد الحج وهذا لم ينقله احد من العلماء بل اتفقوا على انه لم يعتمر بعد الحج
طاف طوافين وسعى سعيين وهذا لم ينقله احد عنه وكان من اسباب غلط كثير
من الناس انهم كانوا يستعملون تلك الالفاظ في معان غير ما استعملها فيها النبي
فغلط بعض الناس على بعض الصحابة ولهذا ما نعلم في الحج مشهورا الا وهو متواتر
لم يختلف فيه النقل ولا علماء النقل ومن يدبر هذه الطريق افادته علما يقينيا
قطعيا بصحة هذه الايات عن محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الطرق المتقدمة
فانا قد ذكرنا ان ما كان الناس احوج الى معرفته يسر الله دلائله للناس اعظم من
تيسير غيره وحاجة الخلق الى تصديق الرسول اشد من حاجتهم الى جميع الاشياء
اذ بذلك تحصل سعادتهم في الاخرة ونجاتهم من العذاب وبه يحصل صلاح العباد في
المعاد والمعاش الطريق الخامس ان يقول ما من صنف من اصناف العلماء
الا وقد تواتر عندهم من الايات ما فيه كفاية فكتب التفسير يشحنونها بذكر الايات
متواتر ذلك فيها وكتب الحديث يشحنونها بذكر الايات متواتر ذلك فيها وكتب السير والمغازي
والتواريخ يشحنونها بذكر الايات متواتر ذلك فيها وان لم يكن هذا مقصودا فيها وانما المقصود
الاحكام لكنهم في ضمن ما يروونه من الاحكام يروون فيها ما هو متواتر عندهم وكتب الاصول
والكلام يشحنونها بذكر الايات متواتر ذلك فيها ونقل كل طائفة من هذه الطوائف تفيد
العلم اليقيني فكيف بما تنقله كل طائفة من هذه الطوائف وهذه الطرق وغيرها مثل
طريق الاقرار والتصديق وطريق التواتر المعنوي وطريق تصديق اهل العلم بالحديث
لها وغير ذلك يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للايات الخارقة للعادة وهذا اعلى
ما يكون ويستدل بها على تواتر جنس منها كتواتر تكثير الطعام وتواتر تكثير الطهور والشراب
وعلى تواتر نوع نوع منها كتواتر نبع الماء من بين اصابعه وتواتر اشباع الخلق العظيم من الطعام
القليل وتواتر شخص شخص منها كتواتر حنين الجذع اليه وامثال ذلك وهذا امعن الناس



الانسان في ذلك النظر واعتبر ذلك بامثاله واعطاه حقه من النظر والاستدلال
ازداد بذلك علما ويقينا وتبين له ان العلم بذلك اظهر من جميع ما يطلب من العلم بالاخبار
المتواترة فليس في الدنيا علم مطلوب بالاخبار المتواترة الا والعلم بايات الرسول وشرائع
دينه اظهر من ذلك وما من حال احد من الانبياء والملوك والعلماء والمشايخ المتقدمين واقواله
واتباعه وسيرته الا والعلم باحوال محمد اظهر من العلم به وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود
الان كالعلم بالبلاد البعيدة كعلم اهل الشام بالعراق وخراسان والهند والصين والاندلس
وعلم اهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند وعلم اهل خراسان بالشام والعراق
ومصر وعلم اهل الهند بالعراق وامثال ذلك من علم البلاد بعضهم بحال بعض الا
وعلم الانسان بحال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وما هم عليه من الدين وما
ينقلونه عن نبيهم من اياته وشرائعه اظهر من علمه بهذا كله وهذا مما يبين ان ليس في
الوجود امر يعلم بالنقل المتواتر الا وايات الرسول وشرائعه تعلم بالنقل المتواتر
اعظم مما يعلم ذلك الا مخصصا لقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان
انما هو بما يظهره من اياته وبراهينه وذلك انما يتم بالعلم بما نقل عن محمد من اياته التي
هي الادلة وشرائعه التي هي المدلول المقصود بالادلة فهذا قد اظهره الله علما وحجة
وبيانا على كل دين كما اظهره قوة ونصرا وتاييدا على كل دين والحمد لله رب العالمين
كما انه ما من دليل يستدل به على مدلول الا والادلة على اثبات الرب اكثر واكثر
الطريق السادس ان العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر اياته وبراهينه
المنقولة في الاخبار وجردوا لذلك كتبا مثل كتاب دلائل النبوة للفقيه الحافظ
لابي بكر البيهقي وقبله دلائل النبوة للشيخ ابي نعيم الاصبهاني وقبله دلائل النبوة
لابي الشيخ الاصبهاني ولابي القسم الطبراني وقبلهما دلائل النبوة للامام الحافظ

اى زرعه الرازى والسيح المصنف ابى بكر عبد الله بن ابى الدنيا والمصنف الحافظ الامام
ابى اسحق الحربى وابى جعفر العقيلى وما صنفه الشيخ العالم ابى الفرج بن الجوزى فى كتابه
المسمى بالوفا فى فضايل المصطفا وما صنفه الحافظ ابو عبد الله المقدسى من دلايل
النبوه وهاولا وغيرهم يذكرون ما يذكرون من الاسانيد المعروفه والطرق المتعدده
الكثيره المتواتره وهاولا منهم من يعين ما يذكر من الاحاديث من ما فى صحيح البخارى
ومسلم وما فى غيرهما وان كان صحيحًا كالبيهقى وبن الجوزى والمقدسى ومنهم من يذكر
ذلك جميعه باسانيده وقد يتكلم على الاسانيد والطرق ويذكر تعددها ومن غير احتجاج
منه ان يذكر ما رواه البخارى ومسلم كابى زرعه شيخ مسلم وابى الشيخ وابى نعيم وغيرهم
واخرون يذكرونه معزوا مسندًا الى من رواه وان لم يذكروا اسناده كما فعله القاضى
عياض البستى فى كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق المصطفا ومنهم من يفرد ذلك بمعرفه
ذلك وطرق اخرى من صحته كما فعله كثير من النظار كالقاضى عبد الجبار وابى الخطاب والماوردى
القاضى وسليم الرازى الفقيه وغيرهم وهذه الكتب فيها من الاحاديث المتضمنه لايات
نبوته وبراهين رسالته اضعاف اضعاف الاحاديث الماثوره مما هو متواتر عنه مثل حجه
الوداع وعمرة الحديبيه وصد المشركين له ومصالحته اياهم وحله هو واصحابه بالحديبيه وحجهم
ذلك العام وفتح خيبر وعمرة القضيه وعمرة الجعرانه ومثل حصاره لاهل الطايف وفتح
مكه قبل ذلك ومثل غزو النصارى عام وارسال الجيش لغزوهم بموته من مشارق الشام وقتال
من الحصن المسمى بالكرك ومثل غزوه لليهود بخيبر وغزوه لليهود قبل ذلك لمن كان عند المدينه
مثل بنى قينقاع والنضير وقريظه ومثل ارساله ابا بكر اميرًا على الحج سنه تسع وسنه
منادياته ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومثل هجرته مع ابى بكر وعامر بن
فهيره ورجل بالشكان دليلا لهم ومثل ما تواتر عنه انه كان يصلى بالمسلمين فى العيدين بالمصلى خارج
المدينه لم يصل العيد فى مسجده الا مرة بعد انه صلى فى المسجد لاجل المطر ولم يكن على عهده يصلى
احد بالمدينه صلاه العيد الا خلفه لم يكن يصلى صلاتى عيد على عهده وعهد ابى بكر
وعمر وعثمن وعلى وا ولم يفعل ذلك على بن ابى طالب لما كثر الناس وضعف اقوام

ابراهيم

تبوك



الخروج الى الصحرا استخلف من يصلى بهم فى المسجد وكما تواتر عنه انه كان يصلى الجمعه
باذان واقامه لا يوذن لها الا اذا قعد على المنبر وكذلك كان الامر على عهد ابى بكر وعمر فلما كان فى اثنا
المشرق يقال لها الزورا وكما تواتر ان مسجده كان باللبن وسقفه كان من جذوع النخل
وكانت حجر ازواجه قبلى المسجد وشرقيه فلما كثر الناس زاد فيه عمر ثم زاد فيه
عثمان وبناه بالقصه والحجاره ثم فى اماره الوليد امر نايبه عمر بن عبد العزيز ان
يشترى الحجر ويزيدها فى المسجد فدخلت حجرة عايشه التى دفن فيها هو وابو بكر
وعمر فى المسجد من حينيذ وانما كانت فى حياته خارجه عن المسجد وقال فى مرض
موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد يحذر ما فعلوا
قالت عايشه ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدًا وكما تواتر
عنه انه نهى عن الصلاه وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وتواتر عنه انه كان
يضحى فى عيد الاضحى بل تواتر عند اهل العلم ما جاء به من نسكه المشهوره كما
تواترت افعاله المشهوره فتواتر عنه انه لم يكن يوذن للعيدين ولا الكسوف
والاستسقا وانه صلى الكسوف بركوعين فى كل ركعه صلاه طويله وتواتر
عنه انه كان يطوف بالبيت سبعًا ويصلى ركعتين بعد الطواف ولم يكن يصلى
بعد السعى بالصفا والمروه ركعتين وتواتر انه كان يواصل ونهى اصحابه عن الوصال
ويقول انى لست كهيتكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وانه لم يفرض صومًا
الا صوم شهر رمضان ولم يفرض الحج على المستطيع الا مرة وانه فرض الصلوات
الخمس على كل بالغ عاقل الا الحايض والنفسا وانه منع الحايض والنفسا من الصوم
والصلاه وكان الحيض يومرن بقضا الصوم ولا يومرن بقضا الصلاه وانه امر
بالاغتسال من الجنابه للصلاه وامر بالوضو عند الصلاه لمن بال او تغوط
او خرج منه ريح او مذى وانه رخص فى الاستجمار بثلاثه احجار ونهى عن الاستنجا
باليمين ونهى عن الاستجمار بالعظم والبعر وقال انهما زاد اخوانكم الجن وانه
لم يكن يجمع المسلمين على سماع كف ولا دف ولا رقص ولا صعق لا هو ولا اصحابه
عند سماع القران بل كانوا توجل قلوبهم وتقشعر جلودهم وتدمع عيونهم
وانه لم يكن على عهده وعهد خلفايه تعاد امراه مطلقه الى زوجها بنكاح يقصد

خلافه عثمن كثر الناس فامر باذان ثالث على دار فى قربه من المسجد

ابراهيم

سار تبوك

يقصد به التحليل بل لعن المحلل والمحلل له لان ذلك ربما فعل سرًا وانه امر
لعيادة المريض وتشييع الجنازه وافشا السلام واجابه الدعوه وانه كان
يصلي على الميت ويكبر اربع تكبيرات وربما كان احيانًا يكبر خمسًا وسبعًا وامر
بتغسيل الميت وتكفينه والصلاه عليه ودفنه وانه حرم كل مسكر وحرم
بيع الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين والصاع بالصاعين من الحنطه والشعير
والتمر والزبيب وانه امر بصدقه الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير
لما كان اهل المدينه يقتاتون التمر والشعير وانه اباح الدوا فقال تداووا عباد
الله فانه لم ينزل دآءً الا انزل له دوا الا السام والسام الموت وانه كان
يتداوى بالحجامه وغيرها وكذلك ما تواتر عنه من الاحاديث سوى ما في القران
من صفه الجنه والنار وذكر العرش والملايكه والجن وارساله الى الثقلين وما
ذكره من اسما الله وصفاته وما اخبر به من فتنه الانسان في قبره ومن عذاب القبر
ونعيمه ومن دخول من يدخل النار من اهل الكباير من امته وخروجهم من النار بشفاعته
وشفاعه غيره ومن ذكر حوضه وما اخبر به من رويه الله يوم القيامه ومحاسبه
الله للعباد وغير ذلك وما تواتر عنه من انه كان يرسل رسلا الى الملوك يدعوهم
الى الايمان بالله وبما جاء به كما ارسل الى ملوك اليمن وملوك الشام ومصر والعراق
والى ملوك المشركين واليهود والنصارى والمجوس بعد ما حارب اليهود مرة
بعد مرة وما تواتر عنه انه كان يركب الخيل والابل والبغال والحمير وانه رجم
الزاني المحصن مرة بعد مرة وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر وانه كان
يصلي في السفر الرباعيه ركعتين ركعتين وانه جمع بين الصلاتين الظهر
والعصر بعرفه وفي مزدلفه جمع بين المغرب والعشا وانه كان يصلي في
ركعتين ركعتين وامر المسلمين في حجه الوداع ان يحلوا من احرامهم ويجعلوها
عمرة الا من ساق الهدي فانه امره ان يبقى على احرامه وانه هو لم يحل من احرامه
ولا اعتمر بعد الحج لا هو ولا احد ممن حج معه الا عائشه لكونها حاضت وانها كانت

الصان

الانسان



شهر رمضان فرض في السنه الثانيه من الهجرة فصام تسع رمضانات
وانه كان له اربع بنات وثلثه بنين وكان يكنى باكبر اولاده القسم
فيدعا ابا القسم وانه تزوج بنتي ابي بكر وعمر وزوج عثمن بنتا
وزوج عليا بنتا وانه امن به من اعمامه حمزة والعباس ولم يومن
به الا ابو لهب ولا ابو طالب مع ان ابا طالب كان يحوطه ويذب عنه
وانه استخلف ابا بكر ليصلي بالناس لما مرض وثقل عن الصلاه لم
يصل احد باذنه مع حضور غير ابي بكر في مرضه ولما ذهب ليصلح
بين بني عمرو بن عوف وانه كان من خواص اصحابه العشره ابو بكر
وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن
زيد وابو عبيده بن الجراح وغيرهولا كعبد الله بن مسعود وابي
بن كعب ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وسعد بن عباده وابي طلحة
وابي ايوب واسيد بن حضير واضعاف هولا وانه بايعه تحت
الشجرة الف واربع مايه وهم الذين انزل الله فيهم لقد رضي الله عن
المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وانه لما قدم المدينه
بنى مسجده وكان في شماليه صفة ينزلها العزبا وان المهاجرين
والانصار كلهم اسلموا طوعا بلا رغبة ولا رهبة وان المهاجرين
اذاهم الكفار اذى عظيما حتى هاجر منهم طايفه الى الحبشة
الى عند النجاشي وان النجاشي امن به وانه لما مات اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بموته يوم مات وانه صلى عليه باصحابه في المصلى
كما يصلي على الميت الحاضر وانه كان يخطب يوم الجمعه قبل الصلاه
ويخطب في العيدين بعد الصلاه وكان يوذن للجمعه والصلوات
الخمس ولا يوذن للعيدين ولا غير الصلوات الخمس وان بلالا كان
يوذن له بالمدينه هو وابن ام مكتوم الاعمى وسعد القرظ يوذن

وعبد الرحمن بن عوف

لا اهل قبا ولا يحتجون بوذن اهل مكه وكما تواتر عنه وعن خلفايه انهم
لم يكونوا ممن يصلون صلاة عيد بل يرمون جمرة العقبه وينحرون كما
امر اهل الامصار ان يصلوا ثم ينحرون لما امثال هذه الامور ما هو متواتر
عند كل من كان عالما باحواله ومنها ما هو متواتر عند جميع الامه ومنها
ما هو متواتر عند جمهورها وليس منها شي الا وتواتر اياته وبراهينه
صلى الله عليه وسلم الخارجه عن القران وعن سائر الحاكمات في مثل هذه الامور
بل في كل صنف من اصناف اياته من الحاكمات اضعاف ما يوجد في مثل
ذلك كتواتر اخباره بالغيوب المستقبله وتواتر تكثير الطعام والشراب
مرات متعدده وكثرة الظهور اما نبع الماء من اصابعه واما فيضان
البنبوع الذي وضع فيه بعض اثاره واما فيضان الماء من الوعا الذي نزل فيه
الماء باقي حاله لم ينقص فالاحاديث المتواتره في مثل هذه الانواع اكثر
من الاحاديث المتواتره في مثل تلك الامور التي هي متواتره ولهذا كان شهرة
هذه الامور في الامه وفي اهل العلم باحواله اعظم من شهرة كثير من تلك
الامور والمقصود هنا ان تواتر اياته المستفيضه في الاحاديث اعظم من
تواتر امور كثيره هي متواتره عند الامه او عند علمايها وعلما اهل
الحديث وهذا غير الايات والبراهين المستفاده بالقران فان تلك قد
تجرد لها طوايف من المسلمين ذكروا من انواعها وصفاتها ما هو مبسوط
في غير هذا الموضع حتى بينوا ان في القران من الايات ما يزيد علي
عشرات الوف من الايات وهذا غير ما في كتب اهل الكتاب من
الاخبار به وهذه الاجناس الثلثه غير ما في شريعته التي بعث بها
وغير صفات امته وغير ما يدل لمن عرفه بسيرته واخلاقه وصفاته
واحواله وهذا كله غير نصر الله واكرامه لمن امن به وعقوبته وانتقامه
ممن كفر به كما فعل بالانبيا المتقدمين فان تعداد اعيان دلايل النبوه

التي لم يذكر في الفضائل علمهم من تواتر هذه الامور
والكتب المصنفة في ذلك اثبت وبراهينه



لما لا يمكن بشر الاحاطة به اذ كان الايمان به واجبا على كل احد
فيبين الله لكل قوم بل لكل شخص من الايات والبراهين ما يبين لقوم
اخرين كما ان دلايل الربوبيه واياتها اعظم واكثر من كل دليل
على كل مدلول ولكل قوم بل ولكل انسان من الدلايل المعينه
التي يريه الله اياها في نفسه وفي الافاق ما لا يعرف اعيانها
قوم اخرون قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق والضمير في ذلك عايد الى القران عند المفسرين
والسلف وعامة العلما كما يدل على ذلك القران بقوله قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق
بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه
الحق وقد قيل ان الضمير عايد الى الله والصواب الاول كما
قال قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وهذا هو القران
ثم قال بعد ذلك سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق ثم قال اولم يكف بربك انه على كل
شي شهيد فاخبر انه سيري الناس في انفسهم وفي الافاق
من الايات العيانيه المشهودة المعقوله ما يبين ان الايات
القرانيه المسموعة المتلوة حق فيتطابق العقل والسمع
فيتفق العيان والقران وتصدق المعاينه للخبر واذا كان
القران حقا لزم كون الرسول الذي جا به صادقا وان
الله تعالى انزله وانه يجب التصديق لما اخبر به والطاعة
لما اوجبه وامر به وذلك يتضمن اثبات الصانع وتوحيده
واسمايه وصفاته واثبات النبوات واثبات المعاد
وهذه هي اصول العلم والايمان التي علقت بها السعادة

والنجاة .. فصل وآيات النبوة وبراهينها
تكون في حياة النبي الرسول وقبل مولده وبعد مماته
لا تختص بحياته فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة
أو حال التحدي كما ظنه بعض أهل الكلام بل لا بد من آيات
في حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة وتظهر بها المحجة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما من نبي من
الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما
كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون
أكثرهم تابعا يوم القيامة وقد قال تعالى في سورة إبرهيم
كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد إلى قوله ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام
الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور إلى قوله ألم يأتكم
نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم
به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم
أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى الآيات
فأخبر سبحانه أن قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم إلا الله أتتهم رسلهم بالبينات
فعلم أنهم جاءوا بالبينات وقال وإن يكذبوك فقد
كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب



والزبر والكتاب المنير وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم
للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا
بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا فأخبر أنه سبحانه ضرب
الأمثال لجميع هؤلاء الذين أرسل إليهم وأهلكهم فلم يهلكهم إلا بعد أن أقام عليهم الحجة
وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون
فأخبر أنه لم يرسل إلا رجالا يوحى إليهم لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء وأنه أرسلهم بالبينات
والزبر جمع الزبر جمع زبور وهي الكتب فإن منهم من أنزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديد
الكتاب الذي قبله وقال تعالى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير أخبر أنه ليس أمة من الأمم إلا خلا فيها
نذير كما قال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير
وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به كقوله وملائكته وجبريل
وميكال فإن الزبر من البينات والكتاب المنير من الزبر وهو كقوله ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فإن الهدى من العلم والكتاب المنير من الهدى
وبين أنه أخذ الذين كفروا بهم وهذا أنزله ليبين عاقبة المكذبين ولهذا سمى الفعل للفاعل
فقال فقد كذب الذين من قبلهم وهذه السورة مكية ثم أنزل في آل عمران وهي مدنية
في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول والمؤمنين به وتثبيتهم وتعزيتهم لما أصابهم
من المكذبين يوم أحد وغيره فقال الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل

لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين اي يخوفكم اولياءه كما قاله جمهور العلما
ثم قال ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيا وسياق الكلام
في بيان ان الكفار لا يضرون الله ولا عباده المومنين بل ضررهم على انفسهم وان ما
حصل لهم من نعمه انما هو استدراج واملا الى ان قال لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنيا سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا بغير حق ونقول ذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد
وان الله
الينا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين بين سبحانه ان هذا القول منهم
مع انه كذب فلم يقولوه الا دفعا للحق لا ليومنوا بمن جاءهم بذلك اذ قد جاءهم رسل
من قبله بالايات البينات والقربان الذي تاكله النار ومع هذا قتلوهم والكلام
في مثل هذا الجنس الذي يوالي بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا كاليهود الذين
هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك ولهذا يذمهم بصيغة الخطاب لقوله واذ فرقنا
بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون واذ قلتم يا موسى لن نومن لك
حتى نرى الله جهرة فالخطاب لجنس بني اسرايل وان كان الذين عاينوا ذلك ماتوا
ثم قال فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير
فحذف هنا الفاعل وبنى الفعل للمفعول اذ المقصود هنا تسلية الرسول وتعزيته
لا ذكر عقوبة المكذبين فلهذا كانت هذه اخص من تلك فصل
ومن ايات الانبيا اهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمومنين بهم فهذا من اعلام
نبوتهم ودلايل صدقهم كاغراق الله قوم نوح لما كذبوه وكاهلاكه قوم عاد بالريح
عاد
الصرصر واهلاك قوم صالح بالصيحة واهلاك قوم شعيب بالظلة واهلاك قوم
لوط بانقلاب مداينهم ورجمهم بالحجارة وكاهلاك قوم فرعون بالغرق وقد ذكر الله
هذه القصص في القران في غير موضع وبين انها من ايات الانبيا الداله على صدقهم



كما يذكره في سورة الشعرا لما ذكر قصة موسى قال ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين ثم ذكر قصة ابرهيم وقال في اخرها ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك
ما جعله من اللعنة التابعة لمن كذبهم ومن لسان الصدق والثنا والدعا لهم ولمن
امن بهم كما قال تعالى في قصة نوح وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين وكذلك
في قصة ابرهيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم اي تركنا هذا القول
الذي يقوله المتاخرون وكذلك في قصة موسى وهرون سلام على موسى وهرون ١٥٦
وسلام على الياسين وكذلك في قصة ابرهيم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا
له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق
عليا وقال في قصة فرعون واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا
انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وجعلناهم ايمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولهذا قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة
لاولي الالباب وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم فاصبر ان العاقبة للمتقين فاخبر ان العاقبة
للمتقين ثم انه ما دفع لها ولا وهو لا يعلم بالسمع والنقل تارة ويعلم بالعقل والاعتبار
بالاثار تارة كما قال عن اهل النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير كما
ذكر الله الطريقين في قوله ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة
الامور ثم قال وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم
لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير
فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد
ثم قال افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم

من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد وقال تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان
عاقبة الذين اساؤوا السوى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون وقال كانوا
تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم
قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب وقال
تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا باسنا قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله
التي خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال لما قص قصص نوح وهود وصالح
وابرهيم ولوط وشعيب وموسى في سورة هود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها
قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون
من دون الله من شي لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات قال
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وفي سورة الحجر ان في ذلك لايات
للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمومنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين
فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين والامام المبين هو الطريق المستبين الواضح بين
سبحانه ان هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس يرونها بابصارهم فيعلمون بذلك ما
فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ودلالة نصر الله المومنين وانتقامه من الكافرين
على تصديق للانبياء من جنس دلالة الايات والمعجزات على صدقهم فكون هذا فعل لاجل هذا



وكون ذلك سبب هذا هو مما يعلم بالاضطرار عند تصور الامر على ما هو عليه
كانقلاب العصى حية عقب سوال فرعون الاية وانشقاق القمر عند سوال مشركي
مكة الاية وامثال ذلك والسوال المشهور الذي يورد في هذا الموضع من نفي التعليل على قول
في افعال الله ويجوز على الله كل فعل حيث قيل لهم على اصلكم لا يفعل الله شيئا
لاجل شي وحينيذ فلم يات بالايات الخارقة للعادة لاجل تصديق الرسول ولا اهلك
هولا لتكذيبهم له ولا انجا هولا ونصرهم لايمانهم به اذ كان لا يفعل شيا لشي عندكم
وقالوا لهم ايضا اذا جوزتم على الرب كل فعل جاز ان يظهر الخوارق على يد الكاذب
ويقال لهم ايضا انتم لا تعلمون ما يفعل الرب الا بالعادة او خبر الانبيا فقبل العلم بصدق
النبي لا يعلم شي بخبره والعادة انما تكون فيما تكرر كطلوع الشمس ونزول المطر ونحو ذلك
والاتيان بالخارق للتصديق ليس معتادا فيقال هذا السوال ان كان متوجها فانما
يتوجه في قول هولا الذين يقولون لا يفعل شيا لاجل شي ويجوزون عليه فعل كل شي
ممكن لا ينزهونه عن فعل من الافعال وليس فيها قبيح وظلم الا ما كان ممتنعا مثل جعل
الشي موجودا معدوما وجعل الجسم في مكانين ولهذا ادى ذلك بحال القوم حجة في ابطال ذكره
مذهبهم وقالوا قولهم يقدح في العلوم الضرورية ويسد باب العلم بصدق
الرسل قالوا اذا جوزتم ان يفعل فجوزوا ان يكون الجبال انقلبت ياقوتا
والبحار لبنا ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة بطلانه وجوزوا ان يخلق
المعجزات على يدي الكذابين وليس المقصود هنا الجواب عن هولاء ولا بيان
لا يقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الايات المذكوره على حال هولا وهولاء وان
الله سبحانه وتعالى نجى موسى ونصره لصدقه ونبوته وايمانه واهلك فرعون
لتكذيبه وكذلك نصر محمدا ومن اتبعه على من كذبه من قومه ونصر نوحا على من
كذبه ونصر المسيح على من كذبه ونصر سائر الرسل واتباعهم المومنين كما قال تعالى
انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون

[illegible]

كما لا يندفع ما علم بالاضطرار من ان الله ينزل المطر في ابانه لسقي المزارع وانه
يسوق النيل لسقي ارض مصر وانه جعل اعضا الانسان لما فيها من المنافع
كالبطش باليدين والمشي بالرجلين والنظر بالعينين والسمع بالاذنين والنطق
باللسان وجعل ما العين ملحا لان فيها شحمه والملوحة تمنعها ان تذوب وما الاذن
مرا ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ وما الفم عذبا ليطيب الطعام والشراب
وجعل ما البحر مالحا الى ما لا يحصى من حكمة الله المشهوده في خلقه ونفاه التعليل
يقولون نحن نعلم ان هذا مقارن لهذا بحكم العادة التي اجراها الله وانه لم يخلق
شيا لشي وكذلك من نفى الاسباب مع نفي التعليل ايضا يقولون نحن نعلم انه يخلق
هذا عند هذا لا به فانكروا ان المعجز بالتصديق من هذا الباب عندهم لكن بقي عليهم
ان هذا لا يعلم الا بالعادة ولا عادة فلا جرم رجعوا الى نظر ثم من ان هذا امر معلوم
بالاضطرار وان كان مناقضا لاصلهم الفاسد وضربوا له مثلا بالملك الذي اظهر
ما ينافي عادته لتصديق رسوله لكن يقال لهم الملك يفعل فعلا لمقصود فامكن ان
يقال انه قام لتصديق رسوله وانتم عندكم ان الله لا يفعل شيا لشي فلم يبق المثل مطابقا
ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع تارة يقولون المعجزات دليلا على الصدق
لئلا يفضي الى تعجيز الرب فانه لا دليل على الصدق الا خلق المعجز فلو لم يكن دليلا
لزم ان يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق وهذه طريقة
الاشعري في اكثر كتبه واحد قوليه وسلكها القاضي ابو بكر وابو اسحق الاسفرايني
وابو بكر بن فورك وابو محمد اللبان وابو علي بن شاذان والقاضي ابو يعلى وغيرهم والثاني
قالوا نحن نعلم بالاضطرار كما نعلم انه لا يفعل كثيرا من الخوارق المقدورات كقلب
الجبل ياقوتا والبحر زيبقا فانا نحن نعلم بالضرورة انه لا يفعلها فلا يلزم من كونها
مقدورة ممكنة ان لا يعلم انتفاؤها بل قد يعلم عدم وقوعها بالاضطرار وان كنا
نقول انها ممكنة مقدورة وظهور المعجزات على يد الكذاب في دعوى النبوة من هذا
الباب عندنا وقالوا المعجز علم على صدق الانبيا فيمتنع ان يكون الدليل غير

بلغ

المدلول عليه وهذا القول حق لكن منازعوهم يقولون هو يستلزم نقيض ما نفوه
من كون الله يخلق شيا لشي ويخلق شيا بشي وما قالوا من كونه يجوز عليه فعل كل
شي وكان ما ذكروه من الحق دليلا على ان الخلق يعلمون ما يعلمونه من حكمة الرب
ومراده بما يخلقه لامر اخر وانه سبحانه منزه عن ان يفعل اشيا لا يجوز منه
فعل كل شي وهم يقولون هنا قد يكون الشي ممكنا جايزا مع العلم بانه غير واقع
كانقلاب الجبال ياقوتا والبحر زيبقا وموت اهل البلد كلهم في لحظه ومصير
الاطفال علما حكما في لحظه واحدة وعلى هذا الجواب يعتمدون كثيرا كما يذكره
القاضي ابو بكر والقاضي ابو يعلى وابو المعالي والرازي وغيرهم ثم انهم يقولون في العقل
انه علوم ضروريه كالعلم بوجوب الواجبات وامتناع الممتنعات وجواز الجايزات
فالممتنعات كانقلاب دجلة دما وما شاكل ذلك من الامور المعتاد به فيجعلون العادات
واجبة تارة وممتنعة اخرى مع انه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا ويقولون نعلم
ان هذا جايز ممكن لا يتوقف على سبب ولا له مانع فالاخر ثم نعلم ان هذا واقع وهذا
غير واقع بمجرد العادة مع ان خرق العادة ليس له عندهم ضابط بل كل ما يجري من العادات
معجزات للانبيا فيجوز ان يكون عندهم للولي وللساحر والفرق بينهما عندهم التحدي
او عدم المعارضه وكذلك المتفلسفه الملاحدة الذين يقولون اسباب الايات
القوى الفلكيه والقوى النفسانيه والطبيعيه وهذه كلها مشتركة عندهم بين
الانبيا والسحرة لكن النبي يقصد الخير والعدل والساحر يقصد الشر والظلم وكذلك
وكذلك اولئك الذين وافقوا جهما على اصله في القدر لا فرق عندهم بين كرامات الاوليا
وخوارق السحرة لكن الولي مطيع لله والساحر غير مطيع لله هذا عمدة هولا النفاة للحكمة
والاسباب في افعال الله تعالى وجمهور الناس يخالفونهم ويقولون بهذا القول بل نفس
تصوره كاف في العلم بفساده فانه اذا تماثل هذا وهذا من كل وجه فمن اين يعلم وجود
هذا او وجوبه وعدم هذا او امتناعه واذا قيل مستندي العادة قيل له منازعوك
يقولون هذا باطل من وجهين احدها انك انت تجوز انتقاض العادة وليس لانتقاضها

عندك سبب تختص به ولا حكمة اقتضت لاجلها بل الامر عندك في اقتضايها للانبيا
والاوليا والسحرة وغير ذلك ولهذا قلتم ليس بين معجزات الانبيا وبين كرامات
الاوليا والسحر فرق الا مجرد اقتران دعوى النبوة والتحدي بالمعارضة مع ان التحدي
بالمعارضة قد يقع بل ومن الساحر فلم يثبتوا فرقا يعود الى جنس الخوارق المفعوله
ولا الى وصف الفاعل والخالق ولا قدرته ولا حكمته والثاني ان العادة لا بد لها من اسباب
وموانع يعلم به اطرادها تارة وانتقاضها اخرى وبهذا يظهر الجواب عما قاله
من ان انقلاب الجبل ذهبا والبحر زيبقا والاناسي قرودا ونحو ذلك ممكن معلوم
الحواز مع العلم بانه لم يقع فانهم يقال لهم جمهور الناس لا يسلمون لكم ان هذا ممكن
الا مع لوازمه وانتفا اضداده وحينيذ يقال لم قلتم ان هذا الا يستلزم اسبابا
تكون قبله وموانع ترتفع وساير ما اخبر به الله من الامور الخارقة للعادة فانه لا يحدث
شيا الا باحداث اسباب ودفع موانع مثال ذلك غرق قوم نوح لم يكن بما وجد
بلا سبب بل انزل الله ما السما وانبع ما الارض كما قال تعالى كذبت قبلهم قوم نوح
فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السما
بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح
ودسر وكذلك عاد لما اهلكهم ارسل الريح الصرصر سبع ليال وثمانية ايام
حسوما كما قال تعالى فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من
باقية وكذلك ثمود قال لهم صالح يا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض
الله ولا تمسوها بسو فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة
ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جا امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا
ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في
ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود وكلما
وجد في العالم من خوارق العادات ايات الانبيا وغيرها لم تات منها شي الا باسباب
تقدمته كايات موسى مثل مصير العصى حية كانت بعد ان القاها اما عند امر الله

لذلك



له بذلك لما ناداه من الشجرة وراى النار الخارقة للعادة واما عند مطالبة فرعون له بالاية
والمعنى معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك ساير اياته حتى اغراق فرعون
كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجر الما من الحجر كان بعد ان ضرب
الحجر بعصاه واستسقا قومه اياه وهم في برية لاما عندهم وكذلك ايات نبينا
صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الما كان يوضع يده فيه حتى نبع الما من بين الاصابع اي تفجر
الما من بين الاصابع لم يخرج من نفس الاصابع وكذلك البير كان ماوها كثيرا لما
بالقائه سهما من كنانته فيها واما بصبه الما الذي بصق فيه فيها وكذلك المسيح
كان ياخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله الى امثال ذلك فاما
جبل ينقلب ياقوتا بلا اسباب تقدمت ذلك فهذا لا كان ولا يكون وكذلك نهر يطرد
يصبح لبنا بلا اسباب تقتضي ذلك يخلقها الله لا كان ولا يكون ومن قال ان الشي ممكن
فهذا يعني به شيان يعني به الامكان الذهني والامكان الخارجي والامكان الذهني هو عدم
العلم بالامتناع وهذا ليس فيه الا عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع غير
العلم بالامكان فكل من لم يعلم امتناع شي كان عنده ممكنا بهذا الاعتبار لكن هذا
ليس يعلم بامكانه ومن استدل على امكان الشي بانه لو قدر لم يلزم منه محال من غير
بيان انتفا لزوم كل محال كما يفعله طايفة من اهل الكلام كالامدي ونحوه لم يكن فيما
ذكره الا مجرد الدعوى واما الثاني وهو العلم بامكان الشي في الخارج فهذا يعلم بان
يعلم وجوده او وجود نظيره او وجود ما هو اقرب الى الامتناع منه فاذا كان حمل البعير
القنطار ممكنا كان حمله لنصف قنطار اولى بالامكان وبهذه الطريقة بين
الله في القران امكان ما يريد بيان امكانه كاحيا الموتى والمعاد فانه بين ذلك
تارة ببيان وقوعه كما اخبر ان قوم موسى قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة وهم ينظرون ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون وكما اخبر عن المقتول
الذي ضربوه بالبقرة فاحياه الله كما قال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج
ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون

وكما اخبر عن الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم
احياهم وكما اخبر عن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك
ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال
اعلم ان الله على كل شي قدير واخبر سبحانه بنظير ذلك في قصة ابرهيم حيث قال
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلبي قال فخذ اربعة
من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا
واعلم ان الله عزيز حكيم واستدل سبحانه بما هو اعظم من ذلك وهو النشاه الاولى
وخلق السموات والارض لهولاء اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقال ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم
نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم الى قوله وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج فاستدل على امكان الاحيا بابتدا
خلق الحيوان وخلق النبات وذكر ذلك في القران في غير موضع وبسط هذا له موضع
اخر والمقصود ان قول القايل هذا ممكن لا يحتاج الى دليل لا يكفي في العلم بامكانه عدم
العلم بامتناعه والله سبحانه على كل شي قدير والممتنع ليس بشي باتفاق العقلا
وكل ما خلقه الله فلا بد ان يخلق لوازمه ويمنع اضداده والا يمتنع وجود الملزوم
دون اللازم ويمتنع اجتماع الضدين وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق ولا
اضداده المنافية لوجوده فالجزم بامكان وجوده بدون العلم بلوازمه وانتفا
واضداده وانتفايها جهل والله سبحانه قادر على تغيير ما شا من العالم وهو يشق
السموات ويسير الجبال ويبسها بسا فيجعلها هبا منبثا الى امثال ذلك مما اخبر
الله به كما يخلق ساير ما يخلقه بما يسره من الاسباب وهذا مبسوط في موضع

اخر



اخر والمقصود هنا ان ايات الانبيا ودلايل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين
المبعث في حياتهم وبعد موتهم فقبل المبعث مثل اخبار من تقدم من الانبيا به ومثل
الارهاصات الدالة عليه واما حين المبعث فظاهر واما في حياته فمثل نصره وانجايه
واهلاك اعدايه واما بعد موته فمثل نصر اتباعه واهلاك اعدايه كما قال تعالى
انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال تعالى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال
للمسيح اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وقال يايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى
ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طايفة من بني
اسرايل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومحمد صلى الله
عليه وسلم جعلت له الايات البينات قبل مبعثه وحين مبعثه وفي حياته وبعد موته
الى الساعة والى قيام الساعة فان ذكره وذكر كتابه والبشارة بذلك موجوده في الكتب
المتقدمة كما قد بسط في موضعه والخليل دعا به فقال في دعايه لذريته ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولما ولد اقترن
بمولده من الايات ما هو معروف وجرى ذلك العام قصة اصحاب الفيل المشهورة وكان
يحصل له في مدة نشاته من الايات والدلايل امور كثيره قد ذكر طرف منها في كتب
دلايل النبوة والسيرة وغيرها مثل الايات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها ومثل ما
شوهد من احواله في صغره واما انتصار الله له ولاتباعه واعلا ذكره ونشر لسان
الصدق له واهلاك اعدايه واذلال من حاده وشانيه واظهار دينه على كل دين باليد
واللسان والدليل والبرهان فهذا مما يطول وصف تفصيله قال تعالى قد كان لكم
اية في فيتين التقتا فية تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين
والله يويد بنصره من يشا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وقال تعالى هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم

ما نعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون
بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا يا اولي الابصار والانبيا صلوات الله عليهم
واتباعهم المومنون وان كانوا يبتلون في اول الامر فالعاقبة لهم كما قال تعالى لما قص
قصة نوح تلك من انبا الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
فاصبر ان العاقبة للمتقين وفي الحديث المتفق على صحته لما ارسل النبي صلى الله عليه
وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان المسولون حينيذ اعداه
لم يكونوا امنوا به فقال كيف الحرب بينكم وبينه قالوا الحرب بيننا وبينه سجال
يدال علينا المرة وندال عليه الاخرى فقال كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة
فانه كان يوم بدر نصر الله المومنين ثم يوم احد ابتلى المومنين ثم لم ينصر الكفار بعدها
حتى اظهر الله الاسلام فان قيل فمن الانبيا من قد قتل كما اخبر الله ان بني اسرايل
يقتلون النبيين بغير حق ومن اهل الفجور من يوتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه
على مدنيين كما سلط بخت نصر على بني اسرايل وكما يسلط كفار المشركين واهل
الكتاب احيانا على المسلمين قيل اما من قتل من الانبيا فهم كمن يقتل من المومنين
في الجهاد شهيدا قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما
اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين
ومعلوم ان من قتل من المومنين شهيدا في القتال كان حاله اكمل من حال من يموت
حتف انفه قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم
يرزقون ولهذا قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي اما النصر والظفر
واما الشهادة والجنة ثم الدين الذي قاتل عليه الشهدا ينتصر ويظهر فيكون لطايفته
السعادة في الدنيا والاخرة من قتل منهم كان شهيدا ومن عاش منهم كان منصورا
سعيدا وهذا غاية ما يكون من النصر اذ كان الموت لا بد منه فالموت على الوجه

الذي يحصل به



الذي يحصل به سعادة الدنيا والاخرة اكمل بخلاف من يهلك هو وطايفته
فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الاخرة والشهدا من المومنين
قاتلوا باختيارهم وفعلوا الاسباب التي بها قتلوا كالامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فهم اختاروا هذا الموت اما انهم قصدوا الشهادة واما انهم قصدوا ما به
يصيروا شهدا عالمين بان لهم السعادة في الاخرة وفي الدنيا بانتصار طايفتهم
وبيقا لسان الصدق لهم ثنا ودعا بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير
اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الاخرة ولم يحصل لهم ولا لطايفتهم
شي من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين
وقيل فيهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين
وقد اخبر سبحانه ان كثيرا من الانبيا قتل معه ربيون كثير اي الوف كثيرة وانهم
ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور
العدو وان الله اتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة فاذا كان هذا قتل المومنين
فما الظن بقتل الانبيا ففيه لهم ولاتباعهم من سعادة الدنيا والاخرة ما هو من اعظم
الفلاح وظهور الكفار على المومنين احيانا هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم احد فان
تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة
ملاحمهم مع الكفار وهذا من ايات النبوة واعلامها ودلايلها فان النبي اذا قاموا
بعهوده ووصاياه نصرهم الله واظهرهم على المخالفين له واذا اضيعوا عهوده ظهر
اوليك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجودا وعدما من غير سبب
يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجودا وعدما من غير مزاحمة وصف اخر موجب
للعلم بان المدار علة للداير وقولنا من غير مزاحمة وصف اخر يزيل النقوض الوارده
فهذا الاستقرا والتتبع يبين ان نصر الله والظهور هو بسبب اتباع النبي وانه
سبحانه يريد اعلا كلمته ونصره ونصر اتباعه على من خالفه وان يجعل لهم السعادة

ولمن خالفهم الشقا وهذا يوجب العلم بنبوته وان من اتبعه كان سعيدًا ومن
خالفه كان شقيًا ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فانه من دلائل
نبوة موسى اذ كان ظهور بخت نصر انما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه
وعوقبوا بذلك وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما
كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما قال تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاها بعثنا عليكم
عبادًا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا ثم رددنا
لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم ولتدخلوا
المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان (على عدوهم)
عدتم عدنا فكان ظهور بني اسرائيل تارة وظهور عدوهم تارة من دلائل نبوة
موسى صلى الله عليه وسلم وكذلك ظهور امة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة
وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد واعلام نبوته وكان نصر الله
لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم مع يوشع وغيره من
دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد في حياته وبعد مماته
مع خلفائه من اعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على
اهل الكتاب احيانا فان اولئك لا يقول مطاعهم اني نبي ولا يقاتلون اتباع الانبيا
على دين ولا يطلبون من اولئك ان يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون بانا انما قهرناكم
عليكم بذنوبكم وانكم لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وايضا فلا عاقبة لهم بل الله
يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعا ولا تسلهم يطلب بقتله سعادة
بعد الموت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت فهذا وامثاله مما يظهر
به الفرق بين انتصار الانبياء واتباعهم وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين
او ظهور بعضهم على بعض وبين ان ظهور محمد وامته على اهل الكتاب اليهود
والنصارى

والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الاوثان وذلك من اعلام
نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار
على المسلمين وهذه الآية مما اخبر بها موسى وبين ان الكذاب المدعي للنبوة لا يتم
امره وانه انما يتم امر الصادق فان من اهل الكتاب من يقول محمد وامته سلطوا
علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك
وهذا قياس فاسد فان بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل
ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن ظهوره آية لما ادعاه من النبوة (يكن)
ودعا اليه من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهروا على
القوافل بخلاف من ادعى نبوة ودينا دعا اليه ووعد اهله بسعادة الدنيا
والاخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والاخرة ثم نصره الله واظهره واتم دينه
واعلى كلمته وجعل له العاقبة واذل مخالفيه فان هذا من جنس خرق العادات
المقترن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات التي لم
تقترن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها وقد يعرض في النجوم كثيرة (العلامه)
فلا يكون ذلك دليلا على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فانه كان آية بينة
لموسى وهذا موافق لما اخبر به موسى عليه السلام من ان الكذاب لا يتم امره
وذلك ان الله حكيم لا يليق به تاييد الكذاب على كذبه من غير ان يبين كذبه
ولهذا اعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الالهية
بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه منها دعواه الالهية
وهو اعور والله ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر يقراه كل مومن
قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه احد حتى يموت وقد ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم هذه العلامات الثلاث في الاحاديث الصحيحة فاما تاييد الكذاب
ونصره واظهار دعوته دائما فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله
الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع ومن يستدل على ذلك بالحكمة

فحكمته تناقض ان يفعل ذلك اذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى ولو قاتلكم
الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد
خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فاخبر ان سنته التي لا تبديل لها
نصر المومنين على الكافرين والايمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله
فاذا نقص الايمان بالمعاصي كان الامر بحسبه كما جرى يوم احد وقال تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا
نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة
الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فاخبر ان الكفار لا
ينظرون الا سنة الاولين ولا يوجد لسنة الله تبديل يستبدل بخيرها ولا تحول
فيكون النصر للكفار على المومنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قال تعالى في المنافقين
وهم الكفار في الباطن دون الظاهر ومن فيه شعبة من نفاق لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد
لسنة الله تبديلا والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فاذا نصر من ادعى
واتباعه على من خالفه اما ظاهرا وباطنا واما باطنا نصرا مستقرا كان ذلك دليلا
على انه نبي صادق اذ كانت سنة الله وعادته نصر المومنين بالانبياء الصادقين على
الكافرين والمنافقين كما ان سنته تاييدهم بالايات البينات وهذه منها ومن
ادعى النبوة وهو كاذب فهو من اكفر الكفار واظلم الظالمين قال تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله وقال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ومن
كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم امره بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال ان الله يملي للظالم فاذا اخذه لم يفلته ثم قرا



وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقال ايضا
في الحديث الصحيح عن ابي موسى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
المومن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتميلها اخرى ومثل المنافق
مثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على اصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب
الفاجر ان اعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم
وهو يظهر سريعا ويزول سريعا كدولة الاسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث
الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم واما الانبيا فانهم يبتلون كثيرا ليمحصوا بالبلاء فان
الله انما يمكن العبد اذا ابتلاه ويظهر امرهم شيئا فشيئا كالزرع قال تعالى محمد رسول
الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ولهذا كان
اول ما يتبعهم ضعفا الناس فاعتبار هذه الامور وسنة الله في اوليايه وانبيايه
الصادقين وفي اعدايه والمتنبين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلايل
النبي الصادق ودلايل المتنبي الكذاب وقد ذكر ابتلا النبي والمومنين ثم كون العاقبة
لهم في غير موضع كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين وقال تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباسا والضرا وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وقال
تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا يعقلون
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشا ولا يرد
باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا

بشرى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
فصل ومما ينبغي ان يعرف ان الادلة نوعان نوع يدل على مجرد العلم
بالمدلول عليه ونوع يحض مع ذلك على الرغبة فيه او الرهبة منه والاول من جنس
الخبر المجرد والثاني من جنس الحب والطلب والارادة والامر بالشي والنهي عنه
وذلك كمن علم ان في المكان الفلاني جمادات او حيوانات او نبات ليس له فيها غرض
لا حب ولا بغض فليس هو بمنزلة من علم ان في المكان الفلاني صديقه وولده ومحبوبه
وماله واهله واهل دينه وفي المكان الفلاني عدوه ومبغضه ومن يقطع عليه الطريق
ويقتله ويأخذ ماله فكذلك دلائل النبوة هي كلها تدل على صدق النبي ثم يعلم
ما يخبر به النبي من الامر والنهي والوعد والوعيد لانه اخبر عن الله بذلك وهو
صادق فيما يخبر به فهذا الطريق صحيح عام واما اثبات نبوة الانبياء بما فعله بهم
وباتباعهم من النجاة والسعادة والنصرة وحسن العاقبة وما جعله لهم من لسان
الصدق وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب وسوء العاقبة
واتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة فهذا يدل مع صدق النبي على الرغبة
في اتباعهم والرهبة من مخالفتهم ففيه العلم بصدقهم والموعظة والوعظ هو امر
ونهي بترغيب وترهيب قال تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي يؤمرون به
وقال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين اي ينهاكم الله ان تعودوا
لمثله فهذه الطريق اكمل وابلغ في حصول المقصود فانها تفيد العلم بصدقهم
والرغبة في اتباعهم والرهبة من خلافهم وتفيد محبة الدين الذي دعوا اليه وسعادة
اهله وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة اهله ولهذا كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ في صلاة العيد بقاف واقتربت الساعة لما فيهما من بيان ذلك وسورة
قاف كان يقرأ بها في الجمعة فانها جامعة لاثبات النبوات والمعاد وبيان حال
متبعي الانبياء ومخالفيهم في الدنيا كما قال تعالى فيها كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب



الرسل فحق وعيد فصل ومما ينبغي ان يعلم ان الله اذا ارسل نبيا واتى بآية
دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآية ثانية لم يجب اجابته
الى ذلك بل وقد لا ينبغي ذلك لانه اذا جاء بآية ثانية طولب بثالثة واذا جاء بثالثة طولب
برابعة وطلب المتعنتين لا امد له ومعلوم انه من قامت عليه حجة في مسألة علم او حق
من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها لو قال انا لا اقبل حتى تقوم علي حجة ثانية وثالثة
كان ظالما متعديا ولم يجب اجابته الى ذلك ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك بل اذا قامت
البينة بحق المدعي حكم له بذلك ولو قال المطلوب اريد بينة ثانية وثالثة ورابعة لم
يجب الى ذلك فحق الله الذي اوجبه على عباده من توحيده والايمان به وبرسله
اولى اذا قام بينة اوجبت على الخلق الايمان برسله ان لا يجب اجابة الطالب لآية
ثانية وثالثة ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع تعالى بين الآيات كما ارسل
محمدا صلى الله عليه وسلم بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها فان الادلة كلما كثرت
وتواردت على مدلول واحد كان اوكد واظهر وايسر لمعرفة الحق فقد يعرف
دلالة احد الادلة من لا يعرف دلالة الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا وقد
ترسل الانبياء بآيات متتابعة وتقسى قلوب الكفار عن الايمان لتتابع الآيات آية بعد
آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيكون ذلك سببا لايمانهم كما فعل
بآيات موسى وآيات محمد كما ذكر في التوراة انه يقسي قلب فرعون ليظهر عجائبه وآياته
يقسي
وكما صد المكذبين عن الايمان بمحمد حتى بالغوا وسعوا في معارضته والقدح في
آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور
آياته وبراهينه بخلاف ما لو اسرع ابتداء دون ذلك فانه قد كان يظن انهم قادرون
على معارضته وكذلك ايضا يكون في ذلك على تقيته وصبره وجهاده ويقيني من
امره وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة وقد
تقتضي الحكمة ان لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في
كتابه من ان الكفار كانوا يقترحون على الانبياء آيات غير الآيات التي جاؤوا بها

فتارة يجيبهم الله الى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة وتارة لا يجيبهم لما في ذلك
من المضرة والمفسدة عند جمهور اهل الحكمة من المسلمين وغيرهم الذين يقولون انه يفعل
للحكمة ومن لم يعلل افعاله يرد ذلك الى محض المشيئة ويقول اقترن بالمراد المصلحة
عادة وسنة من الله وان لم يفعل هذا لهذا ومن كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما
طلب تلك الايات رغبة منه في ايمانهم بها فيجاب بان الايات لا تستلزم الهدى بل تستلزم
اقامة الحجة وتوجب عذاب الاستيصال لمن كذب بها والله تعالى قد يظهر الايات
الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما فعل بفرعون وابي لهب وغيرهما لما في ذلك
من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القران والتوراة وغيرهما وقد يبين انه لا
يظهرها لانتفاء الحكمة فيها او لوجود المفسدة قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وقال تعالى وما منعنا ان
نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
وما نرسل بالايات الا تخويفا بين سبحانه انما منعه ان يرسل بالايات الا تكذيب
الاولين بها الذي استحقوا به الهلاك فاذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه
اولئك من عذاب الاستيصال وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير
والحديث وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالاسانيد الثابتة عن الصحابة
والتابعين لهم باحسان فقد ذكر المفسرون ما رواه اهل التفسير والحديث
والمسند وغيرهم من حديث الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان
ينحي عنهم الجبال حتى يزدرعوا قال فقيل له ان شئت تستاني بهم وان شئت نؤتيهم
الذي سالوا فان كفروا اهلكوا كما اهلكت من قبلهم قال لا بل استاني بهم فانزل

والمعجزة



الله هذه الاية وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وروى ابن ابي حاتم
وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن البصري في قوله وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ان كذب بها الاولون قال رحمة لكم ايتها الامة انا لو ارسلنا بالايات فكذبتم
بها اصابكم ما اصاب من قبلكم وفي الانجيل ان اليهود طلبوا من المسيح اية من السما
فقال لهم المسيح الامة [illegible] ومن كانت الايات ياتي بها محمد صلى الله عليه وسلم اية بعد
اية فلا يؤمنون بها قال تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون الم يروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السما عليهم مدرارا وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين اخبر سبحانه بان الايات تاتيهم وما تاتيهم من اية الا اعرضوا عنها وانهم
بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول كما اهلك من قبلهم بذنوبهم التي
هي تكذيب الرسول فان الله يقول وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون واخبر بشره كفرهم بانه لو انزل
عليهم كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
وبين سبحانه انه لو جعل الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل اذ كانوا لا يطيقون ان
يروا الملائكة في صورهم وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم الرسول بشرا لا ملكا
وقال تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي
بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن نؤمن لرقيك

لو الامي

حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس
ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض
ملايكة مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ومن الايات التي اقترحوها *يمشون*
لو اجيبوا اليها ولم يومنوا اتاهم عذاب الاستيصال كما تقدم وايضا فهي مما لا ينتفع
الانسان بها فان قولهم حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا يقتضي تفجير الينبوع بارض
مكة فيصير واديا ذا زرع والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذي زرع لئلا
يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله واذا كان
له جنة من نخيل واعناب تفجر الانهار خلالها تفجيرا كان في هذا من التوسع
في الدنيا ما يقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته وكذلك اذا كان له بيت
من زخرف والزخرف الذهب واما اسقاط السما كسفا فهذا لا يكون الا
يوم القيامة وهو لم يخبرهم ان هذا لا يكون الا يوم القيامة فقولهم كما زعمت
كذب عليه الا ان يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسدا واما الاتيان بالله
والملايكة قبيلا فهذا لما سال قوم موسى ما هو دونه اخذتهم الصاعقة قال
تعالى واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون واما انزال الكتاب
فقد قال تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما اكبر من ذلك *فقد سالوا موسى*
فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما
جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم
الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه



ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا
حكيما وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم
شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن
سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه فبين سبحانه ان المشركين سالوه
انزال الكتاب وان اهل الكتاب سالوه ذلك وبين سبحانه ان الطايفتين لا يومنون اذا
ذلك وانما سالوه تعنتا فقال عن المشركين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وذكر عن اهل الكتاب انهم سالوا
موسى اكبر من ذلك وهو روية الله جهرة فقال يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك
واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فهم مع هذا
نقضوا الميثاق وكفروا بايات الله وقتلوا النبيين بغير حق الى امثال ذلك
وانه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات احلت لهم فكان
في هذا من الاعتبار لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة المكذبة
بل الذين لا يهتدون اذا جاءتهم الايات المقترحة التي اقترحوها لم يكن فيها
منفعة لهم بل فيها ما يوجب استحقاقهم عقوبة الاستيصال اذا جاءتهم فلم
يومنوا بها وتغليظ الامر عليهم فكان ان لا ينزل مثل هذه الايات الموجبة
لعذاب الاستيصال اعظم رحمة وحكمة وقد عرض الله على محمد صلى الله عليه وسلم
ان يهلك قومه لما كذبوه فقال بل استاني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من
يعبد الله لا يشرك به شيا كما في الصحيحين عن عايشة انها قالت للنبي صلى الله
عليه وسلم هل اتى عليك يوم كان اشد عليك من يوم احد فقال لقد لقيت
من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد

يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت على وجهي وانا مهموم فلم استفق
الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فاذا فيها جبريل
فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك
الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال ان الله قد سمع
قول قومك وما ردوا عليك وقد بعثني اليك لتامرني بما شئت ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين فقال بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبده لا يشرك
به شيئا اخرجاه ولما طلب من المسيح المائدة كانت من الايات الموجبة لمن كفر
بها عذابا لم يعذبه احدا من العالمين قال تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما قال اتقوا الله ان كنتم
مومنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمين قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من
الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم انزل علينا مائدة من السما تكون لنا عيدا
لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها
عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وكان
قبل نزول التوراه يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستيصال عذابا
عاجلا يهلك الله به جميع المكذبين كما اهلك قوم نوح وكما اهلك عادا وثمود
واهل مدين وقوم لوط وكما اهلك قوم فرعون واظهر ايات كثيره لما ارسل
موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الارض اذ كان بعد نزول التوراه لم يهلك امة
بعذاب الاستيصال بل قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بل كانوا بنو اسرايل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي
يعذب بعضهم ويبقى بعضهم اذ كانوا لم يتفقوا على الكفر ولهذا لم يزل في الارض
امة من بني اسرايل باقيه قال تعالى لما ذكر بني اسرايل وقطعناهم في الارض
امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون وقال تعالى ومن اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل



وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وكان من حكمته ورحمته سبحانه
وتعالى لما ارسل محمدا ان لا يهلك قومه بعذاب الاستيصال كما اهلك الامم
قبلهم بل عذب بعضهم بانواع العذاب كما عذب طوايف ممن كذبه بانواع
من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين الذين
يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون فعذب الله كل واحد بعذاب معروف
وكالذي دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلط عليه كلبا من كلابه
وكان يحترس بقومه فجا الاسد واخذه من بينهم فقتله وامثال ذلك وقد
تقدم ذلك وقال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص
بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فاخبر انه يعذب الكفار تارة
بايدي عباده المومنين بالجهاد واقامة الحدود وتارة بعذاب غير ذلك فكان
تعذيبهم بمثل هذه الاسباب مما يوجب ايمانا لكثرهم كما جرا لقريش وغيرهم
فانهم لما كذبوه لو اهلكهم كما اهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت
المنفعه بهم ولم يبق لهم ذريه تومن به بخلاف ما اذا عذب بعضهم بانواع من
العذاب ولو بالهزيمه والاسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فان في هذا من
اذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم والنفوس اذا كانت قادره على كمال
اغراضها فلا تكاد تنصرف عنها بخلاف ما اذا عجزت عن كمال اغراضها فان ذلك
مما يدعوها الى التوبه كما يقال من العصمه ان لا تقدر فكان ما وقع بهم تعجيزا
وزاجرا وداعيا الى التوبه ولهذا امن عامتهم بعد ذلك لم يقتل منهم الا قليل
وهم صناديد الكفر الذين كان احدهم في هذه الامه كفرعون في تلك الامه
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ابي جهل هذا فرعون هذه الامة
وقد ذكر الله لموسى في التوراه اني اقسي قلب فرعون فلا يومن بك لتظهر اياتي وعجايبي
بين ان في ذلك من الحكمه انتشار اياته الداله على صدق انبيايه في الارض

اذ كان موسى قد اخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له فاظهر الله له من الايات
ما يبقى ذكرها في الارض وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون ما اوجب
ان اهلكه وقومه اجمعين وفرعون كان جاحدا للصانع منكرا لربوبيته لا يقر
به فلهذا كان الذي من الايات بما يناسب حاله واما بنو اسرائيل مع المسيح فكانوا
معترفين بالكتاب الاول فلم يحتاجوا الى مثل ما احتاج اليه موسى ومحمد لم يكن
محتاجا الى تقرير جنس النبوة اذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثبت ذلك
وقومه كانوا مقرين بالصانع وانما كانت الحاجة داعية الى تثبيت نبوته
ومع هذا فاظهر الله على يديه من الايات مثل ايات من قبله واعظم ومع هذا
فلم يات بايات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما
استحقه قوم فرعون وهود وصالح وشعيب وغيرهم فلهذا بين الله في القران
ان هذه الايات اذا جاءت لا ينفعهم اذ كانوا لا يؤمنون بها ولكن تضرهم اذ كانوا
يستحقون عذاب الاستئصال اذا كذبوا جنسها ومع وجود المانع وعدم
المقتضي لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة ومن لم يعلل بل جعل
شيئا فلا حكمة بل يرد الامر الى محض المشيئة وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ان كذب بها الاولون وهو يعلم ان تكذيب هؤلاء كتكذيب ~~هؤلاء~~ اولئك
الاولين فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه اولئك لقوم نوح وهود
وصالح وشعيب ولوط وغيرهم قال تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت
بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال تعالى كذلك قال الذين من قبلهم
مثل قولهم تشابهت قلوبهم وقال تعالى عن اهل الكتاب يضاهون قول الذين
كفروا من قبل وقال تعالى اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر
ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر ذكر هذا في سورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر

واعراضهم عن الايات وقولهم هذا سحر مستمر وتكذيبهم واتباعهم اهواءهم
قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ثم قال ولقد
جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر اي من انباء الغيب وما اخبر به ما فيه مزدجر
اي ما يزجرهم عن الكفر اذ كان في تلك الاخبار من الايات بيان صدق
الرسول والانذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ولهذا يقول
عقيب القصة فكيف كان عذابي ونذر اي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي وانذاري
بذلك قبل مجيئه تبين صدق قوله الذي اخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم
ثم ذكر قصة المكذبين لنوح وهود وصالح ولوط الى قوله ولقد جاء ال فرعون
النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر فان قوم فرعون كذبوا
بجميع ايات موسى وجميع ايات الانبياء قبله وكذبوا بالايات الدالة على وجود
الرب وقدرته ومشيئته اذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا باياته
كلها ثم قال اكفاركم اي ايتها الامة التي ارسل محمد اليها خير من اولئكم الذين كذبوا
نوحا وهودا وصالحا ولوطا وموسى ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن
جميع منتصر وذلك ان كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا اذا كذبتم اما ان يكون
لكونكم خيرا منهم فلا تستحقون مثل ما استحقوا او لكون الله اخبر انه لا
يعذبكم فيكون لكم براءة في الزبر تعلمون ذلك بخبره فان ما يفعله الله تارة
يعلم بخبره وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله فاما ان تكونوا علمتم هذا من هذا
الوجه او من هذا الوجه هذا ان نظر الى فعل الله الذي لا طاقة للبشرية به
وان نظر الى قوة الرسول واتباعه فيقولون نحن جميع منتصر فانهم اهل الشو
والقوى كما قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم احسن اثاثا ورئيا اي اموالا ومنظرا ثم قال تعالى سيهزم الجمع ويولون

الدبر اخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الاتباع وضعف منهم ولا يظن احدا
بالعادة المعروفة ان امره يظهر ويعلوا قبل ان يهاجر الى المدينة وقبل
ان يقاتلهم وكان كما اخبر فانهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا
الادبار وتلك سنة الله في المومنين والكافرين قال تعالى ولو قاتلكم
الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وحيث ظهر الكفار فانما ذاك لذنوب
المسلمين التي اوجبت نقص ايمانهم ثم اذا تابوا بتكميل ايمانهم نصرهم الله كما
قال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين وقال اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم
فاذا كان من تمام الحكمة والرحمة ان لا يهلك هلاك استيصال كما اهلكت
الامم قبلهم كما قال اكفاركم خير من اوليكم كان ان لا ياتي بموجب عذاب
الاستيصال مع اتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة اجل في الحكمة
والرحمة اذ كان ما اتى به من الايات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدى
والبيان والحجة على من كفر وما امتنع منه دفع به من عذاب الاستيصال
والهلاك والعذاب العام ما اوجب بقا جمهور الامة حتى يتوبوا ويومنوا
ويهتدوا وكان في ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل
من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول غيره صلوات
الله عليهم اجمعين فصل جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام
في جنس الخبر فان قول القائل اني رسول الله اليكم خبر من الاخبار
وكذلك وصول كلامه وافعاله واياته الينا هو بالاخبار والخبر تارة يكون
مطابقا لمخبره كالصدق المعلوم انه صدق وتارة لا يكون مطابقا لمخبره كالكذب
المعلوم انه كذب وغير المطابق مع التعمد كذب ومع اعتقاد انه صدق
ان لم يكن معذورا كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ والمحدث بلا علم يسمى كاذبا ايضا

اهلك الكفر [illegible] الاستيصال [illegible]

كقوله صلى الله عليه وسلم



كقوله صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل بن بعكك وقوله لمن قال بطل عمل
عامر بن الاكوع لما قتل نفسه خطا كذب من قال انه لجاهد مجاهد وقد يكون
المطابقة في عناية المتكلم وقد يكون في افهام المخاطب فاذا كان اللفظ مطابقا
لما عناه المتكلم ولم يطابق افهام المخاطب فهذا ايضا قد يسمى كذبا وقد لا يسمى ومنه
المعاريض لكن يباح للحاجة وان لم يحصل به المقصود بل يكون مامورا بالسكوت عنه
الا مع البينة فقد يسمى كاذبا لقوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فان لم
ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون والمقصود هنا ان الخبر قد يعلم انه
صدق وقد يعلم انه كذب وقد لا يعلم واحد منهما والعلم بانه صدق له معنيان احدهما
ان يعلم انه مطابق لمخبره من غير جهة المخبر كمن اخبرنا بامور نعلم انها حق بدون خبره
والثاني ان نعلم ان المخبر به صادق فيه وقد يجتمع الامران بان نعلم ثبوت ما اخبر به
ونعلم انه صادق فيه وقول محمد اني رسول الله هو من هذا الباب كما سنبينه ان
شا الله وكذلك كونه كذبا قد يراد به انه على خلاف مخبره وان كان صاحبه لم يتعمد
الكذب وقد يعني به ان قائله يتعمد الكذب ولهذا كانت الاحاديث المعلوم بطلانها
على نوعين تارة يعلم ان صاحبها تعمد الكذب وتارة يكون قد غلط والصحابة لم يعرف
فيهم من تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك جمهور التابعين
لم يعرف فيهم من تعمد الكذب ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف انه كان فيها من يتعمد
الكذب بخلاف غيرهم من اهل الاهوا كالخوارج فانه لم يكن فيهم من يعرف بالكذب بل يقال
هم من اصدق الناس حديثا والرجل الفاسق المعروف انه يكذب لا بد ان يصدق في
بعض الاخبار فلا يكون في الناس من لا يخبر الا بكذب ولهذا قال تعالى ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا وفي القراءة الاخرى فتثبتوا فامرنا بالتبين والتثبت اذا اخبر الفاسق
بخبر ولم يامر بتكذيبه بمجرد اخباره لانه قد يصدق احيانا فلما امر سبحانه بالتبين والتثبت
في خبر الفاسق دل ذلك على انه لا يجوز تصديقه بمجرد اخباره اذ كان فاسقا قد يكذب ولا يجوز
ايضا تكذيبه قبل ان يعرف انه قد كذب وان كان فاسقا لان الفاسق قد يصدق

وهذا كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وفي القراة الاخرى
فتثبتوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مسلما تبتغون عرض الحياة الدنيا مومنا
فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا فامره بالتبين
والتثبت في الجهاد وان لا يقولوا للمجهول حاله لست مومنا يبتغون عرض الحياة
الدنيا فيكون اخبارهم عن كونه ليس مومنا خبرا بلا دليل بل لهوى انفسهم لياخذوا
ماله وان كان ذلك في دار الحرب اذا القى السلم وفي القراة الاخرى السلام فقد
يكون مومنا يكتم ايمانه كما كنتم انتم من قبل مومنين تكتمون ايمانكم فاذا القى السلم
السلام فذكر انه مسالم لكم لا محارب فتثبتوا وتبينوا لا تقتلوه ولا تاخذوا ماله حتى
تكشفوا امره هل هو صادق ام كاذب وهذا خبر يتضمن دعوى له فان المدعي مخبر
والمنكر مخبر والشاهد مخبر والمقر مخبر وكما نهاهم عن تكذيب المدعي بلا علم نهاهم
عن تصديق المنكر المتهم ودفع البرى بلا حجه وتبرئته وتزكيته بلا علم فقال تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هولا جادلتم
عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامه ام من يكون عليهم وكيلا
ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيه او اثما ثم يرم به
بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفه
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شي وانزل الله عليك
الكتاب والحكمه وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وهكذا نهاهم
عن تصديق القاذف الرامي لمن عرف منه الخير فقال لولا اذ سمعتموه ظن المومنون
والمومنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين الى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته

لمسكم



لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم
به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك
به علم وهذا نهي عن التكلم بلا علم وهو عام في جميع انواع الاخبار ومن يتناول
ما اخبر به الانسان وما لم يعتقده بغير الاخبار من الدلايل والايات والعلامات
ليس له ان يتكلم بلا علم فلا ينفي شيا الا بعلم ولا يثبته الا بعلم ولهذا كان عامه
العلما على ان النافي للشي عليه الدليل على ما ينفيه كما ان المثبت عليه الدليل
على ثبوته وحكي عن بعض الناس انه قال النافي ليس عليه دليل وفرق بعضهم بين
العقليات والشرعيات فاوجبه في العقليات دون الشرعيات وهذا اشتبه
عليهم النافي بالمانع المطالب فان من اثبت شيا فقال له اخر انا لا اعلم هذا
ولا اوافقك عليه ولا اسلمه لك حتى تاتي بالدليل كان هذا مصيبا ولم يكن على هذا
المانع المطالب بالدليل دليل وانما الدليل على المثبت بخلاف من نفى ما اثبته غيره فقال
له قولك خطا والصواب في نقيض قولك ولم يكن هذا كنا فان هذا عليه الدليل على نفيه
كما على ذلك المثبت الدليل على اثباته واذا المرتاب واحد منهما بدليل كان كلاهما بلا حجه
ولهذا كان من اثبت شيا او نفاه وطلب منه الحجه فلم يات بها كان منقطعا في المناظره
واذا اعترض المعترض عليه بمانع او معارضه فاجاب عنها انقطع المعترض عليه
وثبت قول الاول وان لم يجب عن المعارضه انقطع المستدل اذ كان الدليل الذي
يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم ولو اقام دليلا قطعيا فعورض
بما لا يفيد القطع كان له ان يقول ما ذكرته يفيد العلم والعلم لا يعارضه الظن
والبينات لا تعارض بالشبهات التي هي من جنس كلام السوفسطاييه فهو سبحانه
نهى عن الكلام بلا علم مطلقا وخص الكلام على الله بقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ونهى عن اتباع خطوات الشيطان واخبر انه يامر

بالقول على الله بلا علم فقال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا
يعقلون شيا ولا يهتدون وكذلك ذم من يجادل ويحاج بلا علم بقوله ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير وقال
تعالى ها انتم هاولا حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله
يعلم وانتم لا تعلمون وقوله تعالى ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا تتناول خبر كل
فاسق وان كان كافرا لا يجوز تكذيبه الا ببينه كما لا يجوز تصديقه الا ببينه
وفي صحيح البخاري عن ابي هريره قال كان اهل الكتاب يقرون التوراه بالعبرية
ويفسرونها بالعربيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم اهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما ان يحدثوكم بحق فتكذبوه واما ان يحدثوكم بباطل فتصدقوه
وقولوا امنا بما انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وهذا
الذي دل عليه الكتاب والسنه من امساك الاثار عما لا يعلم انتفاوه وثبوته هو
ماثور عن غيره من الانبيا كما جا عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلثه امر تبين
رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه وعامه
عقلا بني ادم على هذا ولهذا لا يجوز ان يصدق بخبر منقول عن الرسول او غيره الا
بدلاله تدل على صدقه ولا يجوز ان يكذب الا بدلاله تدل على كذبه وعلى هذا
العلم والدين وقد تكلم العلما وصنفوا كتبا كثيره في الجرح والتعديل في الرجال
والاحاديث فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط فهذا هو العدل المقبول خبره
ومنهم من يكون صدوقا لكنه قد لا يحفظ ولا يضبط فيقولون في مثل هذا هو صدوق
تكلم فيه من قبل حفظه ومنهم من عرف بالكذب واذا روى الحديث من هو سيئ الحفظ
او من قد يكذب لم يحكموا بذلك الحديث ولم يثبتوه ثم تارة يقوم الدليل على كذبه

وتارة يتوقفون



وتارة يتوقفون فيه لا يعلمون اصدق هو ام كذب ومثل هذا لا يعتقد ولا يثبت ولا
يحتج به كالشاهد الذي شهد للمدعي وليس بعدل لمرضي او هو خصم او متهم ظنين فهذا
اذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنى ذلك الحكم بكذبه او خطاه بل معنى ذلك انه
لا تقوم به حجه ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه والمدعى عليه اذا كان
صاحب يد او ذمته بريه فهو حجه ترجح جانبه وقد ضم اليها الشارع اليمين كما في صحيح
البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى
رجال دما قوم واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه فاذا لم يكن مع المدعي الا مجرد
دعواه فجانب المنكر اقوى من جانبه لان معه ان الاصل في الايدي انها محقه والاصل
براة الذمه ولكن قد يكون المدعي صادقا ولا يكون له حجه وهذا كثير جدا فلا يرفع
بمجرد الاصل بل يحلف المنكر فتكون يمينه مع الاصل حجه فيكون انكاره هذا مقابلا لدعوى
هذا كلاهما خبر لم يعلم صدقه فتعارضا وترجح المنكر بالاصل فبقي على ما كان لا يسلم
المدعي ما ادعاه بمجرد دعواه ولا تنقطع مطالبته للمدعى عليه لانه لم يات بحجه تدفعه
فاذا حلف المنكر كانت يمينه حجه فصلت الخصومه وقطعت الدعوى واذا لم يات
المنكر باليمين بل نكل عنها ولا اتى المدعي بحجه وقف الامر عند اكثر العلما وعند
بعضهم يقضى على المنكر بالنكول فيجعل نكوله اما بدلا لما طلب واما اقرارا به
والاكثرون يقولون بل ترد اليمين على المدعي الطالب الذي يقول انه يعلم صدق
نفسه فيما ادعاه وانه عالم بما ادعاه فيقال له احلف وخذ فان حلف اخذ
والا دفع ومن العلما من يرد اليمين في عامه الدعاوى ومنهم من يحكم بالنكول
وان كان المنكر يقول لا اعلم ما ادعاه وكل من الطائفتين يذكر اثارا عن الصحابه
والمنقول عن الصحابه يدل على التفصيل وهو اظهر الاقاويل وهو انه ان كان المنكر
هو العالم دون المدعي كما اذا ظهر في المبيع عيب وقد بيع بالبراه فقال المشتري
انا لم اعلم به فانه هنا يقال له كما قال عثمن بن عفان لابن عمر رضي الله عنهما احلف
انك بعته وما به دا تعلمه فان حلف والا قضي عليه بالنكول كما قضى عثمان على ابن عمر

بالنكول عليه وان كان المدعي يقول انه يعلم ما ادعى به كمن ادعى على اخر دينا او غصبا
فقال انا لا اعلم ما ادعيته اخاف وخذ فان لم يحلف لم يعط شيئا والبينة في الدعاوى
عند اكثر العلماء هي ما يبين الحق ويظهره ويوضحه كالدليل والاية والعلامة فمتى
ترجح جانب احدهما حلف مثل ان يقيم المدعي شاهدا فانه يحلف مع شاهده ويقضى
له بشاهد ويمين كما مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول اكثر
العلماء ومنهم من يقول اليمين دائما في جانب المدعى عليه وكذلك لو كان في دعوى
القتل لوث ولطخ وشبهه وهو علامات ترجح جانب المدعي فان اولياء المقتول
يحلفون خمسين يمينا ويقضى لهم بذلك عند اكثر العلماء كما مضت بذلك السنة
وكذلك في اللعان اذا حلف الزوج وشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
واكدها بالخامسة فقد اقام بينة على دعواه فان التعنت المراة وشهدت اربع
شهادات مؤكدة بالخامسة انه كاذب تعارضت البينتان والشهادتان فلم
يحكم بقول واحد منهما لا يحكم بانه قاذف ولا يحكم بانها زانية وان نكلت فلم تحلف
فاكثر العلماء يقولون يحكم بانها زانية وتعذب على ذلك كما دل عليه القران لانه اجتمع
شهادة الزوج ونكولها عن المعارضة كما اجتمع في القسامة العلامة والايمان وكما
اجتمع الشاهد واليمين وكما اجتمع في جانب المنكر الاصل واليمين فهذا ونحوه
جاءت به الشريعة وبسطه له موضع اخر والمقصود هنا ان الخبر ان قام دليل على
صدقه او كذبه والا بقي مما لم يصدقه ولم يكذبه واهل العلم بالحديث اذا قالوا هذا
الحديث رواه فلان وهو مجروح او ضعيف او سيئ الحفظ او ممن لم تقبل روايته ونحو ذلك
فهو كقول القائل هذا الشاهد مجروح او سيئ الحفظ او ممن لا تقبل شهادته وهذا يفيد
انه لا يحكم به لا يفيد الحكم بانه كاذب بل قد يمكن انه صادق فلا يقال انه كاذب الا بحجة
وان قالوا عن الحديث انه ضعيف فهذا مرادهم اي انه لم يثبت ولا يحتج به ولا يجوز
الحكم بصدقه ليس مرادهم انه بمجرد ذلك يحكم بكذب القائل وينفى ما نقله ونقول
انه هنا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي بل ان قام دليل على انتفاء ما اخبر به حكمنا بذلك

والاسكتنا

313

والا سكتنا لم ننفه ولم نثبته فهذا اصل يجب معرفته فان كثيرا من الناس لا يميز
بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه وبين ما لم يثبته لعدم دليل اثباته بل تراهم
ينفون ما لم يعلموا اثباته فيكونون قد قفوا ما ليس لهم به علم وقالوا بافواههم
ما ليس لهم به علم وهذا كثير من اهل الاستدلال والنظر واهل الاسناد والخبر
من الاولين طوائف يطلبون على ثبوت الشيء فاذا لم يجدوه نفوه ومعلوم ان عدم
العلم ليس علما بالعدم وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود الا اذا كان الطالب
ممن يمكنه ذلك اما بعلم او ظن غالب ممن يقاوله ولا من ينفي لبعض صفات الله ما لم يقم دليل
قطعي على اثباته والا وجب القطع بنفيه لان صفات الله لا تثبت الا بالقطع وخالفهم
في ذلك جمهور الناس وقالوا كما لا يجوز القطع في الاثبات الا بدليل قطعي فلا يجوز
القطع في النفي الا بدليل قطعي على النفي فلما لم يجز ان نثبت الا بعلم فلا ننفي الا بعلم
والنافي عليه الدليل كما على المثبت الدليل قال هؤلاء هذه المسائل مبناها
على القطع فانه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن فاذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي
فيقال لهم هذا حجة عليكم فانكم اذا نفيتم ما لم تعلموا نفيه تكلمتم بالظن واذا قطعتم
من غير قاطع كنتم قد تكلمتم في القطعيات بلا قاطع نفيا كان الكلام او اثباتا وليس
لعلم في الادلة الشرعية او العقلية انه اذا لم يقم دليل سمعي او عقلي على اثباته
فانه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم ومن هنا اخطا
كثير من النظار في نفي كثير من صفات الرب واحكامه وافعاله حيث لم يعلموا دليلا
قطعيا يثبتها فنفوها وكانت ثابتة في نفس الامر وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي
يثبتها ولو قدر عدم علم الناس كلهم بها فهو علم لم يعلمه العباد ولله اسماء استاثر
بها في علم الغيب عنده لم يعلمها الناس وليس اذا لم نعلم ثبوت الصفة يجب ان نعلم
انتفاءها بل قد يظن ثبوتها او انتفاءها وقد يشك في ذلك فلا يعلم ولا يظن واحدا منهما
والواجب على الانسان ان يقول لما يعلمه اعلمه ولما يظنه اظنه ولما يشك فيه اشك
فيه والله تعالى لم يوجب على الانسان ان يقول او يقطع بانتفاء شيء انه لم يعلم انه منتف

فمن قال وجب علينا القطع بانتفاء ما لم يقطع بثبوته ولا انتفائه فقد غلط وهذا
بخلاف ما يناقض صفات الاثبات فان هذا يجب نفيه عن الله تعالى لعلم بالادلة القطعية
ان الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص مثل انه حي قيوم بكل شي عليم
وعلى كل شي قدير وانه خالق كل شي وربه ومليكه وانه غني عن كل ما سواه بكل وجه
فكل من قال قولا يناقض هذا علم انه باطل كالذين قالوا ان له شريكا او ولدا
او انه يشفع عنده الشفعا بغير اذنه ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له وما
كان من الامور مستلزما للوازم لو كان موجودا فانه يستدل بانتفا اللازم على انتفا
الملزوم كالامور التي لو كانت موجودة لوجب ان ينقل نقلا متواترا شايعا فانه
يستدل بانتفا اللازم على انتفا الملزوم كما لو قال قايل انه بين العراق والشام
او بين الحجاز والشام مدينة اعظم من بغداد والموصل واصبهان ومصر ودورها
ايام ونحو ذلك فانه يعلم كذبه فان هذا مما توفر همم الناس على نقله لو كان موجودا المخبر به
فاذا لم يستفض هذا وينتشر علم انه كاذب وكذا لو ادعى مدع انه يوم الجمعة
او العيد قتل الخطيب ولم يصل الناس يوم الجمعة ولم يستفض هذا ولم ينتشر
وادعى انه قتل بعض ملوك الناس ولم يستفض هذا ولم ينتشر او ادعى انه بعث
نبي بين المسيح ومحمد او بعد محمد جا بكتاب مثل القران او الانجيل واتبعه
خلق كثير وكذبه خلق كثير فانه لا يعلم كذب هذا اذ مثل هذا لا بد ان يستفيض
وينتشر وكذلك لو ادعى ان قريشا او غيرهم عارضوا القران وجاوا بكتاب
يماثل القران وانهم اظهروا ذلك وابطلوا به حجة محمد صلى الله عليه وسلم فانا
نقطع بكذبه لان مثل ذلك لو وقع لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله وكذلك
لو ادعى ان محمدا امر بحج البيت العتيق او اوجب صوم شهر غير شهر رمضان او بيت غيره
اوجب صلاة سادسة وقت الضحى او امر بالاذان والاقامة لغير الصلوات
الخمس او انه قال علانية بين الناس لابي بكر او العباس او علي او غيرهم هذا هو
الخليفة من بعدي فاسمعوا له واطيعوا او ان عليا دعا الى نفسه في خلافة الثلاثة

وامثال هذه



وامثال هذه الامور التي لو وقعت لكان لها لوازم يستدل بانتفا اللازم على انتفا
الملزوم ثم هذه اللوازم منها جلي ومنها خفي يعرفه الخاصة فلهذا كان اهل العلم
باحوال الرسول يقطعون بكذب احاديث لا يقطع غيرهم بكذبها لعلمهم بلوازم
تلك الاحاديث وانتفا لوازمها كما يقطع من يعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم انه
لم يقاتل في غزوة تبوك وان غزوات القتال انما كانت تسعة مغازي وانه لم يغز
بنفسه الى اليمن ولا العراق ولا جاوز تبوك بعد النبوة وانه لم يحج بعد الهجرة
الا حجة الوداع ولم يصم الا تسع رمضانات وهكذا يعلمون ان ما كان اخطا في هذا
الحديث على فلان لانهم قد علموا من وجوه ثابتة ان ذلك الحديث انما رواه على صورة معينة
فاذا روى غير الثقة ما يناقض ذلك علموا بطلان ذلك وانه اخطا او تعمد الكذب
مثل ما يعلمون كذب من زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في خف او
حافر او نصل فزاد بعض الناس فيه او جناح لما راى بعض الامرا يلعب بحمام
يعلموا انه كذب تقربا الى ذلك الامير وكما يعلمون كذب من روى ان مسيلمة وقومه كانوا
مومنين بالله ورسوله وانما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوا الزكاة فانهم قد علموا بالتواتر
ان مسيلمة ادعى النبوة واتبعه قوم على ذلك وانه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
في حياته يقول من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله فكتب اليه النبي صلى الله عليه
وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ويعلمون انه كان له مخاريق وانه ظهر كذبه
من وجوه متعددة وان ابا بكر الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه في دعوى النبوة وقاتلوا
قومه على ردتهم عن الاسلام واتباعهم نبيا كاذبا لم يقاتلوهم على كونهم لم يودوا الزكاة
لابي بكر وكذلك الاسود العنسي الذي ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
وقتل في حياته وكل منهما عرف كذبه بتكذيب النبي الصادق المصدوق لهما ومما ظهر من
دلايل كذبهما مثل الاخبار الكاذبة التي تناقض النبوة ومثل الاتيان بقران مختلق
يعلم من سمعه انه لم يتكلم الله به وانما هو تصنيف الادميين كما قال ابو بكر الصديق
لهم لما تابوا من الردة وعادوا الى الاسلام اسمعوني قران مسيلمة فلما اسمعوه اياه

قال ويحكم اين يذهب بعقولكم ان هذا كلام لم يخرج من ال اي لم يخرج من رب ومثل
ما كان يفعله ويامر به من الفجور والكذب ومثل اطلاع اخص الناس به على
انه كان يكذب ويستعين بمن يختلق له الكذب ومثل انه كان يعدهم بان جبريل
اخبره انه سينصر فلما حقت الحقايق قال لهم انه لا جبريل لكم فقاتلوا عن احسابكم
الى امثال هذه الامور التي تدل على كذب الكاذب فالصادق له دلايل مستلزمة
له تدل على الصدق والكاذب له دلايل مستلزمة تدل على الكذب ولا يجوز
الحكم بصدق ولا بكذب مخبر الا بدليل وما لم يعلم صدقه ولا كذبه ولا ثبوته ولا انتفاه
فانه يجب الامساك عنه ويقول القايل هذا لم اعلمه ولم يثبت عندي ولا اجزم
به ولا احكم به ولا استدل به ولا احتج به ولا ابني عليه مذهبي واعتقادي
وعملي ونحو ذلك لا يقول هذا اقطع بكذبه وانتفايه وان كنت اقطع ان من انتفاه
تكلم بلا علم فالقطع بجهل مثبته المعتقد له غير القطع بانتفايه فمن قطع بنفيه
بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطايه وان لم نقطع بانتفا
ما نفا ما اثبته في نفس الامر كمن حكم بشهادة مجروح فاسق امر الله بالتثبت
في خبره فمن حكم وقطع بخبره من غير دليل يدل على صدقه حكمنا بان هذا متكلم
بلا علم وان لم نحكم بكذب الشاهد المخبر لكن لا يجوز للانسان ان ينفي علم غيره وقطع
غيره من غير علم منه بالاسباب التي بها يعلم ويخبر فانه كثيرا ما يكون للانسان
دلايل كثيرة تدل على صدق شخص معين وثبوت امر معين وان كان غيره لا يعرف
شيا من تلك الدلايل وهذا ايضا مما يغلط فيه كثير من الناس ينظرون في انفسهم
ومبلغ علمهم فاذا لم يجدوا عندهم ما يوجب العلم بذلك الامر جعلوا عدمه عندهم
كذلك من غير علم منهم بانتفا اسباب العلم عند لكا العند ومن يقيمون نحوا ضعيفه
على ان غيرهم لا يعلم ذلك مثل ما يعلمه كثير من الناس بالنظر والاستدلال لحسن
والاعتبار ومن لم يباشرهم في نظرهم واذكيايهم وقوة اذهانهم لا يعلم ما علموه وكذلك
من الناس يعلم بالاخبار والنقل والاستدلال بذلك امورا كثيرة ومن لم يباشرهم



فيما سمعوه وفيما عرفوه من احوال المخبرين والمخبر به وكمال معرفتهم بذلك لا يعلم
ما علموه فلهذا كان لاهل النظر العقلي طرق لا يعرفها اهل الاخبار ولاهل الاخبار
السمعية طرق لا تعرف بمجرد المعقول ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق
الرسول ونبوته والاستدلال على ذلك امور كثيرة لا يعرفها اهل الحديث والاخبار
وعند هؤلاء من الاحاديث المتواترة عندهم والايات المستفيضة عندهم ما يعلمون
بها صدق الرسول وان كان اوليك لا يعرفونها بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله
قد يكون لكل قوم منها طريق او طرق لا يعلمها اخرون وهم مشتركون في الاقرار بالله ورسوله
ولكل قوم طرق وادلة غير طرق الاخرين وادلتهم بل ما تواتر عندهم من احوال الرسول
قد يكون المخبرون الذين تواتر عندهم ما اخبروهم به من اياته وشرايعه غير المخبرين
لاوليك كما كان الصحابة المخبرون لاهل الشام بايات الرسول وبالقران وشرايع
الاسلام غير الصحابة المخبرين لاهل العراق ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء
وان كان كل من الطايفتين لا يعلم اعيان اوليك الذين اخبروا اوليك وهذا ساير
العلوم فقد يكون الذي علم هؤلاء الفقه والنظر او النحو او الطب غير الذي علم هؤلاء
فان اشترك الجميع في جنس الفقه والنظر والنحو والطب وعلم هؤلاء ما علمه هؤلاء
من الاعيان والانواع مع ان طريق هؤلاء ليس طريق اوليك وان اشتركوا في النوع وعامة
ما يعلمه الناس بالحس هو من هذا الباب فان الانسان يحس باحوال نفسه من جوعه
وعطشه وشبعه وريه وحبه وبغضه وشهوته ونفرته والمه ولذته بل يحس
باعطايه لبطنه وفرجه ولا يحس باحوال غيره ولكن يشتركان في الجنس العام
فيشتركون في جنس الاحساس بجوعهم وشبعهم وقد يشتركون في عين ما يحسونه
كاشتراكهم في روية الشمس والقمر والهلال والكواكب وقد غلط في مثل هذا
طايفة من المتكلمين في المنطق اليوناني فزعموا ان العلوم التجربية والتواترية
والحدسية ان جعلوها قسما غير التجربية فان منهم من يجعل الحدسية نوعا
من التجربية ومنهم من يجعلها جنسا اخر فزعم هؤلاء ان هذه العلوم مختصة

لا تقوم بها الحجة على من لم يعلمها دون الحسيات والوجديات والعقليات وليس كذلك
بل كما ان هذه تكون مشتركة تارة ومختصة اخرى فكذلك الحسيات فان كل اهل
زمان ومكان يعلمون بالحس من احوال ذلك المكان والزمان واحوال اهله ما لا يشركهم
فيه غيرهم وكذلك الوجديات فان من ابتلي بالغرايب في الامور السياسية والبدنية
يعلم منها ما لا يشركه فيه غيره وكذلك العقليات فان من الناس من يكون له اصل
يقيس به الفرع فيعلم القدر المشترك الذي هو الحد الاوسط ويعلم من تعلق الحكم
به ما لم يعلمه غيره فاجناس العلوم وطرقها منها ما هو مختص ومنها ما هو مشترك
والمشترك منه ما يشترك فيه جنس بني ادم ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطايفة
فهذا اصل جامع ينبغي معرفته لمن تكلم في هذا الباب

فصل

واذا كان جنس من يخبر الخبر قد يكون كاذبا وقد يكون صادقا فقد علم انه ليس
كل واحد اخبر بخبر يصدق مطلقا ولا يكذب مطلقا فلم يقل احد من العقلا
ان كل خبر واحد او خبر كل واحد لا يكون صدقا او يفيد العلم ولا انه يكون كذبا
بل الناس يعلمون ان خبر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم انه صدق وان كان
خبر واحد وقد يقوم الدليل على كذبه فيعلم انه كذب وان اخبر به الوف اذا كان
خبرهم على غير علم منهم بما اخبروا به او عن تواطي منهم على الكذب مثل اخبار اهل
الاعتقادات الباطلة بالباطل الذي يعتقدونه واما اذا اخبروا عن علم منهم
بما اخبروا به فهولا صادقون في نفس الامر ويعلم صدقهم تارة بتواتر اخبارهم
من غير مواطاة ولو كانا اثنين فان الاثنين اذا اخبرا بخبر طويل اسنداه الى
علم وقد علم انهما لم يتواطا عليه ولا هو مما قد يقع في العادة تماثلهما فيه
في الكذب او الغلط علم انه صدق وقد يعلم صدق الخبر الواحد بانواع من الدلايل
تدل على صدقه ويعلم صدق خبر الواحد بقراين تقترن بخبره يعلم بها صدقه
وتلك الدلايل والقراين قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق
بحيث يعلم قطعا انه لا يتعمد الكذب كما يعلم قطعا ان ابن عمر وعايشة وابا

على ان الغلط يسير



سعيد وجابر بن عبد الله وامثالهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضلا عن ابي بكر وعمر وعثمن وعلي وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن
ابن جبل وامثالهم بل يعلمون علما يقينيا ان الثوري ومالكا وشعبة ويحيى بن سعيد
وعبد الرحمن ابن مهدي واحمد بن حنبل والبخاري وابا زرعة وابا داود وامثالهم
لا يتعمدون الكذب في الحديث وقد تكون الدلايل صفات في المخبر به مختصة بذلك الخبر
او بنوعه يعلم بها ان ذلك المخبر لا يكذب مثل ذلك الخبر كحاجب الامير اذا قال بحضرته
لعسكره ان الامير قد اذن لكم في الانصراف وامركم ان تركبوا غدا او امر عليكم فلانا
ونحو ذلك فانهم يعلمون انه لا يتعمد الكذب في مثل هذا وان لم يكن بحضرته فكيف اذا
كان بحضرته وان كانوا قد يكذبونه في غير هذا وقد يكون الدلايل سماع من شاركه
في العلم بذلك الخبر واقراره عليه فان العادة كما قد تمنع التواطي على الكذب فانها
قد تمنع التواطي على الكتمان واقرار الكذب والسكوت عن انكاره عنه فما توفرت
الهمم والدواعي على ذكره والخبر به يمتنع ان يتواطا اهل التواتر على كتمانه كما يمتنع
في العادة ان تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعي على نقلها في الحج او الجامع
او العسكر وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه ثم لا ينقل ذلك احد
واقرار الكذب والسكوت عن رده اعظم امتناعا في العادة من الكتمان فان الانسان
في العادة قد تدعوه نفسه الى ان يسكت عما راه وسمعه فلا يخبر به ولا تدعوه
نفسه الى ان يكذب عليه ويخبر عنه بما يعلم انه كذب عليه فيقره ولا ينكره اذ كانت عادة
الناس لما تكذيب مثل هذا ابلغ من عادتهم بالاخبار به ولذلك اذا كذب في قصة
وبلغ ذلك من شاهدها فتوفر الهمم على تكذيب هذا اعظم من توفرها على اخبارهم
بما وقع ابتدا فاذا كانت من القضايا التي يمتنع السكوت عن اظهارها فالسكوت
عن تكذيب الكاذب فيها اشد امتناعا وقد تكون الدلايل صفات فيه تقترن بخبره فان
الانسان قد يرى حمرة وجهه فيميز بين حمرته من الخجل والحيا وبين حمرته من الحمى
وزيادة الدم وبين حمرته من الحمام وبين حمرته من الغضب وكذلك يميز بين صفرته

من الفزع والوجل وبين صفرته من الحزن والخوف وبين صفرته من المرض فكما ان سحنته
ووجهه يعرف بها احوال بدنه الطبيعية من امراضه المختلفة حتى ان الاطبا
الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته لا يحتاجون مع ذلك الى نبض وقارورة وكذلك
تعرف احواله النفسانية هل هو فرح مسرور او محزون مكروب ويعلم هل هو محب
صديق مريد للخير او هو مبغض عدو مريد للشر كما قيل تحدثني العينان ما القلب
كاتم والعين تشهد من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها وكما قيل
ولا خير في الشحنا والنظر الشزر ثم اذا تكلم مع ذلك دل كلامه على ابلغ مما يدل
عليه سيما وجهه كما قال تعالى عن المنافقين ولو نشا لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول فاخبر انه لا بد ان يعرف المنافقين في لحن القول وان معرفتهم
بالسيما معلقة على المشيه والمنافق الكاذب يقول بلسانه ما ليس في قلبه
فتبين انه في لحن قوله يعلم انه كاذب وقال في حق المومنين سيماهم في وجوههم
من اثر السجود وقال في حق الكافر عتل بعد ذلك زنيم اي له زنمة من الشر
اي علامة يعرف بها وقد روي عن عثمن بن عفان رضي الله عنه انه قال ما اسر احد
سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه وقد بسطنا الكلام
على هذه في مسلة الايمان وبينا ان ما يقوم بالقلب من تصديق وحب الله ورسوله
وتعظيم لا بد ان يظهر على الجوارح وكذلك بالعكس ولهذا يستدل بانتفا
اللازم الظاهر على انتفا الملزوم الباطن كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت
فسدت لها سائر الجسد الا وهي القلب وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لمن راه يعبث في الصلاة لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ومن هذا الباب
قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
وقوله ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا وقوله ولو
ارادوا الخروج لاعدوا له عدة فان الارادة التي في القلب مع القدرة توجب



فعل المراد والسفر في غزوة تبوك لا يكون الا بعدة ومن هذا الباب ان عثمن
قال لعمر لما شاوره في المراة التي اقرت بالزنا اني اراها تستهل به استهلال
من لا يعرف انه حرام فانه لما راها تجهر بما فعلته وتحكيه من غير اكتراث تبين
له انها لم تعتقد تحريمه وانه يذم ويعاقب عليه فوافقه عمر وعلي وغيرهما على ذلك
والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما
يعرف بها وكذلك الكاذب الفاجر وكلما طال عمر الانسان ظهر هذا الاثر فيه
حتى ان الرجل قد يكون في صغره جميل الوجه فاذا كان من اهل الفجور مصرا
على ذلك يظهر عليه في اخر عمره من قبح الوجه ما اثره باطنه وبالعكس وقد روي
عن ابن عباس انه قال ان للحسنة لنورا في القلب وضيا في الوجه وقوة في البدن
وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في
الوجه ووهنا في البدن وبغضة في قلوب الخلق وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب
لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة في الله او في رسله او في دينه وعباده الصالحين
ويكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك فيوثر ذلك الكذب الذي ظنه صدقا وتوابعه
في باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله كما
قال بعض السلف لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان ان سواد البدعة لفي وجهه
وهذه الامور تظهر يوم القيامة ظهورا تاما قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للكافرين للمتكبرين وينجي الله الذين
اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السو ولا هم يحزنون وقال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون قال ابن عباس وغيره
تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة والمقصود
ان ما في القلوب من قصد الصدق والمحبة والبر ونحو ذلك قد يظهر على الوجه
حتى يعلم ذلك علما ضروريا من ابلغ العلوم الضرورية وكذلك ما فيها من قصد الكذب

والبغض والعجز وغير ذلك والانسان يرافق في سفره من لم يره قط الا تلك
الساعة فلا يلبث اذا رآه مرة وسمع كلامه ان يعرف هل هو مأمون يطمئن اليه
او ليس كذلك وقد يشتبه عليه في اول الامر وربما غلط لكن العادة
الغالبة انه يتبين ذلك بعد لعامة الناس وكذلك الجار يعرف جاره والمعامل
يعرف معامله ولهذا لما شهد عند عمر بن الخطاب رجل فزكاه آخر قال هل انت
جاره الادنى تعرف مساءه وصباحه قال لا قال هل عاملته في الدرهم والدينار
اللذين يمتحن بهما امانات الناس قال لا قال هل رافقته في السفر الذي ينكشف
فيه اخلاق الناس قال لا قال فلست تعرفه وروي انه قال لعلك رايته يركع
ركعات في المسجد والمنافق قد يظهر الصلاة ممن لم يخبره لا يعرف باطن
امره كما قيل شعر ذئب تراه مصليا فاذا مررت به ركع يدعو وجل دعائه
ما للفريسة لا تقع واذا الفريسة خيلت ذهب التنسك والورع
فاذا كان كذلك فمن نبأه الله واصطفاه لرسالته كان قلبه من افضل القلوب
صدقا وبرا ومن افترى على الله الكذب كان قلبه من شر القلوب كذبا وفجورا
كما قال عبد الله بن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير
قلوب العباد فاصطفاه لرسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد
قلوب اصحابه خير قلوب العباد ~~ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب اصحابه خير~~
~~قلوب العباد~~ فاتخذهم لصحبة نبيه واقامة دينه فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله
حسن وما رآه المؤمنون سيئا فهو عند الله سيء وقال عبد الله بن مسعود من كان
منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد
ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه
واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم
واذا كان من اعظم بل اعظم اهل زمانه صدقا وبرا فانه لا بد ان يظهر على فلتات
لسانه وصفحات وجهه ما يناسب ذلك كما ان الكاذب الفاجر لا بد ان يظهر على وجهه



وفلتات لسانه ما يناسب ذلك وهذا يكون تارة حين اخباره بما يخبر به وتارة
موجودا في غير تلك الحال فان الرجل اذا جاء وقال ان السلطان او الامير او الحاكم
او الشيخ او فلانا ارسلني اليكم بكذا فانه قد يتبين من نفس اخباره من كيفيته
وحاله ما يعلم به انه صادق او كاذب وان كان معروفا قبل ذلك بالصدق او الكذب
كان ذلك دلالة اخرى وقد يكون ممن يكذب ولكن يعرف انه صادق في ذلك الخبر
دع من استمر على خبر واحد بضعا وعشرين سنة مع اصناف الناس واختلاف
احوالهم ومما ينبغي ان يعلم ان الناس تختلف احوالهم في المعرفة والخبرة والنظر
والاستدلال في جميع المطالب فقد يتفطن الانسان لدلالة لا يتفطن لها غيره
وقد يتبين له ما يخفى على غيره حتى الانبياء يتفاضلون وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما والمقصود ان العلم بصدق الصادق وكذب
الكاذب كغيرها من المعلومات قد يكون ضروريا وقد يكون نظريا وهو ليس
من الضروريات الكلية الاولية كالعلم بان الواحد نصف الاثنين بل من العلم
بالامور المعينة كالعلم بحمرة الخجل وصفرة الوجل وعدل العادل وظلم الظالم
ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علما ضروريا واذا كان استدلاليا فالمعرفة
بالعلم لا تحصل بمجرد وجود الدليل في نفسه بل لا بد من معرفة التلبس به والناس
متفاوتون في ذلك والدليل ابدا هو ما استلزم المدلول فكلما كان مستلزما
للشيء كان دليلا عليه لكن لا بد من معرفته ومعرفة انه مستلزم ثم اذا
حصل العلم صار ضروريا وقد يكون ضروريا بلا واسطة دليل معين وليس
العلم بالمعينات كالعلم بصدق هذا وكذب هذا مما يحتاج فيه الى القياس
الشمولي فان ذلك انما يفيد بتوسط قضية كلية والمعينات قد لا يحتاج فيها
الى ذلك وان كان لا بد فيها من خبرة بحال ذلك المعين واذا كان القائل
انى رسول الله اما ان يكون من خيار الناس واصدقهم وابرهم وافضلهم واما ان

كما قال تعالى

واما ان يكون من شرار الناس واكذبهم وافجرهم والفرق بين هذين يكون من وجوه كلام
كثيرة لا تكاد تنضبط منها ما يعرف به صدق هذا وكذب هذا وذات المعرفة
بذلك قد تحصل عند سماع خبر هذا وخبر هذا ورؤية وجهه وسماع كلامه
وما يلزم ذلك ويقترن به من بهجة الصدق ونوره ومن ظلمة الكذب وسواده
وقبحه يتبين بذلك ان كثيرا من الناس يحصل لهم علم ضروري بان هذا النبي
صادق وهذا المتنبي كاذب قبل ذلك من قبل ان يروا خارقا للعادة وقول
بعض المتكلمين ما لم يكن خارقا للعادة لا اختصاص للنبي به فلا يدل يقال له لفظ
خرق العادة لفظ مجمل وان نفس دعوى النبوة صدقا وكذبا ليس هو امرا
معتادا ولم يقع هذا الا في افراد من العالم وهو اقل بكثير من الاخبار بالمغيبات
فان هذا اكثر في الوجود من دعوى النبوة اذ كل نبي يخبر بالمغيبات وليس كل من
اخبر بها كان نبيا وهؤلاء الذين يقولون هذا يقول اكثرهم او كثير منهم ان
دعوى النبوة والتحدي والعجز مجموعها هو المختص بالنبي لانهم يقولون
ان ما كان معجزة لنبي جاز ان يظهر على يد ولي او ساحر وانما يفرق بينهما
التحدي وعدم المعارضة ومنهم من ينكر خرق العادة ان يظهر على يد غير
نبي ومنهم من لا يفرق بين الولي والساحر الا بهذا ويجوز هذا ومنهم من
يطرد ذلك في النبي لا سيما متفلسفة اليونان فانهم من اجهل الناس بامر
النبوة اذ كانوا لم ياخذوها من العلم بصدق الانبياء وبما جاءوا به من الآيات
والبراهين والعلم بصفاتهم وانما اخذوها من القياس على المنامات فجوزوا
فيها مثل ما يجوز على النائم من الاحلام والتخيل وما يصيب اهل المرة كلام
السودا وما يشبه ذلك فهذا هو الموجود في كلام عامة اتباع ارسطو
ولكن متاخروهم كابن سينا ضم الى ذلك نصرته في هيولى العالم لما بلغه
من خوارقهم الفعلية التي لم يكن يعرفها اولئك اذ كان قلم ارسطو هو وما كان
نعلمه قومه من اليونانيين وهم امة من اولاد يافث لم يكن فيهم نبي من اولاد سام



كهود وصالح وغيرهما ثم اولاد ابرهيم الخليل الذي وعد الله ان يجعل في ذريته
النبوة والكتاب حتى يكون علم النبوة مشهورا فيهم وقد جعل الله تعالى من
ذرية الخليل في ذريته النبوة والكتاب كما اخبر بذلك في القران وهم لم
يكونوا من ذريته ولا كانوا خبيرين باحوال ذريته وقد ذكر طائفة منهم
كمحمد بن يوسف العامري وصاعد بن صاعد الاندلسي ان اساطينهم خمسة
ثم اربعة منهم ابندقليس ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطن قدموا الشام
واستفادوا من بني اسرائيل ولهذا لم يكن من هؤلاء من قال بقدم العالم بخلاف
ارسطو واتباعه فانه لم يقدم الشام وذكر هؤلاء كمحمد بن يوسف العامري
وغيره ان اول من لقب بالحكمة لقمان وان ابندقليس استفاد منه ومن اتباع
داود عليه السلام فانه كان في زمن داود واذا كان هذا قول هؤلاء النظار واهل
الكلام والفلسفة فمجرد خارق العادة عندهم ليس وجهه مستلزما للنبوة حتى يكون
وحده دليلا بل لا بد ان ينضم الى ذلك التحدي وعدم المعارضة ولهذا لما اختلف قول
طائفة منهم كابي الحسن واتباعه هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب فقيل لا يجوز
لانه علم النبوة فيمتنع ان يتخلف عنه مدلوله كسائر الادلة وقيل بل يجوز لكن
الله لا يفعله ثم قيل لانه يستلزم عجزه عن تصديق الرسل اذ لا طريق اليه الا المعجز
مقدور عندهم وقيل بل هو مقدور ممكن ولكن نحن نعلم اضطرارا انه لا يفعله مثل كثير
مما يمكن في العادة ونعلم ان الله لا يفعله وجميع من جمع بين القولين وقال المجموع ما يدل
على النبوة وهو الخارق السالم عن المعارض يمتنع ان يكون لغير نبي بخلاف جنس
الخارق فقيل له هذا الامتناع اما ان يكون عاديا واما ان يكون لاستلزامه العجز
عن تصديق النبي وذلك ممتنع فاذا كان ممتنعا لاستلزامه امرا ممتنعا واذا
كان انخلاق العادة ليس عندك ممتنعا فلا بد لك من ذلك الجواب وهو القول بانا نعلم
ضرورة ان ذلك لم يكن ثم اذا علمت ان هذا علم ضروري وان العلم بدلالتها على
الصدق امر ضروري كالمثل الذي ضربته في ارسال الملك رسولا وقول رسوله ان كنت

صادقا فغير عادتك بقيامك ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول فان ذلك
يوجب العلم الضروري بصدق الرسول وقيل ان الملك يعلم عادته ويعلم انه فعل
ذلك للتصديق والرب عندكم لم يخلق شيئا لشيء فقلت بل يخلق شيئا مقارنا لشيء
كالعاديات وهذا منها فقيل لك العادات قد تخرق فقلت قد يعلم ذلك بالضرورة وجعلت اضطرارا
ذلك من باب الدلالة الوضعية كدلالة اللفظ على قصد المتكلم وقلت قد يعلم قصده
من غير سبق مواضعة وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت انه يعلم بها صدق الرسول وان
كانت حقا فجمهور الناس يقولون انك لم تقم بلوازمها من كونه يفعل لاجل كذا ويقولون
القول بانه خلق المعجزة لقصد التصديق مع القول بانه لا يخلق شيئا لاجل شيء تناقضا
فقلت لا يشترط في العلم الضروري العلم بانه يفعل كذا لاجل كذا قيل لك هب انه كذلك
لكن لا يحصل العلم الضروري مع العلم بما يناقضه والمقصود ان ما يذكره هؤلاء وامثالهم
من النظار بل وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومة اصوب منهم في
نفيهم فيما ينفونه فان الانسان لما يثبته اعلم منه بما ينفيه وشهادته على الاثبات اقوى من شهادته
على النفي وان كان النفي قد يكون معلوما لكن غلط الناس فيما ينفونه ويكذبون به اكثر
من غلطهم فيما يثبتونه ويصدقون به ولهذا قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما
ياتهم تاويله ولهذا تجد من سلك طريقا من الطرق اما في اثبات العلم بالصانع واما في
العلم بالنبوة او العلم بالمعاد او غير ذلك واحد يقول لا طريق الا هذا الطريق
يخطئ في النفي اكثر من خطائه في الاثبات ومنهم هؤلاء فانهم قد ينفون من العلم
والطرق ما يعلمه غيرهم بالاضطرار ويثبتون ما يقولون انه معلوم بالاضطرار وقد
يكون غيرهم اصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه بل وفيما يثبتونه ولهذا اكثر الذين
اتفقوا انه لا طريق الا المعجزات تنوعوا في وجه دلالتها فيثبت هذا لها وجها
يستدلون به وينفون طريق غيرهم وبالعكس فاذا قالوا ما سوى الخارق للعادة
ليس يختص بالنبي فلا يدل على نبوته قيل لهم الدليل هو الذي يكون مستلزما للمدلول
يلزم من تحققه تحقق المدلول ولفظ الخارق للعادة فيه اجمال كما تقدم وحينئذ
فنفس



فنفس انباء الله للنبي واصطفاه لرسالته هو من خوارق العادات واقراره على التلقي من
الملك وذلك من المعجزات التي عجز الله الخلق ان يفعلوه وهو مختص بالانبياء وهذا
الوصف اجل واعظم قدرا من غيره من الخوارق والمستلزم لهذا الخارق لا يكون
الا صادقا وهو الدليل اذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم ومن انتفاء اللازم
انتفاء الملزوم والمعتاد الذي يوجد بدون النبوة واما ما لا يوجد الا اذا وجدت
النبوة فهو دليل فقد تبين ان كل ما يدل على صدق الرسول فهو خارق للعادة
يكون اية ونبوة على صدقه واما ما كان خرقا للعادة ولا يستلزم النبوة فليس
دليلا وقد يكون الشيء معتادا بدون النبوة ومع النبوة يكون خرقا للعادة بحيث
يكون وجوده مع النبوة خرق للعادة مجردا لان النبوة خرق للعادة فلا يكون
بحيث لا يوجد وجوده
مستلزما لها الا الخارق للعادة فقول القائل لا نعلم صدقه الا بالمعجزة وهو الخارق
للعادة ان اراد به المعنى العام وهو ما يستلزم صدقه بطل تخصيصه ذلك بما
يخلقه منفصلا عنه من الايات وان اراد بذلك نوعا مخصوصا مع اشتراك الجميع
في الدلالة ظهر بطلان نفيه واما ما يوجد بدونها كما يوجد معها كالامور التي
تكون للصادق في دعوى النبوة والكاذب في دعوى النبوة فهذه لا تدل وما يظهره
الله على يد النبي من الانواع التي بها يعرف صدقه ليس فيها شيء يكون للكاذب
بل الكاذب لا يكون له من الادلة الا ما يستلزم كذبه فكل ما يدل على كذب الكاذب
لا يدل على صدق الصادق وبالعكس فان دليل الكذب مستلزم له ودليل الصدق
مستلزم له وهما ضدان يمتنع ان يكون مدعي النبوة نبيا صادقا ومتنبيا كاذبا
والضدان لا يجتمعان فيمتنع ان يكون شيء واحد يدل على الضدين وهذه القاعدة ينتفع
بها في مواضع منها ان كثيرا من الناس اذا راوا الكاذب وسمعوا كلامه تبين لهم كذبه
تارة بعلم ضروري وتارة بعلم استدلالي وتارة بظن قوي وكذلك النبي الصادق
اذا راوه وسمعوا كلامه فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري او نظري وقد يكون اولا
بظن قوي ثم يقوى الظن حتى يصير يقينا كما في العلوم بالاخبار المتواترة والتجارب

فان خبر الاول يفيد نوعًا من الظن ثم يقوى بخبر الثاني والثالث حتى يصير يقينًا
وهذه الطريق سلكها طوائف من الناس وممن نبه على ذلك القاضي عياض قال القاضي
عياض اذا تامل المتامل المنصف من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة
عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة
نبوته وصدق دعوته قال وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به
فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب رواه غير واحد كعبد الوهاب الثقفي
ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام وعن ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم في صحيحه وغيره عن ابن عباس ان ضمادًا قدم مكة وكان من ازد شنوءة وكان
يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدًا مجنون فقال
لو اني رايت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي قال فلقيه فقال يا محمد اني ارقي
من هذه الريح وان الله يشفي على يدي من شاء الله فهل لك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدًا عبده ورسوله اما بعد
فقال اعد علي كلماتك هاولا فاعادهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات
قال فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعرا فما سمعت بمثل
كلماتك هاولا ولقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي الحديث وقال جامع
ابن شداد كان منا رجل يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقال هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ

بخطامه



بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت
انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا
فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فقال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي
الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه
يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز بالموعود واشهد انه نبي وقال
نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار هو مثل ضربه الله لنبيه
يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة لو لم يكن
فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر قلت وايمان خديجة وابي بكر
وغيرهما من السابقين الاولين كان قبل انشقاق القمر وقبل اخباره بالغيوب
وقبل تحديه بالقران لكن كان بعد سماعهم القران الذي هو نفسه اية مستلزمة
لصدقه ونفس كلامه واخباره بانه رسول الله مع ما يعرف من احواله مستلزم
لصدقه الى غير ذلك من ايات الصدق وبراهينه بل خديجة قالت له كلا والله لا يخزيك
الله ابدًا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب
المعدوم وتعين على نوائب الحق فكانت عارفة باحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره
وتلعب الشيطان به وابو بكر كان من اعقل الناس واخبرهم وكان يعظمه في قريش لعلمه
واحسانه وعلمه فلما تبين له حاله علم علمًا ضروريًا انه نبي صادق وكان
احذق اهل الارض يقينًا علمًا وحالًا وكذلك هرقل ملك النصارى لما ارسل اليه
النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام سال عن عشرة خصال ففي الصحيحين
عن ابن عباس قال حدثني ابو سفيان بن حرب من فيه الى في قال انطلقت في المدة
التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا انا بالشام اذ جي
بكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه

فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل فقال هرقل هل هنا احد
من قوم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش
فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه فقال ايكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي قال ابو سفيان فقلت انا فاجلسوني بين يديه واجلسوا اصحابي خلفي
ثم دعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي
فان كذبني فكذبوه قال فقال ابو سفيان وايم الله لولا مخافة ان يؤثر علي الكذب
لكذبت عليه ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم قال قلت هو فينا
ذو حسب قال فهل كان من اباىه ملك قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ما قال قلت لا قال ومن اتبعه اشراف الناس ام ضعفاؤهم
قلت بل ضعفاؤهم قال ايزيدون ام ينقصون قلت لا بل يزيدون قال فهل يرتد
احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له قال قلت لا قال فهل قاتلتموه
قلت نعم قال كيف كان قتالكم اياه قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا
يصيب منا ونصيب منه قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه على مدة ما ندري ما
هو صانع فيها قال فوالله ما امكنني من كلمة ادخل فيها شيا غير هذه قال
فهل قال هذا القول احد قبله قال قلت لا قال لترجمانه قل له اني سالتك عن
حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذا الرسل تبعث في احساب قومها
وسالتك هل كان من اباىه من ملك فزعمت ان لا فقلت لو كان من اباىه ملك قلت رجل
يطلب ملك ابيه وسالتك عن اتباعه اضعفاؤهم ام اشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم
وهم اتباع الرسل وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت
ان لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وسالتك
هل يرتد احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا وكذلك
الايمان اذا خالط بشاشة القلوب وسالتك هل يزيدون ام ينقصون فزعمت
انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسالتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه

فيكون الحرب



فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه وكذلك
الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة وسالتك هل يغدر فزعمت ان لا يغدر
وكذلك الرسل لا تغدر وسالتك هل قال هذا القول احد قبله فزعمت
ان لا فقلت لو قال هذا القول احد قبله قلت رجل يأتم بقول قيل قبله ثم قال يقول ايتم
بم يامركم قلت يامرنا بالصلاة والزكوة والصلة والعفاف قال ان يكن ما تقول
فيه حقا انه نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو اعلم اني اخلص
اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت
قدمي قال ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراه فاذا فيه بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك
مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وفي رواية
فما يامركم به قال يامرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيا وينهانا عما كان ذاع
يعبد اباؤنا ويامرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة
وقال فهذه صفة نبي وما استدل به ملك النصارى هرقل من العلم بصفاته
هو استدلال على عينه فان الناس في النبوة على درجات منهم من يحتاج الى ان
يعلم جنس النبوة فيصدق بجنس الرسل من البشر لا مكذب بالجنس كما كذب بذلك
من كذب من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين
كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين لان تكذيبهم لم يكن لشخص واحد بل
كانوا مكذبين بجنس الرسل ولهذا لا يخاطبهم الله في السور المكية كقوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس فاحتج بانزال كتاب موسى لما تواتر من خبره

من الايات الباهرات الدالة على صدقه والانجيل تبع للتوراة ثم قال وهذا كتاب
انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه لما قام من الايات الدالة على نزوله وهذا
يذكر سبحانه في السورة المكية من تثبيت امر الرسل واياتهم وبراهينهم وحسن
عاقبتهم ومن ضلال مخالفيهم وجهلهم وغيهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما فيه
عبرة ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة لكن لا يومن بما يجب من حقيقة
ارسالهم كالملاحدة واهل البدع الذين يعظمون الانبيا مع اعتقادهم في
الباطن ما يناقض بعض ما جاوا به لشبهات اعتقدت في قلوبهم ظنوها علوما
عقلية وهي مناقضة لما اخبرت به الرسل يتحاكمون الى ان يوفقوا بينهما
وهم لا يشبهون الذين قال الله فيهم الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا
به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة
الى قوله بليغا وقد اخبر الله انه جعل للانبيا من يعاديهم من الانس والجن
فقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا ولو شا ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم
مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال
تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ولا عدوا
الذين عندهم ما يناقض بعض ما اخبرت به الرسل هم ثلثة اصناف اهل التخييل
من الملاحدة المتفلسفة والباطنية الذين يقولون ان الرسل اخبروا من امر
الايمان بالله واليوم الاخر بما يخالف الحق في نفس الامر ليخيلوا الى الجمهور



ما ينتفعون به ويعدون هذا من فضايل الرسل وقد بسط الرد على هولا في غير موضع
واهل التحريف والتاويل الذين يتاولون كلامهم على ما يخالف مرادهم ويزعمون
انهم ارادوا ذلك المعنى مع انه ليس في كلامهم ما يدل على ارادة ذلك المعنى بل
كلامهم يدل على ارادة خلافه واهل التجهيل الذين يقولون ذلك الكلام ليس له
معنى يعلمه الرسول ولا غيره وانما يعلمه الله وحده وهذان القولان يقول
بكل منهما طوايف معظمين للرسل وقد بين فسادهما في غير هذا الموضع
واما من قال ان الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه ولكن
استاثر الله بعلم امر اخر لا يعلمونه كما استاثر بعلم غيب الساعة فهذا
قول السلف والايمة وبسط هذا له موضع اخر والمقصود هنا ان الكلام
في النبوات تارة في جنسها وتارة في شخص النبي المعين وهرقل ملك الروم لم
يكن محتاجا الى الايمان بجنس النبوات فانه كان من اهل الكتاب واهل
الكتاب يقرون بجنس النبوة فانهم يقرون بنبوة نوح والخليل وموسى وانبيا
بني اسرايل والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والانجيل والذين يحتاجون
الى معرفة النبي المعين نوعان نوع عرفوا انه يبعث نبي وقد يعرفون بعض
نعوته فيحتاجون ان يعرفوا عينه وهرقل وامثاله من اهل الكتاب كانوا
من هذا النوع وكانوا يعلمون ان نبيا سيبعث وانما كان حاجتهم ان
يعرفوا هل هو هذا النبي المذكور ام غيره فيكون ما يحتاجون اليه
مجرد دلايل صدقه ايسر ما يحتاج اليه من لا يومن بالرسل او لا يعرف
ان نبيا سيبعث ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدري هل يبعث نبي
ام لا يحتاج الى ان يعلم ان هذا المعين هل هو من جنس الانبيا الصادقين
او من جنس المتنبين الكاذبين وهذا وهذا يعرف بما يخصه من ايات
صدقه وباعتبار ما جا به بما جات به الانبيا قبله فان اصول ذلك مما
لا يمكن اختلاف الانبيا فيه وهي الامور التي لا تقبل النسخ كالاخبار عن الله

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهذا مما لا يمكن اختلاف الانبيا
فيه اذ كان كل ما يخبر به النبي فهو صدق والاخبار الصادقة لا تتناقض
ولا تقبل النسخ ولكن قد يكون بعض الانبيا اعلم ببعض ذلك من بعض
وفي كلام بعضهم من الاخبار ببعض ذلك ما ليس في كلام بعض وما اخبر
به محمد صلى الله عليه وسلم هو اكمل واكثر مما اخبر موسى والمسيح صلوات
الله وسلامه عليهم وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض اخبار الانبيا
كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما اخبروا به وهذا ممتنع بل لا بد
ان يكون المعارض العقلي خطا ليس بمعقول صحيح او السمعي لم يثبت عنهم
لفظه او دلالته وكذلك الاخبار لا بد ان يكون احد الخبرين كذبا او غير
دال على مناقضة الخبر الآخر واما الاصول الجامعة كالامر
بعبادة الله وحده لا شريك له وبر الوالدين والصدق والعدل وتحريم
الاجناس الاربعة وهي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق والاشراك بالله وان يقال عليه غير الحق ونحو ذلك مثل ما ذكره
في سورة الانعام والاعراف وبني اسرائيل وقد تنازع الناس في مثل
هذا هل يمكن نسخه وتنوع الشرائع به على قولين من جوز ان يامر الله بكل
شي وينهى عن كل شي رد ذلك الى محض المشيئة لا الى صفات تقتضي الامر
بهذا دون هذا فانهم جوزوا دخول النسخ في هذا وتنوع الشرائع
فيه كما يقوله جهم بن صفوان والاشعري ومن وافقه من اصحاب مالك
والشافعي واحمد وان كانوا يقولون انه لم يقع فيه نسخ واما جمهور الناس
من السلف والخلف فانهم لا يجوزون دخول النسخ في هذا ولا تنوع
الشرائع فيه ولهذا كان دين الانبيا واحدا كما قال تعالى يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاتقون وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى

324 f.

به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه وقال تعالى فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون وفي الصحيحين عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبيا ديننا واحد
وهذا مبسوط في موضع آخر

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وعلى سائر الرسل

تم الكتاب المسمى بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح عليه وعلى سائر الرسل الصلاة والسلام
للشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية رضي الله عنه في سنة [illegible] وقوبل على اصل صحيح
نقل من خط مولفه